

المصباح
مجلة علمية فضلية محكمة
تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education &
Scientific Research
Research and Development



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :

Date:

العدد: ب ت ٤ / ٢٠١٣
التاريخ: ٦ / ١٠ / ٢٠١٣

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للمعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المصباح

تحية طيبة...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٤٩٩٦ في ٢٩/٩/٢٠١٣ والحاقا بكتابنا المرقم ب ت ٤ / ٨٠٣٣ في ٦/٦/٢٠١٣ بالإمكان اعتماد "مجلة المصباح" الصادرة عنكم لأغراض الترقية العلمية .
....مع وافر التقدير

أ.م.د. محمد عبد عطية السراج
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠١٣/١٠/٦

نسخة منه إلى/

- دائرة البحث والتطوير/ الشؤون العلمية.
- الصادرة.
١٠/٦/١٣

Website: www.rddiraq.com

mail : gd_office@rddiraq.com scientificdep@rddiraq.com

الهاتف / ٧١٩٤٠٦٥



العتبة الحسينية المقدسة

المصباح

مجلة علمية فصلية محكمة
تُعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

تصدر عن

العتبة الحسينية المقدسة

العدد السابع والعشرون - خريف (٢٠١٦م - ١٤٣٨هـ)

السنة السابعة

المشرف العام

سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْمُهْدِيِّ الْكِرْبَلَائِيِّ

المتولي الشرعي للعبئة الحسينية المقدسة

رئيس التحرير

محمد علي هادي

مدير التحرير والعلاقات العامة

الدكتور حميد مجيد هادي

هيئة التحرير

أ.د. علي رحيم هادي الحلوي

أ.د. صالح مهدي عباس

أ.د. عمار عبودي نصار

أ.د. زهير غازي زاهد

أ.م.د. عبد الجواد البيضاني

أ.م.د. علي عباس الاعرجي

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبد الجبار ناجي

بيت الحكمة - بغداد

أ.د. محمد علي آذرشب

جامعة طهران - ايران

أ.د. عبود جودي الحلي

جامعة كربلاء - العراق

أ.د. محمد كريم ابراهيم

جامعة بابل - العراق

أ.د. محمد جواد الطريحي

جامعة بغداد - العراق

أ.د. احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي العراقي

أ.د. حازم سليمان الحلي

جامعة الكوفة - العراق

الشيخ الدكتور منصور مندور

الازهر الشريف

أ.د. عبد الامير كاظم زاهد

جامعة الكوفة - العراق

أ.د. عبد النبي اصطيف

جامعة دمشق - سورية

المصباح

مجلة علمية فضلية محكمة

تُعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

العدد السابع والعشرون - فريف (٢٠١٦م - ١٤٣٨هـ)

الترقيم الدولي :

ISSN: 2226 - 5228

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق

٢٠١٠ / ١٤١٤

العنوان الموقعي

مجلة المصباح - شارع السدرة

كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

الاتصالات

مدير التحرير والعلاقات العامة

٠٧٨١٠٨٠٠٦٢٧

٠٧٧٠٣٢٨٥٠٧٨

ادارة المجلة

٠٠٩٦٤ ٣٢ ٣١٠٠٥٥

بدالة

٠٠٩٦٤ ٣٢ ٣١٠٠٦٦

داخلي: ٥٦١

سكرتير التحرير

غازر عبد الامير الطريحي

التنسيق والمتابعة والتوزيع

علي افضيلة الشمري (العراق)

هـ / ٠٧٨١٠٤٢٧١٣٠

د. أحمد كامل الجباري

(جمهورية مصر العربية)

هـ / ٠٠٢٠١١١١٢٦٧٧٧٩

معمد الترجمة الانكليزية

سعد شريف طاهر

الاخراج والتصميم

قاسم سالم محمد

البريد الإلكتروني: almissbah@imamhussain.org

موقعنا على شبكة الإنترنت: www.almissbah.imamhussain.org

المحتويات

- كلمة الافتتاح / رئيس التحرير..... ٩
- جون وانزبروغ رائد النظرية الشكّية في جمع القرآن الكريم/ أ.د. عبد الجبار ناجي..... ١٥
- دلالات التذكير والتانيث في القرآن الكريم (الجزء الثاني) / د. وائل عبد الامير الحربي..... ٨٧
- موقف بني اسرائيل من عيسى (عليه السلام) ودعوته / الشيخ الدكتور منصور مندور..... ١٢٧
- معوقات النظر العقلي في القرآن الكريم / م.د. ضرغام علي محيي المدني..... ١٥٥
- هيمنة الهوية الاسلامية وخصوصيتها / طلال فائق الكمالي..... ١٨٧
- التناسب في ترتيب نزول السور القصار/ الدكتور السيد محمد الموسوي المقدم..... ٢٢٧
- الجملة التذييلية في القرآن الكريم مفهومها واقسامها / م.د. علي موسى عكلة..... ٢٤٥
- الحب مصطلحاته وتجلياته في القرآن الكريم/ أ.د. عبد القادر سلامي..... ٢٨٣
- الرمزية في الخطاب القرآني / م.م. رياض عبد الرحيم حسين الباهلي..... ٣٠٥
- مطابقة نبوءة النبي دانيال (عليه السلام) لبشارة القرآن / م.م. عامر ناجي حسين..... ٣٢٩
- النقد القرآني لإلغاء الآخر دينياً/ نور مهدي كاظم الساعدي..... ٣٤٩
- جوابات ثلاث مسائل تفسيرية للشيخ بهاء الدين العاملي / م.م. مقدم محمد جاسم البياتي..... ٣٧٧
- نافذة المصباح..... ٤٠٥

ضوابط النشر

١. أن يكون البحث منسجماً مع اختصاص المجلة وتوجهها في نشر الابحاث التي تتعلق بالقرآن الكريم حصرياً.
٢. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق وخارجه، أو مستلاً من كتاب أو رسالة جامعية أو محملاً على الشبكة العنكبوتية على أن يلتزم الباحث بذلك بتعهد خطي.
٣. أن لا يكون البحث نمطياً أو مما أشبع موضوعه بحثاً، أو سردياً أو إحصائياً أو إجرائياً مما لا يتمثل فيه جهد الباحث الفكري.
٤. يرسل البحث محملاً على CD أو فلاش او بوساطة البريد الالكتروني للمجلة مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل عنده. ولاتستوفي المجلة أية مبالغ نقدية عن نشر الابحاث المطلوبة للتحكيم والترقية.
٥. تقوم المجلة باشعار الباحث بوصول البحث، ثم تشعره بقبول النشر في حال موافقة هيئة التحرير على ذلك وعندها يكون البحث ملكاً للمجلة لايجوز تقديمه للنشر في مجلة أخرى.
٦. ترتيب الابحاث في المجلة يخضع لسياق فني صرف ولا علاقة لأهميته أو لمكانة الباحث بذلك.
٧. يهمل كل بحث لا يحمل المعلومات المطلوبة عن الباحث (اسمه -درجته العلمية -مكان عمله -عنوانه الكامل ورقم هاتفه أو عنوان بريده الالكتروني).
٨. يستحسن للباحث الإشهار بنشاطه العلمي والثقافي في سطور قليلة.
٩. تحتفظ هيئة التحرير بحق حذف أو تعديل ما لايتماشى وسياسة المجلة في نشر علوم القرآن الكريم حصرياً أو ماخرج منها عن منهج البحث العلمي أوالموضوعي أو مامس جوهر العقائد الاسلامية ورموزها الفكرية والدينية.

كلمة الافتتاح

بقلم رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا سئبل السلام، واخرجنا من الظلمات الى النور باذنه، وهدانا الى صراط مستقيم. والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً، وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين، واصحابه المنتجبين وَمَنْ تَبِعَهُمْ باحسان الى يوم الدين.

قال -عز من قائل - وهو أصدق القائلين: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾.

فقد أجمع المفسرون على أن المقصود هم من يوالون من خالف الله ورسوله. يقول السيد الطباطبائي في تفسير هذه الآية الكريمة، إنها (الآية) تنفي وجدان قوم (مؤمنين) على هذه الصفة، كناية عن أن الايمان الصادق بالله واليوم الآخر، لا يجامع موادّة أهل المحادّة والمعاندة من الكفار ولو قارن (التوادّ) أي سبب من أسباب المودة كالأبوة والبنوة والأخوة وسائر أقسام القرابة. فبين الايمان وموادّة أهل المحادّة تضادّ، لا يجتمعان لذلك.

والمهم في هذا المبحث أن نحدد معنى الكفر الذي يوجب على من يدعي الايمان بالله أن يتبرأ ممن تقصمه. وهذه كتب التفسير والعقائد

- تُفيض الحديث في رسم معالم الكفر، والتي منها:
- جحد النعم وإنكارها وعدم شكر الله - سبحانه - عليها.
 - الاستهزاء بحدود الله والسخرية منها ووصفها بالغلط (حاشاها).
 - نسبة آيات القرآن الى الخرافة والاساطير وازدراء ما ورد فيها من أحكام وقصص وإعجاز وثوابت علمية.
 - الاستخفاف بالعبادات، وأداؤها رياءً وغُرمًا وتثاقلاً.
 - الطعن بالمسائل الغيبية والشك فيها كالقيامة والبعث والنشور والجنة والنار والصراط.
 - الأمن من غضب الله وانتقامه وقضائه وقَدَرِه.
 - اليأس من رحمة الله واجتباء عطفه ورأفته وطلب مغفرته.
 - الخروج على حدوده - سبحانه - وما أحلّ وما حرّم في كل جوانب الحياة كالزواج والطلاق والبُنُوَّة والميراث والتعامل الشرعي والصلاة والحج والزكاة.
 - ففي القرآن الكريم جاء وصف كل هؤلاء بالكفر والنفاق والغفلة. ويهون الأمر بعض الهوان، إذا احتفظ هذا الضال بفكره لنفسه، فلم يتظاهر به. ولكن الخطب يفتح حين يجار بما يرى علانية، ويسقّه رأي من يعتقد بالدين القويم، فهو يجادل ويماري بكل ما أوتي من حقد، متخذاً من بعض البدع والعادات الاجتماعية الملتصقة بالدين ذريعة للتشهير بجوهره وما جاء به القرآن العظيم مستخدماً أسلوب النكتة السمجحة في توجيه فكره الضال. مثل هذا الانسان يكون عندها: ضالاً مُضِلاً لا يجوز لمن يدّعي الايمان بالله واليوم الآخر محاباته أو موادّته بنص القرآن الكريم . وقد كان الامام الخميني قدس سره

مصيباً في فتواه باهدار دم سلمان رشدي، كونه لم يجبس كفره على نفسه بل اطلقها لتصيب الجهلة وضعاف الايمان.

ان الباب الذي يلج منه هؤلاء المتطفلون على البشرية هو إسقاط القرآن والحط من عظمته باسلوب التهوين والسخرية والتي تصبُّ على ما ورد في الكتاب العزيز من قصص الانبياء ومعجزاتهم كناقاة صالح ومولد السيد المسيح وعصا موسى ونملة سليمان والمدهد وذو القرنين وغيرها. وكذلك الحقائق التي تحدت عنها القرآن من وصف الجنة وما فيها من نعيم، ووصف النار وما فيها من جحيم وما شابه ذلك من أمور توغل في صلب العقيدة الدينية السمحة.

ولا يسعني الا أن أحكم بحكم الله على من يسمع لهؤلاء المتخرفين بأنكم منهم ما دتم لاتحاجوهم على ما يرون، لأنكم نسيتم أن مثل هؤلاء هم عدو لله ولرسوله، والله - سبحانه - يقول: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ ويقول في آخر آية من السورة ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانْتَوَلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ وقال - سبحانه - : ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

أمثال هؤلاء الضالين المضلين لا ينفع معهم الوعظ والتنبيه، فهم وبمجرد بدء حديث الوعظ معهم، يكشرون عن أنياب حقدهم وكفرهم، ولا يزيدهم الحديث الا اعتواً وكفراً كما قال سبحانه في وصفهم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ

من دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١١٢﴾ ويبلغ بهم العتو أنهم يعدّون العقل

الديني مهزلة، يؤلفون فيه الكتب والمقالات يثون فيها سموم أفكارهم المريضة التي تدل على خبث اصولهم، ثم لا يسمعون من يردعهم أو يفضّ أفواههم بل العكس من ذلك، نرى من يدافع عنهم بالرغم من أنهم يدّعون التدين بل يتمثلون تلك الافكار ويجادلون عنها ذوي الاختصاص تعصبا وازدراءً لهم، ناسين او متناسين انه القرآن العظيم الذي اخترقت قافلته العصور والاجيال وستخترق العصور والاجيال وهو في كل يوم يزداد طراوة ونضارة لا كما يراه ملحد معاصر يعيش في مجتمع مفعم يحب القرآن، وهو يعيب على العلماء اهتمامهم به كل هذا الاهتمام وهو (القرآن) لا يرقى الى مستوى روايات شيكسبير...!!!.

لقد صدق الله -جل في علاه- حين مثل هذا الضال المضل بقوله:

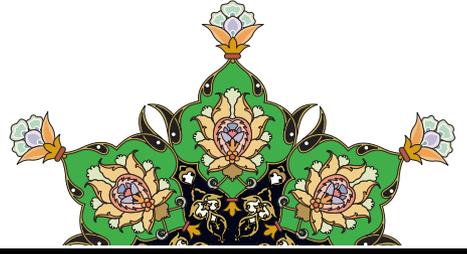
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ؕ أُولَئِكَ كَأَلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١١٣﴾ .

اللهم نور قلوبنا بالقرآن وزدنا ايمانا يحتوي أفئدتنا وكل جوارحنا فذلك من فيض نعمتك علينا واجعلنا من الهداة المهتدين ولا تجعلنا من الضالين المضلين انك سميع الدعاء.

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ رَبَّنَا وَءَاِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ ﴿١١٤﴾ .

بحوث العدد

البحوث وما تتضمنها من آراء وافكار تعبر عن رأي كتابها



(جون وانزبروغ) رائد النظرية الشكّية
في جمع القرآن الكريم في دراسته الموسومة
(دراسات قرآنية)
(الجزء الأول)

أ.د. عبد الجبار ناجي
بيت الحامة - بغداد

فحوى البحث

في دراسة سابقة للاستاذ الباحث، نشرت في مجلة (المصباح) في عددها الثالث والعشرون (خريف ٢٠١٥) بعنوان (اهتمام المستشرقين بعملية جمع القرآن الكريم)، لم يقدم السيد الباحث، ضمن العنوان الرئيس أي اسم من أسماء المستشرقين، على اساس أن البحث المذكور مدخل اساسي للتوجهات التي تركزت حوله جل اهتمام اولئك المستشرقين بالموضوع.

وها هو ذا الاستاذ الباحث، وبحكم تخصصه بالدراسات الاستشراقية، يعود الى المهتمين بمثل هذه الأبحاث الرصينة ليعرض وجهة نظر اولئك المستشرقين في مسألة (جمع القرآن) والتي كان (نولدكه) من أوائل من تصدوا لهذا البحث الحساس.

وبالنظر الى طول البحث وأهميته، قمنا بتجزئته على قسمين اتماماً للفائدة المتوخاة من كشف الأغراض الحقيقية لخوض مثل هذه الموضوعات من قبل اناس لا يهتمهم الا الطعن بعظمة القرآن الكريم وإعجازه.

عن شكره لنولدكة فقد أشار في الفصل الأخير من تاريخه للقرآن المجيد الى تاريخ نولدكة مثمنا عمله الذي وصفه بكونه العمل الرائع والبارع. آخذين بنظر الاعتبار أن كتاب نولدكة الذي كان يعدّ في الأساس رسالته للدكتوارة قد سمى الكتاب تاريخ القرآن في الوقت الذي كانت التسمية في أصل لرسالته العلمية تحمل تسمية أخرى وهي (بنية أو أصول السور القرآنية)، فضلا عن ذلك فقد طبع تاريخ القرآن لنولدكة في عام ١٨٦٠ م أي بعد أربع سنين من حصوله على الدكتوراه؛ بمعنى آخر إن الزنجاني قد طبع كتابه بعد حوالي خمس وسبعين سنة من كتاب نولدكة، فطبعته الأولى في القاهرة من أعمال لجنة التأليف والترجمة المصرية كان في ١٩٣٥ م.

فالملاحظ أن جميع تلك الاسهامات العربية والإسلامية كانت متأخرة بأكثر من نصف قرن على المبادرة الأولى

في دراستنا التي نشرت على صفحات مجلة المصباح العتيدة بعنوان "اهتمام المستشرقين في عملية جمع القرآن الكريم" لم أقدم ضمن العنوان الرئيس أي اسم من أسماء المستشرقين على اعتبار أنه مدخل أساسي للتوجهات التي تركّزت حوله جلّ اهتمام المستشرقين ومنذ أول اهتمام قد أشرنا اليه خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر؛ وفي قبالة هذا الاهتمام فإن هذه المسألة الحيوية لم تنل أي انتباه ودراسة من الجانب العربي والمسلم. إذ كما أشرت في القسم الأول بأن أول استجابة عربية لتأثير كتاب نولدكة الموسوم (تاريخ القرآن) قد نهد بها أحد العلماء الإيرانيين هو أبو عبد الله الزنجاني (المتوفى في عام ١٩٤٧) في كتابه الذي حمل نفس عنوان كتاب نولدكة باللغة الألمانية (تاريخ القرآن Geschichte des Qurans)^(١). والزنجاني تعبيرا

Qur'an: A Critical and Historical Study of Al-Farahi's View (Ph. D. University of Wales Lampeter (2010) Pp. 351-352

Rahmani, Abd al-Latif; Tarikh (١) al Qur'an (Hayderabad, 1919 Pp. 12-15, as cited from Shehzad Saleem; Collection of the



للدكتور ثيودور نولدكة، ولعلها كانت أصداء ونتائج لتلك المبادرة^(٢). ومهما

(٢) Shezad. Ibid. P. 352. هو الشيخ

"حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد بن عبد المحسن الأنصاري الفراهي"، ولد سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٤م) في قرية "فيرها" من قرى مديرية "أعظم كره" بشبه القارة الهندية، وبدأ تعليمه منذ ترعرعه.. فحفظ القرآن صغيراً -شأن أبناء العائلات الشريفة في الهند- وبرع في الفارسية حتى نَظَمَ فيها الشعر وهو ابن ستة عشر عاماً، ثم اشتغل بطلب العربية وعلومها على يد ابن عمته العلامة المؤرخ الأديب شبلي النعماني (١٢٧٤-١٣٣٢هـ / ١٨٥٨ - ١٩١٤م)، وكان أكبر منه بست سنين. كما تلقى العلم في حلقة الفقيه الحنفي المحدث العلامة الشيخ «أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي» (١٢٦٤ - ١٣٠٤هـ / ١٨٤٨-١٨٨٧م) وغيره من علماء عصره، ثم عرَّج بعد ذلك على اللغة الإنجليزية وهو ابن عشرين سنة، والتحق بكلية «عليكره» الإسلامية، وحصل على «الليسانس» في الفلسفة الحديثة من جامعة «الله آباد». اقضى وطره من طلب العلم، واستقى من حياضه.. عُيِّن معلماً للعلوم العربية بمدرسة الإسلام بكراتشي (عاصمة السند آنذاك)، فدرس فيها سنين، وكتب وألَّف وقرض وأنشد، ثم انقطع بعد ذلك إلى تدبر القرآن ودرسه، وجمع علومه،

يكن فأن الدراسات العربية الإسلامية الي نشرت بعد كتاب الزنجاني (تاريخ القرآن) قد تصاعدت كثيرا وبالأخص تلك التي تتمحور حول مسألة جمع القرآن وتاريخ ذلك الجمع وتاريخ القرآن الكريم^(٣).

فإذا ما علمنا بأن إنتاج نولدكة هو العامل المؤثر في الكتابة العربية

فقضى فيه أكثر عمره حتى توفي رحمة الله في ١٩ / ٦ / ١٣٤٩هـ (١١ / ١١ / ١٩٣٠م) في مدينة «متهورا» حيث كان يتطبب من مرض ألم به. ومن مصنفاته المطبوعة في علوم القرآن:-

- دلائل النظام (١٢٧ صفحة -نشر الدائرة الحميدية بالهند -١ / ١٣٨٨هـ).
- مفردات القرآن (٤٧٥ صفحة -بتحقيق د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي -دار الغرب الإسلامي ببيروت -١ / ٢٠٠٢م).
- إمعان في أقسام القرآن (١٤٧ صفحة - دار القلم بدمشق -١ / ١٤١٥ هـ -١٩٩٤م).
- التكميل في أصول التأويل (٦٩ صفحة - نشر الدائرة الحميدية بالهند -١ / ١٣٨٨هـ).
- مجموعة رسائل الفراهي (مطبوعة بالهند).
- أساليب القرآن.

Ibid (٣)



للإستشراق الألماني عن تاريخ القرآن وعملية جمعه بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهاهنا يشير المستشرق بأن هناك دراسة أخرى سبقت دراسة نولدكة وهي لعالم يهودي ألماني آخر سبق في نشره كتاب نولدكة تاريخ جمع القرآن الكريم بحوالى ثلاث عقود^(٦)، ذلك هو أبراهام جييجر Abraham Geiger المستشرق الألماني المعروف بدراساته (١٨١٠ - ١٨٧٤).

وكان لدراسته تأثير على الباحثين وقد أدت الى ظهور دراسات أخرى على شاكلتها أي بخصوص التأثير اليهودية أو التوراتي على القرآن أو على الإسلام أو حتى على رسول الله ﷺ^(٧).

ولذلك فمن المرجح القول بأن إستجابة العلماء العرب والمسلمين لإهتمامات المستشرقين وتوجهاتهم في

(٦) Wansbrough، John: Qura'in Studies (edited by Andrew Rippin forward Pp. 1X—X11 .Rippin
(٧) Andrew Rippin: Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation. (John Wansbrough ٢٠٠٤).

والإسلامية عن جمع القرآن لم يكن الأول من نوعه في هذا الاهتمام القرآني المهم؛ فاعتمادا على ملاحظة المستشرق الكندي المعاصر أندرو ربن Andrew Rippin الأستاذ في قسم التاريخ في جامعة فكتوريا Victoria University of American Academy^(٤) وهو عضو في أكاديمية الأديان الأمريكية Victoria American Academy^(٤).

of Religion وعضو في الجمعية الأمريكية الشرقية American Oriental Society منذ سنة ١٩٨٠ ويشغل الآن عضوية المجلس البحثي الأسترالي^(٥)، في تعليقه على تاريخ القرآن لنولدكة وبكونه يشكل أول دراسة

(٤) "The Histoigraphy of the Qur'an in the Muslim World: The Influence of Theodor Noldeke" in Encycloaedia Islamica Foundation. Tehran) Pp. 57 -63

(٥) Andrew Rippin: The Qur'an and its interpretive tradition (Aldershot: Variorum, 2000).



مثل هذا الميدان المهم جدا -والذي ينبغي أن ينل ما فيه الكفاية والاستحقاق الكثير لاهتمام العلماء المسلمين الأوائل الذين حققوا الكثير من الإنجازات في مواضيع جمع القرآن الكريم وفي تفسير القرآن وفي اختلاف القراءات وغير ذلك من جوانب دقيقة وفعالة في هذا الميدان.

وهناك دراسة نظيرة لدراسة إباهام جيجر وأقصد هنا دراسة المستشرق جون ونزبورو [أو ونزبوروغ] John Wansbrough عدت من قبل الغربيين بمثابة النظرية theory ألا وهي أن جمع القرآن الرسمي والشرعي والمعترف به إنما بدأ بعد حوالي المائتين سنة من الهجرة النبوية وبالذات زمن العباسيين. فلم يكن للمسلمين حتى ذلك التاريخ قرآن إنما كان هناك بحدّ زعم المستشرق ونزبوروغ روايات شفاهية لا غير أو بما أطلق عليها Prophetic Logia. والأنكى من ذلك إن هذه الفرضية لجون ونزبوروغ قد درست بشكل تام وواضح في كتابه (دراسات

قرآنية) المطبوع في عام ١٩٧٤م، ولم يعرض هذا الكتاب أو لم يردّ على آراء المستشرق في الدراسات العربية العليا منها والدنيا، لولا تصدي نفر من الباحثين المسلمين من أمثال سيف الله S. M. Saifullah ومرضى كريمي- نيا Morteza Karimi-Nia وخرم سومرا Khurram Soomra والياس كريم Elias Karim، وعبد الله سعيد Saeed وغيرهم فنشروا دراساتهم وردودهم في المجلات الأجنبية وعلى مواقع الإنترنت المختلفة. فهؤلاء الباحثين، وفقهم الله تعالى، عرفوا القارئ بهذه النظرية التي نالت من إعجاب الكثير من المستشرقين إن كانوا ممن تتلمذ على يديه نظير جون بيرتون J. Burton وكوك CookM. أو ممن تأثر بهذه النظرية من المستشرقين وغير المستشرقين.

وعلى هذا الاعتبار فاعتادا على رأي المستشرق الكندي أندرو ربن فإن تاريخية الكتابة عن مسألة جمع القرآن عند المستشرقين قد تمثّلت بعدد من



Wansbrough أحد المفكرين الأفاذا
 وواحد من أشهر المفكرين إبداعا
 وأصالة في ميدانالدراسات الإسلامية.
 ولد ونزبرو في ١٩ من شهر شباط
 عام ١٩٢٨ في مدينة بيوريا، Peoria
 ILLINOIS في الولايات المتحدة.
 وقد أكمل دراسته في جامعة هارفرد
 Harvard University وأمضى بقية
 عمره العلمي يدرس في جامعة لندن في
 مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية
 المعروفة برمز SOAS، وتوفي في العاشر
 من شهر حزيران عام ٢٠٠٢. كان
 في الحقيقة مستشقا أمريكيا درّس في
 جامعة لندن وهو استاذاً في الدراسات
 السامية Semitic Studies والرئيس
 أو المدير السابق لجامعة مدرسة
 الدراسات الشرقية والإفريقية. وبالنظر
 الى تمرّسه في الجوانب اللغوية التي دلّت
 عليه براعته اللغوية في عدة لغات كما هو
 متميز وبينّ في كتابه (دراسات قرآنية)
 إذ كان مهيمنا على اللغة الإنجليزية
 والعربية واللاتينية والعبرية والإغريقية
 والألمانية وكانت له معرفة وصلة حميمة

الدراسات الاستشراقية على وفق
 تسلسلها في التأثير والأهمية ألا وهي:-
 مساهمة المستشرق الألماني إبراهيم جيجر
 Geiger أولا ثم مساهمة المستشرق
 الألماني ثيودور نولدكة Noldeke
 ثانيا ودراسة المستشرق جون ونزبرو
 Wansbrough ثالثا ونضيف الى
 هذه الدراسات دراسة تلميذ المستشرق
 المستشرق البريطاني جون بيرتون
 Burton رابعاً ودراسة المستشرق
 أندرو ربن Rippin خامسا ودراسة
 المستشرق مايكل كوك والمستشقة
 باتريشيا كرونه Crone سادسا
 ودراسة المستشرق John Gilchrist
 جون جلكريست من جنوب إفريقيا
 سابعا.

المستشرق ونزبروغ Wansbrough

وآرائه في كتابه (دراسات قرآنية)

(Qur'anic Studies)

A. عدّ البروفسورأندرو ربن
 Rippin المستشرق الكندي، الذي
 تتلمذ على يدي المستشرق جون
 أدوارد ونزبروغ John Edward



بلغة التوراة والمصادر التوراتية التي تمّ اعتمادها من قبل، علماء دراسات التوراة والإنجيل. وهو مؤلف عدّة دراسات فضلا عن دراساته (دراسات قرآنية) نذكر منها الآتي:-

- Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation (Oxford, 1977).
- The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History (Oxford, 1978).
- Res Ipsa Loquitur: History and Mimesis (1078).
- Lingua Franca in the Mediterranean (Curzun Press, 1996).
- Res Ipsa Loquitur: History and Mimesis (Reprint by World Scientific Publishing, 2012).

اختصارا (SOAS)) بالمدرسة التابعة الى جامعة لندن وقد درست فيها وحصلت على شهادة الدكتوراة تحت اشراف البروفسور الراحل برنارد. بالمدرسة التابعة الى جامعة لندن وقد درست فيها وحصلت على شهادة الدكتوراة تحت اشراف البروفسور الراحل برنارد لويس - Be nard Lewis للفترة بين ١٩٦٦ حتى ١٩٧٠ وكنت في قسم الدراسات الشرقية إذ كان البروفسور مايكل كوك M. Cook المستشرق المعروف في مؤلفاته الكثيرة عن التاريخ الإسلامي والدراسات القرآنية واشتهر بكتابه (الهجرية) مع البروفسورة الدانمركية باتريشيا كرونه Patricia Crone. وكان البرفسور ونزبرو في قسم الدراسات السامية التي تشتمل على الدراسة اللغوية ولذلك فإن كتابه دراسات قرآنية يقع الى حدّ ما ضمن هذا التوجه اللغوي كما سنبينه في البحث (الباحث). وعن المستشرق ونزبوروغ ينظر ويكيبيديا Amazon Product و Wikipedia Description One of the most innovative thinkers in the field of Islamic Studies was John Wansbrough (1928 - 2002), affiliated throughout his career with London University's School of Oriental and African

Studies.. ومن مؤلفاته المطبوعة: -

(٨) وهي المعوفة اختصارا باللغة الإنجليزية



القرآن الكريم كانت أكاديمية صرفة من الصعب على الفرد العادي فهمها جميعا إلا أولئك الذين لهم شأن واختصاص محدّد في ميدان الدراسات القرآنية. فمثلا يرى المستشرق كارول كرستن Carool Kersten وهو أستاذ في قسم دراسة الأديان في جامعة لندن SOAS (أي من نفس الجامعة التي كان جون ونزبروغ Wansbrough يدرّس فيها في السبعينيات)، في تعقيبه على كتاب ونزبروغ (Quranic Studies) المطبوع طبعة أخيرة بتحقيق وترجمة البروفسور أندرو ربن Rippin في عام ٢٠٠٤ العرض الذي نشره في المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية The American Journal of Islamic Social Sciences إذ يقول "والآن -ويقصد أي منذ عام ١٩٧٨ حتى ٢٠٠٤- فقد ظهر الكتاب ثانية بمقدمة وعرض وحقّق من قبل المستشرق المتخصص في الدراسات القرآنية أندرو ربن Rippin مع هوامش وتعقيبات وسرد

لقد كان لهذه الميزة العلمية في اتقانه اللغات الأجنبية والقديمة منها على وجه الخصوص سلبيات أضحت وكأنها مشاكل في عدم رواج كتابه (دراسات قرآنية) فكان من بين المشاكل في قراءة كتاب ونزبروغ من القراء غير المتخصصين، كما بيّنه العديد من الذين عرضوا وقيّموا نظريته من المستشرقين وغيرهم، صعوبته وصعوبة المصطلحات الغربية والأجنبية المستخدمة فيه، وأن اسلوب كتابته ومنهجه في التعامل مع عملية جمع القرآن الكريم بل وموقفه من

- Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation (Oxford, 1977)
- The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History (Oxford, 1978).
- Res Ipsa Loquitur: History and Mimesis (1078).
- Lingua Franca in the Mediterranean (Curzun Press, 1996).
- Res Ipsa Loquitur: History and Mimesis (Reprint by World Scientific Publishing, 2012).



بالمصطلحات والمفردات القرآنية وغير القرآنية؛ فقراءته في أكثر الأحوال مخيبة للآمال وقليلة الجدوى بالنسبة الى عدد من مؤرخي التاريخ الإسلامي البارزين اعتمادا على تشخيص (آرستيفن همفريز Humphreys R. Stephen في كتابه الموسوم [التاريخ الإسلامي Islamic History المطبوع في عام ١٩٩٩ صفحة ٨٣ - ٨٤].

مزايا وخصائص اسلوب ونزبوروغ:

المتبع في كتابه دراسات قرآنية بأنه "نزع الى أو اختار اسلوبا فخما وغير شفاف ويعج بالمصطلحات الفنية التقنية الغامضة والتي ليس لها تفسير وفي لغات عدة، فضلا عن العديد من الإشارات غير المباشرة الغامضة، وما أطلق عليه همفريز بمصطلح Teotanic grammer ولعل المقصود في ذلك الإستعمالات النحوية المعقدة"^(٩).

Carool Kresten; "Qur'anic (٩) Studies: Sources and Methods of Scrpitural Interpretation: John Wansbrough " in The American Journal of Islamic

ويذكر هذا المعقب كارول كريستين إن المحقق أندرو ربن قد خفف ولفظ بعض من هذه الصعوبات؛ وذلك عن طريق تزويده واضافته معلومات غنية عن المخطوطات التي اعتمد عليها ونزبرو، وتزويده بتفسيرات وشروح للإقتباسات والمصطلحات تلك التي تعدّ صعبة الفهم من الكثير من قراء الكتاب. وكان ونزبرو مولعا في استخدامه الفيلولوجي السامي باعتباره متخصصا في هذه الدراسات Sematic Philology^(١٠). ويستمر المستشرق كارول في تعقيبه على كتاب ونزبوروغ بقوله إن المنهجية والاسلوب الذي يستند الى الجانب اللغوي عمل قد تميزت فيه مدرسة الاستشراق الألماني، وهو، أي ونزبوروغ، بالفعل قد تأثر بعدد من المستشرقين الألمان نظير تيودور نولدكة، وهانز جورج بيكر، وهانز وير، وأنتون سبتلر، وولدتريش فيشر.

Sciences Vol. 23 -1(2004) P.

-p. 119

.Ibid. 119(١٠)



المخطوطات، وبالعربية (أي يكتب لغة بحروف أخرى أي transliterated Arabic)، فضلا عن اللغة اللاتينية والعبرية والإغريقية والألمانية. والمؤلف كما يظهر له امكانية لغوية عالية باللغات التوراتية تلك التي يستعملها العلماء المعتادون على مناقشة النصّ التوراتي. ولهذا السبب فإنني قد وجدت الكتاب عسيراً جداً على القاريء؛ وعلى الرغم من تلك التحديات فقد صمدتُ وثابرت على قراءته رغم صعوبته. وبعيدا عن الهوامش والفهارس التي أخذت من الكتاب كثيرا من صفحاته بدءاً من صفحة ١ الى صفحة ٢٤٦. ومع هذا فيعدّ الكتاب طويلا وذلك يعزى الى صعوبته^(١١). ومن الطبيعي أن ذلك التعقيب يشير الى قارئ مسلم غير

Review of «Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation» by John Wansbrough 7 May 2011
Fresh thinking from a British Muslim: The radical non-Muslim view

Hans -Jurgen Backer, Hans Wehr, Anton Spitaler, and Wolfdietrich Ficher .

وقد كرّر مثل هذا الموقف النقدي بخصوص بنوية كتاب ونزبورغ الأكاديمية وصعوبة عرضه لنظريته باحثون آخرون فهذا باحث مسلم بريطاني يقدم عرضاً للكتاب بعد صدوره عام ٢٠٠٤ بتحقيق المستشرق أندرو ربن وهو محمد أمين يقول مقالته المعنونة (فكرة حديثة من بريطاني مسلم Fresh thinking from a British Muslim) وقد حدّد موقفه في عنوان جانبي واصفا نظرية ونزبورغ بالآتي "The radical view of Islam from a non-Muslim perspective". فيقول ما ترجمته "إن هذا الكتاب قد أُلّف من قبل أكاديمي للأكاديميين الآخرين فحسب. ولهذا السبب فإنه صعب القراءة بشكل لا يصدّق، مالم تكن متخصصا، لاسيما وإن المؤلف يتحرك بدون حدود بين لغة أكاديمية عالية المستوى في الإنجليزية واللغة العربية المكتوبة في



متخصص في ما يهدف اليه المستشرق جون ونزبوروغ. فالكتاب بالنسبة الى المتخصص في التاريخ الإسلامي ولاسيما في مراحل عملية جمع القرآن الكريم منذ عهد رسول الله ﷺ ليس كما يعتقد الباحث محمد أمين بمثل تلك الصعوبة غير أن تعليقه يمثل زاوية فكرية مهمة في أن الكتاب كان في متناول الفارئ المتخصص وغير المتخصص بالنظر الى الأهمية العلمية والفكرية والدينية التي يعكسها عنوان الكتاب (دراسات قرآنية: مصادر ومناهج تفسير وتأويل الكتاب المقدس - حسب عنوان المستشرق وهو يقصد بالكتاب المقدس القرآن الكريم -). فضلا عن محمد أمين فإن للباحث المسلم الآخر سيف الله موقفا ناقدا لنظرية المستشرق ونزبوروغ وموقفه من رأيه في القرآن، وتما له علاقة بذلك فإن الدكتور سيف الله S. M. S. M. Saifullah في موقع على الإنترنت بعنوان (النهضة الإسلامية Islamic Awareness) تصدى في كثير من المقالات والبحوث

للأفكار والتفسيرات التبشيرية والإستشراقية باللغة الإنجليزية، فوفقه الله تعالى على متابعاته العلمية وآرائه الإسلامية الجريئة والثابتة. فهناها أسهم مع الدكتور إلياس كريم Elias Karim في بحث بعنوان (بيرتون ونزبوروغ ومنطق البعثات التبشيرية المسيحية Burton Wansbrough and The 'Logic' of Christian Missionaries) بتاريخ ٨ حزيران ١٩٩٩. ومن بين ما ذكره الباحثان بخصوص كتاب ونزبوروغ ما يمكن ترجمته: - ونحن نشير الى ما يعتقد الباحثون في الكتاب إذ يقولون أن هنالك إشكالية في المنهج الذي اتبعه ونزبوروغ. مع أن كل استنتاج للمستشرق كان جيدا الى درجة كافية. إن المبشرين المسيحيين الذين يميلون الى استعمال "المنطق" الذي يتحدث فيه ونزبوروغ لا يركزون على منهجيته. إن المنهجية التي نهجها ونزبوروغ وبحسب كلماته هي لا تعدو أكثر من حدس conjectural وشرطية مؤقتة provisional وغير



الشرقية لجامعة غلاسكو Glasgow University Oriental Society ، Transactions xxiii ، ٧٠- ١٩٦٩ ، (١٩٧٢). قال فيه المؤلف " ليس هنالك دراسة ذات شأن في هذا الميدان يمكن أن تمرّ من دون تعليق وتعقيب؛ إذ كتب جون وانزبورغ كتابا بخصوص جمع القصص أو الروايات في كتابه (دراسات قرآنية Qur'anic Studies. " وهذا الكتاب هو كتاب صعب جدا للفهم، غير أنه ينبغي علينا أن نبدأ هاهنا إن كنا جديين بشأن الوصول الى الحقيقة للأخبار أو المرويات الإسلامية. وإنني لم أر إطلاقا كتابا قد كتب خلال الثلاثين سنة الماضية بإمكانها أن تضاهي مناقشة وآراء وانزبورغ، على الرغم من أن الكثير من العلماء لا يتفقون معه في نظريته" (١٣) .

Glasgow University Oriental Society، Transactions xxiii. 1969 -70 (1972) Modern Scholarly Study of the Qur'an ; Western Scholarly and the Qur'an

نهائية tentative وهي التي تعبر عن رأيه الشرطي المتشدد والمتطرف (١٢) وجهة نظر الدكتور سيف الله حقيقية إذ أن ونزبورغ قد وقف في مقدمة كتابه على ما ذهب اليه سيف الله من أن النظرية مستندة على مجرد الحدس والشرطية وبكونها آراء غير نهائية.

كذلك هنالك باحث آخر قد كتب عرضا وتقويما للكتاب واصفا صعوبته البالغة إذ يقول في مقاله الموسومة (دراسة علمية حديثة للقرآن: بحث غربي والقرآن Modern Scholarly Study of the Qur'an; Western Scholarly and the Qur'an) ونشر في مجلة الجمعية

Burton، Wansbrough &The) (١٢) (Logic) Of Christian Missionaries M S M Saifullah & Elias Karim

Islamic Awareness: J. Wansbrough، The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History 1978، Oxford University Press، Ps. x، xi



لاسيما بالشأن الذي نعرضه الآن وهو صعوبة الكتاب قائلاً في مقاله الموسومة «رافقني في ترجمتي لكتاب جون ونزبورغ الى اللغة الإنجليزية؛ بقلم غبرئيل رينولدز Translating John Wansbrough into English By Gabriel Reynolds») وكان هذا التعقيب في ١٧ ديسمبر ٢٠١٢ في مؤتمر أكاديمي عقد حديثاً فيقول كنت من بين الحاضرين وخلال فترة العشاء مع مجموعة من العلماء المهتمين بالقرآن، كان الموضوع الذي كنا نتحاور فيه حول الدراسات القرآنية وتحول الى العمل الذي أنجزه جون ونزبورغ. وتساءل أحد المجتمعين من مجموعتنا سؤالاً قائلاً ((ولكن متى يصار الى ترجمة كتاب ونزبورغ الى اللغة الإنجليزية؟. وفي الواقع إن كتابة ونزبرو هي عملية صعبة بإمتياز. والحقيقة إن كل الذين عقّبوا على الكتاب قد عبروا خلال تعقيباتهم على أن (دراسات قرآنية Qur'anic Studies) مخيب للآمال وذلك يرجع

الى الأسلوب المعقد الذي كتب فيه الكتاب والى صعوبة منهجه" (١٤). وقد استشهد هذا الباحث بما عرضه البروفسور وليم جراهم William Graham المستشرق المعروف بدراساته الكثيرة عن الإسلام والقرآن الكريم في بحثه المنشور في مجلة الجمعية الأمريكية الشرقية Journal of the American Oriental Society إذ أشار الى ما ترجمته: - وبسبب الأهمية البالغة للكتاب، على أية حال، فمن المؤسف حقاً أن هذا الجزء مرهق أو مزعج بإفراط وإنه عمل صعب بشكل لا مبرر لمثل هذه الصعوبة، فأول ملاحظة تتعلق في تركيب الجمل والإعراب syntax الذي يصعب فهمها impenetrable وكذلك ربما بالنسبة في تسلسل الأفكار وتعاقبها. فهو كتاب مشدود برباط وهو محكم

(١٤) - Gabriel Reynolds ; in his view (Translating John Wansbrough into English)Journal of the American Oriental Society 100(1980) P. 138



ويدل على ذكاء والمعية ونفاذ بصيرة، مع إنه قد أفسد marred في كلّ مكان منه بأفكار غامضة غير عادية وأخرى استثنائية سواء كان ذلك في العرض أم في التنظيم. فمن الواضح والجليّ إن محور المسألة التي يختصّ فيها الكتاب هو محور معقد، غير أنه قد عرض هاهنا بأسلوب أو بطريقة فنية أو تقنية technicalized غير ضرورية وفيها تكلف غير ضروري وكأن المؤلف يريد

1. The Heritage of World Civilizations (Prentice Hall/ Pearson; 9th rev. 2011 ، ed.) تراث الحضارات الإنسانية العالمية.

2. Islamic and Comparative Religious Studies (Ashgate Publishing، 2010 دراسات إسلامية ودينية مقارنة.

3. Three Faiths، One God (Brill، 2002) ثلاثة أديان وآله واحد.

4. Beyond the Written Word: Oral Aspects of Scripture in the History of Religion (Cambridge University Press، 1987، 1993 ما وراء كلمة الله الجوانب

بها أن يجعلها بأية حال غامضة ولا يمكن لأحد اكتشاف معانيها سوى أولئك المتخصصين العنيدون في تصميمهم أو أولي العزم منهم المتخصصين في التاريخ الإسلامي المبكر ومصادره القديمة^(١٥). المهم فإن لتعقيب المستشرق وليم غراهام William A. Graham وهو استاذ في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة أهمية بالغة وذلك لأنه من المتخصّصين في الدراسات القرآنية وعضو في كلية اللاهيات وأستاذ في الدراسات الإسلامية؛ وتركّزت أبحاثه ودراساته

.Ibid (١٥)



نظريته في هذا الميدان. ومن بين هؤلاء المستشرقة الألمانية المعنية في الدراسات القرآنية البروفسورة أنجليكا نيويرث Angelika Neuwirth الأستاذة في الدراسات العربية في جامعة Freie University في برلين. فقد درست الدراسات الإسلامية والدراسات القديمة classics في جامعة غوتنغن Gottingen في ميونيخ وطهران والقدس (أورشليم). وعملت في الجامعة الأردنية بين ١٩٧٧ - ٨٣). وكانت من بين الذين يعرفون لغات عديدة كالعربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والعبرية. وقد شغلت منصب مدير المركز أو المعهد الألماني الشرقي في German Orient Institute بيروت واسطنبول من سنة ١٩٩٤ - إلى سنة ٢٠٠٠. اهتمت بحوثها بالأدب العربي القديم وبضمنها الدراسات القرآنية والتفاسير الإسلامية؛ وآخر إسهاماتها دراسة بعنوان (القرآن: إستقصاء تاريخي وأدبي في محيط أو وسط القرآن The Qur'an in

الشفاهية للكتاب المقدس في تاريخ الأديان.
٥. الكلمة الآلهية أو كلمة الله والكلمة النبوية Divine Word and Prophetic Word in Early Islam.^(١٦)
وهناك عدد من المستشرقين الآخرين ممن لم يقف على مسألة جفاف اسلوب المستشرق ونزبورغ وعلى صعوبة المنهج الذي اتبعه في عرض آرائه في عملية جمع القرآن الكريم ناهيك عن صعوبته اللغوية؛ ولكنهم من الجانب الآخر وقفوا على مسافة واحدة من

Islamic and Comparative Religious Studies: Selected Writings. By William Albert Graham. Ashgate Contemporary Thinkers on Religion: Collected Works. Surrey and Burlington VT: Ashgate, 2010. Pp. xviii عن البروفسور وليم البرت غراهم ينظر، William A. Graham Harvard University, USA Series: Ashgate Contemporary Thinkers on Religion: Collected Works



كثيرة معنية في تاريخ الشرق الأوسط وهو في الوقت الراهن مسؤول عن ورشة العمل think tank الشؤون الجارية والدراسات الحالية تحت عنوان (منبر أو منتدى المناقشة والمناظرة Middle East Forum إذ يذكر في مقالة له بتاريخ ٩ تموز سنة ٢٠١١ تحت عنوان ((دراسة الإسلام بعد عام ١٩٦٩ وجون ونزبروغ The study of Islam post -1969 and John Wansbrough) ما نصّ ترجمته الى اللغة العربية: -هناك كلمة مني -أي الباحث د. دانيال -أن هذا الكتاب -أي دراسات قرآنية- والكتاب الآخر للمستشرق نفسه ونزبروغ [غ]. أي الوسط أو المحيط الفرقي أو المذهبي: بنية ومضمون تاريخ الخلاص الإسلامي The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History(Oxford, 1978).

يقول: إنها في الواقع من الكتب

Context: Historical and Literary Investigations into (the Milieu of the Qur'an وكان بالتعاون مع كل من المستشرقين مايكل ماركس Michael Marx ونيكولاي سيناى Nicolai Sinai وقد طبع الكتاب في سنة ٢٠٠٩. (١٧).

كذلك فقد وقف على هذا الجانب- أي عدم سلاسة كتاب ونزبروغ وصعوبة فهمه ومتابعة المخطوطات والمصادر الأخرى العربية واللاتينية دانيال بيس Daniel Pipes وهو باحث أمريكي له موقع على شبكة الإنترنت وله كتابات ودراسات

Qur'anic studies, classical Arabic literature, and modern Arabic literature. Neuwirth receQur'anic studies, classical Arabic literature, ;Prof. Dr.

Angelika Neuwirth Published (with Michael Marx and Nicolai Sinai) The Qur'an in Context: Historical and Literary Investigations into the (Milieu of the Qur'an (2009



الصعبة في القراءة وكذلك في الفهم. فالذي يريد أن يقوله ونزبورغ إن القارئ ينبغي له أن يعرف اللغة العربية فضلا عن الإغريقية والعبرية والسريانية والألمانية واللاتينية؛ كذلك ينبغي لقارئ هذين الكتابين أن يكون حسن الإطلاع على أدب نقد التوراة والإنجيل؛ وعلى تاريخ الشرق الأوسط القديم فضلا عن معرفته بالمنهج التاريخي الحديث. غير أن القارئ سوف يندهش بمثل هذا العالم الكبير، إذ أنه طبق وأخضع الأدوات المنهجية الحديثة في أدب النقد لجميع المصادر الإسلامية الأولى نظير القرآن والسيرة ومؤلفات التفسير الإسلامية^(١٨).

والواقع إن قائمة الذين عقبوا على كتاب ونزبورغ طويلة وأن العقبين على كتابه كثر لكننا نأتي على ذكر عدد

Daniel Pipes: The study of (١٨) Islam post -1969 and John Wansbrough

Reader comment on item: Middle East Studies in Up-
heaval

منهم ممن شددوا على إشكالية الصعوبة في عرض ونزبورغ لمحتويات كتابه فضلا عن تعقيد منهجيته وعدد مصادره باللغات الأجنبية. فهذا مثلا الدكتور جيرد روديجر بوين Gerd Rüdiger Puin المولود في سنة ١٩٤٠، وهو عالم ألماني ثقة وكتابه عن الأورثوغرافيا القرآنية (في التهجئة والإملاء) التاريخية موثوق فيها، وله مساهمات بحثية في دراسة وتفسير المخطوطات القديمة. ودرس اللغة العربية في جامعة سار لاند Saarland University في ألمانيا. وقد عني عناية فائقة بمخطوطة من القرآن الكريم في اليمن وتألف من ستة عشر ألف ورقة من ورق الرق.

فكتب بحثا باللغة الألمانية بعنوان Gerd R -Puin. Neue Wege der Koranforschung: II. Über die Bedeutung der ältesten Koranfragmente aus Sanaa (Jemen) für die Orthographiegeschichte



من هذا كلّه وغيره من أقوال الباحثين والعلماء ومُن آثارته المسائل المهمة جدا من القراء قد عبروا عن المصاعب التي واجهوها خلال قراءتهم كتاب ونزبورغ (دراسات قرآنية) فكانت نتيجة هذه المواقف أن انقسموا بين مؤيد لنظريته في عملية جمع القرآن الكريم وبين معارض لها. ولهذا يجدر بنا قبل مغادرة هذه النقطة أن نخرج على تحليل تلميذ المستشرق ونزبورغ وهو المستشرق الكندي أندرو ربن Rippin الذي تحمّس كثيرا الى محاولة إعادة تحقيق الكتاب من أجل معالجة قلة انتشار كتاب استاذاه بسبب قلة قراءه، فالنسخ التي طبعت فيه الطبعة الأولى كانت صغيرة وقليلة لعدم تشوّق القراء وعدم لهفتهم في قراءته مع أن المستشرق قد أكمل مسودته في تموز من عام ١٩٧٢ وقدمه للطبع في طبعته الأولى في تموز

37 -40. Would the Earliest Quranic Manuscripts of Sana'a Spell the Downfall of Islam?. Sunday, 28 June 2009

.12: 56

des Korans, Universität des Saarlandes Magazin Forschung, 1 (1999), 37-40 وهو يبحث عن أقدم مخطوطة للقرآن الكريم وجدت في اليمن قاده الى أن يعرّج على ذكر كتاب ونزبورغ قائلا في البحث الذي عنوانه (هل رفض كلّ من المذهب الإسلامي والمذهب المسيحي مذهب الثالوث) فيشير في أحد استنتاجاته الى أنه على الرغم ممّا ذكره ونزبورغ فإن هنالك مرويات شفاهية، ولولا ذلك لما كان المسلمون يستطيعون قراءة النصّ القرآني. فيعتقد جيرد بوين Puin أن ما عثر عليه من مخطوطة صنعاء توفر الدليل على صحة موقف ونزبورغ واستنتاجه بشأن النصّ القرآني^(١٩).

Gerd R -Puin. Neue Wege (١٩) der Koranforschung: II. Über die Bedeutung der ältesten Koranfragmente aus Sanaa (Jemen) für die Orthographiegeschichte des Korans, Universität des Saarlandes Magazin Forschung, 1 (1999),



(١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م)

العدد السابع والعشرون - خريف

بعد ثلاثة أعوام؛ وطبع بشكله النهائي في ١٩٧٥م. وظل كذلك الى أن نهد البروفسور أندرو ربن في تحقيقه سائلا التوجه الى حلّ مسألة الصعوبة اللغوية والتعقيد في عرضه النظرية واعتماده على المصطلحات الفنية والتاريخية باللغات الأجنبية العربية والعبرية واللاتينية والإغريقية؛ فقام بعمل مجهد مضاف لكتاب أستاذه الذي كان يقع في طبعته الأولى في مائتين وسبع وخمسين صفحة دقيقة الكلمات الى أن أصبح بفضل الهوامش التوضيحية والتعقيبات التي حقّقها المستشرق المعروف في دراساته الكثيرة عن القرآن الكريم أندرو ربن الى أن بلغت صفحاته الى ثلاثمائة وستين (٣٦٠) صفحة، فضلا عن تقديمه للكتاب بمقدمة Forward تتألف من عشر صفحات جديدة بالقراءة لما تحتويه من أفكار رديفة بمحتوى الكتاب. وما يجدر التنويه اليه هاهنا إن البروفسور ربن قد عرّج على مسألة مصاعب قراءة الكتاب اللغوية والعلمية ومسألة الإحالات المصدرية

من اللغات الأجنبية؛ والواقع فإن ربن قد جمعته وأستاذه عدة لقاءات وأشار على أستاذه هذه الإشكالية. ففي مقدمته وعلى صفحة XIII من المقدمة ذكر ربن الآتي بعد ترجمته من اللغة الإنجليزية:- ليس من الغرابة بمكان إن أيا من قراء الكتاب قد تمتع بما اعتاد عليه أن يقرأ في اللغة الإنجليزية وراثها وغناها اللغوي ومعجمها في المفردات والتعابير وبكونها تعكس قيمة التراث اللغوي القديم Classical Heritage الإنجليزي؛ ومما يحتمل أن استخدام ونزبورغ اللغة قد كان سببا رئيسا في جعل الكتاب صعبا. وعطفا على هذه النقطة فقد صار عليّ في عملية تحقيق الكتاب أن أتطفل أو أتدخل عنوة في سردي الشخصي. ففي أحد اللقاءات مع ونزبورغ حسبما أتذكر قد تحول النقاش الى كتابه (دراسات قرآنية) وحسبما أتذكر جيدا إنني ذكرت له بأن القراء أو الناس قد وجدوا فيه صعوبة في متابعة قراءته!. فنظر اليّ نظرة معبرة expressive ومحيرة



مرة في القرن الثالث الهجري وفي أيام العباسيين لا بحسب الكتابات التاريخية في عهد الرسول ﷺ؛ ولهذا السبب لم تنتشر طبعته. وهو أمر سيء الطالع بالنسبة ليّ وبالنسبة لعملٍ بحثيٍّ مثير ورائع مثل هذا. وأعتقد إن ونزبروغ نفسه قد يتحسر على مثل هذه الحقيقة bemoaned. لذلك كلّه فقد نهدت في عملي هذا -والكلام للبروفسور أندرو ربن -على الإضافات والهوامش والتعليقات من أجل أن أجعل الكتاب مقروءاً بشكل أوسع وأن يكون انتشاره بين القراء واسعاً أيضاً^(٢٠).

تبويب آراء المستشرق ونزبروغ:

حظيت آراؤه، كما يصفها عدد من المستشرقون بما له علاقة في هيكليتها بمثابة نظرية، إن كانوا من مدرسة ونزبروغ نظير أندرو ربن Rippin ومايكل كوك M. Cook وجيرالد هاوتنغ Gerald R. Hawting، أو من قبل غيرهم من المستشرقين من

(٢٠) Andrew, Rippin; Qur'anic Studies (Forward. Pp

puzzlement وهي تعكس مدى استيائه بله غضبه معقبا، وما المشكلة في ذلك أي في كونه صعب القراءة والفهم، ألم تذكر خلال المناقشة الكاتب والشاعر والأديب الإنجليزي لوري Lowry فقد كان هو الآخر صعباً في عرضه اللغوي!. إذن ليس هنالك من شكّ بأن الدراسات القرآنية بحاجة ماسّة الى قراءة ودراسة دقيقة ونابهة شأنه شأن أي كتاب أو عمل بحثي آخر مثير stimulating. وواقعا فالكتاب لم يكن معدّاً في الأصل لقراءة خفيفة وبسيطة light، فضلا عن كونه تلميحياً وغير مباشر allusive في بعض تضميناته وإحالاته التوراتية ووقوفه على الخلفية التاريخية العربية والإسلامية. وهذه الحالة هي التي أدت به الى أن يكون معدّاً للنقاش والجدل وعلى مائدة النقاش والعرض المستمر بين العلماء والباحثين من على صفحات المجلات العلمية والتخصصية وبشكلٍ أخصّ بشأن نظرية ونزبروغ التي تفيد بأن القرآن الكريم قد جمع لأول



الجيل المعاصر الآخرين الذين جاءو بعده أو من المبشرين الذين يدعمون الأفكار والرؤى والتفسيرات المعارضة للإسلام والقرآن الكريم ولرسول الله ﷺ، بمكانة واسعة في المناظرة والمحااجة والعرض والتقويم على صفحات المجلات الأوربية والأمريكية وغيرها وكما هو لحالة في أي نظرية أو رأي فقد انقسمت هذه الآراء والمواقف بين مؤيد وداعم أو حتى مضيف على آرائه واستنتاجاته المتطرفة بالنسبة للإسلام والقرآن وبين ناقد وغير متفق مع تلك المواقف والآراء كالذي استشهدنا به في الصفحات أعلاه. ولاسيما بعد أن قام المستشرق المعاصر أندرو ربن Rippin بتحقيق الكتاب أو بالأحرى بتبسيط لغته وتبيان حجج ونزبروغ بشكل أساس وجعل أفكاره قابلة للقراءة والمتابعة من القراء الذين وجدوا في طبعة كتابه الأولى مشقة في فهم المقصود منه لصعوبة لغته؛ إذ أغنى أندرو التحقيق بإدخال ما اصطلح عليه بتعبير annotations

(أي هوامش والحقيقة إنها هوامش قيمة وتستحق القراءة، كذلك أدخل على الكتاب اضافات في المعلومات العامة والمعلومات المصدرية بوجه الخصوص التي أفلح المستشرق أندرو أن يتابع الدراسات والبحوث والكتب المحققة التي صدرت بعد صدور كتاب ونزبروغ في طبعته الأولى ١٩٧٧م) وقد شغلت هذه الهوامش بمجموعها الكلي أكثر من خمسين صفحة أي من صفحة ٢٥٧ الى صفحة ٣٠٨ وأعقب ذلك بمسرد للكلمات العسيرة والصعبة مع شرح لها فتوسع الكتاب الى صفحة ٣١٦. بضمنها إضافته لعدد من المخطوطات والمصادر التي لم يأت على ذكرها ونزبروغ في قائمة مصادره.

في الواقع فإن بعض الباحثين حينما يشيرون الى إنتاج المستشرق ونزبروغ يشيرون الى أن كتابه يقع في جزئين غير أن الأمر ليس كذلك فهو في جزء واحد يقع في مائتين وأحدى وخمسين صفحة بضمنها صفحات الفهرست وصفحات المصطلحات الفنية؛



أوكسفورد Oxford University Press. وهو الكتاب المهم الآخر الموسوم (البيئة أو الوسط الفرقي أو الطائفي: البنية والمضمون The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History). فالمستشرق ونزبوروغ قد أفلح - كما يصرح بهذا أحد المقومين للكتاب أن يذهب بعيدا أكثر من الإستنتاجات التي سجّلها المستشرق إغناص جولدتسيهر المستشرق اليهودي المجري والمستشرق جوزيف شاخت المستشرق الألماني he was able to go beyond the conclusions by both Herbert Berg قد فصل في الكتاب بين القرآن من جهة وبين السيرة النبوية من جهة أخرى وبينها وبين شخصية محمد من جهة ثالثة وبين هذه العناصر الثلاثة وبين المكان الجغرافي الجزيرة العربية من الجهة الرابعة؛ ووضع أصول الإسلام في المكان الصحيح لها ألا

والمستشرق اكتفى بذكر استهلال فقط من دون مقدمة قائلا بعد ثلاثة أسطر من الاستهلال ما يمكننا ترجمته: - في مناقشة قضية أو حالة بشأن القرآن ككتاب مقدس فعمل ذلك يبدو مسألة لا مبرر لها gratuitous. وفي حالة النقاش في مسألة تدوين الوحي الإسلامي فإن هذا الكتاب ليس بحاجة الى مقدمة^(٢١). فهو يشير هاهنا الى كتاب واحد ذلك الذي نخضعه للدراسة والتقويم الآن وهو (دراسات قرآنية: - مصادر وطرق تفسير الكتاب المقدس Sources and Methods (of Scriptural Interpretation وبالطبعة التي حقّقها المستشرق الكندي أندرو ربن وطبعها في سنة ٢٠٠٤م. غير أن الأفكار التي طرحها المستشرق في كتابه قد أردفها أيضا في كتاب آخر ظهرت طبعته بعد عام واحد من طبعه لكتاب الدراسات القرآنية أول مرة أي في عام ١٩٧٨ وفي نفس المطبعة أي مطبعة جامعة



Muslim Movements and the Qur'an." Journal of Qur'anic Studies, 8. 1 (2006): 22 –37

Context: Muhammad." Blackwell Companion to the Qur'ān, edited by Andrew Rippin, 187

–204. Blackwell, 2006

Mythmaking in the African" American Muslim Context:

The Moorish Science Temple, the Nation of Islam, and the Muslim Society of America.

"Journal of the American Academy of Religion, 73. 3

–703 (2005): 685 –703

Ibn `Abbās in `Abbāsīd -Era" Occasional Papers of the School of Abbasid Studies, Cambridge 6 –10 July 2002, edited by James E. Montgomery, 129

–146. Peeters, 2004

Competing Paradigms in" the Study of Islamic Origins: Qur'ān 15: 89 –91 and the Value of Isnāds." Methods and Theories in the Study of Islamic Origins, edited by Herbert Berg, 259 –290. Brill,

وهو بلاد ما بين النهرين العراق) أبان

حكم العباسيين الأوائل Goldziher

and Jospeh Schacht and in

the words of Herbert Berg:

he severed both the koran

and the sira from the figure

muhammad and even from

arabia and placed the origin

of islam where it belongs

and that is in Mesopotamia

during the time of the early

Abbassids. (٢٢). ومن الطبيعي

Herbert, Berg (From Wik – (٢٢)

.(pedia

وقد أَلَّف الكثير من المؤلفات وهي

كالآتي:-

Elijah Muhammad and Islam. •

.NYU Press, 2009

with Sarah Rollens. "The •

Historical Muhammad and

the Historical Jesus: A Com-

parison of Scholarly Reinven-

tions and Reinterpretations." •

Studies in Religion/ Sciences

Religieuses, 32. 2 (2008): 271

–292

Early African American" •



فبالإمكان أن ندلو بدلونا هاهنا إذ أن المستشرق في هذه العملية من حالة عزل هذه المترابطات الذاتية بين رسول الله ﷺ وبين حياته وسيرته بين أهله وعشيرته وآل بيته الأطهار وبين نزول الوحي عليه من الله العليّ القدير بواسطة الملك جبرئيل في منطقة غار حراء أو عندما كان يرعى الأغنام مع ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت نسيجا جامعا واحدا لا يمكن للمستشرق ونزبروغ تفريقه وعزله إلا في حالة واحدة والتي كرّر استعمالها المستشرق ذاته بفرضه التلاعب الفني في التخمين والحدس والإفترض؟! وإلا كيف يمكننا الفصل بين المرء

Study of Religion 9. 1 (1997): 3 –22. Reprinted in The Quest for the Historical Muhammad, edited by Ibn Warraq, 489 –509. Prometheus Books, 2000.

Tabarī's Exegesis of the" Qur'ānic Term al -kitāb.» Journal of the American Academy of Religion 63. 4 (1995): 761 –774

.2003

- "Weaknesses in the Arguments" for the Early Dating of tafsīr.» With Reverence for the Word: Medieval Scriptural Exegesis in Judaism, Christianity, and Islam, edited by Jane Dammen McAuliffe, Barry D. Wal-fish, and Joseph W. Goering, 329 –345. Oxford University Press, 2003
- The Development of Exegesis in Early Islam: The Debate over the Authenticity of Muslim Literature from the Formative Period. Routledge/ Curzon, 2000
- "Elijah Muhammad and the" Qur'ān: The Evolution of His Tafsīr.» Muslim World 89 (1999): 42 –55
- "Elijah Muhammad: An African American Muslim mufas-sir?" Arabica: Revue d'études Arabes 45 (1998): 320 –46
- "The Implications of, and O-position to, the Methods and Theories of John Wansbrough." Method & Theory in the



(١٤٢٨هـ - ٢٠٠٦م)

الصدر السابع والعشرون - حريف



بينها دراستان ممتازتان وتعدّان من الدراسات التي تتضمن أفكارا مستجدة groundbreaking studies. ولهذا دأب البعض على أن يجعل عمل المستشرق يقع في جزئين؛ فالوسط الفرقي أو المذهبي هو دراسة مخصّصة عن علم التاريخ الإسلامي وبالذات عن وسطه الفرقي، بينما كان في الدراسات القرآنية قد عنوانه بعنوان واضح "القرآن" كوثيقة قابلة للنقاش والجدال وإقامة البرهان حوله باستعمال الوسائل والأدوات الفنية المعتمدة في النقد المتميز للكتب

وعقيدته وبيئته وهو مفهوم قد عبّر عنه المستشرق الألماني شبنجلر في كتابه المعروف محمد وعقيدته؟؟. وعلى أية حال فإنها عملان كان المستشرق ونزبوروغ قد نهد في صناعتها وتأليفها وفي جمع مادتها منذ نهاية عام ١٩٧٢ كما يذكر البروفسور كارلوس أندريا سيجوفيا Carlos Andrés Segovia المستشرق الإسباني المولود في بريطانيا - لندن - في ٢٢ ميس من سنة ١٩٤٠ وهو فيلسوف ومؤرخ في ميدان اليهودية والمسيحية المبكرة وتكوين أو تشكيل الإسلام في بحثه الموسوم (جون ونزبوروغ وإشكالية الأصول الإسلامية في البحث العلمي الحديث: وداعا للرواية التقليدية أو للرواية الحديثة John Wansbrough and the Problem of Islamic Origins in Recent Scholarship: A Farewell to the traditional Account) (٢٣). إذ يصف العملين Carlos Andrés Segovia (٢٣)

John Wansbrough and the Problem of Islamic Origins in Recent Scholarship: A Farewell to the Traditional Account. "/ In: The Coming of the Comforter: When, Where, and to Whom? Studies on the Rise of Islam and Various Other Topics in Memory of John Wansbrough (2012 Segovia / Lourié), edited .volume, xix - xviii



بعنوان للفصل هو (قواعد أو مذاهب أو أصول مؤلفات التفسير Principles of exegesis) الذي شغل صفحات كثيرة من صفحة ١١٩ الى صفحة ٢٤٦. وهي الصفحة التي تمثل نهاية الكتاب. فالكتاب إذن يقع في أربعة فصول:- في الفصل الأول الذي شغل أكثر من خمسين صفحة يحمل عنوانا هو (Revelation and Canon) وترجم كلمة canon الى مجموعة الآيات المعترف فيها على إنها تمثل الكتاب المقدس -وهي تمثل اقتباس المستشرق تعبيراته من التوراة أو تمثل عدم اعترافه بكون القرآن الكريم كاملا أما الكلمة الأخرى فترجمتها الوحي وبهذا يكون العنوان الشامل الوحي و الكتاب المقدس؛ ويتضمن هذا الفصل مبحثين أولهما عنوانه الوثيقة The document. ففي رأيه إن القرآن الكريم الذي دأب على تسميته بالكتاب المقدس scripture يعتمد على مجموعة من المصادر من الآيقونات، أو من التخيلات التوحيدية التقليدية، تلك التي يمكن وصفها كمخططات أو

المقدسة أو بما أطلق عليها المستشرق نفسه خلال الأسطر الأولى لإستهلاله الكتاب بالنقد التوراتي Biblical criticism وهي مواضيع وصفها المستشرق سيجوفيا بأنها مواضيع جديدة تماما بل ومثيرة واستفزازية provocative في حقل realm الدراسات القرآنية^(٢٤). وللمستشرق كارلوس سيجوفيا دراسة عن القرآن الكريم باللغة الإسبانية بعنوان (The Quran: A Thematic Antology). المطبوع في مدريد في سنة ٢٠٠٧.

تناول ونزبوروغ في كتابه الدراسات القرآنية الذي سيدور حوله هذا العرض والنقاش في هذا البحث عدّة مواضيع لا موضوع واحد وهو القرآن الكريم، وأحسب أن المستشرق قد ركّز على وجهة نظره في المؤلفات التفسيرية الإسلامية بشكل مسهب فهو قد خصّص الفصل الرابع حول هذا المسألة



أنظمة من الوحي، وفي أساسها إن هي
إلا في أصلها مواد لقصص قد اختصرت
بشكل ثابت الى سلسلة من الكلام
الشفاهي من الحكايات أو المقاطع غير
المترابطة بمثل ما ورد في قصة يوسف،
وهي السورة التي دائما تذكر بكونها
قصة متكاملة. فالمبحث يدور على
هذه الفرضية التي جهّزها المستشرق
في ذهنه للتعريف بالقرآن الكريم
كوثيقة. فالقرآن الكريم قد كتب-
بحسب قوله written أي إنه مبدئيا
الغى كون القرآن الكريم من عند الله
العزیز -باسلوب مختلف عن الأساليب
النحوية والقصصية المكررة. وكذلك
تعرض الى سورة إبراهيم عليه السلام على وفق
ذات المنظور.

أمّا المبحث الثاني لهذا الفصل
المتعلق بمحتوى واسلوب الآيات
القرآنية فهو الذي أعطى له عنوانا
مثيرا واستفازيا (تصنيفه أو تأليفه
Its composition) هنا يتحدث
المستشرق عن التماثل بينه وبين الكتب
المقدسة اليهودية والمسيحية. وكان

مدركا القول بأن المسلمين يرون أن
القرآن الكريم قد أكمل وأتمّ جميع
الوحي السابق. لقد رفض المستشرق
ونزبوروع الرأي التقليدي السائد
من كون القرآن قد أنزله الله تعالى عن
طريق الوحي على مراحل ورفض أيضا
الرأي الذي يقول بوضوح ومعرفة
الكرونولوجية التاريخية لفترات الوحي
أو وضوح تحديد التواريخ الدقيقة
للأحداث التاريخية التي تضمنها
القرآن. وهو في هذا المبحث على سبيل
المثال لا الحصر قد استخدم العديد من
الصفحات محلا لحادثة مثول جعفر
بن أبي طالب أمام حاكم الحبشة عندما
بعثت قريش وفدها لضمان حماية إرجاع
المهاجرين ثانية الى مكة. وناقش عدداً
من المرويّات المختلفة لهذه القصة في
المخطوطات فتوصل الى إستنتاج مفاده
إن ما قيل بشأن تاريخية الوحي في
سورة مريم لا يمكن الاعتماد عليها ولا
يمكن الوثوق فيها.

وتتجلى بوضوح في هذا المبحث
اعتماد المستشرق على آراء المستشرقين



الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب
بصورة مختصرة (٢٥).

وفي الفصل الآخر الموسوم بعلامات
أو دلائل النبوة يبدأ بطرح وجهة نظره
مستندا أيضا الى مؤثره التوراتي في أن
شخصية النبي موسى ﷺ في الأسفار
الستة الأولى من التوراة Hexateuch
كانت نتاجا أدبيا محكما ومنتقنا وهي
وثيقة الصلة ومشابهة لوصف محمد؛
ولكن على مغايرة مما ورد في الأسفار
الستة الأولى من التوراة التي تعدّ مصدرا
في استنتاج هيكلية الصورة التاريخية
لموسى الى حدّ ما، على عكس القرآن فإن
دوره في وصف النبي العربي كان وصفا
سطحيا peripheral، فهناك بينة على
إتصال إلهي غير أنه لا توجد رواية عن
تفصيل ظروفها وحالتها. وحسب رأيه
- وهو يستعمل تعبير (كما يبدو لي) it
seems to me - إن القيمة الأساسية
التاريخية للكتاب المقدس تكمن - كما

See Wanesbrough edited by (٢٥)
Andrew Rippin; Qur'anic
Studies (2004) Pp. 46 -56

القدامى الذين وقفوا في ما توصلت
اليه رؤيتهم هذه ضدا من الروايات
الحديثية من أمثال إغناص جولد
تسيهر Goldzher وجوزيف شاخ
Schacht وعلى تحقيق المستشرق الألماني
شاوولي Schwally الذي حقّق الجزء
الثاني من كتاب نولدكة Noldeke في
كتابه (تاريخ القرآن) الذي رفض صدقية
وموثوقية مروايات البخاري والمؤلفات
التفسيرية الأخرى.

وفي هذا المبحث يعرض أفكاره
التي تكرّرت عند تلامذته من أمثال
المستشرق اليهودي مايكل Cook
كوك والمستشركة الدانماركية باتريشيا
كرونه Patricia Crone وآخرين
من أن القرآن الكريم هو من أنتاج
العصر العباسي ولم يكن قد جمع في عهد
الجمع الأول زمن خلافة أبي بكر ولا
في عهد الجمع الثاني زمن عثمان. وإن
جمعه الصحيح كان في نهاية القرن الثاني
للهجرة لا قبل ذلك. وقد وقف على
جمع المصحف في عهد الخليفة الثالث
واعتماده على مصحف زوجة رسول



يبدو لي أي كما يبدو للمستشرق - ليس باعتباره مصدرا لحياة محمد وسيرته، ولكن باعتباره مصدرا للمفهوم الذي طبق في نهاية المطاف للتصنيف وللتأليف الإسلامي الفقهي حول النبوة؛ وهي مسألة سوف نناقشها بعناية بعدئذ. فالقرآن لا يقدم إلا القليل جدا من المعلومات عن حياة محمد وسيرته. والمستشرق في عدة صفحات يحلل ما كتبه مؤرخو السيرة عن الرسول ويركّز على التأثير المسيحي، ويوجه نقدا الى ما كتبه ابن إسحق وابن هشام في السيرة النبوية.

أمّا الفصلان الثالث والرابع فهما يمثلان اهتمام المستشرق في الجوانب اللغوية فقد أطلق على الفصل الثالث عنوانا هو (أصول العربية القديمة. (Origins of classical Arabic عبّر عن رؤيته بشأن الطريقة التي تطورت فيها اللغة العربية. والرابع يهتم بشكل مفصل بمؤلفات التفسير الإسلامي فعنوانه (مذاهب أو قواعد التفسير الإسلامي). وقد تعقب في هذا

الفصل التطور التاريخي الكرونولوجي للتفسير لما قبل تفسير الطبري وذلك من أجل البرهنة على أن أدب التفسير الإسلامي إن هو إلا انعكاس لاحتياجات المجتمع الإسلامي الذي - أنتج بحسب رأيه - المراتب التفسيرية الآتية متأثرا أيضا بالمصطلحات التوراتية وحسب كلمات المستشرق ونزبوروغ فإن أدب التفسيرات الإسلامية كان تلبية لإحتياجات نشوء وإنثاق المجتمع الإسلامي. ولذلك فقد أنتج ما أصطلح عليه التبولوجيا typology (وهو تعبير لعله أراد به دراسة رموز الكتاب المقدس) التفسيرية كما هو في التصنيفات الآتية:-

١. تفسير ما أطلق عليه (Haggadic) وقد تبعت أصول هذا التعبير في القواميس الإنجليزية -إنجليزية فوجدت هذا التعبير من الاسم العبري haggadah (وجمعها هاجادوث haggadoth وفي العبرية أيضا haggadhah التي تقارب الكلمة العربية حكاية،



العيّاشي والنعماني وأبي جعفر الطوسي وأبي علي الفضل الطبرسي وإنهاء بتفسير محمد بن المرتضى (محسن الفيض) والطباطبائي في الميزان. فلو أن المستشرق راجع منهجية المؤلفات التفسيرية الشيعية لغير رأيه ووجهة نظره في اختيار المصطلح الذي قصد به القصة أو الحكاية أو الرواية.

٢. تفسير أطلق عليه (Halakhic) أي كما عبّر عنه المستشرق هربرت بيرج Herbert Berg في بحثه عن المستشرق ونزبورغ بالتفسير الشرعي^(٢٦). وقد تتبعت أصل هذا

Herbert Berg “The implic - (٢٦) tion of and the opposition to, the Methods and Theories of John Wansbrough and the study of Early Islam (Berlin-New York Mouton de Gruyter, 1997. P. 4. ; Ismail AlAbayrak: Qur’anic Narrative and Isra’iliyyat in Western Scholarship and CLASSICAL EXEGESIS (Ph. D. University of Leeds, May 2000. Pp. 60 -65.

وهي في اللغة العبرية تعني الجزء الإسطوري من التلمود. وبحسب قاموس ويبستر Webster’s Seventh New Ccollegiate Dictionary المطبوع عام ١٩١٦ صفحة ٣٧٤ يعني مجموعة معينة من المعارف والتقاليد اليهودية التي تكوّن بشكل أساسي الجزء المفقود من التلمود. فالمصطلح ها هنا يتعلق بصورة خاصة بالجزء المفقود من التلمود ومن العسير على المستشرق تطبيقه على أي من التفاسير الإسلامية؛ فضلا عن هذا فإن المستشرق مع كل الأسف بنى حيثياته ومراحله التاريخية على إنموذج واحد هو تفسير مقاتل بن سليمان والطبري، وبالنسبة الى الأخير فإنه قد استثمر في تفسيره إسرائيليّات ابن عباس. وأن هذا الرأي لا ينطبق تماما على التفاسير الشيعية فلم يطّلع على أقدم التفاسير الشيعية بدءا من تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي وعلي ابن إبراهيم القمي ومرورا بتفاسير



المصطلح فوجدته مأخوذا أيضا من التوراة فتعبير هلاكه halakah (والجمع هلكوث halakoth أو هلكس halakahs تعبير عبري وهو في اللغة العبرية هلخاه halakhah ويقصد به حرفيا (الطريق أو السبيل) way. وهو مجموعة من الشرائع أو القانون اليهودي ملحقة بقانون أو شريعة الكتاب المقدس أو التوراة وهذا يشكل بخاصة الجزء أو القسم الخاص من التلمود بما يعرف باللغة العبرية هلاكك Halakic. وهنا نجد أيضا أن المستشرق فرض فرضية تخمينية بما موجود في تفسير ابن عباس ومقاتل والطبري وهي تفاسير لا تمثل محتوى ومنهجية جميع التفاسير الإسلامية وبالأخص كتب التفسير الشيعية.

٣. التفسير الذي سَمَّاهُ (Masoretic). وهنا أيضا تابعت أصل التعبير في القواميس فورد في القاموس ماسورا Masora ومسوره Masorah

وتعرف أيضا في اللغة العبرية ميسوره mesorah أو ماسورث masoreth ويقصد بالتعبير هذا الرواية tradition أو ميثاق أو التزام bond. وهنا في مفهوم المستشرق تعني مجموعة الملاحظات على الروايات النصية للتوراة العبرية القديمة Hebrew Old Testament التي صنّفها الكتّاب أو المؤلفون في الفترة بين القرن السادس والعاشر الميلادي (٢٧).

وقد اشتق من التعبير هذا الكلمة العبرية مسوريت أو مسوريت masorete، massorete أي أحد الكتّاب أو أحد المؤلفين الذين كتبوا المسورره Masorah. وهنا أيضا يبدو التأثير اليهودي التوراتي بيننا على المستشرق الذي لم يأت كما كرّر المستشرقون من تلامذته أو ممن تأثر برأيه وعدّه بمثابة النظرية نظرية جون ونزبورغ.

Webster's Seventh New Co - (٢٧)
.legiate Dictionary. P. 520



٤. التفسير الذي سمّاه (Rhetoric). وهذه الكلمة لاتينية وقد استخدمها ابن النديم في فهرسته بكونها يونانية وعرّف الريترىكا بالخطابة، وكذا هو الحال في القواميس فأصلها الإغريقي من رهتوريكه، rhetorica، rhetorike ويقصد فيه فن الخطابة oratory. والمستشرق بالفعل يركّز على جوانب لغوية في هذا الباب من صفحة ٢٢٧ من كتابه دراسات قرآنية الى صفحة ٢٤٦ وهي آخر صفحة من الكتاب، فتناول مسائل الإيجاز والإختصار والحذف وذلك لطلب التقصير في الكلام عند العرب. وقد دمج بين هذا الصنف من تصنيفاته السابقة وبين الصنف الأخير الذي يحمل عنوان allegoric والتعبير هذا كذلك كلمة إغريقية الأصل التي يقصد بها نوع من التعبير باستعمال الرموز أو باستخدام الدلائل والعلامات^(٢٨).
٥. التفسير الذي أطلق عليه (Allegoric). وعلى أية حال فإن المستشرق في هذين التعبيرين دأب على إبراز الأثر التوراتي اليهودي على لغة العرب الخطابية. وقبل أن نغادر مسألة هذه التصنيفات المفروضة فرضا من قبل المستشرق على مؤلفات التفسير الإسلامية هناك ثمة أمور لابدّ من طرحها. فقراءة الفصل الخاص بقواعد أو بمذاهب التفسير الإسلامي لا نجد مسوغا أصلا في الموضوع وذلك لأن المستشرق لم يكن متابعا لجميع المؤلفات التفسيرية أنما اقتصر في تبيان هذه التصنيفات على تفاسير لا تتجاوز عدد الأصابع؛ فضلا عن كونها لا تمثل إلاّ جانبا مذهبيا واحدا من المذاهب الإسلامية وهو بالتأكيد

227-246. John Wansbrough: Quranic Studies Sources and Methods of Scripture Interpretation (Translated John Wansbrough by Andrew Rippin(2004) Pp. 227-246

Interpretation (Translated (٢٨) by Andrew Rippin(2004) Pp.



قد أهمل التفاسير الشيعية التي تنهج أسلوبا مغايرا ومنهجية مغايرة لأسلوب الطبري ومنهجه. فالمستشرق ونزبورغ على الرغم من علو كعبه في الدراسات السامية وفي فرضيته التي تحولت الى نظرية عند المستشرقين وبحسب استنتاج المستشرق البريطاني المولد الإسباني الأصل البروفسور كارلوس أندريا سيجوفيا Carlos Andrés Segovia في بحثه السابق باللغة الإنجليزية الذي عنوانه ((جون ونزبورغ وإشكالية أصول الإسلام في البحث العلمي الحديث والمعاصر: ودعا للرواية التقليدية أو للرواية الحديثية))، فإنه في هذا الميدان وميادين أخرى قد أهمل -شانه شأن المستشرقين الكبارين اللذين تأثر بدراساتهما كثيرا في كتابه هذا وهما المستشرق إغناص جولدتسيهر الذي كتب باللغة الألمانية والمستشرق الألماني جوزيف شاخت- المؤلفات الشيعية التاريخية منها والرجالية والتفسيرية وحددوا آراءهم وتفسيراتهم على المدونات السنّية

كالبخاري وابن حزم الظاهري ومحمد بن جرير الطبري في تفسيره وتاريخه وجعلوا هذه المصادر المصدر الأساس لمعلوماتها في تفسير أصول الإسلام والتفسير الإسلامي بله الحضارة الإسلامية كحالة البروفسور شاخت وأصول الفقه الإسلامي. فكان على المستشرق ونزبورغ أن يطّلع على خطب ووصايا وكلام الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة بما له علاقة بالقرآن الكريم، ولعل المستشرق سوف يتقاطع معي في هذا الرأي لأنه ربما ممن يعتقد مسبقا بأن الكلام عن نهج البلاغة غير مسوغ به هنا لأن الكتاب منسوب الى الإمام علي وهي وجهة نظر طالما يتمسك بها الكثير من المستشرقين وهم يقلدون ويكرّرون أقوال بعضهم البعض الآخر من المستشرقين القدامى من دون الرجوع الى ما جادل فيه ابن أبي الحديد المعتزلي شارح النهج نفسه في الشرح بأن النهج هو للإمام عليّ عليه السلام خالصا وليس من تأليف الشريف الرضي. وعلى أية حال، فإن المستشرق



الوراء حتى تبلغ الحلقة الأساسية وهي حلقة رسول الله والإمام عليّ؛ فضلا عن كونها قد ورد أكثرها بحسب نصّها في كتب العلماء والنحاة وعلماء البلاغة كالجاحظ المتوفى في سنة ٢٥٥ هجرية/ ٨٦٤م.

ومن المعروف تاريخياً أن العلماء المسلمين هم كذلك وقفوا على هذا الموضوع في اختلاف المصاحف فصنّفوا كتباً قد وردت عناوينها من دون أن تصلنا بعضها كاملة. لكن المهم جداً إن موضوع اختلاف المصاحف واختلاف القراءات كان عملاً قد أثار اهتمام وعناية العلماء المسلمين منذ أوائل القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد أي أبان عصر بداية التدوين والكتابة العربية. فصنّف عبد الله بن عامر اليحصبي المتوفى سنة ١١٨ هـ/ ٧٣٦م كتاباً عنوانه (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق)، كما صنّف الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ/ ٨٠٥م كتاباً عنوانه (اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة).

عليه أن يبحث في نهج البلاغة ليكون قريباً من أقوال الإمام بشأن القرآن الكريم ولا يكتفي ببناء آراء قد تشوّه مقاصده في كتابيه (دراسات قرآنية) وكتابه (البيئة أو الوسط الطائفي أو الفرقي في الإسلام) ومنهجه العقلاني الذي امتدحه المستشرقون. فخطب الإمام تعدّد مصدرها أساسياً له ولغيره من المستشرقين وغيرهم من العلماء العرب والمسلمين، ولماذا؟؟. لأنها أقوال وخطب وعلوم قد عاصرت لبّ الأحداث التاريخية والعقيدية الإسلامية زمن رسول الله ﷺ والعقود الأربع الأولى من التاريخ الإسلامي. وقد تكرّر الاعتماد عليها في أحاديث وأقوال الأئمة الأطهار عليهم السلام في فترات سبقت كثيراً المفصل التاريخي الذي جعله المستشرق حدّاً محددًا لجمع القرآن الكريم أي إن القرآن الذي بين أيدينا الآن إنّما جمع أو صنف في نهاية القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي وفي عصر العباسيين وتلك الأحاديث ذات السلاسل الذهبية التي تعود إلى



وهذان العنوانان يبرزان مسألة في غاية الأهمية سواءً كان في التخصيص المحلي أو المصري أم في اختلافها الذي يمثل مصاحف الصحابة أبيّ وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وغيرهم ممن كانوا يشكلون مدارس في القراءة أو في الأحرف. وهناك أيضاً المصحف الذي ألفه خلف [كذا ورد اسمه وربما هو خلف بن هشام بن ثعلب البزار المتوفى سنة ٢٨٦ هجرية/ ٨٩٩ وقال ابن النديم أن له كتاباً عنوانه القراءات] وعنوانه (المصاحف) والكتاب الذي ألفه أبو الحسن علي بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥ وعنوانه (في اختلاف المصاحف وجمع القرآن). والعنوان يشير إلى تأثير المدائني في فكرة المستشرق برتون عند اختيار نفس العنوان لكتابه. كذلك ألف العالم الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م كتاباً بعنوان (اختلاف مصاحف أهل الكوفة والبصرة والشام). الأمر الذي يعكس استمرارية تفكير العلماء المسلمين في جدلية اختلاف قراءات

الأمصار الإسلامية. وألف أبو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ/ ٨٢٠م كتاباً بعنوان (اختلاف المصاحف) وصنّف العالم ابن أبي داود السجستاني صاحب السنن المشهور والمتوفى سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م كتاباً بعنوان (المصاحف) وقيل أنه أيضاً كان بعنوان (اختلاف المصاحف)؛ وصنّف العالم محمد بن عبد الرحمن الأصفهاني المتوفى سنة ٣٠٦هـ/ ٩٧٠م كتاباً وعنوانه (اختلاف المصاحف)؛ كما ألف العالم ابن الأنباري المتوفى ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م كتاباً بعنوان (اختلاف المصاحف) (٢٩).

فالملاحظة إن هذا الميدان قد أشبع لدرسا وتمحيصا من العلماء المسلمين، فالعالم عبد الله بن عامر اليحصبي، كما يقول ابن النديم، قد أخذ القرآن عن عثمان ابن عفان وقرأ عليه ويعدّ من الطبقة الأولى من التابعين، ونلاحظ أيضاً اهتمام علماء اللغة العربية والنحو

(٢٩) ابن النديم؛ محمد بن أبي إسحق الوراق: كتاب الفهرست (تحقيق رضا - تجدد طهران، ١٩٧١) صفحات ٣١-٣٢؛ ٣٦.



والفكري لمروياتهم ومعلوماتهم التي زوّدت المستشرقين بغذاء التفسيرات الحاقدة على القرآن الكريم نظير رواية معركة اليمامة وقول الصحابي حذيفة بن اليمان ورواة عرفوا بفقدان البصيرة الإسلامية السمحة والعدالة. ولنضرب الأمثال على ضعف بصيرة وتبصر هؤلاء وأولئك فالمعروف أن المؤلفات التفسيرية تلك التي قد وردت أسماؤها وقد تمّ بالفعل تحقيق معلومات عنها من قبل المستشرقين الذين سبق ذكرهم توّاً نظير المستشرق المعروف جيفري A. Jeffery مثل كتاب المصاحف لابن ابي داود السجستاني واعتمد على عدد من المؤلفات الإسلامية في تحقيقه، كذلك فإنه اعتمد على الكثير من المؤلفات الخاصة بالمصاحف وتفسير القرآن الكريم في كتابه المذكور آنفاً (موارد أو مصادر حول تاريخ النصّ القرآني). كذلك لابد من الإشارة إلى فهرست ابن النديم إذ أفرد حيزاً من الكتاب عن هذا الميدان؛ وحول مؤلفات تفسير القرآن فمما أورد ذكره أن الإمام محمد

كالكسائي والقرّاء، بمعنى التركيز على الجوانب اللغوية في اختلاف الأحرف والقراءات. والملاحظة الأخرى إن ابن النديم المتوفى حوالي سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠ الذي اهتم بشأن اختلاف المصاحف عند بعض الصحابة فأتى عليها وقلّب بعضها وأورد ترتيب وأسماء السور فيها قد وقف على ذكر هذه المؤلفات الخاصة باختلاف القراءات واختلاف المصاحف وصارت مصدراً مهماً لكل من المستشرقين برتون وويلج (٣٠).

وفوق هذا وذاك فأن هناك أدلة واضحة وكاشفة على خطل رأي المستشرق (أي خطل نظريته) في كتاب الله تعالى قد تردد صداها في أحاديث وأقوال الأئمة أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام التي، مع كل الأسف، قد كتمها وغمط حقها المؤلفون والمؤرخون من أهل السنّة مع الأسف كالبخاري والطبري وغيرهم كثر، أولئك الذين صارت الأولوية والسبق التاريخي (٣٠) م. ن. ٣٨-٣٩.



بن علي بن الحسين الباقر عليه السلام قد صنّف كتاباً في تفسير القرآن الكريم ورواه عنه عليه السلام أبو الجارود زياد بن المنذر زعيم الجارودية وهي من بين فرق المذهب الزيدي ^(٣١).

وأما وبحسب ما رواه الأئمة الأطهار عليهم السلام من نسل الإمام الحسين عليه السلام إنهم لم يسيروا إلى هذا المصحف بالذات؛ حقيقة إنهم عليهم السلام وخصوصاً الأئمة الباقر والصادق والرضا والعسكري عليهم السلام قد ألقوا أضواءً وآراءً قيّمة جداً بخصوص تفسير الكثير من آيات الذكر الحكيم إن كانت على صيغة أجوبة عما كان يسألهم اتباعهم وتلامذتهم ومن كان يجاورهم ويجالسهم أم في توجيهاً ومحاظراتهم وتصويباتهم.

والجدير ذكره أن الإمام العسكري عليه السلام كان له تفسير - وإن كان رأي البعض من الباحثين العرب والأجانب بكونه منسوباً للإمام - لكنه موجود ويقدم العون الكثير في هذه النقطة من حضور الأئمة الأطهار

(٣١) م.ن. ص ٣٢؛ ٣٦.

الفاعل والجدلي بما له علاقة بتفسير آيات الذكر الحكيم، بأن الكثير منها إنما تشير إلى الإمام علي عليه السلام وإنها نزلت بحقه وبحق ولاية أهل البيت الأطهار غير أنهم عليهم السلام لم ينصوا على أن هذه الآيات أو بالأحرى هذه التفسيرات موجودة في قرآن الإمام المشار إليه آنفاً أو مقتبسة منه، وفي أحيان كثيرة ينصّ المفسرون الشيعة على قول الأئمة الأطهار على أن هذه الحالات والتفسيرات وردت في (كتاب) الإمام علي عليه السلام. وهناك ثلاث حالات تعدّ مهمة جداً أوردتها ابن النديم في فهرسته القيم؛ الأولى منها بشأن النحوي المشهور الكسائي المتوفى سنة ١٨٩هـ / ٨٠٥م. والمعروف إن الكسائي هو من القراء السبعة ومن أهل الكوفة قد قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى وحمة بن حبيب فيقول ابن النديم ما نصّه «فما خالف فيه الكسائي حمة فهو بقراءة ابن أبي ليلى. وكان ابن أبي ليلى يقرأ بحرف علي عليه السلام». ولعل المقصود من هذا النصّ إن عبد الرحمن بن أبي ليلى ظلّ حتى حوالي نهاية القرن



بن بهدلة وهو من قرّاء الطبقة الثالثة من الكوفيين وتوفي سنة ١٢٨ هجرية/ ٧٤٥م، فكانت قراءة حفص بن سليمان قد أخذها عن عاصم وهي مرفوعة إلى الإمام عليّ على وفق رواية أبي عبد الرحمن السلمي. والمهم أن حفص بن سليمان قد توفي على الرواية الصحيحة في سنة ١٨٠هـ / ٧٦٩م. وكان عاصم أحد القراء السبعة أيضاً^(٣٢).

وما له علاقة بالموضوع السابق إن أبا القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي صاحب (تفسير فرات الكوفي) والمحدّث الشيعي أبو النصر العياشي التميمي الكوفي من أعيان علماء الشيعة صاحب كتاب التفسير، المعروف بتفسير العياشي رويًا وبحسب سلسلة السند الآتية:- عن سوران بن مسلم عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام، قال أبو علي الحسن بن محبوب وأخبرني عمر بن عمر عن جابر أن الإمام جعفر الصادق أخبره عن أبيه قال «وجدنا هذا الكلام مكتوباً في كتاب من كتب علي بن أبي طالب عليه السلام

(٣٢) م. ن. ٣١، ٣٣.

الثاني للهجرة يقرأ بقرآن الإمام وذلك على أساس أن الحرف وبحسب ما تقدم ذكره يعني القراءة أو القرآن. والرواية الثانية المهمة ما يتعلق بالقارئ أبي علي الحسن بن داود المعروف بالنقار. كان النقار قرشياً من بني أمية ومن أهل الكوفة ومن القراء المعروفين ترجع سلسلة قراءته إلى الإمام علي عليه السلام ثم إلى النبي صلى الله عليه وآله، فوفقاً لهذه الرواية وهي: «قرأ علي أبي محمد القاسم ويعرف بالخياط.. وقرأ الخياط على الشموني، وقرأ الشموني على الأعشى وقرأ الأعشى على أبي بكر وقرأ أبو بكر على عاصم وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ السلمي على علي عليه السلام وقرأ علي عليه السلام». فالمقصود هنا أيضاً إشارة مهمة على أن السلمي قرأ حرف علي عليه السلام التي هي بدورها تعني أن الإمام قد قرأ قرآن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإن صحّ هذا الاستنتاج فإن قرآن الإمام كان موجوداً ومعروفاً بين طبقات القراء. ووردت الرواية الثالثة ضمن قائمة من روى عن أبي بكر بن أبي النجود، عاصم



حول الخلق وخلق الطباع الأربعة الريح، والبلغم، والمرة والدم». وهذا المعنى اراد به كتاباً للإمام بخصوص أقواله عليه السلام وعلمه في هذه الكيفية والكيفيات الأخرى ولا يقصد منه قرآن الإمام عليه السلام بحسب رواية العياشي. لكن يذكر فرات الكوفي بسلسلة سند ترجع إلى الإمام علي عليه السلام في آية (كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) أنها في قراءة الإمام (هو كتاب علي لا ريب فيه هدى للمتقين) ^(٣٣).

كذلك فقد أورد العياشي رواية بخصوص سورة المائدة في قوله عز من قائل ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ أَلطَّيَّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ يَعْمُونَهُمْ إِنَّمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فُكُلُوا إِنَّمَا

(٣٣) فرات، أبو القاسم فرات بن إبراهيم: تفسير فرات الكوفي (تحقيق محمد الكاظم، طبعة ثانية) تهران ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥، وزارة فرهنگ وارشاد اسلامي) ص ٢٥، ٥١ - ٥٢. العياشي: تفسير العياشي (دققه وحققه وصححه وعلق عليه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، جابخانه علمية، قم) جزء ١ ص ٢٦ - ٢٨.

أَمَسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ عليه السلام. ونقل العياشي عن سماعة ابن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي يفتي وكنا نفتي ونحن نخاف في صيد البازي والصقور. فأما الآن فإننا لا نخاف ولا يجل لنا صيدها إلا أن تدرك. وإنه لفي كتاب علي عليه السلام إن الله تعالى قال (ما علمتم من الجوارح مكلبين) فهي الكلاب ^(٣٤).

كذلك بحسب رواية الحلبي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال إن الآية (إلا ما علمتم من الجوارح) في كتاب علي عليه السلام المقصود بها الكلاب. وأورد العياشي بسند عن أبي هبيرة الخذاء عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال سمعته «يقول: - وجدنا في بعض كتب أمير المؤمنين عليه السلام قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله إن جبرئيل عليه السلام حدثه أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله وهو

(٣٤) سورة المائدة، آية ٤؛ فرات، أبو القاسم فرات بن إبراهيم: تفسير فرات الكوفي (تحقيق محمد الكاظم، طبعة ثانية) تهران ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥، وزارة فرهنگ وارشاد اسلامي) ص ٢٥، ٥١ - ٥٢.



وهكذا قرأه أمير المؤمنين عليه السلام (٣٦). وتدلّ هذه الرواية دلالة واضحة وجلية أن الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام يشير إلى حرف لقرآن الإمام علي عليه السلام وهذا يشمل أيضاً كتابه.

وهناك موضوع مهم جدا يتعلق بتصنيفات المستشرق ونزبوروغ للقرآن المجيد تلك التي ظن انها تتشابه مع ما هو موجود في التراث العبري وفي جزء من التلمود. فلو قرأ ما هو متوافر في مؤلفات التفسير الشيعية (٣٧) لما أزعج نفسه في البحث عن تصنيف لسور

(٣٦) ينظر، فرات الكوفي، أبا القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي: تفسير فرات (تحقيق محمد الكاظم) (طبعة ثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، تهران وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي ١٤١٦قمری) ص ٤٦- ٤٧؛ النعماني، أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني، تفسير النعماني، في شرح التفسير (تحقيق الحاج الشيخ حسن الفريد الكلبيكاني ١٣٩٩هـ/ ٥٥. ٥٥. الشيخ الطوسي، أبو جعفر: تفسير التبيان (تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي) (طبعة النجف) الطوسي، تفسير التبيان مجلد ١ ص ٧.

(٣٧) تفسير العياشي جزء ١٣. ينظر تفسير فرات الكوفي ص ٤٧، ٤٨.

ابن ثلثين سنة» (٣٥).

فهذه الروايات المستندة إلى أقوال الأئمة الأطهار تشير إلى أن للإمام علي عليه السلام كتاباً يعرف «بكتاب علي عليه السلام» ولعله يحتوي على عدة كتب اعتماداً على أقوال الأئمة عليهم السلام (كتب علي أو كتب أمير المؤمنين) والكتاب بحسب المحتوى الذي ورد فيه تفسير فرات والعياشي له علاقة بالقرآن أو من جهة أخرى بتفسير آياته.

ولعل من الصائب القول إن القرآن والكتاب هما وحدة واحدة إذ يضم بين دفتيه آيات الذكر الحكيم فضلاً عن معاني القرآن وأسباب النزول والتفسير استناداً إلى ما حدّث به رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام في مثل تلك الجوانب المهمة، ففي رواية للعياشي بسنده عن علي بن حمزة عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام بشأن قوله تعالى في سورة هود ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ فقال أبو عبد الله عليه السلام

(٣٥) تفسير العياشي جزء ١ ص ٢٩٤؛ ٢٩٥. جزء ٢ ص ١٢٩؛ ١٥٨.



وآيات القرآن. إذ ورد في تفسير فرات الكوفي رواية عن الحكم عن ابن عباس قال: - أخذ النبي ﷺ يد عليّ فقال: - إنَّ القرآن أربعة أرباع ربيع فينا أهل البيت خاصة وربع في أعدائنا وربع حلال وحرام وربع فرائض وأحكام وإنَّ الله أنزل في عليّ كرائم القرآن^(٣٨)؛ ووردت رواية في تفسير فرات وعلي بن إبراهيم القمي عن الأصبغ بن نباته من صحابة الإمام عليّ قول أمير المؤمنين عليّ^(عليه السلام) إذ أنه قال (القرآن أربعة أرباع ربيع فينا وربع في عدونا وربع سنن وأمثال وربع فرائض وأحكام ولنا كرائم القرآن)^(٣٩). وجاء في تفسير النعماني ما نصّه «سأل أمير المؤمنين شيعته عن مثل هذا (أي عن مقاصد القرآن الكريم وخصائصه وتصنيف سوره وآياته الى أهداف وحقول) فقال إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كلَّ منها شاف كاف وهي أمر

وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص. وفي القرآن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وخاص وعام ومقدّم ومؤخر وعزائم ورخص وحلال وحرام وفرائض وأحكام ومنقطع ومعطوف ومنقطع غير معطوف وحرف مكان حرف؛ وبحسب ما قاله الشيخ أبو جعفر الطوسي «بحرف واحد على نبي واحد»^(٤٠).

فكتاب الله إذن هو المصدر الأساس الذي أجمع هذا النفر من قريش على أن يعملوا على جمعه وترتيبه وربما التدخل في صياغة آياته وحذف أو التلاعب بهاله علاقة يارث آل بيت النبوة في الإسلام. ولهذا الأمر فقد تعجل في أدائه القسم على نفسه أن يؤدي الأمانة الحقيقة لكتاب الله تعالى على وفق المنهج الذي علّمه إياه رسول الله ﷺ في أسباب التنزيل

(٤٠) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فنيّ الدراية والرواية من علم التفسير (الكويت ١٩٨٥) سورة البقرة آية ٢٧٤ هامش ص ٨؛ كذلك ينظر تفسير فرات الكوفي ص ٤٧، ٤٨. تفسير العياشي، جزء ٢ ص ١٤-١٥؛ ١٢٩.

(٣٨) يراجع تفسير العياشي، ص ١٤-١٥.

(٣٩) ينظر الطبري؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ مجلد ٣ صفحة ١٠٠-١٠١.



فأعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً" (٤١). وذكر اليعقوبي رواية تكرر ذكرها في التفاسير الشيعية نصها (وقال بعضهم إن علياً قال: نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع أمثال وربع محكم ومتشابه) (٤٢).

إذن علينا الآن، بعد هذه الجولة العلمية في ما أسهم به الفكر الشيعي من إسهام فاعل بصدد تفسير القرآن الكريم، أن نعرض رأي المستشرق في كتابه الذي ألمحنا إليه سابقاً (دراسات قرآنية) وإبراز النقاط الأساسية لوجهة نظره وعلى وفق المحاور الآتية:-

١. المحور الأول:

جميع المستشرقين ممن عرضوا الكتاب وقوموه يشيرون الى أن ونزبروغ

(٤١) النعماني، أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني، تفسير النعماني، في شرح التفسير (تحقيق الحاج الشيخ حسن الفريد الكلبيكاني ١٣٩٩ هجرية) ص ٥؛ تفسير النعماني ص ٥؛ الشيخ الطوسي، أبو جعفر: تفسير التبيان (تحقيق أحمد حبيب قصير العمالي (طبعة النجف) مجلد ١ ص ٧.

(٤٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٩٣.

والتأويل والترتيب. فأورد العياشي أبو النضر محمد بن مسعود السلمي المحدث العالم وصاحب التفسير الشيعي روايات كثيرة، عن نبوغ الإمام في علوم القرآن، رواية تفيد في هذا المجال كما رواها الأصبغ بن نباتة صاحب شرطة الإمام على البصرة وتفيد أن الإمام صلى بالناس صباحاً عندما قدم إلى الكوفة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال المنافقون "لا يحسن ابن أبي طالب أن يقرأ بلغة ذلك قال: ويل لهم إني لأعرف ناسخه من منسوخه ومحكمه من متشابهه وفصله من فصاله وحروفه من معانيه. والله ما من حرف نزل على محمد ﷺ إلا أني أعرف فيمن نزل وفي أي يوم وفي أي موضع، ويل لهم أما يقرؤون ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ والله عندي ورثتها من رسول الله ﷺ. وقد أنمى رسول الله ﷺ من إبراهيم وموسى ﷺ. ويل لهم والله أنا الذي أنزل الله في ﴿وَعَبَّأْ أُذُنٌ وَعَبَّأٌ﴾. فإنما كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي



Origins of Muhammedan Jursprudens (المطبوع في عام ١٩٥٠. فهذان المستشرقان يريان في دراساتها تلك عدم موثوقية وعدم مصداقية unreliable المرويات الحديثة والتاريخية في مؤلفات الصحاح والتاريخ كاطبري فيما يتعلق الأمر بعملية جمع القرآن الكريم أيام الخليفة الأول أو الخليفة الثاني، فقد عدا الكثير من الأحاديث الواردة في صحيح البخاري والصحاح الأخرى عبارة عن أدب قصص خيالية ولا قيمة تاريخية لها خصوصا كونها لا تعكس بصدق أحداث الزمن التاريخي التي تتحدث تلك المرويات عنها، وهي لا تعكس أي أهمية عن الأحداث التاريخية التي تشير إليها، فضلا عن كونها تخالف الرأي القائل بأن جمع القرآن قد حدث في حياة محمد ﷺ. لكنها يعتقدان بأن ما أورده الآيات القرآنية بصدد سيرة محمد وحياته ومعتقده تشكل المصدر الأكثر صدقية من تلك المرويات والأحاديث. ويرى المستشرقون

قد تابع أعمال ونتائج المستشرقين الألمان من الجيل الأول وبخاصة المستشرق المجري الذي كان يكتب دراساته باللغة الألمانية جولد تسيهر (Ignaz Isaak Yehuda Goldziher المولود في حزيران ١٨٥٠ فيمدينة StuhlweiBenburg، والمتوفى في بودابست في ١٣ تشرين الثاني من سنة ١٩٢١. وهو مستشرق مشهور في دراساته وتأثيره على المستشرقين الأوربيين واليهود والإسرائيليين منهم بشكل خاص والباحثين العرب والمسلمين أيضا. والدراسة التي اعتمد عليها المستشرق ونزبورغ في بناء أفكاره (Muhammedanisch Studen) المطبوع في هاله Halle في عام ١٨٨٩-١٨٩٠) في جزئه الثاني الذي ترجم الى اللغة العربية بعنوان (دراسات محمدية). واعتمد على المستشرق الألماني الآخر المعروف في دراساته عن الفقه الإسلامي جوزيف شاخت (Joseph Schacht) المتوفى في ١٩٦٩ في دراسته (أصول الفقه المحمدي



من ألمستشرقين المعاصرين قد ألغوا أي دور للمروايات الحديثة والتاريخية الإسلامية. وبالنتيجة فإنهم أدانوا تلك المروايات التي تتجه الى أن تدوين القرآن وجمعه كان من كلام محمد نفسه^(٤٣). فيذكر ونزبوروغ في إستهلاله لكتابه (دراسات قرآنية) ما ترجمته:- فبالنسبة الى الشيء المدوّن عن الوحي عند المسلمين فإن كتابنا هذا ليس بحاجة الى مقدمة. وباعتباره وثيقة فهي عرضة للتحليل بواسطة أدوات وتقنيات وفتيات النقد البابلي Biblical criticism التي لم تكن معروفة بشكل عمليّ. أمّا بالنسبة الى المصاعب العقيدية أو المذهبية تلك فهي تقليديا التي تعيق مثل هذا

(٤٣) ينظر: Harald، Motezki؛ "The collection of the Qur'an: A reconsideration of Western Views in light of recent methodological developments " in Der Islam، Bd. 78. S. (2010 Ps. 4، 11؛ Skepticism And Koranic Research. by Ibn Warraq ..(Dec. 2007

الذين يدعمون آراء جولدتسيهر وشاخت بأن هذه الآراء غير متسقة مع الحقيقة التاريخية ولذا لا يتفقون مع جولدتسيهر وشاخت في هذا المنحى، وقد عرّف هؤلاء المستشرقين بكونهم يمثلون الجانب المتطرف جدا من المستشرقين radicals من الجيل المعاصر. فأنهم قد تخلو عن الاعتدال أو الوسطية التي بدت في آراء كلّ من جولدتسيهر وشاخت. فالمستشرق ونزبوروغ ومجموعة من تلامذته، وهم يمثلون الآن الفئة المتطرفة جدا من المستشرقين المعاصرين من أمثال مايكل كوك وباتريشيا كرونه وأندرو ربن وجيرالد هاوتنغ Gerald Hawting. فهؤلاء وغيرهم قد شكّكوا أصلا في أهمية دور وفاعلية الرواية الحديثة والتاريخية الإسلامية، وهم يرون بأن تلك المروايات لا قيمة لها تاريخيا ولاسيما في حقل جمع القرآن ذلك لأنها تتضمن معلومات غير مؤكدة ولا واضحة بخصوص جمع القرآن. أي أن ونزبوروغ وغيره



الإستقصاء فهي على عكس تلك شائعة ومعروفة جدا. وليس فقط العقائد أو المبادئ مثل تلك التي تعرّف وتحدّد الكتاب المقدس scripture ككلام الله غير المخلوق وبعدها تعترف في عرفيته ورسميته وواقعته بله ووجوده الذي لا يضاهى أو لا يضارع، ولكن أيضا ينطبق هذا على الجزء الأساسي من علم أو من التدوين التاريخي الإسلامي برمته، وذلك عن طريق توفير رواية متماسكة ومعقولة أو قابلة للتصديق تقريبا بشأن الظروف والملابسات التي اكتنفت مسألة الوحي القرآني، قد أعاقت تمحيص وفحص الوثيقة كالتى أعيد تقويمها كنموذج لاسلوب أو لنمط أدبي تقليدي. ومع ذلك فإن التدوين التاريخي شأنه شأن الضروب الأدبية الأخرى تستمد نصيبها أو حصتها لزعها أو لقوتها الدافعة momentum من اسلوبها الأدبي في الرواية والسرد التي اعتمد عليها في التعبير. فالروايات التاريخية عن الوحي القرآني هي ليست استثناء عن

ذلك، وحسب ما يبدو لي أن التحليل البنيوي، ليس فقط بشأن نصّ الكتاب المقدس ولكن أيضا لدليل أو شاهد آخر له علاقة بمنشأه أو في سفر التكوين genesis أو في تأويله وتفسيره، ربما سيؤدي أو سيستج ثمة فائدة للمقارنة مع التدوين التاريخي التقليدي أو الحديثي. وبكلمة مختصرة فإن ونزبروغ يعتبر -كما لاحظنا -، من خلال النظر الى النصّ أو معاينة للنصّ القرآني والنصّ المتوافر للكتابات التاريخية الإسلامية بشأن القرآن، بأنه يستطيع أن يدرك أو يلحق بشرح وتفسير عن أصول ومنشأ القرآن الكريم (٤٤).

وهكذا يظهر بأن ونزبروغ يرى انتفاء وجود مصادر عربية مكتوبة تحدثنا بما حدث بالفعل، وأن جميع ما لدينا هو -بحسب قول المستشرق- مجرد أدب. وقد طبق في دراسته النقد الأدبي معتمدا على ضربين

Wansbrough, John: Qura'in (٤٤) Studies (edited by Andrew Rippin forward Pp XIV



بأن مباني القرآن بالصيغة المتوافرة الآن-يقصد القرآن الذي نقرأ به- يتسم بمرويات متنوعة غير مترابطة ترابطا منطقيًا ellipsis وكونها مكرّرة أو معدّة مسبقا الى درجة قد توحى الى أنها لم تكن قد نذّت أو أنجزت بإتقان من قبل أحد الرواة أو من قبل مجموعة منهم، والأحرى أنها ناتجة عن تطور أساسي وجزء لا يتجزء من مرويات مستقلة في الأصل خلال فترة طويلة من النقل^(٤٦). وهو يعتقد أن هذه المرويات كأنها بريسكوب periscopes (مثقاب) بمثابة المأثور النبوي prophetic logia وهي في حقيقتها قد نقلت شفاها عبر فترة طويلة من الزمن وتطورت بل ونمت أخيرا لتكون مصحفا canon واحدا. وفي نهاية هذه العملية، فإن الاعتراف في هذا المصحف لا يمكن أن تكون أبكر من نهاية القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد. وأن تثبيت أو تأسيس هذا النصّ المعياري ذي القيمة أو المعترف به في المجتمع

من النقد ما يسمى بالنقد المختصر redaction criticism وأمّا الثاني فهو ما أطلق عليه النقد اللغوي form criticism. فضلا عن ذلك فإنه لم يعتمد على المصادر التقليدية، معتقدا بأن هذه المصادر لا تقدّم معلومات تتمتع بالصدقية والقبول وبالأخص بالنسبة الى المعلومات التي لها علاقة بأحداث جمع القرآن خلال المرحلة الأولى للإسلام. ويبنى المستشرق موقفه هذا بأن تلك المصادر لم تكن معاصرة للأحداث المحيطة بجمع القرآن؛ ومؤلفوها يزعمون بكونهم يدونون ويسجلون تلك الأحداث غير أنه لم يكن أي منهم محايدا في عرضه^(٤٥).

٢. المحور الثاني:

وبالإضافة الى تأثير كتابات وآراء المستشرقين جولدتسيهر وشاخت على مواقف المستشرق ونزبوروغ، فإن هذا المستشرق قد درس القرآن الكريم وأدب التفسير الإسلامي دراسة تحليلية مستندا الى موروته التوراتي، فهو يرى



الإسلامي كالذي تضمنته مروايات مصحف عثمان لا يمكن أن تكون أبكر من القرن الثاني للهجرة. وبناءا عليه فإن هذه المروايات الحديثية وغيرها تلك المتعلقة بعملية جمع القرآن علينا أن نعتبرها مروايات غير مقبولة وغير موثوقة تاريخيا، لكن يمكن اعتبارها قصصا خيالية أو من قصصا من الأدب الخيالي. ويحتمل أن هذه المروايات المنقولة قد ابتدعها علماء الفقه أو علماء الشريعة كما استنتج جون بيرتون John Burton وهو مؤلف كتاب (جمع القرآن)، وذلك من أجل شرح أو تفسير المذاهب الشرعية التي لم تكن موجودة في المصحف، أو ربما قد حوّرت ولطّفت المرويات الربانية العبرية Rabbinical accounts المؤسسة أو التي بنيت في الأساس على نصّ (Urtext) للأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم Pentateuch والكتاب المقدس العبري. على هذا الأساس فإن هؤلاء النفر من المستشرقين المعاصرين المتطرفين إن كان ممّن تأثر أو تعلّم

في مدرسة المستشرق ونزبورغ (إن شئنا تسميتها مدرسة لأنهم بالفعل قد كثّفوا دراساتهم حول منهجه وفلسفته) أم ممّن تأثر بنتائج آرائه من المبشرين المسيحيين نظير دانيال بس Pips، فقد حكموا مسبقا presuppose على أن جمع المصحف canon لم يرجع في تأريخ جمعه وشرعيته قبل فترة القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي (٤٧).

Wansbrough: Qur'anic Studies (1977) Ps.. 43, 44, 47-52; P. Crone and W. Cook: Hagarism: The Making of Islamic World (Cambridge 1977) P. 3 ; W. Cook: Muhammad (Oxford, 1983) Ps. 68, 69, 70, 71; Hawting; G. R. Hawting: John Wansbrough, Islam and Monotheism Reconsidered: John Wansbrough and the study of early Islam (Berlin -New York ; mouton de Gruyter, 1997. P. 33-34; Daniel, Pips: The study of islam post-1969 and post John Wansbrough in Middle East Forum (United States), Jul 10, 2011. Wansbrough; Qur'anic Studies



وانزبورغ ينظر هيرالد). ومما يجدر ذكره أن البروفسور أندرو ربن Ripplin تلميذ وانزبورغ وأحد المؤيدين لمدرسته قد دعم آراء وانزبورغ السابقة في مقدمته للكتاب إذ يذكر في هذه المقدمة ما يأتي:- ممّا هو جدير بالتأمل والتفكير أن هذه المسألة الحاسمة والنزاعية الى الانتقاد الا وهي مسألة ظهور أو نشوء القرآن في حجمه الكبير الأخير. وفي الأساس فإن الإشكالية والسؤال اللذين يدوران حول هذا الموضوع هو ما الذي نقصد بالقرآن، وعن أي نوع من الأدلة والشواهد التي لدينا؟. فما نمتلك من جواب لهذا التساؤل هو: هنالك قدر كبير من الغموض وعدم الوضوح بما نقصد بالفعل في القرآن. وإن وانزبورغ بالتأكيد يتحدث بخصوص أمر له من الأهمية بمكان، وليس تفسير بناء نظري فحسب. وأرى أنه عندما نتحدث عن القرآن في هذا المضمون والفحوى، وإن كنا نهدف الى مناقشة ومحاججة لها معنى وفائدة بشأن هذا التساؤل، هناك ثلاثة عناصر ينبغي

فالمستشرق وانزبورغ يصرّح فيما يتعلق الأمر بفكرته عن ظاهرة التكرار في القرآن الكريم repetition فيقول ما أمكننا ترجمته حرفيا:- إن ظاهرة التكرار في القرآن إنّما ذلك يعلن على أنه ليس هنالك مؤلف واحد، أوحتى لا يعني وجود لجنة مؤلفة لتأليفه. وبدلا عن ذلك يبدو ومن المؤكد إن تلك الأجزاء من النصّ قد اعتبرت بالفعل مقدسة. ولقد ذهب وانزبورغ بعيدا في انتقاده العلماء الآخرين ممّن بحث في هذا المجال القرآني مستندا الى التاريخ الحولي التقليدي بخصوص هذا التكرار وبخصوص أصول الوحي (٤٨). رقم

Ibid. Daniel، Pips: The study (٤٨) of islam post -1969 and post John Wansbrough in (Middle East Forum(United States)، Jul 10، 2011 (47)(48) Wansbrough، Qur'anic Stud-Harald،- ؛ ies (1977) P. 47 Motezki; “ The collection of the Qur'an: A reconsideration of Western Views in light of recent methodological developments “ P. 11



أن تتماثل أماننا لها دور وحركة وفاعلية وهي: أولها أنه يجب علينا أن نثبت مجموعة ثابتة من النصوص، وثانيها التدوين أو التسجيل، وثالثها، درجة أو قدر من التقبل لذلك بين مجموعة من الناس، على أن تلك المجموعة من النصوص تعدّ مصدرا موثوقا ويتميز بالصدقية^(٤٩). ويعقب في الفقرة اللاحقة قائلا ما ترجمته الى العربية:- والآن، لعله يفهم أو يدرك بإنني قد عرّفت أو وضّحت إشكالية و تساؤل بشأن مالذي يقصد بالقرآن بطريقة أو بأسلوب غير عقلائي، وكذلك فإنني أتحدث، في الحقيقة، عن أمر قد اتفق عليه الجميع بأن القرآن هو من نتاج الفترة المتأخرة^(٥٠).

وفي هذا المجال فإن المستشرق ونزبوروغ ربما وجد تهاقتا أو ضعفا في قوله من أن القرآن لم يجمع إلا في منتصف القرن الثاني أو في مطلع

Forwad by Andrew Rippin (٤٩)

.Pp. X1V -XV

.Ibid. XV1 (٥٠)

القرن الثالث للهجرة؛ إذ أثار بعض العلماء معارضة مهمة ألا وهي إذا كان الأمر كذلك فما كان موجودا بالفعل عند المسلمين خلال القرنين السابقين للتاريخ الذي حدّده للجمع المعترف به. نلاحظ هنا التعارض في أقواله ففي رأيه كان هنالك مجموعة من (اللوجيا بروفيتك) Logia Prophetic التي تمثل أو لا تمثل الوحي revelation (واللوجيا يمكننا تعريفها بالأقوال الماثورة وهذا متأثر بالفكر المسيحي فهي تعرّف أقوال المسيح ﷺ بمعنى إنه شبه الآيات القرآنية أو المجموعة الموجودة من المآثر النبوية هذه بالآيات القرآنية، وهو يعترف بكونها ربما تمثل الوحي. ومن أجل أن يظلّ باقيا في ظنّه هذا أو تخمينه فهو يعتقد أن ما موجود قبل القرن الثاني للهجرة مجرد معلومات التي انبثق منها حصرا القرآن. إن هذه اللوجيا كانت عبارة عن سلسلة من (ها هنا يستخدم هذا المصطلح ليقصد uncoordinated periscopes به مختارات أو مقتطفات غير مترابطة من



٣. المحور الثالث:
 قام المستشرق بتحليل عدّة جوانب من القرآن الكريم نظير المعجم اللغوي للقرآن والأفكار الرئيسة للسور والبنية اللغوية في تركيب الجمل والعبارات الواردة وأحاديث معينة فخرج باستنتاج أنه ليس بين هذه كلّها نصّ أصلي يرجع الى ما قبل نهاية القرن الثامن الميلادي/ الثاني للهجرة. ولعل من المفيد القول هنا إن المستشرق بنى جميع استنتاجاته على مجرد التخمين فهو يكرّر دائما «أنه يعتقد بكذا وكذا» أو «أنه يرى بكذا وكذا» مستخدما بالأساس مجموعة من المصطلحات الأجنبية اللاتينية،

85 (1995) P. 357. As cited by Ismail Al -bayrak: Qur'anic Narrative and Isra'iliyyat in Wesrern Scholarship and in Classical exegesis (Ph. D. Thesis. University of Leeds (May، 2000) Pp. 60 -65

قدّم الدكتور إسماعيل في هذه الرسالة الجامعية جهدا طيبا عن الموقف الغربي التقليدي منه والمتطرف بشأن موضوع رسالته وقد اعتمدت على متابعاته

أجل تلبية احتياجات المجتمعات أو مجاميع من الناس في الوسط الطائفي أو الوسط الفرقي داخل المجتمع السامي (Semitic Monotheism). وقد أدى به هذا الموقف الى أن يبذل جهدا غير عادي للوقوف مع وجهة نظره وإبطال أو ورفض أي حجة أخرى لا توافق رأيه، وإن كانت بالغة الأهمية، تقف لتناقض نظريته. ومثال على ذلك رفضه للرسالة التي كتبها الحسن البصري (المتوفى ١١٠ هجرية/ ٧٢٨م الموسومة (القدر) فرأى أنها منسوبة الى الحسن البصري وهي رسالة مشكوك في صدقيتها؛ على الرغم من أن هناك الكثير من العلماء ممن أيد موثوقيتها وصحة نسبتها الى الحسن البصري؛ وهو من بين القلائل من العلماء ممن سار على منهجه الذين قالوا إن الرسالة هي أيضا من نتاج القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي^(٥١).

P. 357 (1995)Madigan, A. 85 (٥١) “ Reflections on some current directions in Qur'anic Studies “ in The Muslim World



فضلا عن استخدامه اساليب يراد منها تعقيد احتمالاته فيعرضها في كلمات وتعبيرات لاتينية بالحروف اللاتينية نظير *argumentum ex silent* ولعل أقرب ترجمة حرفية لهذا هو: التعبير الحجة أو البرهان الصامت أو الغير ملفوظ. وهو تعبير كما يبدو يبين أن حجته غير قاطعة ولا يمكننا التعويل على مدى مصداقيتها.

٤. المحور الرابع:

والمستشرق لا يرى صدقية في المعلومات التي تتحدث عن اتصال رسول الله ﷺ باليهود ولا بالنصارى في الجزيرة العربية. فهل يعني هذا أن المستشرق لا يعترف إذن بما هو متوافر في القرآن الكريم من آيات تتعلق ببني إسرائيل وبالسيد المسيح ﷺ وبالنصارى وبالأخص آية المباهلة؟؟. الجواب كلا لا يعترف بجميع هذه الآيات لأنه قد عزل الرسول عن القرآن والحديث فصلا تاما؛ فهو لم يكن واضحا ومباشرا.

٥. المحور الخامس:

وفي الفصل الخاص بالقرآن الكريم

يناقش المستشرق ونزبورغ مسألة مهمة وهي أن القرآن يتضمن ضروبا مختلفة من المعلومات وبذلك استنتج بأن أجزاء منه ربما ترجع الى مجموعات متنوعة من المجتمعات لا الى المجتمع الحجازي. ويعتقد بأنه ليس هناك اتفاق بين الروايات الإسلامية بخصوص النص الأصلي للقرآن حتى تقريبا منتصف القرن الثاني للهجرة بحوالي ٨٠٠م^(٥٢). وهي الفترة التي ظهرت فيه عدة تطورات نظير: جمع الحديث وظهور المذاهب الإسلامية والعقائد الرئيسة في الفقه الإسلامي^(٥٣). ويقول

See Adam, C. ; “ Wan - (٥٢) brough’s Theory on the Origins of the Qur’an” in Herbert Berg (ed) Islamic Origins Recosidered: John Wansbrough and the Study of Early Islam (Berln -New York 1977) P. 82; John Wansbrough ; Qur’anic Studies (Oxford University Press 1977) Pp. 47

.-51

Wansbrough, Qur’inc Stu - (٥٣) ies (1977) P. 59



الجزيرة العربية^(٥٤). ولذلك أكمل بناء موقفه باستنتاجه بأن القرآن على هذا الأساس أي في مسألة عزل الرسول عن القرآن والحديث وعن مكة والمدينة إذ يصل الى نتيجة مفادها بأن هذه عموماً إن هي إلا نتاج الوسط الفرقي، البيئة المذهبية *The sectarian mihiu*. ثم يستمر في سرده فيذكر احتمالاته من بينها أن المنافسة والمواجهة بين الرسول واليهود لم تحدث في مكة والمدينة إذ لم يكن هنالك إلا القليل من أهل الكتاب كانوا يعيشون هناك، ولكن بالأحرى المقصود هو بلدان الهلال الخصيب حيث يوجد اليهود وحيث تتوافر المدارس اليهودية والربانيون وأدواره الفعالة والنشيطة وحيث يتوافر النصارى أيضاً؛ ففي هذه البلدان كان

(٥٤) - Goldziher, I. : Muslim Studies (Translated by C. R. Barber and S. M. Stern (London, 1971) Pp. 11, 19; Joseph Schacht: The Origins of Muhammadan Jurisprudence (Oxford, 1950) P. 224

أن الاعتراف في هذه الأمور وإقرارها يرتبط ارتباطاً جذرياً بتكوين المجتمع العربي وتطوره. وبكلمة أخرى - بحسب رأي ونزبروغ - فإن النصّ النهائي والكامل للقرآن لم يكن حينئذ مطلوباً وليس هناك احتياج إليه من المجتمع بصورته الكاملة قبل سيطرة القوى السياسية سيطرة كاملة. وهاهنا فقد وقف ونزبروغ الموقف ذاته الذي وقفه جولدتسيهر وشاخت من قبل في فصلهم أو فكّهم ارتباط الحديث بالنبي زاعمين أن الجزء الأعظم من الحديث ينبغي اعتباره نتيجة من نتائج التطور الديني والتاريخي والاجتماعي للإسلام خلال القرنين الأول والثاني للهجرة/ السابع والثامن الميلاديين. أمّا المستشرق ونزبروغ فقد ذهب أبعد مسافة ممّا ذهباً إليه جولدتسيهر وشاخت، فهو لم يفصل أو بالأحرى لم يفكّ ارتباط وصلة الحديث بالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام إنّها فكّ صلة القرآن والسيرة النبوية برمتها عن شخصية رسول الله نفسه وعن



والموثق covenant؛ والصيغ الأديبة لهذه المواضيع هي:- صيغة التضرع أو التوسل supplicatory وصيغة القصة أو الرواية narrative والصيغة الدينية formulaic أو صيغة العبارات

المستخدمة في الطقوس الدينية^(٥٦).

وبعد هذا التصنيف لخصائص وأشكال وموضوعات القرآن الكريم يعقب قائلاً ما ترجمته:- فإذا أخذنا هذه الخصائص

مجتمعة نجد هنالك قدراً كثيراً من

الإحالات المكررة الى أفكار وكذلك

الى اسخدام التكرار الميكانيكي أو

الآلي mechanical للخطاب المنمق

وللاسلوب الحجاجي الحادّ النبوة؛

وجميع هذه الصيغ توحى الى جوّ فرقي

أو مذهبي قوي وراسخ وقد شقت

طريقها pressed الى الجزء الأساسي

من الكتاب المقدس لخدمة أو لمصلحة

تعاليم غير مألوفة أو تعاليم غريبة

(انتهى اقول). غير أن المستشرق فريد

دونر Fred Donner المستشرق

المسلمون يشكلون الركن الأساسي من المجتمع وكانوا أيضاً يحتلون المواقع المهيمن كحكام للدولة العباسية في العراق وسوريا^(٥٥).

٦. المحور السادس:

والجدير ذكره إن المستشرق

خلال تحليله لأصول الكتاب المقدس

scripture وهو هنا يقصد به القرآن

الكريم في الفصل الخاص بدلائل النبوة

وكذلك في تحليله للغة الكتاب المقدسة

sacred language فعرض أربع

صيغ رئيسة لرسالة القرآن:- الثواب

والعقاب retribution ودلائل

النبوة والاشارة أو التحذير sign

وعقوبة الطرد والإبعاد والعهد أو

(٥٥) ينظر (P. 1998 Darwin Press;

37 Fred M. Donner: Narratives of Islamic Origins: The

Beginnings of Islamic Historical Writing(Darwin Press;

1998)P. 37; Ismail Al-bayrak:

Qur'anic Narrative and Isra'iliyyat in Wersern Schol-

arship and in Classical exe-

gesis (Ph. D. Thesis. University

of Leeds (May. 2000) P. 63

See Wansbrough (1977). P. (٥٦)

20 ;Donner, op. cit. P. 37



جون وانزبروغ رائد النظرية الشكّية في جمع القرآن..... (الصَّبَاح)

من تلامذة ونزبوروغ من المستشرقين قد واصلوا منهجه ووقفوا الى جانب رأيه الذي وصفوه «نظرية». ومن بين هؤلاء فقد أيد بوين Puin إستنتاج ونزبوروغ بشأن القرآن معتمدا على مخطوطة صنعاء للقرآن الكريم وهي نسخة قديمة؛ وبالمناسبة فقد اطلعت بالفعل على هذه النسخة وهي مطبوعة في مكتبة من مكتبات تركيا وهي النسخة التي عرّفت بكونها قرآن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. يقول بوين إن ونزبوروغ قد استنتج بأن القرآن تطور ونشأ تدريجيا فقط في القرنين السابع والثامن الميلاديين بعد أن مرّ بزمان طويل كانت آياته تنقل شفويا فضلا عن أنه لم يكن مجموعا. ويدافع بوين على أن العامل الرئيس لعدم وجود القرآن قبل القرن الثامن الميلادي هو عدم توافر المعلومات الإسلامية المصدرية منذ البداية الأولى للإسلام. لكن بوين يسلم بأنه قد أعاد قرائته لكتاب ونزبوروغ أثناء تحليله للأجزاء المكتشفة من مخطوطة قرآن صنعاء لأنه اعتقد بصحة قدم المخطوطة إذ تؤشر الى

الأمريكي المولود سنة ١٩٤٥ مؤلف الكتاب القيم روايات عن الأصول الإسلامية:- بدايات الكتابة التاريخية الإسلامية Narratives of Islamic Origins: The Beginnings of Islamic Historical Writing (Darwin Press; 1998)). ففي هذا الكتاب وقف في عدّة مواضع منه على آراء ونزبوروغ، وفي هذا الجانب بالذات تساءل بالنسبة الى ما ذكره ونزبوروغ هنا قائلا، لماذا استغرقت هذه التطورات (أو هذه التقويمات) لهذه التنوعات والإختلافات مدة قرنين من الزمن، على الرغم من أن ونزبوروغ نفسه يرى بخصوص التطور (أو الحالة) امكانية افتراض وجودها وحدوثها و تطورها عقود ثلاثة أي خلال ثلاثين سنة فقط؟. بينما في مسألة جمع القرآن استغرقت مائتي سنة^(٥٧).

المستشرقون الداعمون لرأي

ونزبوروغ

لا مندوحة هنا أن نذكر بأن عددا

Donner, Ibid (٥٧)



فترة أقدم مما استنتجه ونزبورغ^(٥٨).

ومن جانب آخر فإن الباحث الدكتور دانيال بيس Daniel Pipes نشر في موقعه المعروف (منبر أو منتدى الشرق الأوسط Middle East Forum) بحثا تحت عنوان (دراسة الإسلام بعد سنة ١٩٦٩ جون ونزبورغ The study of islam post -1969 and post John Wansbrough) وهو يردّ على مقالة بعنوان (جيشان في دراسات الشرق الأوسط Middle East Studies in Upheaval) قائلا: إن ما يقوله ونزبورغ هنا -أي في كتابه الذي نخضعه للدراسة هنا -أن القرآن لم يكن قد جمع على شكله الحالي قبل أن يستقر النحو واللغة وبناء الجملة أو والإعراب عند العرب، وأن هذه جيعها قد تمّ تحقيقها خلال النشاط أو

(٥٨) ينظر -Ibn al -Warak ; Skept - cism and Koraanic Research. For and Against Wansbrough; Wansbrough, op. cit. (ed. By Andrew Rippin P. 122

فاعلية ما يعرف بالماسورا الإسلامية masora والتي يقصد فيها بأن القرآن لم يجمع بالصيغة الحالية الآن إلا في القرن الثالث الهجري بعد الإسلام وليس أبكر من ذلك، والدليل على ذلك أن القرآن لم يستخدم مصدرا للشريعة والفقه كذلك لم يستخدم في أقدم كتاب فقهه كالذي في حالة كتاب الفقه الأكبر الأول (ألف تقريبا في ٧٥٠م) وكما أشار شاخت بأن الفقه الإسلامي اللاحق للشافعي ذكر ما يتعلق بعقوبة الزاني والزانية الرجم غير أننا لو رجعنا الى ما جاء في القرآن سوف نجد الجدل وليس الرجم وهذا يعني أن الجدل كان لاحقا بفترة الفقه الأكبر الأول^(٥٩). ويخلص الباحث الدكتور دانيال الى القول بأن ونزبورغ يرى بأن القرآن لم يأت من الحجاز وبأنه لم يجمع بشكله النهائي قبل القرن الثالث الهجري وأن الإسلام ما هو إلا النتاج الأخير

Daniel: The study of islam (٥٩) post -1969 and post John Wansbrough



الإسلامي المبكر، وبضمنها تحليله للإستعمال المتكرر والمعاد لتوحيدية الإيقونة اليهودية والمسيحية الموجودة في القرآن وقد أدى به هذا البحث الى أن يفترض أو الى أن يثبت بأن نهوض الإسلام كان ثمرة mutation لما كان أصلا فرقة أو طائفة يهودية+ مسيحية حاولت أو جاهدت على الانتشار والتوسع في البلاد العربية، أكثر من كونه ثقافة بسيطة. وبمرور الوقت فإن الكتب المقدسة اليهودية+ المسيحية قد كيّفت الى منظور عربي وغيّرت أو حوّلت الى ما أصبح يعرف بالقرآن ذلك الذي نما وتطور عبر القرون بمساهمات من المصادر العربية المتنوعة. ويوحى بحث ونزبورغ بأن قدرا كبيرا من التاريخ التقليدي للإسلام يبدو إن هو إلّا ابتداع أو صناعة من قبل الأجيال اللاحقة وهم ينشدون أو يبحثون تزوير وتزييف وتبرير الوجود أو الهوية الدينية الفدّة والفريضة. وفي خضم هذا المغزى والفحوى فإن شخصية محمد ربما يمكننا رؤيتها على كونها اسطورة مصنوعة

للجدل في وسط يهودي+مسيحي وفي مكان بعيد عن الحجاز أي في بلاد ما بين النهرين Mesopotamia في أواخر القرن الثاني وفي القرن الثالث الهجريين من الإسلام. أمّا بالنسبة الى محمد فالمستشرق لم يقل في الواقع أنه يشك في وجوده ولكن يردف بقوله هذا بأن هناك في الحقيقة شخصية تدعى بمحمد (هذا نصّ قول دانيال نقلا عن كتاب ونزبورغ وسوف نتعرض الى مناقشته لاحقا على الرغم من سفاهته ووجهة نظره المتطرفة ضدّا بالإسلام وبالرسول ﷺ ضمن محور خاص لمناقشة جميع آراء المستشرق) (٦٠).

كذلك ضمنّ المستشرق الإسباني + البريطاني كارلوس سيجوفيا Carlos Andrés Segovia بحثه الذي قدّم به لكتاب مؤتمر عالمي إذ ذكر موقفه الداعم لأفكار ونزبورغ قائلا ما أمكننا ترجمته حرفيا: - سبّب كتاب ونزبورغ إعجابا حماسيا furor في السبعينيات في بحثه عن المخطوطات الإسلامية في العصر



واللافت للنظر إن هذا المستشرق قد ابتداءً ببحثه وكأن بحث ونزبوروغ يتعلق بالمخطوطات الإسلامية في العصر الإسلامي المبكر، وهي بداية ساذجة لأن عنوان كتاب المستشرق (هو Qur'anic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation 2004 دراسات قرآنية: المصادر ومناهج التفسير المتعلقة بكتاب مقدس)؛ فهو لا يعتني بالمصادر المخطوطة فحسب ضمن لوحة مصادره الأخرى لكنه اعتمد على سبعة عشرة مخطوطة من بين مصادره المطبوعة الكثيرة، وواقعاً فإن البرفسور أندرو ربن محقق الكتاب قد نصّ على أن الكثير من هذه المخطوطات هي محققة أصلاً ومطبوعة إذ قال باللغة الإنجليزية ما نصّه This is one of Wansbrough's main accomplishments as reflected in this book, which lists 17 manuscript

قد صنعت من أجل تزويد القبائل العربية بروايتها أو بنسختها الخاصة بها للأخبار اليهودية+ والمسيحية. إن هذا المستشرق الإسباني الحاقداً جداً والمتطرف في فهمه نصّ ونزبوروغ قد أشار إلى كتاب "دراسات قرآنية لوزبوروغ وإلى كتابه الآخر" الوسط الطائفي أو المذهبي "كمصادر في بحثه المشار إليه في أعلاه الموسوم (إشكالية أصول الإسلام في البحث الحديث والمعاصر: وداعاً للرواية التاريخية الحديثة التقليدية) من دون أن يشير إلى أرقام الصفحات التي وردت فيها تلك الإشارات للمستشرق ونزبوروغ. والواقع بعد متابعتي لكتاب ونزبوروغ لم أقرأ بل لم أجد مثل هذه الأقوال التي ابتدعتها أحقاد هذا المستشرق على الإسلام وعلى رسول الله ﷺ، و يبدو أنه لم يقرأ الكتاب فعلاً ولم يقرأ مقدمة المحقق المستشرق أندرو ربن (٦١).

Carlos Andrés Segovia, John (٦١) Wansbrough and the Problem of Islamic Origins in Recent Scholarship: A Farewell to the

أي عالم ولم يسعى أو يحاول أي منهم على أن يقوم بفهم أو ادراك متماسك لمعلوماتها. ينظر: Andero Rippin: Forward Qur'anic Studies، (P. XII - XIII). فضلا عن ذلك فإن المستشرق أندرو محقق الكتاب يعرض في مقدمته خلاصات لنظرية ونزبورغ فيما يتعلق بالقرآن الكريم، وهو هاهنا لم يقدم شيئا مما يقوله المستشرق الإسباني، فعلى صفحة برقم XII يذكر هيكلية كتاب ونزبورغ وإنه عمل بحثي اعتمد البحوث السابقة نظير استنتاجات جوزيف شاخت وإغناص جولدتسيهر، وإن محاولته في كتابه لم تضاهيها بحوث المستشرقين المذكورين توا. وعلى صفحة (رقم XIII Ibid) يذكر إن ونزبورغ قد اندفع في كتابه لأهتمامه الواضح في الأدب بصورة عامة وبخاصة الأثر الأدبي للوثائق خلال الأزمنة الوسيطة. ويذكر أندرو على صفحة XV من المقدمة عرضا لنقد ونزبورغ وتحليله للمروايات التاريخية والحديثية الإسلامية عن موضوع جمع

works. Notably، almost all of these books have now been edited and published. أي وأن واحدة من إنجازات ونزبورغ الرئيسة كالذي عكسه كتابه، إذ قدّم قائمة من سبعة عشرة مخطوطة. والجدير بالذكر أن جميع تلك الكتب تقريبا قد حققت وتمّ طبعها. فأين المخطوطات التي يدعيها المستشرق كارلوس سيجوفيا. كذلك يحق لنا أن نعرض ما قاله محقق الكتاب أندرو في هذا الشأن ليطلع عليه المستشرق كارلوس إذ يقول: كان ونزبورغ الشخص الأول الذي تعرض للبحث التحليلي كلّ أو جميع المجموعة الأدبية التي تتعلق بالقرون الأربعة الأولى للإسلام تلك التي تقف كدليل عن ظهور وانبثاق القرآن الى حالة من الموثوقية المطلقة في المجتمع الإسلامي. وعلى الرغم من أن هذه المؤلفات التفسيرية قد كانت معروفة وموجودة، وقد فهرسها بحرص واخلاص سزكين [يقصد هنا فؤاد سزكين] لكن لم يقرأها في الحقيقة



القرآن الكريم بما سَمَّها حقًا بتوترات أو اضطراب tensions الرواية المجتمعية بشأن جمع القرآن، وهو تحليل نحن نؤيده وبالأخص بالنسبة الى رواية البخاري الحديثية ومن كرَّرها واقتبسها عنه من مؤلفي السنن والصحاح والمصاحف و بخصوص معركة اليمامة وبخصوص رواية جمع الخليفة الثالث المضطربة فعلا. فليس هنالك من معلومات تسلط الضوء على الأمور التي استثمرها المستشرق كارلوس لشن حملته الهوجاء وغير العلمية على الإسلام ورسوله تلك التي أظهرت توجهاته الصليبية التي تمت بصلة وطيدة الى كتاب الكنيسة في القرون الثانية عشر والثالثة عشر للميلاد.

ولم تقتصر المواقف الداعمة لوجهة نظر ونزبوروغ على تلميذه ومحقق كتابه المستشرق أندرو ربن بل اشتمل هذا الدعم على آخرين ففي مقالة لابن الوراق على موقعه بتاريخ ديسمبر ٢٠٠٧ تحت عنوان (الشكّيّة أو مذهب الشكّيّة والبحث القرآني Skepticism and

Koraanic Research) وهو البحث الثالث بشأن التفسير القرآني؛ ففي هذا القسم الذي جعل عنوانه الفرعي (المؤيدون وغير المؤيدون لنزبوروغ For and Against Wansbrough) ورد ما يأتي:- إن جون ونزبوروغ، بالرغم من مردوده أو نتاجه الضئيل، أكثر من أي عالم آخر قد -وبحسب قول المستشرق هربرت بيرج Herbert Berg الذي سبقت الاشارة اليه -قوض أو أضعف البحث العلمي السابق بخصوص الثلاثة قرون الأولى للإسلام. وعدد كبير من العلماء قد واصلوا بحثه، علما بأنه لم يضيفوا عليه شيئا أو لم يجدثوا فيه أي تغيير، وواصلوا العمل البحثي على امتداد الخطوط التقليدية آخذين بوجهة نظر عدم مصداقية المصادر الإسلامية من دون أي اعتبار. وهناك آخرون المعروفون بالتنقيحين أو بالمنادين بروح التطور والتعديل revisionism، وجدوا في المنهج الذي اتّبعه ونزبوروغ منهجا مثمرا^(٦٢).

(٦٢) - Herbert Berg “ The implic



للإسلام. فهو لم يأخذ بنظر الاعتبار الروايات التقليدية في دراسة تاريخ الإسلام في القرن الأول للهجرة لكنه قام بتحليل فحوى عدد من النقوش العربية القديمة من صحراء النجف Negev ومن مناطق أخرى من سوريا الجغرافية ووصل الى نتيجة مفادها أن المعلومات التي تتضمنها هذه النقوش تدعم نظرية ونزبورغ في عملية جمع القرآن، سواء في تاريخ الجمع الذي يرجع نسبيا الى أواخر القرن الثاني للهجرة والقرن الثالث للهجرة. وحدّد المكان بأنه الهلال الخصيب أكثر من التحديد التقليدي السائد أي الجزيرة العربية، مكة والمدينة. فمن بين آرائه اعتمادا على هذه النقوش أن الوثنية في الحجاز خلال العصر الجاهلي هي ظاهرة قديمة وسابقة للجاهلية back projection إذ وجدت في نقوش النجف في وقت العباسيين. وأن الدراسات الأثرية قد أظهرت أنه ليس هنالك من أثر للمستقرات اليهودية في خيبر وأجزاء أخرى من الجزيرة العربية.

وتابع كلّ من المستشرق باتريشيا كرونه Patricia Crone والمستشرق مايكل كوك Michael Cook ما حقّقه ونزبورغ في حقل الدراسات القرآنية، إذ سعيها الى البرهنة وإقامة الدليل على إظهار الأصول المسيحية اليهودية Messianic للفتوحات العربية الإسلامية، كالذي أظهره في كتابها الموسوم (الهاجرية: إنشاء أو بناء العالم الإسلامي Hgarism: The Making of the Islamic World). كذلك بالنسبة الى المستشرق يهودا دي نوفو Yehuda Nevo (المتوفى سنة ١٩٩٢) والذي استند على علم النميات وعلى الشواهد الإبرغرافية [النقوش] وعلى الموجودات الأثرية في صحراء النجف في الأردن في دراساته لإعادة مباني التاريخ المبكر

tion of and the opposition to, the Methods and Theories of John Wansbrough and the study of Early Islam (Berlin -New York Mouton de Gruyter, 1997. P. 4. See Ibn al -Warak, op. cit



وكتب قائلاً:- أن القرآن يتضمن الكثير من المصطلحات الموجودة في النقوش الإسلامية من القرن الثاني للهجرة ومن الفترة اللاحقة؛ ولهذا فإنه يصل الى خاتمة لقوله بأن القرآن قد جمع بفترة متأخرة الى حدّ ما، واقصد- بحسب قول نوفو -بعد دخول هذه المصطلحات في المعجم الديني religious vocabulary. (٦٣).

محااجة نظرية المستشرق:

في البدء لابدّ ليّ من أن أبدي ملاحظة لها طابع من المعاكسة العلمية لا المحاجة العلمية فأقول إن المستشرقين يتعلّقون كثيرا بالمفاهيم والآراء التي أرساها الجيل القديم من المستشرقين، وفي المحور الذي نحن بصدده هنا أي جمع القرآن الكريم، فإن المستشرقين الألمان على وجه التحديد جوزيف شاخت والمستشرق المجري جولدتسيهر الذي كتب دراساته باللغة الألمانية كانا

Y.. D. Nevo. 'Towards a Pre (٦٣) -History of Islam, ' Jerusalem Studies in Arabic and Islam.

17 (1994)، 125 -126

لها السبق العلمي في موضوعات تتعلق بالدراسات القرآنية عامة وبالذات الدراسات المتعلقة بعملية جمع القرآن خاصة كما ألمحنا سابقا بخصوص المستشرقين إبراهيم جيجر وثيرودور نولدكة. فهؤلاء قد أرسوا قواعد التشكيك في الأحاديث والمرويات المتعلقة بجمع القرآن وغيره من الموضوعات في التاريخ الإسلامي المبكر، وهم في هذا الأمر محقون إذ أن الداء الذي نشرته رواية البخاري ومؤلفات الصحاح ومؤلفات المصاحف تلك التي نقلت عن البخاري الرواية الضعيفة والمتهافئة والمتضاربة رواية معركة اليمامة ورواية الصحابي حذيفة بن اليمان يعدّ داء قد انتقلت آثاره الى المستشرقين ففهموا القرآن الكريم وعملية جمعه واختلاف القراءات وكذلك في جمع الأحاديث إذ أدّى هذا الى أن ينتقل هذا المرض الى جميع عملية التدوين التاريخي في هذا الشأن وفي شؤون أخرى لا مجال لذكرها في هذا الباب، فنرى هذا المرض مستفحلا جدا في دراسات المستشرقين



القدامى الذين نعتقد بكونهم من الوسطين أو من المعتدلين من جيل القرن الثامن عشر والتاسع عشر. غير أن أمر انتشار هذا الوباء صار مستفحلا أكثر عند الجيل اللاحق أو حتى عند نفس الجيل ونستشهد مثلا بدراسات بول كازنوفيا Paul Casanova العالم الفرنسي المتوفى عام ١٩٢٦ مؤلف كتاب عن محمد والدراسات النقدية العالمية عن تاريخ الإسلام المبكر المطبوع في باريس عام ١٩١١ والفوسو منجانا Alphonse Mingana المتوفى عام ١٩٣٧ وقد أَلّف هذا بحثا عن جمع القرآن وتمّ نشره في عام ١٩١٥-١٩١٦ والمستشرق الفيلولوجي جنثر لولنغ الألماني Gunther Luling مؤلف نظرية أور - قرآن UrQur'an وتقسيم القرآن الى طبقات نصيّة أربعة strata متأثرا بالفكر المسيحي في بحثه باللغة الألمانية المطبوع في ليدن عام ١٩٧٤؛ وهو يرى إن القرآن نتاج عدّة تفيحات نصيّة revisions. والمستشرق الألماني الفيلولوجي الآخر كرستوف لكسمبرغ

Christoph Luxenberg في بحثه عن التأثير السرياني - الآرامي على القرآن؛ وهنا ربما أضمن هذه اللوحة من المستشرقين بذكر مستشرقين آخرين اهتما بمسألة جمع القرآن الكريم وهما المستشرق الإيطالي كياتاني والمستشرق المبشر هنري لامانس. أقول أن تأثير مستشريقي الجيل الأول قد أرسى قواعد التشكيك بالأحاديث والمروايات الإسلامية، وجاء على أعقابهم الجيل الثاني من المستشرقين الجدد والمعاصرين فسعوا الى تركيز مساعيهم في الشكّ ومذهب الشكّية وتحليل الرواية بشأن التاريخ الإسلامي وبشأن جمع القرآن فوصلوا الى نتائج عدّت من قبل ناقدتهم بكونها نتائج متطرفة جدا، وشخصت في قبالة الرأي الإسلامي بكونها وجهة النظر المتطرفة الغير إسلامية. وحدّد بعض الباحثين تاريخ سيادة الرأي الاستشراقي المتطرف بخصوص القرآن الكريم وأصول جمعه بالأربعين سنة الماضية، ويقف المستشرق ونزبروغ على رأس قائمة المتشددين أو المتطرفين



في نظرتهم الى عملية جمع القرآن والى هيكلية ومتن ومحتوى السور والآيات القرآنية عامة.

أعود ثانية الى فكرة المعاكسة العلمية فأقول أن موقف المستشرقين هو بعينه الموقف الذي وقف فيه الكفار من قريش في مكة والمنافقين واليهود في المدينة، فالكفار وبحسب ما جاء ذكرهم في القرآن الكريم ومباشرة بعد تلقي النبي الوحي عقدوا اجتماعا للتعرف على ما أنزله الملك -الوحي على النبي وكان الاجتماع بزعامه الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أحد قادة قريش في العصر الجاهلي؛ فاعتمادا على الرواية الزبيرية التي أرجع محمد بن إسحق سندها الى وهب بن كيسان مولى عبد الله بن الزبير الى أنه عندما انتشر حديث الوحي الذي نزل على رسول الله اجتمع الوليد بن المغيرة القرشي هذا برجال من قريش في وليمة وسأل المغيرة الرجال عن محمد فقال بعضهم إنه ساحر وقال البعض الآخر إنه ليس بساحر مجنون

إنما هو شاعر وقال آخر إنه مجنون، هنا انبرى الوليد فقال إنه ساحر وأن الذي يقوله ما هو إلا سحر يؤثر (ينظر الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك جزء ٢ ص ٤٧). وهكذا بدأ موقف قريش والكفار في مكة المكرمة من القرآن والنبي ﷺ لا يتعدى مثل هذه الوصفات أمّا شاعر وأمّا كاهن و أمّا مجنون أو أن ما نزل عليه إن هو إلا أضغاث أحلام (ينظر سورة الأنبياء آية رقم ٥ ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَٰثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾، وبمرور الزمن تعلق المشركون الكفار والمنافقون واليهود بوصفة جامعة أخرى ألا وهي أن ما ينزل على الرسول إن هو إلا أساطير الأولين، بمعنى أساطير وقصص خيالية موروثة من الأمم الخالية والماضية، وهم بالتأكيد يقصدون أساطير أعجمية أي لاتينية أو سريانية أو حتى يهودية، عندها بدأت عملية من المواجهة بين الله سبحانه وتعالى ورسوله العظيم من جانب وأولئك



خديجة الكبرى عندما أعلمها رسول الله ﷺ بالوحي قالت «ابشر فو الله لقد كنت أعلم أن الله لن يعمل بك إلا خيرا وأشهد أنك نبي هذه الأمة الذي تنتظره اليهود، قد أخبرني به ناصح غلامي وبحيرة الراهب، وأمرني أن أتزوجك... ثم خرجت الى الراهب وكان قريبا من مكة [قيل في رواية إنه الراهب سرجيوس].... الخ الرواية» (رقم ابن عساكر؛ تاريخ دمشق جزء ٦٣ ص ١٧-١٨). هاهنا يقدم القرآن الكريم طبيعة الوصف الفيلولوجي واللغوي للتأثيرات التي أثرت على نزول أو كتابة أو قراءة أو سماع آياته أو أي من تلكم الحالات. ولتأكيد وثاقة هذه المروايات الأجنبية وتأثيرها على الإسلام كما استنتجها المستشرقون فإن هنالك آيات قرآنية كريمة تبين الأثر الفيلولوجي الأجنبي على القرآن الكريم. فجاء في سورة النحل ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ آية ١٠٣.

الثالث من الكفّار والمنافقين واليهود حول مسألة اختزلت جميع الوصفات السابقة بوصفة واحدة وهي أن القرآن ليس من الله تعالى وإنما من الرسول فقد كتبه بنفسه وبايعاز من شخصية أجنبية دخل ضمن قائمتها ورقة بن نوفل النصراني وبحسب رواية البخاري في صحيحه:- كان ورقة امراة قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب بحسب ما جاء في نصّ رواية البخاري؛ صحيح البخاري جزء ١ ص ٣-٤) وعرف أيضا بأنه كان يقرأ التوراة والإنجيل وبحيرا الذي كان يقرأ السريانية وربما العبرية وشخص آخر هو عدّاس الذي كان يعرف السريانية أو اللاتينية أو العبرية، وكان عدّاس نصرانيا من أهل نينوى (ابن هشام؛ السيرة النبوية جزء ١ ص ٤٠٥-٤٠٦ ان كثير؛ البداية والنهاية جزء ٣ ص ١٩-٢٠). ففي رواية يرجع سندها الى الحافظ سليمان بن طرخان التيمي أوردتها ابن عساكر أن السيدة



وقوله تعالى في سورة فصلت ﴿ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤٣) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَأَذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿ آيات ٤٣،

٤٤. وجاء في سورة الشعراء عدّة آيات بيّنت في هذا الخصوص قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ ١١٣ ﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ ١١٤ ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿ ١١٥ ﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿ ١١٦ ﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمَ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ ١١٧ ﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿ ١١٨ ﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿

آيات ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩. فالملاحظ

في هذه الآيات البيّنات أن الذين وصفوا بكونهم يعلمون النبي القرآن كانوا أعاجم - أعجمي - وهذا التعبير لا يقصد به إطلاقاً الأعاجم من إيران الذين يعرفون البهلوية والفارسية، إنّما

المقصود في التعبير أمّا السريان من بلاد الشام أو اليهود من مدينة رسول الله (يثرّب) أو من بلاد الروم كحالة عدّاس أو آراميين كحالة الراهب الذي قابل السيدة خديجة عليها السلام. ومهما يكن من أمر فإن ما ذكره المستشرقون في القرون التاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين قد تناوله بله شخصه القرآن ذاته. وللمعاكسة العلمية فإن ما ورد في القرآن الكريم والمرويات التاريخية هي بالأحرى تدخل في الاستشراق من قبل أن يخلق المستشرقون. ومن جانب آخر فإن ما استنتجه جولدتسيهر وشاخت وشاولي وكيثاني ولامانس عن عدم الثقة بالأحاديث والمرويات التاريخية فهي الأخرى قد وضّحها الله تعالى ورسوله في مسألة الكذب على الله ورسوله والكذّابين التي تكرر ذكرها كثيرا جدا في القرآن الكريم؛ وقد تحدى الله - سبحانه - هؤلاء أن يأتوا بسورة واحدة أو بعشر سور مثل سور وآيات القرآن الكريم ففي سورة هود آية رقم ١. وفي آية أخرى من



نفس السورة المباركة قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٣﴾ فَاَلَا يَسْتَجِيبُوْا لَكُمْ فَاَعْلَمُوْا اَنَّمَا اَنْزَلَ بِعِلْمِ اللّٰهِ وَاَنْ لَّا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴾ [سورة هود:

١٣ - ١٤]. ونقرأ في سورة الشعراء آيات بينات منها قوله تعالى ﴿ وَاِنَّهٗ لَنَزِيْلٌ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهٖ الرُّوْحُ الْاَمِيْنُ ﴿١١٣﴾ عَلٰى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنذِرِيْنَ ﴿١١٤﴾ يَلْسٰنٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ ﴿١١٥﴾ وَاِنَّهٗ لَفِيْ زُبْرِ الْاَوَّلِيْنَ ﴿١١٦﴾ اَوْلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ ءَايَةٌ اَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمٰٓؤُا بَنِيْ اِسْرٰٓءِيْلَ ﴿١١٧﴾ وَاَوْ نَزَّلْنٰهٗ عَلٰى بَعْضِ الْاَعْجَمِيْنَ ﴿١١٨﴾ فَقَرٰٓءَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوْا بِهٖ مُّؤْمِنِيْنَ ﴾ آيات ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩. كذلك نقرأ

في سورة يونس بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهٖ وَاَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴾ [سورة يونس: ٣٨]. وجاء في سورة العنكبوت بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اَتْلُ مَا اُوْحِيَ اِلَيْكَ مِنَ الْكِتٰبِ وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ اِتِّمَامًا الصَّلٰوةَ

تَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَاۗءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللّٰهِ اَكْبَرُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُوْنَ ﴾ آية ٤٥، وقوله تعالى في الآية نفسها ﴿ وَكَذٰلِكَ اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتٰبَ الْكَتٰبَ ؕ فَالَّذِيْنَ ءَايٰنٰهُمْ اَلْكِتٰبَ يُؤْمِنُوْنَ بِهٖ وَمِنْ هٰتُوْلَآءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهٖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيٰتِنَا اِلَّا الْكٰفِرُوْنَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوْا مِنْ قَبْلِهٖ مِنْ كِتٰبٍ وَّلَا تَخْطُوْهُ بِيَمِيْنِكَ ؕ اِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُوْنَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايٰتٌ يِّننٰتٌ فِيْ صُدُوْرِ الذّٰلِيْنَ اُوْتُوْا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيٰتِنَا اِلَّا الظّٰلِمُوْنَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوْا لَوْلَا اَنْزَلَ عَلَيْنَا ءَايٰتٌ مِّنْ رَبِّهٖ قُلْ اِنَّمَا الْاٰيٰتُ عِنْدَ اللّٰهِ وَاِنَّمَا اَنَا نٰذِيْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿٥٠﴾ اَوْلَمْ يَكْفِيْهِمْ اَنَّا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ يُتْلٰى عَلَيْهِمْ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَرَحْمَةً وَّذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ ﴾ آيات ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠،

٥١. وقال الله تعالى في سورة الحاقة في القسم بالقرآن الكريم ﴿ فَلَا اَقِيْمُ بِمَا تُبْصِرُوْنَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُوْنَ ﴿٣٩﴾ اِنَّهٗ لَقَوْلُ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيْلًا مَّا تُؤْمِنُوْنَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كٰهِنٍ قَلِيْلًا مَّا نَذْكُرُوْنَ ﴿٤٢﴾ نَزَّلْنَا مِنْ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٤٣﴾ وَاَوْ نَقُوْلُ عَلَيْنَا بَعْضَ الْاَقَاوِيْلِ ﴾ آيات ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣،



٤٤. فهذه الآيات الكريمة تفنّد أقاويل المستشرقين الذين ظلّوا مستمرين على الإبقاء على الموروث الإستشراقي الذي ابتدأه مستشرقوا الجيل الأول. ولننظر القاريء اللبيب الى هذه الآية في سورة الأنعام إذ قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُظَنُّونَ ﴾ آيات ٧، ٨. ثمّ قال الله تعالى في نفس السورة ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ آيات ٢٠، ٢١. وفي سورة التوبة جاء ﴿ وَمِمَّنْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّيِّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ آية رقم ٦١.

وجاء في سورة هود ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتَنَّاوُاْ عَشْرَ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِيْنَ وَادْعُوْا مَن اسْتَظَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ

صٰدِقِيْنَ ﴾ آية ١٣. وفي سورة إبراهيم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴾ آية ٤. وجاء في الذكر الحكيم في سورة التوبة ﴿ اَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُوْرَةٌ نُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوْبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرْتُمْ وَاٰتِ اللّٰهِ مُحْجِرٌ مَّا تَحْذَرُوْنَ ﴾ آية ٦٤. وفي آيتين لاحقتين من سورة الزمر يقول الله ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿١٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ آية ٢٧، ٢٨. وجاء في هذه السورة قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ آية ١٣٦.

وفي آية لاحقة يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ءَإِنَّكُمْ إِذًا مِّنْهُمْ ءَإِن لَّمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ جَامِعِ الْمُنٰفِقِيْنَ ءَالْكَافِرِيْنَ



حتى أن الطبري أراد في مقدمة تاريخه أن يبرأ نفسه من الكذب في الرواية التاريخية من جهة ومن أن مروايات كثيرة أخرى قد احتواها كتابه عرضة للشكّ كونها غير موثوقة ولا يمكن تصديقها فذكر أنه لم يكن سوى جامع للروايات لا مؤلف لها ولهذا فالعهدة إنّما تقع على راويتها. وخلاصة هذه المعاكسة العلمية أن مذهب الشكّية في قبول الروايات والأحاديث أمر واقعي وموجود في المؤلفات الحديثية والتاريخية، فلماذا إذن ألف علماء الجرح والتعديل مؤلفاتهم عن تجريح الرواة والروايات وتصنيفهم تصنيفا يعكس للباحث والقارئ والعالم أن هذه الشخصية من الرواة جديرة بالثقة أم أنها شخصية كاذبة بل مثلا في حالة سيف بن عمير الأسيدي أنها شخصية متزندقة وكاذبة ولا يعتدّ بأحاديثه، بينما في طبقة أخرى من الرواة يقول علماء الجرح والتعديل أنه ثقة أو ثقة ثقة أو ثقة ثقة ثقة (ثلاث مرّات ثقة). فمما هو معروف أن هناك مجموعة

في جهنم جميعا ﴿ آية ١٤٠. وفي سورة الفرقان قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوا أَسْطِطِرُّ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ آية ٥. وجاء في هذه السورة المباركة أيضا ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَنْخَازُوكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿ آية رقم ٤١. وجاء في سورة إبراهيم عليه السلام ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيَلْسَانَ قَوْمِهِ لِئُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ آية ٤. وهكذا الحالة في باقي الآيات والأحاديث إذ أن الكذب على الله وكتابه القرآن وعلى رسول الله كان موجودا في المجتمعين المكّي والمدني ومسألة إيذاء الرسول والتأمر على قتله كذلك وفرفته الآيات الكريمة والأحاديث حتى أنه ﷺ قال (من كذب علي متعمدا فليتبؤا مقعده من النار) رواه البخاري في صحيحه. فلا جدال من أن الكثير من الأحاديث التي جاءت في مؤلفات الصحاح كانت محرّفة ومزيفة وغير متواترة، وكذا الحال بالنسبة الى المروايات التاريخية



غير قليلة من الرواة إن كانوا من جيل عصر الرسالة أو من التابعين وتابعي التابعين قد أفرطوا في رواياتهم للأحاديث الضعيفة وغير الموثوقة والكاذبة عن سيرة رسول الله ﷺ حتى إن علماء الجرح والتعديل قد ركزوا على ذلك بقولهم إن فلان مكث في روايته للأحاديث. فالإكثار من رواية الحديث لعلنا نخرجها تخريجاً علمياً يكون هذا الراوية أو ذاك كان من كبار التابعين وهو أمر قد يستلزم إكثاره من رواية الأحاديث، غير أنه من الجانب الآخر يعد الإكثار عند العلماء صفة سلبية فالإكثار من شيء حالة منها مبالغة وعلو ولعله يثير شكوكاً بما له علاقة بحالة وضع الحديث الفلاني أو إن الحديث الفلاني لم ترو حلقة المباشرة نقلاً سليماً أو يحتمل أن يكون رواية هذا الحديث منقطع أو إن بينه وبين رواية أو حلقة أخرى في الرواية قفزة أو غير ذلك من الأسباب التي تدعو إلى الوقوف ملياً في مسألة تفحص صحة هذا الحديث أو ذاك. وواقعياً فإن

اللوم في حالة إكثار عروة من الحديث الشريف قد لا ينسب إليه مباشرة إنما إلى ابنه هشام الذي وصف بكونه مكثراً ومتساهلاً في رواية حديث والده بعد انتقاله إلى العراق على وجه الخصوص يذكر ابن حجر العسقلاني عن المدلسين بان هشام بن عروة تابعي صغير مسهو فان الحكاية المشهورة عنه انه قدم العراق ثلاث مرات ففي الاولى حدث عن ابيه فصرح بسماعه وفي الثانية حدث بالكثير فلم يصرح بالقصة وهي تقتضي انه حدث عنه بما لم يسمعه فيه وهذا هو التدليس. هذا الموقف السلبي من الاكثار موجود حتى في زماننا اذا اعتدنا ان نصف الباحث الفلاني بانه مقل والاخر انه مكثر، وكلاهما صفتان ينتقد عليهما، وقد اورد الذهبي في التذكرة ان الخليفة عم بن الخطاب رضي الله عنه امر بحبس ثلاثة من الصحابة المعروفين هم:- عبد الله بن مسعود وابو الدرداء وابو مسعود الانصاري قائلاً لهم انكم ((اكثرتم الحديث عن رسول الله ﷺ)). ولتوضيح موقف الخليفة اكثر من حالة



على رسول الله ﷺ» (٦٤). وتحدث ابن كثير عن موقف الخليفة عمر رضي الله عنه وتنبهه الى مسألة خطورة ابي هريرة في الاكثار من الحديث اذ استدعاه وزجره ونهاه عن الحديث مهدداً اياه بالنفي الى ارض دوس وللخليفة تبريره في الوقوف ضد الاكثار من الحديث، اذ يذكر ابن كثير رواية عن ابي زرعة ان ((هذا محمول من عمر على انه خشي من الاحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها... وان الرجل اذا اكثر من الحديث ربما وقع في احاديثه بعض الغلط او الخطأ فيحملها الناس عنه او نحو ذلك)) فقد قال الخليفة لا بي هريرة ((لتترك الحديث عن رسول الله ﷺ ولا تحضك بارض دوس)، (وقيل بارض القردة) (٦٥). مع ان الخليفة تراجع عن قراره هذا كذلك

(٦٤) تذكرة الحفاظ (تحقيق زكريا عميران/ بيروت ١٩٩٨ ج ١ ص ٧ الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة طبعة ثانية تحقيق مؤسسة آل البيت، رقم ٤١٤، ج ١ ص ١١. (٦٥) م.ن.

الاكثار في رواية الحديث نضرب مثلاً عن ابي هريرة الدوسي الذي نال شرف صحبة الرسول ﷺ فامتدت صحبته سنة واحدة وتسعة شهور وفي رواية اخرى انه صحب الرسول مدة ثلاث سنين وفي مقابل هذه المدة القصيرة لصحبته عدّ من اكثر الصحابة حديثاً عن الرسول فذكر ابن حزم عن مسند بقي من مجلد احتواه على (٥٣٧٤) حديثاً من احاديث ابي هريرة وقد اخذ البخاري منها (٤٤٦) حديثاً فقط واهمل الباقي. ولا غرابة في هذه الحالة ان يتحدث ابو هريرة نفسه قائلاً بانه من اكثر الصحابة رواية للحديث كما انه ليس هناك من يضاهيه بكثرة الحديث سوى عبد الله بن عمر وعلق نفسه على ذلك بقوله ان عبد الله كان يكتب الحديث بينما هو لم يكتبه. وقد ذهب عدد من الصحابة هذا المذهب في انتقاد ابي هريرة بالنسبة الى كثرة احاديثه فكان الامام علي رضي الله عنه سيء الرأي في ابي هريرة اذ جاء في شرح نهج البلاغة قوله «لا احد اكذب من هذا الدوسي



كانت السيدة عائشة رضي الله عنها اشد الصحابة انكاراً على ابي هريرة وكانت تتساءل متعجبة عن كيفية سماع ابي هريرة وحده هذا الحديث او ذلك، وتستفسر ان كان هناك صحابي او رواية اخر قد سمع هذا الحديث معه؟.

وهناك جانب آخر مهم جدا ألا وهو اختلاف مؤلفات الصحاح والمفسرين والمؤرخين الذين اعتمدوا اعتمادا كبيرا في موضوع المبعث ونزول أول سورة على قلب رسول الله وسيادة الرواية تلك التي سادت -كونها آيات من سورة (اقرأ) على الرغم من الحديث الذي رواه جابر الأنصاري من إن آيات من سورة (يا أيها المدثر) هي الآيات الأولى ومع هذه وذاك فان سورة (ن)، والقلم) تتضمن مؤشرات حول مرتبة نزولها.

الذي نعتقده في هذا المجال وحسب تسلسل أحداث الوحي ونزول القرآن الكريم إن الرسول قد تلقى آيات (اقرأ) وبعد مغادرته الغار او المكان الذي التقى فيه بجبرائيل متوجهاً

إلى منزله شاعت أخبار الوحي في الوسط الوثني المكّي ويحتمل ان هذه الأحداث استغرقت مدة من الزمن إذ بدأ الوثنيون يتناقشون في آيات (اقرأ) وانقسموا إلى رأيين احدهما يرى إن الرسول كان ساحراً والأخر انه كان مجنوناً. ولما وصلت هذه الأخبار إلى النبي تفجر كثيراً وحزن من موقف المكّيين من الرسالة فاستسلم للنوم، حينئذ جاءه الوحي ليأمره بالإعلان عن رسالة السماء. وهنا أيضا فان الإشارة إلى سورة (ن والقلم) ملائمة جداً في الرد على مزاعم الغار.

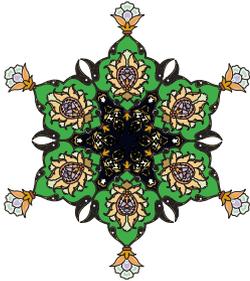
ولهذا علينا ان نلفت الأنظار الى رواية الزهري الوحيدة بشأن فتور الوحي وان نعيد النظر فيها لكونها تعكس صورة سلبية عن الرسول صلى الله عليه وسلم حول اختياره الانتحار وإلقاء نفسه من الجبال الشواهق بسبب فتور الوحي، وانه قد كرر محاولاته في الانتحار- حسب رواية الزهري -وذلك لتكرار حالات الفقور في نزول الوحي، وهذا الأمر بعيد عن الصحة ويجب الغائه لانه



يصدر الرسول بهذا الشكل المتردد وغير الموقن برسالة الله لاسيما إن هناك عدداً من الروايات لا تذكر حالات الفقور والانتحار هذه. ولعل أفضل وصف للفترة بين نزول الوحي وشيوع النبأ وحزن الرسول للإشاعة القرشية ونومه ونزول (يا أيها المدثر) وفي الوقت نفسه آيات (ن والقلم) لدعم الرسول وتثبيت موقفه وانه ليس مجنوناً رداً على مزاعم الكفار. كل ذلك يمتثل أن يكون فترة واحدة متصلة البناء وقد استغرقت مدة من الوقت وعلى هذا الأساس تفاوتت آراء العلماء في مدة فتور الوحي منهم من قال بأنها ليلة واحدة وآخرون ليلتان وغيرهم ثلاث ليالٍ. وهناك من جعل الفتور لستين لا ليلتين وغيرهم قال أنها سنتان ونصف وهكذا وفي غضون هذه المدة التي انتشرت فيها أخبار الوحي والرسالة السماوية وتعليم الملك النبي ﷺ الصلاة، واعتناق المسلمين الأوائل الإسلام كل هذا من جهة يقابله ردود فعل المكين الوثنيين التي تركزت على محاولة إيجاد تفسير وتفهم لحالات

الوحي وتلقي الرسول الآيات القليلة إلى حد ما تلك التي تندد بالرجس من الأوثان وتأمّر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقبل كل شيء الآيات التي تصف أخلاق الرسول الكريم وسلوكه وانه نبي لا ساحر ولا مجنون ولا كاهن ولا شاعر وتوجيه الأذهان نحو بعض التعاليم الإسلامية المباشرة من الجهة الأخرى كانت آيات من (أقرأ) و (يا أيها المدثر) و (ن والقلم) و(الانعام كما روى حديثها الامام علي عليه السلام لانها آيات تتطرق الى التعاليم ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ﴾ متداولة وقد نزلت على رسول الله.

للبحث صلة ان شاء الله - تعالی -
في العدد القابل.



دَلَالَةُ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ الْبِقَاعِيِّ (ت ٨٨٥هـ) (الجزء الثاني)

ر. وائل عبد الأمير المحرّبي
كلية الآداب - جامعة بابل

فحوى البحث

يتناول البحث، دلالات التذكير والتأنيث في القرآن الكريم عند أحد أعلام التفسير في القرن التاسع الهجري، وهو البقاعي. وقد اتخذ البحث منهجاً يقوم على خمسة محاور. قام المحوران الأول والثاني بوظيفة التمهيد، إذ عرّف الباحث في المحور الأول بالبقاعي وكتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور). و تحدث في المحور الثاني عن التذكير والتأنيث وضوابط كل منهما في العربية. ثم انصبّ الكلام في المحورين الثالث والرابع على موضوع هذا البحث وقد درس الباحث في هذين المحورين أكثر من خمسين آية كريمة، وجّه البقاعي التذكير أو التأنيث فيها توجيهاً دلاليّاً جديداً.. ومن أجل الوقوف على جدّة هذه الدلالات، رجع الباحث الى أهم كتب معاني القرآن وتفسيره لتمييز موضع قراءة البقاعي الدلالية من قراءات اللغويين والمفسرين السابقين. ويأتي المحور الأخير متمثلاً بالخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصل اليها. ونظراً لطول البحث آثرت المجلة تجزئته على قسمين. ننشر في هذا العدد جزءه الأول.

خَطَايَاهُمْ جَمِيعَ جِهَاتِ الْخَطَايَا الثَّلَاثِ، فَكَأَنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ: صَنَفٌ بَدَّلُوا، وَصَنَفٌ اقْتَصَدُوا، وَصَنَفٌ أَحْسَنُوا^(٢).

٢. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى

شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ

عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ

قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ

يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ ﴿[سورة البقرة: ١١٣].

يُجُوزُ تَذَكِيرُ الْفِعْلِ وَتَأْنِيثُهُ مَعَ

(الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى) فَيُقَالُ: قَالَ الْيَهُودُ

وَالنَّصَارَى وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى،

لِأَنَّهَا اسْمُ جِنْسٍ جَمْعِيٌّ، حَمَلًا عَلَى مَعْنَى

الْجَمْعِ أَوْ الْجَمَاعَةِ^(٣). فِي حِينِ أَنَّ الْبِقَاعِيَّ

جَعَلَ اخْتِيَارَ التَّانِيثِ هُنَا غَايَتَهُ إِضْفَاءً

الضَّعْفِ عَلَى قَوْلِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛

قَالَ: ((قَالَ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ

أَنْتَ فَعَلَهُمْ لِضَعْفِ قَوْلِهِمْ))^(٤).

٣. ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ

مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ

دَلَالَةُ التَّانِيثِ: وَفِيمَا يَأْتِي نَقْفٌ عَلَى

أَهَمِّ الْآيَاتِ الَّتِي وَجَّهَ الْبِقَاعِيُّ التَّانِيثَ

فِيهَا تَوْجِيهًا دَلَالِيًا جَدِيدًا:

١. ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا

مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ

سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ

وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿[سورة

البقرة: ٥٨].

قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ (تُغْفَرُ لَكُمْ) بِالتَّاءِ

بَدَلَ التَّوْنِ^(١)، وَيَرَى الْبِقَاعِيُّ أَنَّ التَّانِيثَ

فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ يُدُلُّ عَلَى نَزُولِ الْقَدْرِ،

الْمُتَرْتَّبِ عَلَى الْخَطَايَا؛ قَالَ: ((وَفِي قِرَاءَةِ:

تُغْفِرُ، إِبْلَاحٌ أَمْرٌ خَاطِبُهُمْ بِمَا يُفْهِمُهُ

التَّانِيثُ مِنْ نَزُولِ الْقَدْرِ وَفِي قِرَاءَةِ الْيَاءِ

[أَي: يُغْفِرُ] تَوَسُّطٌ بَيْنَ طَرَفِي مَا يُفْهِمُهُ

عُلُوُّ قِرَاءَةِ التَّوْنِ وَنَزُولُ قِرَاءَةِ التَّاءِ،

فَفِي ذَلِكَ بِجُمْلَتِهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ خَطَايَاهُمْ

كَانَتْ فِي كُلِّ رُتْبَةٍ مِمَّا يَرْجِعُ إِلَى عِبَادَةِ

رَبِّهِمْ وَأَحْوَالِ أَنْفُسِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ مَعَ

غَيْرِهِمْ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ حَتَّى جَمَعَتْ

(١) ينظر: السبعة في القراءات: ١٥٧، ومعاني

القراءات: ١ / ٤٢٦، وحجة القراءات:

٩٧، والكشف والبيان: ١ / ٢٠٢، وتفسير

البغوي: ١ / ١٢١، وزاد المسير: ١ / ٦٩.

(٢) نظم الدرر: ١ / ٣٩٦.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤ / ١٤٤،

والجامع لأحكام القرآن: ٩ / ١٧٦.

(٤) نظم الدرر: ٢ / ١١٥.



وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ
مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾
[سورة البقرة: ٢٥٣].

يَجُوزُ فِي (الرُّسُلِ) التَّذْكِيرُ حَمَلًا عَلَى
الْجَمْعِ وَالتَّأْنِيثُ حَمَلًا عَلَى الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّهُ
جَمْعٌ تَكْسِيرٌ، وَوَجَدَ الْبِقَاعِيُّ أَنَّ التَّعْبِيرَ
بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الدَّالِّ عَلَى الْمُؤنَّثِ فِيهِ
إِشَارَةٌ وَتَوَطُّئَةٌ لِمَا يَأْتِي مِنْ اٰخْتِلَافِ
الْأُمَّمِ فِيهَا بَعْدَ، وَمِنْ ثَمَّ نَقَلَ أَنَّ اسْمَ
الْإِشَارَةِ الْمُؤنَّثِ يَدُلُّ عَلَى رُتْبَةٍ أَدْنَى
مِنْ رُتْبَةِ الذُّكُورِ، فَفِيهِ إِشْعَارٌ بِرُتْبَةِ
الْاٰخْتِلَافِ وَالْاٰنْقِطَاعِ الْمَلَاذِمِينَ لِحَمَاعَةِ
الْإِنَاثِ، فِي حِينِ أَنَّ جَمَاعَةَ الذُّكُورِ الْمَعْبَرِ
عَنْهُمْ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ (أُولَئِكَ) يَتَّصِفُونَ
بِالثَّبَاتِ وَالِدَّوَامِ؛ قَالَ: ((التَّعْبِيرُ
بِذَلِكَ) الَّتِي هِيَ آدَاءُ التَّأْنِيثِ دُونَ
(أُولَئِكَ) الَّتِي هِيَ إِشَارَةُ الْمَذْكَرِ تَوَطُّئَةٌ
وَإِشَارَةٌ لِمَا يُذْكَرُ بَعْدَ مِنْ اٰخْتِلَافِ الْأُمَّمِ
بَعْدَ أَنْبِيَائِهَا،... يَقُولُ فِيهِ النُّحَاةُ إِشَارَةٌ

لِحَمَاعَةِ الْمُؤنَّثِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْعَرَبِيَّةِ لِحَمَاعَةِ
ثَانِيَةٍ فِي الرُّتْبَةِ، لِأَنَّ التَّأْنِيثَ أَخَذَ الثَّوَانِي
عَنْ أَوْلِيَةٍ تُنَاسِبُهُ فِي الْمَعْنَى وَتُقَابِلُهُ فِي
التَّطَّرُّقِ،...، وَمِنْ لَسَنِ الْعَرَبِ وَإِشَارَةٌ
تَأْسِيسٌ كَلِمِهَا أَنَّ الْمَعْنَى مَتَى أُرِيدَ
إِرْفَاعُهُ أُطْلِقَ عَنْ عَلَامَةِ الثَّانِي فِي الرُّتْبَةِ
وَإِشَارَتِهِ، وَمَتَى أُرِيدَ إِنْزَالُهُ قَيَّدَ بِعَلَامَةِ
الثَّانِي وَإِشَارَتِهِ،...، فَفِي ضِمْنِ هَذِهِ
الْإِشَارَةِ لِأُولَى التَّنْبِيهِ إِشْعَارٌ بِمَا تَتَّصَمَّنُهُ
الْآيَةُ مِنَ الْإِخْبَارِ النَّازِلِ عَنْ رُتْبَةِ الثَّبَاتِ
وَالِدَّوَامِ إِلَى رُتْبَةِ الْاٰخْتِلَافِ وَالْاٰنْقِطَاعِ
كَمَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الذِّكْرُ وَاقِعًا فِي مَحَلِّ إِغْلَاءِ
فِي آيَةِ الْأَنْعَامِ قِيلَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى
اللَّهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدِهِ﴾ [سورة الأنعام:
٩٠] ((٥)). وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْ دَلَالَةِ تَأْنِيثِ
الْفِعْلِ مَعَ لَفْظِ (الرُّسُلِ) فِي مَوْضِعٍ
آخَرَ مِنْ كِتَابِهِ (نَظْمُ الدَّرَرِ)، وَذَلِكَ فِي
كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا
الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا
وَحَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ

(٥) نظم الدرر: ٤ / ١ - ٢.



والتَّائِثِ، فيقال: قُطِعَ بَعْضُ أَصَابِعِهِ،
وَسَمَسُ الْعَقْلُ مَكْسُوفَةً بَطْوَعِ الْهَوَى،
إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُضَافُ لَفْظَ (كُلِّ) فَلَا يَفْصَحُ
التَّائِثُ عِنْدَيْدِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرٍ
مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [سورة آل عمران:
٣٠]، إِذْ جَاءَ الْفِعْلُ (تَجِدُ) مُؤَنَّثًا (٧).
وَلَفْظُ (كُلِّ) مُذَكَّرٌ، وَلَكِنَّهُ اِكْتَسَبَ
التَّائِثِ، فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، مِنْ إِضَافَتِهِ
إِلَى (نَفْسٍ)؛ وَمِنْ ثَمَّ يُجُوزُ مَعَهُ تَذْكِيرُ
الْفِعْلِ حَمَلًا عَلَى لَفْظِهِ وَتَأْنِيثُهُ حَمَلًا عَلَى
إِضَافَتِهِ إِلَى مُؤَنَّثٍ.

وَقَدْ وَجَّهَ الْبِقَاعِيُّ تَأْنِيثَ الْفِعْلِ
(وُفِّيَتْ) هُنَا بِأَنَّهُ مِنْ بَابِ مُرَاعَاةِ
التَّذْكِيرِ فِي لَفْظِ (كُلِّ)، وَوَجَدَ فِي هَذَا
التَّائِثِ إِشَارَةً إِلَى إِحَاطَةِ اللَّهِ تَعَالَى
بِالْأَفْعَالِ وَإِنْ كَانَتْ فِي غَايَةِ الصَّغَرِ؛
قَالَ: ((وَأَنْتَ الْفِعْلُ مَعَ جَوَازِ التَّذْكِيرِ

لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[سورة الروم: ٩]، إِذْ رَأَى فِي مَجِيءِ
الْفِعْلِ (جَاءَتْهُمْ) مُؤَنَّثًا إِشَارَةً إِلَى ضَعْفِ
عُقُولِهِمْ بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ؛ قَالَ: ((أَخْبَرَ
أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الدُّعَاةَ يَنْبَهُونَهُمْ مِنْ
رَفْدَتِهِمْ، وَيُنْقِذُونَهُمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ، فَكَانَ
التَّقْدِيرُ: فَضَّلُوا عَنِ الْمُنْهَجِ الْوَاضِحِ،
وَعَمُوا عَنِ السَّبِيلِ الرَّحْبِ، وَزَاغُوا عَنِ
طَرِيقِ الرَّبِّ، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ،
فَعَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ مُشِيرًا بِتَأْنِيثِ الْفِعْلِ
إِلَى ضَعْفِ عُقُولِهِمْ بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ
كَمَا تَقَدَّمَ إِضَاحَهُ عِنْدَ ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾
[سورة البقرة: ٢٥٣] ((٦)). يَرَى

الْبِقَاعِيُّ فِي تَأْنِيثِ (الرُّسُلِ)، فِي هَذَيْنِ
الْمَوْضِعَيْنِ، دَلَالَةً عَلَى ضَعْفِ عُقُولِ مَنْ
أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ.

٤. ﴿كَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ
وُوفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران:

[٢٥].

يَرَى النُّحَاةُ أَنَّ الْأَوَّلَى، فِي تَرْكِيبِ
الإِضَافَةِ، مُرَاعَاةَ الْمُضَافِ عِنْدَ التَّذْكِيرِ

(٧) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: ٢ /
٧٩٦-٧٩٧، وشرح الأشموني: ٢ /
١٣٦، وشرح التصريح: ١ / ٦٨٨،
وحاشية الصبان: ٢ / ٣٧٢-٣٧٣،
وجامع الدروس العربية: ٣ / ٢١١.

(٦) نظم الدرر: ١٥ / ٥٢.



مُرَاعَاةً لِلْفِظِ (كُلِّ) إِشَارَةً إِلَى الْإِحَاطَةِ
بِالْأَفْعَالِ وَلَوْ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْحَقَارَةِ،
وَرَاعَى مَعْنَى (كُلِّ) لِلْوَفَاءِ بِالْمَعْنَى مَعَ
مُوَافَقَةِ الْفَوَاصِلِ))^(٨).

٥. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُظَلِّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ

حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا

عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٤٠].

لَحَقَتْ تَاءُ التَّأْنِيثِ الْفِعْلَ (تَكَ)
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ فِي
الظَّاهِرِ عَلَى (مِثْقَالٍ). وَوَجْهُ تَأْنِيثِهِ أَنَّ
(مِثْقَالٍ) أَضِيفَ إِلَى مُؤَنَّثٍ فَانْتَسَبَ
مِنْهُ التَّأْنِيثُ^(٩)، أَوْ مُرَاعَاةً لِلْمَعْنَى لِأَنَّ
(مِثْقَالٍ) مَعْنَاهُ: زِنَةٌ^(١٠)، أَوْ مُرَاعَاةً
لِتَأْنِيثِ الْخَبْرِ^(١١).

فِي حِينِ ذَهَبَ الْبِقَاعِيُّ إِلَى أَنَّ

(٨) نظم الدرر: ٤ / ٣٠٧.

(٩) ينظر: الكشاف: ١ / ٥١١، وأنوار التنزيل:

٢ / ٧٥، ومدارك التنزيل: ١ / ٣٥٨،

والبحر المحيط: ٣ / ٦٤٣، والدر المصون:

٣ / ٦٨٢، وروح المعاني: ٣ / ٣٢،

ومحاسن التأويل: ٣ / ١١٢.

(١٠) ينظر: البحر المحيط: ٣ / ٦٤٣، والدر

المصون: ٣ / ٦٨٢، والجواهر الحسان: ٢ /

٢٣٧، وروح المعاني: ٣ / ٣٢.

(١١) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢ / ١٧٧،

ومحاسن التأويل: ٣ / ١١٢.

تَأْنِيثُهُ جَاءَ لِإِضَافَتِهِ إِلَى مُؤَنَّثٍ (ذَرَّةٌ)،
وَلِغَرَضِ تَحْقِيرِ مِقْدَارِ الْمِثْقَالِ وَتَصْغِيرِهِ،
لِيُفْهَمَ أَنَّ مَا فَوْقَهُ أَوْلَى بِالتَّضْعِيفِ مِنْ
بَابِ الْأَوْلَى؛ قَالَ: ((وَأَنَّهُ لِإِضَافَتِهِ
إِلَى مُؤَنَّثٍ، وَتَحْقِيرًا لَهُ، لِيُفْهَمَ تَضْعِيفُ
مَا فَوْقَهُ مِنْ بَابِ الْأَوْلَى))^(١٢). وَقَدْ

أَكَّدَ الْبِقَاعِيُّ خُرُوجَ التَّأْنِيثِ إِلَى دَلَالَةِ
التَّحْقِيرِ وَالتَّقْلِيلِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ

مُشَابِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنْ قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْ إِنْهَا إِنْ تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةِ

مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ

أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ

خَبِيرٌ﴾؛ إِذْ قَالَ فِي تَوْجِيهِ تَأْنِيثِ

الضَّمِيرِ: (إِنَّهَا) الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُفْهَمَ

مِنْ الْآيَةِ أَنَّهُ يُرَادُ بِهِ: (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) أَوْ

(الْعَمَلُ)؛ قَالَ: ((وَعَبَّرَ بِمِثْقَالِ الْحَبَّةِ

لِأَنَّهُ أَقْلُ مَا يَخْطُرُ غَالِبًا بِالْبَالِ، ...،

((إِنَّهَا)) أَي الْعَمَلِ، وَأَنَّ لِأَنَّهُ فِي

مَقَامِ التَّقْلِيلِ وَالتَّحْقِيرِ، وَالتَّأْنِيثِ أَوْلَى

بِذَلِكَ، وَلِأَنَّهُ يُؤَوَّلُ بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ

وَالْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ))^(١٣). وَقَرِيبٌ مِنْ

(١٢) نظم الدرر: ٥ / ٢٨٢.

(١٣) نظم الدرر: ١٥ / ١٧١.



وَمِثْلُ هَذَا مَا نَجِدُهُ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنِ
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ
عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ
يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمَ مَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا
لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة:

٦٤]، إِذْ قَالَ فِي الْخَاقِ تَاءِ التَّانِيثِ
بِالْفِعْلِ (قَالَتْ): ((وَلَمَّا لَمْ تَزَلِ الدَّلَائِلُ
عَلَى إِبْطَالِ دَعْوَى أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْبُنُوَّةِ
وَالْمَحَبَّةِ تَقُومُ،... قَالَ تَعَالَى مُعْجَبًا
مِنْ عَامَّتِهِمْ بَعْدَ تَعْيِينِ خَاصَّتِهِمْ، مُعَلِّمًا
بِأَتَمِّهِمْ لَمْ يَقْعُوا بِالسُّكُوتِ عَنِ الْمُنْكَرِ
حَتَّى تَكَلَّمُوا بِأُنْكَرِهِ، مُشِيرًا إِلَى سُفُولِ
رُتْبَتِهِمْ وَدَنَاءَةِ مَنْزِلَتِهِمْ بِأَدَاةِ التَّانِيثِ:
((وَقَالَتِ الْيَهُودُ)) مُعْبَرِينَ عَنِ الْبُخْلِ
وَالْعَجْزِ جُرْأَةً وَجَهْلًا بِأَنْ قَالُوا ذَاكِرِينَ
الْيَدِ لِأَنَّهَا مَوْضِعُ الْقُدْرَةِ وَإِفَاضَةِ الْجُودِ
وَالنُّصْرَةِ)) (١٧).

٦. ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا

(١٧) نظم الدرر: ٦ / ٢١٨.

هَذَا السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ مَا نَجِدُهُ فِي
كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
أُنْتَبِأَ بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة
الأنبياء: ٤٧]، إِذْ إِنَّ الضَّمِيرَ الدَّالَّ
عَلَى الْمَوْنِثِ فِي (بِهَا) يَعُودُ عَلَى (مِثْقَالِ)
الْمَذْكَرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الْحَبَّةِ (١٤)،
أَوْ لِأَنَّ (مِثْقَالِ) اِكْتَسَبَ التَّانِيثَ مِنْ
إِضَافَتِهِ إِلَى مُؤْنِثٍ (١٥)، وَذَهَبَ الْبِقَاعِيُّ
إِلَى أَنَّ عَوْدَةَ الضَّمِيرِ مُؤْنِثًا عَلَى (مِثْقَالِ)
حَبَّةٍ سَوَّغَهُ إِضَافَةُ الْمِثْقَالِ إِلَى مُؤْنِثٍ،
وَعَرَضُهُ تَحْقِيرِ الْمِثْقَالِ وَالْعَمَلِ وَالْإِشَارَةَ
إِلَى قَلْتِهِ وَصِغَرِهِ؛ قَالَ: ((وَزَادَ فِي تَحْقِيرِهِ
بِضْمِيرِ التَّانِيثِ لِإِضَافَتِهِ إِلَى الْمَوْنِثِ
فَقَالَ: ﴿أُنْتَبِأَ بِهَا﴾ بِمَا لَنَا مِنَ الْعِظَمَةِ
فِي الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ
فَحَاسِبْنَاهُ عَلَيْهَا)) (١٦).

(١٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٢٠٥.

(١٥) ينظر: الكشاف: ٣ / ١٢٠، ومفاتيح

الغيب: ٢٢ / ١٤٩، و أنوار التنزيل: ٤ /

٥٣، ومدارك التنزيل: ٢ / ٤٠٧، وإرشاد

العقل السليم: ٦ / ٧١.

(١٦) نظم الدرر: ١٢ / ٤٢٩.



دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ أُخْتِبَتْ حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُمُوهَا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأَوْلِيَانَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاتِبْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلِيَانَاهُمْ لِأَخْرَيْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿سورة الأعراف:

[٣٨-٣٩].

ذَهَبَ الْبِقَاعِيُّ إِلَىٰ أَنْ دُخُولَ تَاءِ التَّأْنِيثِ عَلَى الْفِعْلِ (خَلَتْ) فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى ضَعْفِ عُقُوبِهِمْ؛ قَالَ: «ادْخُلُوا كَاتِبِينَ» ((في أمم)) أَي فِي جُمْلَةِ جَمَاعَاتٍ وَفَرَقَ أَمَّ بَعْضَهَا بَعْضًا؛ ثُمَّ وَصَفَهُمْ دَالًّا بِتَاءِ التَّأْنِيثِ عَلَى ضَعْفِ عُقُوبِهِمْ فَقَالَ: ((قَدْ خَلَتْ)) ((١٨)).

وَقَدْ أَعَادَ الْبِقَاعِيُّ الْكَلَامَ عَلَى التَّرْكِيبِ نَفْسِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ تَفْسِيرِهِ، وَوَجَّهَهُ التَّوْجِيهَ الدَّلَالِيَّ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ فِي حَدِيثِهِ عَنِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَزْنَاهُمْ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾

(١٨) نظم الدرر: ٣٩٧ / ٧.

[سورة فصلت: ٢٥]؛ إِذْ وَجَدَ فِي تَأْنِيثِ الْفِعْلِ (خَلَتْ) دَلَالَةً عَلَى تَحْقِيرِهِمْ؛ قَالَ: ((وَلَمَّا عَبَّرَ عَنْهُمْ بِمَا يَقْتَضِي تَعْظِيمَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَقْصُودُونَ، حَقَّرَهُمْ بِضَمِيرِ التَّأْنِيثِ فَقَالَ: ((قَدْ خَلَتْ)) أَي لَمْ تَتَّعِظْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ بِالْأُخْرَى)) ((١٩)).

٧. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَّا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿سورة الأنفال: ٦٠ - ٦١﴾.

أُعِيدَ الضَّمِيرُ عَلَى (السَّلَامِ) فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، مُؤَنَّثًا. وَوَجَّهَ تَأْنِيثَهُ أَنْ (السَّلَامِ) مِمَّا يَجُوزُ فِيهِ، عِنْدَ الْعَرَبِ، التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ (٢٠)، أَوْ أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَى

(١٩) نظم الدرر: ١٧ / ١٧٦.

(٢٠) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١ / ٤١٦، ومعاني القرآن للأخفش: ١ / ٣٥٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ١٠٣، وزاد المسير: ٢ / ٢٢٢، والنيبان في إعراب القرآن: ٢ / ٦٣٠، والجامع لأحكام القرآن: ٨ / ٣٩، والدر المصون: ٢ / ٣٥٨.



لِلْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ)) (٢٤). فَالتَّأْنِيثُ هُنَا،
عِنْدَ الْبِقَاعِيِّ، يَدُلُّ عَلَى تَقْلِيلِ الْمُدَّةِ الزَّمَنِيَّةِ.
٨. ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ
جَنِّمِينَ﴾ [سورة هود: ٩٤].

جَاءَ الْفِعْلُ (أَخَذَ) الْمُسْتَدُّ إِلَى
(الصَّيْحَةِ)، هُنَا، مُؤَنَّثًا، فِي حِينٍ مَرَّ بِنَا،
فِي دَلَالَاتِ التَّذْكِيرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخَذَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي

دِيَرِهِمْ جَنِّمِينَ﴾ [سورة هود: ٦٧]،
الَّذِي وَرَدَ فِيهِ الْفِعْلُ (أَخَذَ) الْمُسْتَدُّ إِلَى
(الصَّيْحَةِ)، أَيْضًا، مُذَكَّرًا غَيْرَ مُؤَنَّثٍ. وَقَدْ
وَجَّهَ الْبِقَاعِيُّ تَذْكِيرَ الْفِعْلِ (أَخَذَ) هُنَاكَ
بِأَنَّ غَرَضَهُ الْإِشَارَةَ إِلَى قُوَّةِ الصَّيْحَةِ، فِي
حِينٍ وَجَّهَ تَأْنِيثَهُ، هُنَا، مُسْتَدًّا إِلَى الْمَوَازَنَةِ
بَيْنَ السِّيَاقَيْنِ: السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ
الْفِعْلُ (أَخَذَ) مُذَكَّرًا، وَالسِّيَاقِ الَّذِي
وَرَدَ فِيهِ الْفِعْلُ (أَخَذَتِ) مُؤَنَّثًا، فَتَوَصَّلَ
إِلَى أَنَّ (الصَّيْحَةَ) الَّتِي وَرَدَ الْفِعْلُ مَعَهَا
مُؤَنَّثًا أَوْصَفُ مِنَ (صَيْحَةِ ثَمُودَ) الَّتِي
وَرَدَ مَعَهَا الْفِعْلُ مُذَكَّرًا، قَالَ: ((وَكَاثِبًا

(٢٤) نظم الدرر: ٨ / ٣١٦.

مُحْذُوفٍ مَفْهُومٍ مِنَ الْكَلَامِ تَقْدِيرُهُ: الْفَعْلَةُ
أَوِ الْجَنْحَةُ^(٢١)، أَوْ أَمَّا تُؤَنَّثُ حَمَلًا عَلَى
تَفْيِضِهَا: الْحَرْبُ^(٢٢)، أَوْ حَمَلًا عَلَى مَعْنَى
الْمَسْأَلَةِ وَالْهُدْنَةِ^(٢٣). وَيَرَى الْبِقَاعِيُّ أَنَّ
(السَّلْمَ) مُذَكَّرٌ يَجُوزُ تَأْنِيثُهُ، وَأَنَّ اخْتِيَارَ
التَّأْنِيثِ هُنَا جَاءَ لِلْإِشَارَةِ إِلَى تَقْلِيلِ مُدَّةِ
السَّلْمِ وَالْاِقْتِصَارِ عَلَى أَقَلِّ مُدَّةٍ مُمَكِّنَةٍ،
وَأَنْطَلَقَ فِي هَذَا الْفَهْمِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْمُؤَنَّثِ
عَلَى أَنَّهُ أَقَلُّ مِنَ الْمَذْكَرِ؛ قَالَ: ((وَلَمَّا كَانَ
السَّلْمُ مُذَكَّرًا يَجُوزُ تَأْنِيثُهُ، قَالَ: ((لَهَا))
أَي الْمَصَالِحَةِ، أَوْ يَكُونُ تَأْنِيثُهُ بِتَأْنِيثِ ضِدِّهِ
الْحَرْبِ، وَكَأَنَّهُ اخْتِيرَ التَّأْنِيثَ إِشَارَةً إِلَى
أَنَّهُ يُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى أَقَلِّ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْمُدَّةِ
بِحَسَبِ الْحَاجَةِ، هَذَا إِذَا كَانَ الصَّلَاحُ

واللباب في علوم الكتاب: ٣ / ٤٧٣.

(٢١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١ / ٤١٦،
وإعراب القرآن للنحاس: ٢ / ١٠٣، وزاد
المسير: ٢ / ٢٢٢، ومفاتيح الغيب: ١٥ /
٥٠٠، والجامع لأحكام القرآن: ٨ / ٣٩.
(٢٢) ينظر: الكشاف: ٢ / ٢٣٣، والمحور
الوجيز: ٢ / ٥٤٨، ومفاتيح الغيب: ١٥ /
٥٠٠، وأنوار التنزيل: ٣ / ٦٥، وإرشاد
العقل السليم: ٤ / ٣٣، وروح المعاني
٥ / ٢٢٢، ومحاسن التأويل: ٥ / ٣١٧،
والتحبير والتنوير: ١٠ / ٥٩.

(٢٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢ / ٥٤٨.



كَانَتْ دُونَ صِيحَةِ ثَمُودَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا
أَضْعَفَ مِنْهُمْ فَلِذَلِكَ أُبْرِزَ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ
فِي هَذِهِ دُونَ تِلْكَ)) (٢٥). وَهُوَ يَسْتَدِلُّ عَلَى
ذَلِكَ، بِمَجِيءِ الْفِعْلِ (أَخَذَتْ)، هُنَا،
مُؤَنَّثًا، لِلإِشَارَةِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى.

٩. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى [سورة طه: ١٢٤].

يَقِفُ الْبِقَاعِيُّ عَلَى جَمَالِيَّاتِ الْاِخْتِيَارِ
الْقُرْآنِيِّ، بِتَفْضِيلِ النَّصِّ الْكَرِيمِ
اسْتِعْمَالَ الْمَصْدَرِ الْمُؤَنَّثِ: (مَعِيشَةٌ)،
وَالْعُدُولَ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَصْدَرِ الْمَذْكَرِ:
(عَيْشٌ)، لِأَنَّ التَّأْنِيثَ هُنَا مُنَاسِبٌ لِمَعْنَى
الضَّعْفِ وَالضِّيْقِ الَّذِي تَتَّصِفُ بِهِ حَيَاةُ
مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ:
(حَقَّرَهَا سُبْحَانَهُ بِالتَّأْنِيثِ ثُمَّ وَصَفَهَا
بِأَفْطَحٍ وَصَفٌ وَهُوَ مَصْدَرٌ يَسْتَوِي فِيهِ
الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ وَالْجَمْعُ وَغَيْرُهُ فَقَالَ:

((ضَنْكًا)) أَي ذَاتَ ضَنْكَ أَي ضَيْقٍ،
لِكَوْنِهِ عَلَى ضَلَالٍ وَإِنْ رَأَى أَنَّ حَالَهُ عَلَى
غَيْرِ ذَلِكَ فِي السَّعَةِ وَالرَّاحَةِ، فَإِنَّ ضَلَالَهُ
لَا بَدَّ أَنْ يُرْدِيَهُ، فَهُوَ ضَنْكَ لِكَوْنِهِ سَبَبًا

لِلضِّيْقِ وَآثِلًا إِلَيْهِ)) (٢٦). فَهُوَ يَكْشِفُ،
فِي هَذَا النَّصِّ، عَن تَضَافِرِ السَّمَاتِ
اللُّغَوِيَّةِ، مُثَلَّةً هُنَا بِالتَّأْنِيثِ، فِي رَسْمِ
صُورَةٍ مُخِيفَةٍ الْمَعَالِمِ لِحَيَاةِ مَنْ يُعْرَضُ عَن
ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا يُشِيرُ إِلَى دِقَّةِ التَّعْبِيرِ
الْقُرْآنِيِّ فِي اخْتِيَارِ الْأَلْفَافِ اللَّغَوِيَّةِ
الْمُتَمَثِّلِ بِاسْتِعْمَالِ لَفْظِ: (ضَنْكًا)، وَهُوَ
مَصْدَرٌ يَسْتَوِي فِي الْوَصْفِ بِهِ الْمَذْكَرُ
وَالْمُؤَنَّثُ وَالْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانُ وَالْجَمْعُ (٢٧)،

يَدُلُّ عَلَى ضَيْقِ الْعَيْشِ وَعُسْرِهِ وَشِدَّتِهِ،
حَتَّى إِنَّ صَاحِبَهُ يَعِيشُ مُضْطَرَبَ الْبَالِ
مَهْمُومَ النَّفْسِ، خَائِفًا مِنَ الْاِنتِقَاصِ
الْمَادِّيِّ وَطَامِعًا فِي الْاِزْدِيَادِ الدُّنْيَوِيِّ (٢٨).
وَلَعَلَّ مِمَّا يُؤَيِّدُ هَذِهِ الدَّلَالََةَ وَيَصُبُّ فِي
تَرْسِيخِهَا وَتَشْخِيصِ مَلَامِحِهَا مَا ارْتَسَمَ
فِي أَذْهَانِ الْمَفْسِّرِينَ مِنْ تَأْوِيلَاتٍ وَصُورٍ
لِضَنْكَ الْعَيْشِ الَّذِي يَدُلُّ فِي الْأَصْلِ عَلَى

(٢٦) نظم الدرر: ١٢ / ٣٦٢.

(٢٧) ينظر: مجاز القرآن ٢ / ٣٢، والكشف
والبيان: ٦ / ٢٦٥، والكشاف: ٣ / ٩٥،
وزاد المسير ٣ / ١٨٠، ومفاتيح الغيب:
٢٢ / ١١٠، والجامع لأحكام القرآن: ١١ /
٢٥٨.

(٢٨) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦ / ٣٣١.

(٢٥) نظم الدرر: ٩ / ٣٦٧.



بِإِعْجَازِهِ اللَّغَوِيِّ وَبِالْبَلَاغِيِّ، أَرَادَ هَذِهِ
الْمَعَانِي مُجْتَمِعَةً، مِنْ بَابِ التَّوَسُّعِ فِي
الْمَعْنَى.

١٠. ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ

قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ [سورة

الحج: ٤٢].

لَفْظُ (الْقَوْمِ) مُذَكَّرٌ، وَكَذَا وَرَدَ فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ

فَلَنْ نَسْتُعْطِيَكُمْ بُرُكِيًّا﴾ [سورة الأنعام:

٦٦]. وَلَكِنَّهُ قَدْ يُؤْنِثُ حَمَلًا لَهُ عَلَى مَعْنَى

الْجَمَاعَةِ (٣٢)، أَوْ عَلَى أَنَّ تَأْنِيثَهُ لُغَةٌ لِبَعْضِ

الْعَرَبِ (٣٣)؛ وَقَدْ وَرَدَ مُؤَنَّثًا فِي مَوَاضِعَ

أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْهَا قَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ

قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ

وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ [سورة الحج: ٤٢ - ٤٢].

وَقَدْ وَجَّهَ الْبِقَاعِيُّ تَأْنِيثَ الْفِعْلِ مَعَ

(الْقَوْمِ) فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ لَتَنْحَقِيرِ

الْمُكذِّبِينَ؛ قَالَ: ((فَقَدْ كَذَّبَتْ)) وَأَتَى

(٣٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١ / ١٢٦،

وإعراب القرآن للنحاس: ٣ / ٣٠٦،

ومشكل إعراب القرآن: ٢ / ٦٢٤،

والنكت والعيون: ٥ / ٨٠.

(٣٣) ينظر: مجاز القرآن: ٢ / ١٧٨.

الضُّيْقِ (٢٩). وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ وَجَدْنَا مُفَسِّرًا

مِثْلَ ابْنِ عَطِيَّةٍ يُفَسِّرُهُ بِالتَّكْدِ الشَّقِّ مِنْ

الْعَيْشِ أَوْ الْمَنَازِلِ أَوْ مَوَاطِنِ الْحَرْبِ

وَنَحْوِ هَذَا (٣٠)، كَمَا نَلْمَسُ أَنَّ مِثْلَ

هَذِهِ الصُّورَةِ الْمَوْرُوقَةِ لِيُضَنِّكَ الْعَيْشِ

أَخَذَتْ أَبْعَادَهَا فِيهَا أُوْرَدَهُ الْمَاوَرِدِيُّ

(ت ٤٥٠هـ) مِنْ تَأْوِيلَاتٍ: أَوْلَاهَا:

أَنَّهُ الْكَسْبُ الْحَرَامُ، وَالثَّانِي: الْعَيْشُ

الْمَنْعَصُ، وَالثَّلَاثُ: عَذَابُ الْقَبْرِ،

وَالرَّابِعُ: الطَّعَامُ الصَّرِيحُ وَالزَّقُومُ فِي

جَهَنَّمَ، وَالْخَامِسُ: أَنَّ يَكْسِبَ الْمَرْءُ

دُونَ كِفَايَتِهِ (٣١). وَلَعَلَّ النَّصَّ الْكَرِيمَ،

(٢٩) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ١٩٤،

ومجاز القرآن ٢ / ٣٢، وغريب القرآن

لابن قتيبة: ٢٨٣، وجامع البيان: ١٨ /

٣٩١، ومعاني القرآن وإعرابه: ٣ / ٣٧٨،

والكشف والبيان: ٦ / ٢٦٥، والمفردات

في غريب القرآن: ٥١٢، و زاد المسير

٣ / ١٨٠، ومفاتيح الغيب: ٢٢ / ١١٠،

والجامع لأحكام القرآن: ١١ / ٢٥٨،

وأنوار التنزيل: ٤ / ٤١، ومدارك التنزيل:

٢ / ٣٨٨، وإرشاد العقل السليم: ٦ / ٤٨،

وروح المعاني: ٨ / ٥٨٥.

(٣٠) ينظر: المحرر الوجيز: ٤ / ٦٨.

(٣١) ينظر: النكت والعيون ٣ / ٤٣١، وغرائب

التفسير: ٢ / ٧٣١.



سُبْحَانَهُ بِتَاءِ التَّائِيثِ نَحْوِهَا لِلْمُكَذِّبِينَ فِي قُدْرَتِهِ وَإِنْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ ((٣٤)).

كَمَا جَاءَ الْفِعْلُ مُؤَنَّثًا أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو

الْأَوْنَادِ﴾ [سورة ص: ١٢]، وَقَدْ وَجَّهَ تَأْنِيثَ الْفِعْلِ (كَذَّبَتْ)، هُنَا، بِأَنَّهُ لِعَرَضِ

الدَّلَالَةِ عَلَى ضَعْفِ تَكْذِيبِهِمْ؛ قَالَ: ((وَكَاثُوا أَحْقَرَ شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ

مَعَ شِدَّتِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، بَيْنَ ذَلِكَ بِالتَّاءِ الدَّالَّةِ عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ الثَّانِيَةِ الْمُؤَخَّرَةِ، وَهِيَ

رُتْبَةُ التَّائِيثِ اللَّازِمِ مِنْهُ الضَّعْفُ فَقَالَ: «كَذَّبَتْ» ((٣٥)). وَوَصَفَ الْبِقَاعِيُّ تَأْنِيثَ

الْفِعْلِ مَعَ قَوْمِ نُوحٍ فِي سُورَةِ الْقَمَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا

عِبَادَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾ [سورة القمر: ٩]، بِأَنَّهُ تَحْقِيرٌ لَهُمْ وَتَهْوِينٌ لِأَمْرِهِمْ؛

قَالَ: ((وَأَنْتَ فِعْلُهُمْ تَحْقِيرًا لَهُمْ وَتَهْوِينًا لِأَمْرِهِمْ فِي جَنْبِ قُدْرَتِهِ)) ((٣٦)).

وَجَاءَ الْفِعْلُ (كَذَّبَتْ) مُؤَنَّثًا أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ

(٣٤) نظم الدرر: ١٣ / ٦٠.

(٣٥) نظم الدرر: ١٦ / ٣٤٠. وينظر أيضا: نظم

الدرر: ١٩ / ١٢٣.

(٣٦) نظم الدرر: ١٩ / ١٠٢.

نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ

عِقَابِ﴾ [سورة غافر: ٥]، وَتَأْنِيثُ فِعْلِهِمْ هُنَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِمْ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ؛ قَالَ:

((قَالَ مُشِيرًا بِتَأْنِيثِ الْفِعْلِ إِلَى ضَعْفِهِمْ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ، وَتَلَاشِيهِمْ عِنْدَ الْمَصَادِمَةِ،

وَإِنْ كَانُوا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ: «كَذَّبَتْ»)) ((٣٧)).

وَقَدْ جَاءَ الْفِعْلُ (كَذَّبَ) مُسْنَدًا إِلَى لَفْظِ (ثَمُودَ)، وَهُوَ مُؤَنَّثٌ أَيْضًا، فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ١١ وَقَدْ خَابَ

مَنْ دَسَّنَاهَا ١٢ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ١١ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ

اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمَلَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [سورة

الشمس: ٩-١٥]، لِبَيَانِ ضَعْفِ تَكْذِيبِهِمْ وَسُفُولِ هَمَمِهِمْ؛ قَالَ: ((أَنْتَ فِعْلُهُمْ لِيُضَعَّفَ أَثْرُ تَكْذِيبِهِمْ لِأَنَّ كُلَّ سَامِعٍ لَهُ

يَعْرِفُ ظُلْمَهُمْ فِيهِ لِيُضَوِّحَ آيَاتِهِمْ وَقَبِيحَ غَايَتِهِمْ، وَمَا لَهُمْ بِسُفُولِ الْهَمَمِ وَقَبَاحَةِ

(٣٧) نظم الدرر: ١٧ / ٨.



(الشِّيم) ((٣٨).

١١. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ

اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ

أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ

لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت:

[٤١].

يُذَكِّرُ اللُّغَوِيُّونَ أَنَّ (العَنْكَبُوتِ)

مُؤَنَّثَةٌ، قَدْ يُذَكَّرُهَا بَعْضُ الْعَرَبِ (٣٩).

وَقَدْ بَيَّنَّ الْبِقَاعِيُّ أَنَّ اخْتِيَارَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ

التَّعْبِيرَ عَنْهَا بِالتَّأْنِيثِ، فَقَالَ: (أَخَذَتْ)

وَلَمْ يَقُلْ: (أَخَذَ)، لِأَنَّ السِّيَاقَ الَّذِي

وَرَدَتْ فِيهِ سِيَاقٌ ذَمٌّ فَقَدْ ذَمَّهُمْ بِاتِّخَاذِهِمْ

أَوْلِيَاءَ لَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا قُوَّةَ وَشَبَّهَهُمْ

بِالعَنْكَبُوتِ فِي الضَّعْفِ، فَنَاسَبَ ذَلِكَ

أَنَّ يَأْتِي بِهَا مُؤَنَّثَةٌ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى ضَعْفِهَا؛

قَالَ: ((عَبَّرَ عَنْهَا بِالتَّأْنِيثِ وَإِنَّ كَانَتْ

(٣٨) نظم الدرر: ٢٢ / ٨٠.

(٣٩) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣١٧،

وإعراب القرآن للنحاس: ٣ / ١٧٥،

وتهذيب اللغة (عنكب): ٣ / ١٩٨،

والكشف والبيان: ٧ / ٢٨٠، وزاد المسير:

٣ / ٤٠٧، ولسان العرب (عنكب): ١ /

٦٣٢، وتاج العروس (عنكب): ٣ / ٤٤٦.

تُقَالُ بِالتَّذْكِيرِ تَعْظِيماً لِضَعْفِهَا، لِأَنَّ

المَقَامَ لِضَعْفِ مَا تَبَيَّنَ فَقَالَ: ﴿أَخَذَتْ

بَيْتًا﴾ أَي تَكَلَّفَتْ أَخْذَهُ فِي صَنْعَتِهَا لَهُ

لِيَقِيَهَا الرَّدَى، وَيَحْمِيهَا الْبَلَاءَ، كَمَا تَكَلَّفَ

هَؤُلَاءِ اصْطِنَاعَ أَرْبَابِهِمْ لِيَنْفَعُوهُمْ،

وَيَحْفَظُوهُمْ بِرِعْمِهِمْ وَيَرْفَعُوهُمْ، فَكَانَ

ذَلِكَ الْبَيْتُ مَعَ تَكَلُّفِهَا فِي أَمْرِهِ، وَتَعْبِهَا

الشَّدِيدِ فِي شَأْنِهِ، فِي غَايَةِ الْوَهْنِ)) ((٤٠).

وَهَذِهِ التَّفَاتَةُ دَقِيقَةٌ مِنَ الْبِقَاعِيِّ تَدُلُّ

عَلَى أَنَّ النَّصَّ الْكَرِيمَ مَا يَفْتَأُ يَكْشِفُ لِمَنْ

يَتَدَبَّرُهُ عَن أَسْرَارِ جَمَالِيَّةٍ وَنَكَتِ بِلَاغِيَّةٍ

لَطِيفَةٍ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ وَالْجِدَّةِ.

١٢. ﴿الْمَ ١﴾ عَلِمَتِ الرُّومُ ٢﴾ فِي

أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمُ

سَيِّغِلُوتُ ٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينٍ ٤﴾

لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ

يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ٤﴾ يَنْصُرِ

اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ﴾ [سورة الروم: ١-٥].

يُلْحَظُ هُنَا أَنَّ النَّصَّ الشَّرِيفَ عَبَّرَ

عَنِ (الرُّومِ) بِصُورَتَيْنِ؛ عَبَّرَ عَنْهُمُ فِي

الصُّورَةِ الْأُولَى بِالتَّأْنِيثِ فَقَالَ: (عَلِمَتِ

(٤٠) نظم الدرر: ١٤ / ٤٤١ - ٤٤٢.



الرُّومِ)، وَعَبَّرَ عَنْهُمْ فِي الصُّورَةِ الثَّانِيَةِ
بِالتَّذْكِيرِ فَقَالَ: ﴿سَكِيبُونَ﴾، مِمَّا
يَعْنِي أَنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ عَدَلَ عَنِ التَّأْنِيثِ
الَّذِي اخْتَارَهُ ابْتِدَاءً؛ إِذْ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَمِرَّ
التَّعْبِيرُ عَلَى الوَيْتِرةِ نَفْسِهَا، فيُقَالُ فِي غَيْرِ
الْقُرْآنِ الكَرِيمِ: غَلَبَتِ الرُّومُ وَهِيَ مِنْ
بَعْدِ غَلَبَتِهَا سَتَغْلِبُ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَهُ إِلَى
التَّذْكِيرِ، وَقَدْ التَفَّتِ البِقَاعِيُّ إِلَى فِتْيَةٍ
هَذَا التَّعْبِيرِ وَالْعُدُولِ عَنِ التَّأْنِيثِ إِلَى
التَّذْكِيرِ وَدَلَالَةِ كُلِّ مِنْهُمَا فِي سِيَاقِهِ؛ فَقَالَ:
(وَلَمَّا ابْتَدَأَ سُبْحَانَهُ بِمَا أَوْجَبَهُ لِلرُّومِ
مِنَ الْقَهْرِ بِتَبْدِيلِهِمْ، مُعَبِّرًا عَنْهُمْ بِأَدَاةِ
التَّأْنِيثِ مُنَاسِبَةً لِسُفُوهِمْ، أَتْبَعَهُ مَا صَنَعَهُ
مَعَهُمْ لِتَفْرِيجِ المَحْسِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ
خَتَمَ بِهِمُ الأُمَّمَ وَنَسَخَ بِمِلَّتِهِمُ المَلَلَ،
وَأَدَاهُمُ عَلَى جَمِيعِ الدُّوَلِ، فَقَالَ مُعَبِّرًا
بِمَا يَقْتَضِي الاستِعْلَاءَ مِنْ ضَمِيرِ الذُّكُورِ
العُقْلَاءِ))^(٤١). يَكْشِفُ البِقَاعِيُّ، هُنَا،
عَنْ سِرِّ بِلَاغِيٍّ وَإِعْجَازِيٍّ فِي ضَوْءِ مَا
تُبِيحُهُ اللُّغَةُ مِنْ حُرِّيَّةِ وَجَوَازَاتِ تَعْبِيرِيَّةِ،
فِي التَّأْنِيثِ وَالتَّذْكِيرِ، تَمَاهَتْ فِيهِ اللُّغَةُ
وَإِمْكَانَاتُهَا التَّعْبِيرِيَّةُ بِالدَّلَالَةِ وَغَايَاتِ

النَّصِّ وَمَقَاصِدِهِ عَلَى نَحْوِ لَا يُدَانِيهِ تَعْبِيرٌ
آخَرَ، إِذْ يَأْتِي التَّعْبِيرُ بِالمُؤَنَّثِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى
حَالَةِ هَزِيمَتِهِمْ وَأَنْكِسَارِهِمْ، فِي حِينِ
يَأْتِي التَّعْبِيرُ بِالمَذْكَرِ لِلدَّلَالَةِ عَنِ غَلَبِهِمْ
وَأَنْتِصَارِهِمْ.

١٣. ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ المَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَمَ
الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مُدْرِينَ﴾^(٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ
الْعَمِيِّ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ
بِقَائِنَا فَهَمُّ مُسْلِمُونَ^(٥٣) ﴿اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
ضَعْفِ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا
وَشِبْهًا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ العَلِيمُ
الْقَدِيرُ﴾ [سورة الروم: ٥٢-٥٤].

اسْتَعْمَلَ النَّصُّ الكَرِيمُ المَصْدَرَ
المُؤَنَّثَ (ضَلَالَةٌ) مَعَ وُجُودِ المَصْدَرِ
المَجْرَدِ مِنَ التَّاءِ (ضَلال)؛ قَالَ الرَّازِي:
(وَالعَرَبُ تُلْحِقُ هَذِهِ الهَاءَ فِي كَثِيرٍ
مِنَ المَصَادِرِ وَتَحْذِفُهَا يَقُولُونَ: ضَلالٌ
وَضَلالَةٌ، وَسَفَاهٌ وَسَفَاهَةٌ، وَلِذَاذٌ
وَلِذَاذَةٌ، وَرِضَاعٌ وَرِضَاعَةٌ))^(٤٢). أَي

(٤٢) مفاتيح الغيب: ١٣ / ١٤٦، وينظر: اللباب
في علوم الكتاب: ٨ / ٤٢٧، وبصائر ذوي
التمييز: ٣ / ٤٨١.

(٤١) نظم الدرر: ١٥ / ٥ - ٦.



قَرَأَ عَاصِمٌ وَالْأَعْمَشُ بِلِيَاءِ
بِالتَّذْكِيرِ، لَوْجُودِ فَاصِلٍ^(٤٥)، وَلِأَنَّ تَأْنِيثَ
(مَعْدِرَتِهِمْ) غَيْرُ حَقِيقِيٍّ^(٤٦)، فِي حِينِ قَرَأَ
ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو (لَا تَنْفَعُ) بِالتَّاءِ^(٤٧)،
عَلَى اللَّفْظِ^(٤٨)، أَيْ لِأَنَّ (مَعْدِرَتِهِمْ)
مُؤَنَّثٌ لَفْظِيًّا. وَيَرَى الْبِقَاعِيُّ أَنَّ قِرَاءَةَ
التَّأْنِيثِ أَبْلَغُ مِنْ قِرَاءَةِ التَّذْكِيرِ، لِأَنَّهَا
تَدُلُّ عَلَى أَقْلٍ غُذْرٍ وَأَصْغَرَ مَعْدِرَةً، وَإِذَا
لَمْ يُقْبَلِ الْاِعْتِدَارُ الْكَثِيرُ فَلَا شَكَّ فِي أَنَّ
الْاِعْتِدَارَ الْقَلِيلَ لَا يُقْبَلُ أَيْضًا مِنْ بَابِ
أَوْلَى؛ قَالَ: ((وَالْعِبَارَةُ شَدِيدَةٌ جِدًّا
مِنْ حَيْثُ كَانَتْ تُعْطِي أَنْ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ
ظُلْمٌ مَا يَوْمًا مَا كَانَ هَذَا حَالَهُ، وَهِيَ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَكُونُ مِنْهُمْ مَعَادِيرٌ، وَتَرْفُقُ

أَنَّ (الضَّلَالََةَ) مَصْدَرٌ مِثْلُ (الضَّلَالِ)،
وَتَأْنِيثُهَا لَفْظِيٌّ مُحْضٌ، لِأَنَّ الْعَرَبَ
يَسْتَشْعِرُونَ التَّأْنِيثَ غَالِبًا فِي أَسْمَاءِ
أَجْنَاسِ الْمَعَانِي، مِثْلَ الْغَوَايَةِ وَالسَّفَاهَةِ،
فَالتَّاءُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْظَانِ لِمُجَرَّدِ تَأْنِيثِ
الْفِظِّ، وَالتَّاءُ فِيهَا لَيْسَتْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى
المُفْرَدِ أَوْ الْوَحْدَةِ^(٤٣). وَيَرَى الْبِقَاعِيُّ أَنَّ
الْعُدُولَ عَنِ الْمَصْدَرِ الْمَذْكَرِ إِلَى الْمُؤَنَّثِ
لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَدْنَى ضَلَالٍ مُحْتَمَلٍ؛ قَالَ:
(وَمَا أَنْتَ تَجِدُّ هِدَايَةَ الْعُمِيِّ) ((عَنْ
ضَلَالَتِهِمْ)) إِذَا ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ
فَأَبْعَدُوا وَإِنْ كَانَ أَدْنَى ضَلَالٍ -بِمَا أَشَارَ
إِلَيْهِ التَّأْنِيثُ، وَإِنْ أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ فِي
نَصِيحَتِهِمْ))^(٤٤).

١٤. ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ

لَيْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ
فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿ [سورة الروم: ٥٦ -

[٥٧].

(٤٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٤ / ٣٤٤، والتبيان
في إعراب القرآن: ٢ / ١٠٤٢، وأنوار
التنزيل: ٤ / ٢١١، وإرشاد العقل السليم:
٦٦ / ٧.

(٤٦) ينظر: زاد المسير: ٣ / ٤٢٨، والتبيان في
إعراب القرآن: ٢ / ١٠٤٢، وأنوار التنزيل:
٤ / ٢١١، وإرشاد العقل السليم: ٧ / ٦٦.
(٤٧) ينظر: السبعة في القراءات: ٥٠٩، وروح
المعاني ١١ / ٦٠.

(٤٨) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢ /
١٠٤٢.

(٤٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٨ - ب / ١٩٢.

(٤٤) نظم الدرر: ١٥ / ١٢٦.



كَثِيرٌ، وَتَدَلُّلٌ كَبِيرٌ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ شَيْءٌ -
هَذَا - عَلَى قِرَاءَةِ الْجَمَاعَةِ بِتَأْنِيثِ الْفِعْلِ
وَهِيَ أَبْلَغُ مِنْ قِرَاءَةِ الْكُوفِيِّينَ بِتَذْكِيرِهِ
بِتَأْوِيلِ الْعُذْرِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْاِعْتِدَارُ
الْكَثِيرُ لَمْ يَنْفَعِ الْقَلِيلُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ
الْمَجْرَدُ وَلَا عَكْسٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ
قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ مُتَوَجِّهَةً لِلْكَفْرَةِ وَقِرَاءَةُ
الْكُوفِيِّينَ لِلْعَصَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ مِنْهُمْ
مَنْ يَنْفَعُهُ الْاِعْتِدَارُ فَيُعْفَى عَنْهُ)) (٤٩).
وَيُلْحَظُ هُنَا أَنَّ الْبِقَاعِيَّ يُوظَّفُ قِرَاءَتِي
الْفِعْلِ بِالتَّذْكِيرِ مَرَّةً وَالتَّأْنِيثِ أُخْرَى
تَوْظِيفًا دَلَالِيًّا وَبِلَاغِيًّا لَطِيفًا فِي سِيَاقِ
الآيَةِ نَفْسَهَا، إِذْ جَعَلَ قِرَاءَةَ التَّأْنِيثِ تَدَلُّ
عَلَى الضَّعْفِ وَالْقَلَّةِ فَتَكُونُ الْآيَةُ مُتَوَجِّهَةً
لِلْعَصَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فِي حِينِ تَكُونُ قِرَاءَةُ
التَّذْكِيرِ مُتَوَجِّهَةً لِلْكَفَارِ لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ
التَّذْكِيرُ مِنْ قُوَّةٍ وَمُبَالَغَةٍ مُقَارَنَةً بِالتَّأْنِيثِ
فِي ذَهْنِ الْبِقَاعِيِّ.

١٥. ﴿ اَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ اَفْسَطُ
عِنْدَ اللّٰهِ فَاِنْ لَمْ تَعْلَمُوْا اَبَاءَهُمْ
فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلٰىكُمْ وَّلَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا اَخْطَاْتُمْ

(٤٩) نظم الدرر: ١٥ / ١٣٣.

بِهِ، وَلٰكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوْبُكُمْ
وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا ﴿ [سورة
الأحزاب: ٥].

يَرَى الْبِقَاعِيُّ أَنَّ الْاِحْقَاقَ تَاءِ التَّأْنِيثِ
بِالْفِعْلِ (تَعَمَّدَ)، جَاءَ اِشْرَارَةً اِلَى اَنَّ فِي
قَلْبٍ مَنْ يَتَعَمَّدُ اِرْتِكَابَ الْاِثْمِ الْمُنْهِي
عَنْهُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيْمَةِ رَخَاوَةٌ الْاُنُوْثَةِ،
فَلَا يَسْتَطِيْعُ اَنْ يَنْهِيَ نَفْسَهُ عَنِ الْاِثْمِ
فَمِنْ ثَمَّ فَاِنَّ نَفْسَهُ الْاِمَّارَةَ بِالسُّوْءِ تَقُوْدُهُ
اِلَى الْمَعَاصِي؛ قَالَ: ((تَعَمَّدَتْ قُلُوْبُكُمْ))
عَلَى زَوَالِ الْحَرَجِ اَيْضًا فَيَمَّا وَقَعَ بَعْدَ النَّهْيِ
عَلَى سَبِيْلِ النَّسْيَانِ اَوْ سَبَقَ اللِّسَانَ، وَدَلَّ
تَأْنِيثُ الْفِعْلِ عَلَى اَنَّهُ لَا يَعْتَمِدُهُ بَعْدَ الْبَيَانِ
الشَّافِي اِلَّا قَلْبٌ فِيهِ رَخَاوَةٌ الْاُنُوْثَةِ)) (٥٠).

١٦. ﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ
عَلَيْكُمْ اِذْ جَاءَكُمْ جُنُوْدٌ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيْحًا وَّجُنُوْدًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللّٰهُ
بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرًا ﴿٩﴾ اِذْ جَاءَكُمْ مِنْ
فَوْقِكُمْ وَمِنْ اَسْفَلَ مِنْكُمْ وَاِذْ رَاغِبٍ
اِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَنْتُمْ اَلْقُلُوْبُ الْحٰنٰجِرَ
وَتَنْظُنُوْنَ بِاللّٰهِ الظُّنُوْنَ ﴿ [سورة
الأحزاب: ٩ - ١٠].

(٥٠) نظم الدرر: ١٥ / ٢٨٩.



غَيْرَ أَنَّهُمْ فَقَدُوهُمْ فِي النَّارِ، فَذَهَبَ بِهِم
الظَّنُّ إِلَى أَنَّهُمْ مَعَهُمْ وَلَكِنَّ أَبْصَارَهُمْ
كَلَّتْ عَنْ رُؤْيَيْهِمْ، فَنَاسَبَ هَذِهِ الصُّورَةَ
تَأْنِيثَ الْفِعْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى رَخَاوَةِ
أَبْصَارِهِمْ وَضَعْفِهَا؛ قَالَ: ((«اتَّخَذْنَاهُمْ»
أَي كَلَّفْنَا أَنْفُسَنَا وَعَاجَلْنَاهَا فِي أَخْذِهِمْ
(«سَحْرِيًّا»)) أَي نَسَخَرْنَا مِنْهُمْ وَنَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ - عَلَى قِرَاءَةِ الْكَسْرِ، وَنَسَخَّرَهُمْ
أَي نَسْتَحْدِمُهُمْ عَلَى قِرَاءَةِ الضَّمِّ، وَهُمْ
لَيْسُوا أَهْلًا لِذَلِكَ، بَلْ كَانُوا خَيْرًا مِنَّا
فَلَمْ يَدْخُلُوا هُنَا لِعَدَمِ شَرَارَتِهِمْ، وَكَانَتْهُمْ
إِلَى تَحْوِيلِ كَوْنِهِمْ فِي النَّارِ مَعَهُمْ وَمَنْعِهِمْ
مِنْ رُؤْيَيْهِمْ أَمِيلٌ، فَذَلُّوا عَلَى ذَلِكَ
بِتَأْنِيثِ الْفِعْلِ نَاسِبِينَ خَفَاءَهُمْ عَنْهُمْ إِلَى
رَخَاوَةِ فِي أَبْصَارِهِمْ عَلَى قُوَّتِهَا فِي ذَلِكَ
الْحَيْنِ فَقَالُوا: ((أَمْ زَاغَتْ)) أَي مَالَتْ
مُتَجَاوِزَةً «عَنْهُمْ» ((٥٢)).

١٧. ﴿وَلِيَذِقُوا الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ مَّا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا عُرُودًا ﴿١٢﴾

وَلِيَذِقُوا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْهَلُ يَرْبَ لَا

مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ

مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ

التَّتَمَّتِ الْبِقَاعِيُّ، هُنَا، إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ
الْكَرِيمَ عَبَّرَ بِالتَّأْنِيثِ فَقَالَ: (زَاغَتْ
الْأَبْصَارُ)، وَلَمْ يُعَبِّرْ بِالتَّذْكِيرِ، كَمَا هِيَ
الْحَالُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا
طَفَنُ﴾ [سورة النجم: ١٧]، لِأَنَّ دَلَالَةَ
التَّذْكِيرِ عَلَى الْقُوَّةِ وَالصَّلَابَةِ وَالْعُلُوِّ
تُنَافِي مَعْنَى الزَّيْغِ؛ قَالَ: ((وَأَنْتَ الْفِعْلُ
وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِ لِأَنَّ التَّذْكِيرَ الَّذِي يَدُورُ
مَعْنَاهُ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْعُلُوِّ وَالصَّلَابَةِ يُنَافِي
الزَّيْغَ فَقَالَ: ﴿زَاغَتْ الْأَبْصَارُ﴾، أَي:
مَالَتْ عَنِ سَدَادِ الْقَصْدِ فَعَلَّ الْوَالِهَ
الْجَزَعُ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْغَفْلَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ
الدَّهْشَةِ الْحَاصِلَةِ مِنَ الرُّعْبِ)) (٥١). وَقَدْ
أَعَادَ الْبِقَاعِيُّ تَوْضِيحَ دَلَالَةِ تَأْنِيثِ الْفِعْلِ
فِي التَّعْبِيرِ نَفْسَهُ: (زَاغَتْ الْأَبْصَارُ) فِي
كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا
لَا نَرَى رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿١٢﴾
اتَّخَذْنَاهُمْ سَحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة ص: ٦٢ - ٦٣]، إِذْ بَيَّنَّ أَنَّ

تَأْنِيثَ الْفِعْلِ هُنَا جَاءَ مُنَاسِبًا لِمَوْضِعِ

الرِّجَالِ الَّذِينَ فِي النَّارِ وَهُمْ يَبْحَثُونَ عَنْ

آخَرِينَ كَانُوا يُحْسِبُونَهُمْ أَشْرَارًا مِثْلَهُمْ،



بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿ [سورة

الأحزاب: ١٢- ١٣].

يَجُوزُ مَعَ (طَائِفَةٌ) تَذَكِيرُ الْفِعْلِ
وَتَأْنِيثُهُ، وَقَدْ وَرَدَ الْفِعْلُ مُذَكَّرًا فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا

مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي
تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ

وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ [سورة

النساء: ٨١]، فَقَالَ (بَيَّتَ) مُجَرَّدًا مِنْ

تَاءِ التَّأْنِيثِ، وَلَمْ يَقُلْ (بَيَّتَتْ طَائِفَةٌ)،

لَأَنَّ تَأْنِيثَهَا غَيْرُ حَقِيقِيٍّ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ:

((كُلُّ تَأْنِيثٍ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ فَتَعْبِيرُهُ بِلَفْظِ

التَّذْكِيرِ جَائِزٌ، تَقُولُ: قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

لَأَنَّ طَائِفَةً وَفَرِيقًا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ)) (٥٣).

وَبَيَّنَ الْبِقَاعِيُّ أَنَّ تَأْنِيثَ الْفِعْلِ (قَالَتْ)

إِشَارَةٌ إِلَى رَخَاوَتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ فِي الْقَوْلِ

وَالْعَمَلِ؛ قَالَ: ((وَلَمَّا ذَكَرَ مَا هُوَ الْأَصْلُ

(٥٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ٨٢. وينظر:

المحتسب: ١ / ٢٩٨، والكشاف: ١ /

٥٤٠، ومفاتيح الغيب: ١٠ / ١٥١،

والدر المصون: ٤ / ٥٠، واللباب في علوم

الكتاب: ٦ / ٥١٧، وإرشاد العقل السليم:

٢ / ٢٠٧.

فِي نِفَاقِهِمْ وَهُوَ التَّكْذِيبُ، أَتْبَعَهُ مَا تَفَرَّعَ

عَلَيْهِ، وَلَمَّا كَانَ تَخْذِيلُهُمْ بِالْتَّرْجِيعِ مَرَّةً،

عَبَّرَ عَنْهُ بِالْمَاضِي فَقَالَ: ((وَإِذْ قَالَتْ))

أَنْتَ الْفِعْلُ إِشَارَةٌ إِلَى رَخَاوَتِهِمْ وَتَأْنِيثِهِمْ

فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ((طَائِفَةٌ مِنْهُمْ)) أَي

قَوْمٌ كَثِيرٌ مِنْ مَوْتَى الْقُلُوبِ وَمَرْضَاهَا

يَطُوفُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ)) (٥٤).

١٨. ﴿ وَالصَّنَفَاتِ صَفًّا ١ ﴾ فَالْتَّرَجَّتْ زَجْرًا

٢ ﴿ فَالْتَّلَيْتِ ذِكْرًا ٣ ﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ

لَوَّحْدٌ ﴿ [سورة الصفات: ١- ٤].

يُفَسِّرُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ (الصَّفَاتِ) بِأَنَّهَا

المَلَائِكَةُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَصْطَفُ

فِي صُفُوفٍ كَصُفُوفِ النَّاسِ لِلصَّلَاةِ،

وَهِيَ جَمْعٌ جَمْعٌ لِأَنَّهَا جَمْعٌ صَافَةٌ، جَمْعٌ

صَافٌ (٥٥)، أَوْ لِأَنَّهَا تَصَفُّ أَجْنَحَتَيْهَا

(٥٤) نظم الدرر: ١٥ / ٣٠٦.

(٥٥) ينظر: جامع البيان: ٢١ / ٥٥٧، ومعاني

القرآن وإعرابه: ٤ / ٢٩٧، وغريب

القرآن للسجستاني: ٣٠١، ومعاني

القرآن للنحاس: ٦ / ٧، والكشف

والبيان: ٨ / ١٣٨، والنكت والعيون:

٥ / ٣٦، ولطائف الإشارات: ٣ / ٢٢٧،

والمفردات في غريب القرآن: ٤٨٦،

وغرائب التفسير: ٢ / ٩٦٩، وتفسير

البغوي: ٤ / ٢٥، والكشاف: ٤ / ٣٣،

وزاد المسير: ٣ / ٥٣٥، ومفاتيح الغيب:



وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَغَيْرَهَا، فِي حِينٍ أَنْ يَجْمَعَ الْمَذْكَرَ السَّلَامَ سَيَكُونُ مَقْصُورًا عَلَى الذُّكُورِ الْعُقَلَاءِ؛ قَالَ: ((قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالصَّفَاتِ﴾ أَي الْجَمَاعَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمَصَلِّينَ وَالْمَجَاهِدِينَ الْمَكْمَلِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْإِصْطِفَافِ فِي الطَّاعَةِ، فَهِيَ صِفَةٌ لِمُوصُوفٍ مَحْدُوفٍ مُؤَنَّثِ اللَّفْظِ، وَعَدَلَ عَنِ أَنْ يَقُولَ: (الصَّافِينَ) الْقَاصِرَ عَلَى الذُّكُورِ الْعُقَلَاءِ لِيَشْمَلَ الْجَمَاعَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَغَيْرَهَا، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَا يُؤَلَّفُ بَيْنَ شَيْءٍ مِنْهَا لِيَتَّحِدَ قَضْدُهُ إِلَّا وَاحِدٌ قَهَارٌ)) (٦٠).

وَقَدْ وَرَدَ الْجَمْعُ الْمُؤَنَّثُ السَّلَامُ (صَافَاتٍ)، فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨) **أَوْلَى يَرَوَا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسُكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ** ﴿ [سورة الملك: ١٨-١٩]، وَهُوَ وَصْفٌ لِلطَّيْرِ قَبْلَهُ، وَذَهَبَ الْبِقَاعِيُّ إِلَى أَنَّ النَّصَّ الْكَرِيمَ وَصَفَهَا بِالْجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ دُونَ

فِي الْهَوَاءِ (٥٦)، وَقِيلَ: هِيَ الطَّيْرُ (٥٧)، وَقِيلَ: الصَّافَاتُ هِيَ عِبَادُ السَّمَاءِ، أَوْ صُفُوفِ الْمَجَاهِدِينَ (٥٨)، وَيُمْكِنُ تَقْدِيرُ لَفْظِ يَعُمُّ الْمَذْكَورَاتِ، مِثْلُ: وَالْجَمَاعَاتِ الصَّافَاتِ (٥٩). وَيَرَى الْبِقَاعِيُّ فِي تَعْبِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالْمُؤَنَّثِ دُونَ الْمَذْكَرِ بِاخْتِيَارِ لَفْظِ (الصَّافَاتِ) دُونَ لَفْظِ (الصَّافِينَ)؛ لِيَكُونَ هَذَا اللَّفْظُ شَامِلًا لِلْعَاقِلِ وَغَيْرِ الْعَاقِلِ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ

٢٦ / ٣١٣، والجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ٦٢، ومدارك التنزيل: ٣ / ١١٦، والبحر المحيط: ٩ / ٨٩، والتبيان في أقسام القرآن: ٤٢٧، وتفسير ابن كثير: ٧ / ٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٦ / ٢٧٣، وبصائر ذوي التمييز: ٣ / ٤١٨، وإرشاد العقل السليم: ٧ / ١٨٣، وروح المعاني: ١٢ / ١٥٢، ومحاسن التأويل: ٨ / ٢٠٠، والتحرير والتنوير: ٢٣ / ٨٣.

(٥٦) ينظر: الكشف والبيان: ٨ / ١٣٨.

(٥٧) ينظر: الكشف والبيان: ٨ / ١٣٨، وغرائب التفسير: ٢ / ٩٦٩، وزاد المسير: ٣ / ٥٣٥، ومفاتيح الغيب: ٢٦ / ٣١٣، والجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ٦٢، والبحر المحيط: ٩ / ٨٩، وتفسير ابن كثير: ٧ / ٥.

(٥٨) ينظر: النكت والعيون: ٥ / ٣٦.

(٥٩) ينظر: المحرر الوجيز: ٤ / ٤٦٥.

(٦٠) نظم الدرر: ١٦ / ١٨٧ - ١٨٩.



المذكَرِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ضَعْفِ الطُّيُورِ فِي أَنْفُسِهَا؛ قَالَ: ((وَيِنَّ حَالَ الطَّيْرِ فِي الْفُوقِيَّةِ بِقَوْلِهِ وَاصِفًا لَهَا بِالتَّأْنِيثِ إِشَارَةً إِلَى ضَعْفِهَا فِي أَنْفُسِهَا لَوْلَا تَقْوِيَّتُهُ لَهَا ((صَافَاتِ)) أَي بَاسِطَاتِ أَجْنِحَتِهَا تُمَدُّهَا غَايَةَ الْمَدِّ بِحَيْثُ تَصِيرُ مُسْتَوِيَّةً لَا اعْوِجَاجَ فِيهَا مَعَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْهَا كَانَتْ صُفُوفًا أَوْ صَفًّا وَاحِدًا فِي غَايَةِ الْإِنْتِظَامِ تَابِعَةً لِإِمَامٍ مِنْهَا)) (٦١).

١٩. ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٨].

يَعُودُ الضَّمِيرُ الظَّاهِرُ (هُنَّ) عَلَى (مَا) فِي: (مَا تَدْعُونَ)، وَ(مَا) لَفْظُهُ مُذَكَّرٌ؛ فَكَانَ حَقُّ الضَّمِيرِ، فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَنْ يَكُونَ مُذَكَّرًا. وَقَدْ وَجَّهَ النَّحْوِيُّونَ ذَلِكَ بِالْحَمَلِ عَلَى

(٦١) نظم الدرر: ٢٠ / ٢٥٢.

الْمَعْنَى، لِأَنَّ (مَا) بِمَعْنَى الْجَمَاعَةِ (٦٢). وَجَعَلَ الْبِقَاعِيَّ إِعَادَةَ الضَّمِيرِ مُؤَنَّثًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى سُفُولِ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ: ((بَالِغٌ فِي تَنْبِيهِهِمْ نَصْحًا لَهُمْ لِيَرْجِعُوا عَنِ ظَاهِرِ غِيْبِهِمْ بِمَا ذَكَرَ مِنْ دَنَاءَتِهَا وَسُفُولِهَا بِالتَّأْنِيثِ بَعْدَ سُفُولِهَا بَعْدَمُ الْعَقْلِ مَعَ دَنَاءَتِهَا وَبَعْدَ التَّهَكُّمِ بِهِمْ بِالتَّعْبِيرِ عَنْهَا بِأَدَاةِ الذُّكُورِ الْعُقَلَاءِ فَقَالَ: ((هَلْ هُنَّ)) أَي هَذِهِ الْأَوْثَانُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا ((كَاشِفَاتِ)) أَي عَنِّي مَعَ اعْتِرَافِكُمْ بِأَنَّهُ لَا خَلْقَ لَهَا وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى...)) (٦٣). وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْبِقَاعِيُّ سَبَقَ أَنْ أَشَارَ إِلَيْهَا السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ؛ قَالَ: ((قَوْلُهُ: «هُنَّ» وَإِنَّمَا أَتَتْهُ تَحْقِيرًا لِمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، وَلَا يَنْبَغُ أَنْ يَسْمُوْنَهَا بِأَسْمَاءِ الْإِنَاثِ: اللَّاتِ وَمَنَاةَ وَالْعُزَّى)) (٦٤).

أَي أَنَّ النَّصَّ الْكَرِيمَ أَعَادَ الضَّمِيرَ

(٦٢) ينظر: مجاز القرآن: ٢ / ١٩٠، وغرائب

التفسير: ٢ / ١٠١٥، والدر المصون: ٩ / ٤٣٠.

(٦٣) نظم الدرر: ١٦ / ٥١٢ - ٥١٣.

(٦٤) الدر المصون: ٩ / ٤٣٠، وينظر: اللباب

في علوم الكتاب: ١٦ / ٥١٨.



شَيْئًا مِنَ النِّعَمِ وَقِسْمًا مِنْهَا. وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ (مَا) فِي إِنَّمَا مَوْصُولَةً لَا كَافَّةً، فَيَرْجِعُ إِلَيْهَا الضَّمِيرُ، عَلَى مَعْنَى: أَنْ الَّذِي أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ...، فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ ذَكَرَ الضَّمِيرُ ثُمَّ أَنْتَهُ؟ قُلْتُ: سَمَّا عَلَى الْمَعْنَى أَوَّلًا، وَعَلَى اللَّفْظِ آخِرًا، وَلِأَنَّ الْخَبَرَ لَمَّا كَانَ مُؤَنَّثًا أَعْنِي (فِتْنَةٌ) سَاغَ تَأْنِيثُ الْمُبْتَدَأِ لِأَجْلِهِ

لِأَنَّهُ فِي مَعْنَاهُ)) (٦٧). وَتَعْلِيلُ الرَّمَحْشَرِيِّ وَمَنْ تَابَعَهُ، هُنَا، قَائِمٌ عَلَى التَّأْوِيلِ لِأَنَّ مَرْجِعَهُ الْأُسُسَ النَّحْوِيَّةَ وَالْمَنْطِقِيَّةَ الْمَعْرُوفَةَ الَّتِي تَسْعَى لِإِجَادِ اتِّفَاقٍ بَيْنَ النَّصِّ وَالْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ. فِي حِينِ نَظَرِ الْبِقَاعِيِّ إِلَى تَلْوِينِ الضَّمَائِرِ وَتَوْبِيعِهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ زَاوِيَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ أَعْنَتْ دَلَالَاتِ النَّصِّ؛ قَالَ: ((وَلَمَّا كَانَ التَّقْدِيرُ: لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَا هِيَ نِعْمَةٌ، قَالَ دَالًّا عَلَى سُؤْمِ ذَلِكَ الْمَعْطَى وَحَقَارَتِهِ لِأَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ إِضْلَالِهِ بِالتَّأْنِيثِ ((بَلْ

(٦٧) الكشاف: ٤ / ١٣٣ - ١٣٤، وينظر

أيضا: المحرر الوجيز: ٤ / ٥٣٦، ومفاتيح

الغيب: ٢٦ / ٤٥٩، ومدارك التنزيل: ٣ /

١٨٥ - ١٨٦، والبحر المحيط: ٩ / ٢١٠،

والتحرير والتنوير: ٢٤ / ٣٦.

(هُنَّ) مُؤَنَّثًا عَلَى الْأِسْمِ الْمَوْصُولِ الْمَذْكَرِ (مَا) وَاسْتَعْمَلَ الصِّفَتَيْنِ: (كَاشِفَاتٍ وَمُحْسِكَاتٍ) بِحَالَةِ التَّأْنِيثِ، لِلتَّنْبِيهِ عَلَى كَمَا لِ ضَعْفِ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى (٦٥)، وَهَذَا التَّوْجِيهُ يُصِيرُ النَّصَّ الْكَرِيمَ، مَوْضِعَ الْبَحْثِ هُنَا، مِنْ قَبِيلِ الْكَلَامِ الْمَوْجِهِ الَّذِي يُحْتَمَلُ أَكْثَرَ مِنْ دَلَالَةٍ (٦٦).

٢٠. ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ، عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٤٩].

يَبْدُو مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَنَّ الضَّمِيرَ الظَّاهِرَ الْمُتَّصِلَ فِي (أُوتِيتُهُ) يَعُودُ عَلَى كَلِمَةِ (نِعْمَةً) وَهِيَ مُؤَنَّثٌ لَفْظِيًّا، غَيْرَ أَنَّ الضَّمِيرَ عَادَ عَلَيْهَا مُذْكَرًا، ثُمَّ عَادَ الْكَلَامُ إِلَى التَّأْنِيثِ فِي قَوْلِهِ: (هِيَ فِتْنَةٌ). وَقَدْ عَالَجَ الرَّمَحْشَرِيُّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ؛ قَالَ: ((فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ ذَكَرَ الضَّمِيرَ فِي أُوتِيتُهُ وَهُوَ لِلنِّعْمَةِ؟ قُلْتَ: ذَهَابًا بِهِ إِلَى الْمَعْنَى، لِأَنَّ قَوْلَهُ (نِعْمَةً مِنَّا):

(٦٥) ينظر: روح المعاني ١٢ / ٢٦١.

(٦٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤ / ١٧.



هِيَ)) أَي الْعَطِيَّةِ وَالنَّعْمَةِ ((فِتْنَةٌ))
لَاخْتِبَارِهِ هَلْ يَشْكُرُ أَمْ يَكْفُرُ لِنِقَامِ
عَلَيْهِ الْحُجَّةِ. فَإِنَّ أَدَّتْ إِلَى النَّارِ كَانَتْ
اسْتِدْرَاجًا، وَأَنْتَ الضَّمِيرُ تَحْقِيرًا لَهَا
بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِأَنَّهَا
أَدَّتْ إِلَى الْعُرُورِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ ضَمِيرَهَا
أَوَّلًا تَعْظِيمًا لَهَا لِإِيجَابِ شُكْرِهَا)) (٦٨).

فَقَدْ وَجَّهَ الْبِقَاعِي تَذْكِيرَ الضَّمِيرِ أَوَّلًا
فِي (أَوْتِيَّتِهِ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَعْظِيمِ عَطَاءِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَنْ يَسْأَلُهُ إِحْقَاقًا
لِلشُّكْرِ عَلَى الْعِبَادِ لَهُ سُبْحَانَهُ، كَمَا وَجَّهَ
تَأْنِيثَ الضَّمِيرِ فِي (هِيَ فِتْنَةٌ) بِأَنَّهُ جَاءَ
لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَحْقِيرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ فِي جَنْبِ
قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

إِنَّ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ الَّتِي اسْتَبْطَهَا
الْبِقَاعِيُّ مِنْ قِرَاءَتِهِ لِلآيَةِ، مَحَلُّ الْبَحْثِ،
هِيَ دَلَالَاتٌ جَدِيدَةٌ، تَنْبُعُ مِنْ عَقْلِ لَمْ
يَقْنَعْ بِتَعْلِيلَاتِ السَّابِقِينَ لظَاهِرَةِ التَّذْكِيرِ
وَالتَّأْنِيثِ مُنْطَلِقًا مِنْ أَنَّهَا ظَاهِرَةٌ لُغَوِيَّةٌ
وُظِّفَتْ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ تَوْظِيفًا
إِعْجَازِيًّا وَلَيْسَ اعْتِبَاطِيًّا يُمَكِّنُ حَمْلَهُ عَلَى
مَا جَاءَ فِي شِعْرِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهَا، مِمَّا

(٦٨) نظم الدرر: ١٦ / ٥٢٩ - ٥٣٠.

يُمْكِنُ تَأْوِيلُهُ لُغَوِيًّا أَوْ عَقْلِيًّا.

٢١. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ
الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

يَعُودُ الضَّمِيرُ الظَّاهِرُ فِي (خَلَقَهُنَّ)
عَلَى (اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ)،
وَمِنْ سَنَنِ الْعَرَبِيَّةِ تَغْلِيْبُ الْمَذْكَرِ عَلَى
الْمُؤنَّثِ، وَمِنْ ثَمَّ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ فِي غَيْرِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَهُمْ، وَلَكِنَّ النَّصَّ الْكَرِيمَ عَدَلَ عَنِ
الْمَذْكَرِ إِلَى الْمُؤنَّثِ لِلإِشَارَةِ إِلَى تَدْنِيئِهَا
وَضَعْفِهَا، ذَمًّا لِمَنْ يَعْبُدُهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ
سُفُولِ مَنْزِلَتِهَا؛ قَالَ الْبِقَاعِيُّ: ((وَتَبَّ عَلَى
مَزِيدِ عَظَمَتِهِ بِالإِظْهَارِ مَوْضِعِ الإِضْمَارِ
فَقَالَ: ((اللَّهُ)) أَي الَّذِي لَهُ كُلُّ كَمَالٍ مِنْ
غَيْرِ شَائِبَةٍ نَقَصَ مِنْ أَقْوَالٍ أَوْ تَجَدُّدِ حُلُولِ
((الَّذِي خَلَقَهُنَّ)) أَي الأَرْبَعَةَ لِأَجْلِكُمْ
فَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الإِلَهِيَّةَ، وَأَنْتَ لِأَنَّ
مَا لَا يَعْقِلُ حُكْمَهُ حُكْمُ الْمُؤنَّثِ فِي
الضَّمِيرِ وَهِيَ أَيْضًا آيَاتٌ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ
إِلَى تَنَاهِي سُفُولِهَا عَمَّا أَهْلُوها لَهُ وَذَمٌّ



الْبَغْوِيُّ: ((إِنَّ الذُّكُورَ إِذَا تَقَدَّمَ فِعْلُهُمْ وَهُمْ جَمَاعَةٌ كَانَ التَّأْنِيثُ فِيهِمْ أَحْسَنَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾)) (٧١).
 وَقَدْ تَوَقَّفَ الشَّهَلِيُّ (ت ٥٨٢هـ) عِنْدَ تَأْنِيثِ الْفِعْلِ (قَالَتْ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَتَذْكِيرِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [سورة يوسف: ٣٠]،
 وَوَازَنَ بَيْنَ الِاسْتِعْمَالَيْنِ الْقُرْآنِيِّينَ، وَوَصَفَ تَعْلِيلَ النُّحَاةِ لِلتَّذْكِيرِ بِالْحَمَلِ عَلَى اللَّفْظِ وَلِلتَّأْنِيثِ بِالْحَمَلِ عَلَى مَعْنَى الْجَمَاعَةِ بِأَنَّهُ وَاهِنٌ؛ قَالَ: ((وَزَعَمُوا أَنَّ التَّاءَ فِي ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ)) لِتَأْنِيثِ الْجَمَاعَةِ، وَتَأْنِيثِ الْجَمَاعَةِ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ. وَقَدْ كَانَ عَلَى هَذَا لِحُوقِ التَّاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ أَوْلَى؛ إِذْ كَانَ تَأْنِيثُ النَّسْوَةِ حَقِيقَةً. وَاتَّفَقُوا أَنَّ الْفِعْلَ إِذَا تَأَخَّرَ عَنِ فَاعِلِهِ الْمُؤَنَّثِ، فَلَا بُدَّ مِنْ

عَابِدِيهَا بِالْإِفْرَاطِ فِي الْغَبَاوَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَدَّ الْقَمَرِ أَقْمَارًا لِأَنَّهُ يَكُونُ تَارَةً هَلَالًا وَأُخْرَى بَدْرًا وَأُخْرَى مَحْوًا، فَلِذَلِكَ جَمَعَ،...، وَلِذَلِكَ عَبَّرَ بِضَمِيرِ الْمُؤَنَّثِ الَّذِي يَكُونُ لِمَجْمَعِ الْكَثْرَةِ مِمَّا لَا يَعْقَلُ)) (٦٩). وَالْبِقَاعِيُّ هُنَا يَرْبُطُ بَيْنَ سُفُولِ الْمَنْزِلَةِ وَأَنْحِطَاتِهَا وَالتَّأْنِيثِ، لِأَنَّهُ فِي مَرْتَبَةِ تَالِيَةٍ لِلْمُذَكَّرِ.

٢٢. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٣-١٤].

يُجُوزُ تَذْكِيرُ الْفِعْلِ (قَالَتْ) وَتَأْنِيثُهُ، لِأَنَّ فَاعِلَهُ، وَهُوَ (الْأَعْرَابُ)، اسْمٌ جِنْسٌ جَمْعِيٌّ؛ فَالتَّذْكِيرُ عَلَى اللَّفْظِ وَالتَّأْنِيثُ عَلَى مَعْنَى (جَمَاعَةِ الْأَعْرَابِ) (٧٠)، قَالَ

والكشف والبيان: ٣ / ٥٩، والمحرم الوجيز: ١ / ٤٢٨، وأوضح المسالك: ٢ / ١٠٠، وشرح شذور الذهب: ٢٢٥، وشرح التصريح: ١ / ٤١٠، وهمع الهوامع: ٣ / ٣٣٤.

(٧١) تفسير البغوي: ١ / ٤٣٥.

(٦٩) نظم الدرر: ١٧ / ١٩٣.

(٧٠) ينظر: الأصول في النحو: ٢ / ١٠٢.



إِبْتَاتِ تَاءِ التَّائِثِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَأْنِيثُهُ حَقِيقَةً، وَلَمْ يَذْكُرُوا فَرْقًا بَيْنَ تَقَدُّمِ الْفِعْلِ وَتَأَخُّرِهِ. وَفِي هَذَا كُلُّهُ وَهَنْ لِأُصُولِهِمْ، وَدَلِيلٌ عَلَى قِلَّةِ تَحْصِيلِهِمْ)) (٧٢). وَوَأَضَحَّ مِنْ كَلَامِ الشَّهْنِيَّ أَنَّهُ يَرْفُضُ مَا يُورِدُهُ اللَّغَوِيُّونَ مِنْ تَعْلِيلَاتٍ لِمَجِيءِ الْفِعْلِ مُؤَنَّثًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾، وَمُذَكَّرًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾، مُسْتَنَدًا إِلَى أَنَّ الْمُنْطِقَ يَقْتَضِي خِلَافَ ذَلِكَ، لِأَنَّ مُفْرَدَ الْأَوَّلِ مُذَكَّرٌ حَقِيقِيٌّ، وَهُوَ: (أَعْرَابِيٌّ)، وَمُفْرَدُ الثَّانِي مُؤَنَّثٌ حَقِيقِيٌّ، وَهُوَ: (امْرَأَةٌ) (٧٣). وَلَعَلَّ فِي كَلَامِ الْبِقَاعِيِّ مَا يَكْشِفُ عَنْ سِرِّ هَذَيْنِ التَّعْبِيرَيْنِ الْقُرْآنَيْنِ؛ إِذْ فَسَّرَ إِلْحَاقَ التَّاءِ لِلْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾، بِأَنَّهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ضَعْفِ عَزِيمَتِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ، لِيَكُونَ هَذَا تَمْهِيدًا لِتَكْذِيبِ ادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ آمَنُوا حَقِيقَةً، كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَفْسُهُ؛ قَالَ: ((قَالَ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ أَيُّ أَهْلِ الْبَادِيَةِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَغَيْرِهِمْ الَّذِينَ هُمْ مَعْدُنُ

(٧٢) نتائج الفكر في النحو: ١٢٨.

(٧٣) استعمال المفرد هنا تجوز.

الْغِلْظَةِ وَالْجَفَاءِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ تَأْدِيهِمْ فِي سُورَةِ مُحَمَّدٍ، وَأَلْحَقَ التَّاءَ فِي فِعْلِهِمْ إِشَارَةً إِلَى ضَعْفِهِمْ فِي الْعَزَائِمِ)) (٧٤). وَأَنْطَلَقًا مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ يُمَكِّنُ الْقَوْلَ إِنَّ مَجِيءَ الْفِعْلِ (قَالَ) مُجَرَّدًا مِنَ التَّاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الْقَوْلِ وَوُضُوحِهِ وَإِعْلَانِهِ وَتَكَرُّرِهِ حَتَّى إِنَّهُ بَلَغَ زَوْجَةَ الْعَزِيزِ، فَهُوَ لَيْسَ قَوْلًا ضَعِيفًا مُسْتَوْرًا بِحِجَابِ النَّمِيمَةِ قِيلَ عَلَى اسْتِحْيَاءِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

٢٣. ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾

[سورة القمر: ١].

يُفَسِّرُ الْمَفْسَّرُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، بِ: دَنَتْ الْقِيَامَةُ وَقَرَّبَتْ (٧٥). وَأَنْطَلَقَ الْبِقَاعِيُّ مِنَ النَّظَرِ إِلَى أَنَّ تَأْنِيثَ السَّاعَةِ لَفْظِيٌّ وَلَيْسَ حَقِيقِيًّا، يُجُوزُ مَعَهُ تَأْنِيثُ الْفِعْلِ وَتَذْكِيرُهُ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ

(٧٤) نظم الدرر: ١٨ / ٣٨٥.

(٧٥) ينظر: الكشف والبيان: ٩ / ١٦٠، والنكت والعيون: ٥ / ٤٠٨، وغرائب التفسير: ٢ / ١١٦١، وتفسير البغوي: ٤ / ٣٢٠، والكشاف: ٤ / ٤٣٠، والجامع لأحكام القرآن: ١٧ / ١٢٥، وأنوار التنزيل: ٥ /

١٦٤.



وَاحِدَةً^(٧٨)، أَوْ أَمْرَةً وَاحِدَةً^(٧٩)، أَوْ
كَلِمَةً وَاحِدَةً^(٨٠)، أَوْ فِعْلَةً وَاحِدَةً^(٨١).
وَيُبَيِّنُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ
هَذَا التَّعْبِيرِ هِيَ ((الْكِنَايَةُ عَنْ أَسْرَعِ مَا
يُمْكِنُ مِنَ الشَّرْعَةِ))^(٨٢). وَعَلَى الرَّغْمِ
مِنْ أَنَّ الْبِقَاعِيَّ فَسَّرَ التَّعْبِيرَ بِفِعْلَةٍ
وَاحِدَةٍ، وَهُوَ تَقْدِيرٌ لَا يَحْتَلِفُ كَثِيرًا عَمَّا
ذَكَرَهُ السَّابِقُونَ، إِلَّا أَنَّهُ رَأَى فِي تَذْكَيرِ

وتفسير البغوي: ٤ / ٣٣٠، وزاد المسير:
٤ / ٢٠٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٧ /
١٤٩.

(٧٨) ينظر: جامع البيان: ٢٢ / ٦٠٧.
(٧٩) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٤ /
٢٠٢.

(٨٠) ينظر: الكشف والبيان: ٩ / ١٧١،
وتفسير البغوي: ٤ / ٣٣٠، والكشاف:
٤ / ٤٤١، ومفاتيح الغيب: ٢٩ / ٣٢٧،
وتفسير البيضاوي: ٥ / ١٦٨، ومدارك
التنزيل: ٣ / ٤٠٧، والبحر المحيط:
١٠ / ٤٩، واللباب في علوم الكتاب:
١٨ / ٢٨٤، وإرشاد العقل السليم: ٨ /
١٧٥، وروح المعاني: ١٤ / ٩٤، ومحاسن
التأويل: ٩ / ٩٦، و التحرير والتنوير:
٢٧ / ٢٢٠.

(٨١) ينظر: تفسير البيضاوي: ٥ / ١٦٨،
وإرشاد العقل السليم: ٨ / ١٧٥، وروح
المعاني: ١٤ / ٩٤.

(٨٢) التحرير والتنوير: ٢٧ / ٢٢٠.

اخْتِيَارِ النَّصِّ الْكَرِيمِ التَّعْبِيرِ بِالْمُوْنِثِ
دَلَالَةً عَلَى عَظِيمِ اقْتِدَارِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
الْقِيَامَةِ مِمَّا يَعْنِي مِنْ وَجْهِ مَا شِدَّةَ قُرْبِهَا؛
قَالَ: ((قَالَ دَالًا عَلَى عَظِيمِ اقْتِدَارِهِ عَلَيْهَا
بِتَأْنِيثِ فِعْلِهَا: ((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ))
اشْتَدَّتْ قُرْبًا السَّاعَةُ: اللَّحْظَةُ الَّتِي لَا
سَاعَةَ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرَهَا الَّتِي تَقُومُ فِيهَا
الْقِيَامَةُ لِأَنَّهُ قَلَّ مَا بَقِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا بِالنَّسْبَةِ
إِلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ))^(٧٦). وَقَدْ
تَبَدُّوْا هَذِهِ الدَّلَالَةَ الَّتِي يَجْتَرِحُهَا نَظْرُ
الْبِقَاعِيِّ فِي النَّصِّ الْكَرِيمِ مُتَكَلِّفَةً نَوْعًا
مَا، لِأَنَّ الْأَفْصَحَ فِي الْعَرَبِيَّةِ مَعَ الْمُوْنِثِ -
وَإِنْ كَانَ لَفْظِيًّا - تَأْنِيثُ الْفِعْلِ، وَإِنْ جَازَ
التَّذْكَيرُ.

٢٤. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا
إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمِجٍ بَالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة
القمر: ٤٩ - ٥٠].

يُؤَوَّلُ اللَّغَوِيُّونَ مَجِيءَ الْخَبَرِ مُؤَنَّثًا
مَعَ أَنَّ الْمُبْتَدَأَ مُذَكَّرٌ، وَكَانَ حَقُّهُ لُغَوِيًّا:
وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدًا، بِتَقْدِيرِ نَعْتِ
مَحْذُوفٍ، نَحْوِ: مَرَّةً وَاحِدَةً^(٧٧)، أَوْ قَوْلَةٍ

(٧٦) نظم الدرر: ١٩ / ٨٧.

(٧٧) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ١١٠.



(أمرنا) تَعْظِيماً لِلتَّقْدِيرِ الإِلَهِيِّ الْمَتَمَثِّلِ بِالْأَمْرِ، وَرَأَى فِي تَأْنِيثِ (وَاحِدَةٍ) تَحْقِيرًا لِلْمَقْدُورَاتِ فِي جَنْبِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ: ((قَالَ: ((وَمَا أَمْرُنَا)) أَي كُلِّ شَيْءٍ أَرَدْنَاهُ وَإِنْ عَظَّمَ أَثَرُهُ، وَعَظَّمَ الْقُدْرَ وَحَقَّرَ الْمَقْدُورَاتِ بِالتَّأْنِيثِ فَقَالَ: (إِلَّا وَاحِدَةً) أَي فَعَلَةٌ يَسِيرَةٌ لَا مُعَالَجَةَ فِيهَا))^(٨٣). وَيَعُدُّ تَوْجِيهَ الْبِقَاعِيِّ هَذَا اسْتِنْبَاطًا دَلَالِيًّا جَدِيدًا لَمْ يُسَبَقْ إِلَيْهِ، فِيمَا أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ.

٢٥. ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ؛ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَعِينَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ وَلِيَّتُكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة الممتحنة: ٤].

يَجُوزُ فِي الْفِعْلِ (كَانَ) فِي مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ، فَيُقَالُ: كَانَ لَكُمْ أُسْوَةٌ وَكَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ، لَوْجُودِ فَاصِلٍ بَيْنَ الْفِعْلِ وَمَرْفُوعِهِ، وَقَدْ وَرَدَ

هَذَا الْفِعْلُ مُذَكَّرًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]. وَقَدْ نَظَرَ

الْبِقَاعِيُّ فِي هَذَا التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ اللَّطِيفِ وَلَمْ يَكْتَفِ بِالتَّعْلِيلِ اللَّغَوِيِّ الْمَأْلُوفِ مِنْ أَنَّ (أُسْوَةٌ) مُؤَنَّثٌ لَفْظِيًّا يَجُوزُ مَعَهُ تَأْنِيثُ الْفِعْلِ وَتَذْكِيرُهُ، وَبَحَثَ عَنِ دَلَالَةِ التَّأْنِيثِ الْفِعْلِيِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَوَجَدَ فِي هَذَا التَّأْنِيثِ إِشَارَةً إِلَى الرِّضَا بِهَذِهِ الْأُسْوَةِ وَلَوْ عَلَى أَدْنَى وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ؛ قَالَ: ((وَكَانَ تَأْنِيثُ الْفِعْلِ إِشَارَةً إِلَى الرِّضَا بِهَا وَلَوْ كَانَتْ عَلَى أَدْنَى الْوُجُوهِ))^(٨٤). وَهَذَا نَجْدٌ أَنَّهُ وَظَفَ دَلَالَةَ التَّأْنِيثِ تَوْظِيفًا إِيْجَابِيًّا لِلْإِشَارَةِ إِلَى اتِّخَاذِ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُسْوَةً وَالرِّضَا بِهِ قُدْوَةً وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى أَدْنَى الْوُجُوهِ وَأَقْلَهَا. وَإِذَا

انْطَلَقْنَا مِنْ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ الَّتِي رَسَمَهَا لَنَا الْبِقَاعِيُّ وَبَحَثْنَا عَنْ سَبَبِ تَذْكِيرِ الْفِعْلِ فِي آيَةِ الْأَحْزَابِ السَّابِقَةِ، فَيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّ التَّذْكِيرَ هُنَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ



هُوَ^(٨٦)، أو بِالْقَوْلِ إِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ شَيْئَانِ
فَيُجْعَلُ الْفِعْلُ أَوْ الضَّمِيرُ لِأَحَدِهِمَا^(٨٧)،
(فَحُذِفَ خَبْرٌ أَحَدُهُمَا لِأَنَّ الْخَبَرَ الثَّانِي
يُدُلُّ عَلَى الْخَبْرِ الْمَحذُوفِ وَالْمَعْنَى إِذَا
رَأَوْا تِجَارَةً انْفَضُّوا إِلَيْهَا أَوْ هَوَا انْفَضُّوا
إِلَيْهِ)^(٨٨)، وَقِيلَ إِنَّهُ ((رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى
التَّجَارَةِ لِأَنَّهَا أَعْمٌ وَأَفْضَلُ))^(٨٩)، أَوْ
بِعِبَارَةٍ أُخْرَى ((لِأَنَّهَا كَانَتْ أَهَمَّ إِلَيْهِمْ،
وَهُمْ بِهَا أَسْرُّ مِنَ الطَّبْلِ؛ لِأَنَّ الطَّبْلَ إِنَّمَا
دَلَّ عَلَى التَّجَارَةِ، وَالْمَعْنَى كُلُّهُ لَهْ))^(٩٠).
وَيَرَى الْبِقَاعِيُّ أَنَّ النَّصَّ الْكَرِيمَ أَنَّ
الضَّمِيرَ لِلْاهْتِمَامِ بِالتَّجَارَةِ لِأَنَّ اللَّهَ

الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ الْقُدْوَةُ الْجَامِعَةُ
لِكُلِّ صِفَاتِ الْخَلْقِ السَّامِيِّ وَالْأُسُوءَةِ
الْمُتَكَامِلَةِ، وَمِنْ ثَمَّ دَلَّ عَلَى عِظَمِ مَكَانَتِهَا
وَقُوَّةِ أَثَرِهَا بِأَنْ جَاءَ مَعَهَا بِالْفِعْلِ مُذَكَّرًا
غَيْرَ مُؤَنَّثٍ، لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهَا الشَّخْصِيَّةُ
الْمُتَكَامِلَةُ عَلَى كُلِّ الْوُجُوهِ.

٢٦. ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي
الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا
رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوَا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ
قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنْ
التَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ [سورة

الجمعة: ١٠ - ١١].

أُعِيدَ الضَّمِيرُ الظَّاهِرُ فِي (إِلَيْهَا)
مُؤَنَّثًا عَلَى (تِجَارَةٍ) عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ
الْكَلَامَ عَنِ التَّجَارَةِ وَاللَّهُو، وَقَدْ
وَجَّهَ التُّحَاةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ ((جَعَلَ الْهَاءَ
لِلتَّجَارَةِ دُونَ اللَّهِو))^(٨٥)، أَوْ أَنَّ تَقْدِيرَ
الْكَلَامِ: إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً انْفَضُّوا إِلَيْهَا أَوْ

(٨٥) معاني القرآن للفراء: ٣ / ١٥٧، وينظر:
معاني القرآن للأخفش: ١ / ٨٨، وإعراب
القرآن للنحاس: ٤ / ٢٨٣، والكشف
والبيان: ٣ / ٣٨٣.

(٨٦) ينظر: مجاز القرآن: ٢ / ٢٥٨.

(٨٧) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١٧٦.

(٨٨) معاني القرآن وإعرابه: ٥ / ١٧٢، وينظر:
الكشاف: ٤ / ٥٣٧.

(٨٩) الكشف والبيان: ٥ / ٣٩، وتفسير
الراغب الأصفهاني: ١ / ١٧٧، وتفسير
البعوي: ٢ / ٣٤٤.

(٩٠) النكت في القرآن الكريم: ٤٩٥، وينظر:
التيبان في إعراب القرآن: ٢ / ١٢٢٣،
والجامع لأحكام القرآن: ١ / ٣٢٥،
وأنوار التنزيل: ٥ / ٢١٢، ومدارك
التنزيل: ٣ / ٤٨٢، والتحرير والتنوير:
٢٨ / ٢٢٨، ويقارن ب: الدر المصون: ١ /
٣٣٠، واللباب في علوم الكتاب: ٢ / ٣٣.



مُسَبَّبٌ عَنْهَا؛ قَالَ: ((وَكَانَ قَصْدَ بَعْضِ الْمُتَفَضِّلِينَ الْعَيْرَ، وَبَعْضُهُمْ مَا قَارَنَهَا مِنَ اللَّهْوِ، وَلَكِنَّ قَاصِدَ التَّجَارَةِ هُوَ الْأَكْثَرُ، أَنْتَ الضَّمِيرَ فَقَالَ مُعَلِّمًا بِالِاهْتِمَامِ بِهَا لِأَنَّ اللَّهْوَ مُسَبَّبٌ عَنْهَا: «إِلَيْهَا» وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ إِذَا ذَمَّ قَاصِدَهَا مَعَ مَا فِيهَا مِنَ التَّفَعُّعِ، وَالْإِنْسَانُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِصْلَاحِ مَعَاشِهِ لِقِيَامِ حَالِهِ وَلَا سِيَّيَا وَالْحَاجَةُ إِذْ ذَاكَ شَدِيدَةٌ، كَانَ الدَّمُّ لِقَصْدِ اللَّهْوِ مِنْ بَابِ الْأُولَى)) (٩١).

٢٧. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

مُبِينٌ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَ وُجُوهَ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ

تَدْعَوْنَ ﴿[سورة الملك: ٢٥-٢٧].﴾

الزُّلْفَةُ: القُرْبُ، وَيَجْعَلُ الْمَفْسَّرُونَ الْمَعْنَى: فَلَمَّا رَأَوْهُ قَرِيبًا، أَوْ ذَا زُلْفَةٍ، أَوْ مَكَانًا ذَا زُلْفَةٍ، أَوْ رَأَوْهُ عَيَانًا (٩٢)،

(٩١) نظم الدرر: ٦٩ / ٢٠.

(٩٢) ينظر: الكشاف: ٤ / ٥٨٢، ومفاتيح

الغيب: ٣٠ / ٥٩٦، والجامع لأحكام

القرآن: ١٨ / ٢٢٠، وأنوار التنزيل: ٥ /

٢٣٢ ومدارك التنزيل: ٣ / ٥١٦، والبحر

المحيط: ١٠ / ٢٢٩، واللباب في علوم

وَالزُّلْفَةُ: اسْمٌ مَصْدَرٍ. وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ إِخْبَارٌ بِالمَصْدَرِ لِلْمُبَالِغَةِ، أَي رَأَوْهُ شَدِيدَ القُرْبِ مِنْهُمْ، أَي أَخَذَ يَنَالُهُمْ (٩٣).

وَوَجَدَ البِقَاعِيَّ فِي التَّعْبِيرِ بِالمَصْدَرِ هُنَا مُبَالِغَةً، وَأَنَّ اسْتِعْمَالَ هَذِهِ التَّاءِ فِي (زُلْفَةٍ) لِتَوْكِيدِ المُبَالِغَةِ، فَهِيَ لَيْسَتْ

لِلتَّائِيثِ؛ قَالَ: ((«فَلَمَّا رَأَوْهُ» أَي الوَعْدِ بِانْكَشَافِ المَوْعُودِ بِهِ عِنْدَ كَوْنِهِ، وَحَقَّقَ مَعْنَى المَاضِي وَالفَاءِ بِقَوْلِهِ: ((زُلْفَةً))

أَي ذَا قُرْبٍ عَظِيمٍ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ بِالتَّعْبِيرِ عَنِ اسْمِ الفَاعِلِ بِالمَصْدَرِ إِبْلَاحًا فِي المَعْنَى المَرَادِ وَأَكَّدَ المُبَالِغَةَ بِالتَّاءِ لِأَنَّهَا

تَرِدُ لِلْمُبَالِغَةِ إِذَا لَمْ يُرَدَّ مِنْهَا التَّائِيثُ، وَلَا سِيَّيَا إِنْ دَلَّتْ قَرِينَةٌ أُخْرَى عَلَى ذَلِكَ)) (٩٤).

٢٨. ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبِ

يُوفُضُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ ذَلِكَ

الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿[سورة المعارج:

٤٣ - ٤٤].﴾

يَجِدُ البِقَاعِيَّ أَنَّ تَاءَ التَّائِيثِ لِحِقَّتْ

الكتاب ١٩ / ٢٥٧، وبصائر ذوي التمييز:

٣ / ١٣٦، ومعتك الأقران: ٣ / ١١٤.

(٩٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩ / ٥٠.

(٩٤) نظم الدرر: ٢٠ / ٢٦٥.



وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ الْفِعْلُ مَعَهُ مُؤَنَّثًا أَيْضًا، فَقَالَ: (نَفَعْتُ)، وَيَرَى الْبِقَاعِيَّ فِي هَذَا الْاسْتِعْمَالِ وَمَعْجِيءِ الْفِعْلِ مُؤَنَّثًا دَلَالَةً عَلَى الْحَثِّ عَلَى التَّذْكِيرِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا أَوْ ضَعِيفًا؛ قَالَ: ((«فَذَكَّرْ» أَي بِهِذَا الذَّكْرِ الْحَكِيمِ،...، وَلَوْ كَانَ عَلَى وَجْهِ ضَعِيفٍ -بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ تَأْنِيثُ الْفِعْلِ بَعْدَ مَا أَفَادَتْهُ آدَاءُ الشُّكِّ)) (٩٧).

٣٠. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿[سورة الفلق ١ - ٥].

النَّفَّاثَاتُ: هُنَّ السَّاحِرَاتُ اللَّوَاتِي يُنْفِثْنَ سِحْرَهُنَّ فِي عُقَدٍ يَعْقِدْنَهَا بِالْحَيْوِطِ وَنَحْوِهَا (٩٨)، وَالنَّفْثُ شِبْهُ النَّفْخِ وَدُونَ

(ذكرى). ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (حسن): ٣ / ١٩٨، ولسان العرب: (حسن): ١٣ / ١١٥، والكليات: ٤٥٧، والتحرير والتنوير: ٣٠ / ٢٨٤، والجدول في إعراب القرآن: ٧ / ١٨٢.

(٩٧) نظم الدرر: ٢١ / ٣٩٨.

(٩٨) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣ / ٣٠١، وتأويل مشكل القرآن: ٧٧، وجامع البيان: ٢٤ / ٧٠٤، ومعاني القرآن

كَلِمَةً (خَاشِعَةً) فِي سِيَاقِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي تَصْوِيرِ حَالَةِ الْإِنْكَسَارِ وَالذُّلِّ وَالصَّغَارِ لِلَّذِينَ يَصْنِفُهُمُ النَّصُّ الْكَرِيمُ؛ قَالَ: ((وَلَمَّا كَانَ إِيفَاضُهُمْ إِلَى الْأَنْصَابِ عَلَى حَالِ الشُّرُورِ، أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، وَأَنَّ ذِكْرَ النَّصْبِ وَتَصْوِيرِ حَالَةِ الْإِتْيَانِ إِلَيْهِ مَا كَانَ إِلَّا تَهْكُمًا بِهِمْ فَقَالَ: «خَاشِعَةً» أَي مُنْكَسِرَةً مُتَوَاضِعَةً لِمَا حَلَّ بِهَا مِنَ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ، وَأَخْفَقَهَا عِلَامَةُ التَّأْنِيثِ زِيَادَةً فِي هَذَا الْمَعْنَى وَمَبَالَغَةً فِيهِ بِقَوْلِهِ: «أَبْصَارُهُمْ»)) (٩٥).

٢٩. ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (٩) سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى ﴿[سورة الأعلى: ٩ - ١٠].

عَدَلَ النَّصُّ الْكَرِيمُ عَنِ اسْتِعْمَالِ مَصْدَرِ الْفِعْلِ (ذَكَرَ) الَّذِي يَتْبَادِرُ إِلَى الذَّهْنِ، لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَهُوَ (التَّذْكِيرُ)، أَوْ مَصْدَرًا آخَرَ نَحْوُ: (الذُّكْرُ)، أَوْ (التَّذْكِيرُ)، وَفَضَّلَ اسْتِعْمَالَ الْمَصْدَرِ (ذَكَرَى) (٩٦) الْمَوْثُ لَفْظِيًّا بِالْأَلْفِ،

(٩٥) نظم الدرر: ٢٠ / ٤٢١.

(٩٦) الذكرى: مصدر أو اسم مصدر من الفعل (ذَكَرَ)، بِمَعْنَى الذَّكْرِ أَوْ التَّذْكِيرِ، وَلَيْسَ فِي الْعَرَبِيَّةِ مَصْدَرٌ عَلَى وَزْنِ (فَعَلَى) غَيْرِ



التَّغْلَ وَلَكِنَّهُ بِلَا رَيْقٍ (٩٩)، وَقِيلَ:
التَّفَّاتَاتُ: هُنَّ النِّسَاءُ، أَوِ النَّفُوسُ، أَوْ
الْجَمَاعَاتُ السَّوَاخِرُ (١٠٠). وَيَذْكَرُ بَعْضُ
الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ الْمَرَادَ بِالتَّفَّاتَاتِ بِنَاتُ لَبِيدِ
بْنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ اللَّوَاتِي سَحَرْنَ
النَّبِيَّ ﷺ، وَعَقَدْنَ لَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِحْدَى عَشْرَةَ
آيَةً بَعْدَ الْعُقْدِ، وَهُنَّ الْمَعْوَذَاتُ، شِفَاءٌ
لِلنَّبِيِّ ﷺ (١٠١). وَذَهَبَ الْبِقَاعِيُّ إِلَى أَنَّ

النَّصَّ الشَّرِيفَ جَاءَ بِصِيغَةِ (النَّفَّاتَاتِ)
بِالتَّعْرِيفِ وَالْجَمْعِ وَالتَّأْنِيثِ لِيَدْخُلَ فِيهِ
مَا دُونَهُ سِوَاءَ كَانِ الْمَرَادُ نَفُوسَ الرَّجَالِ
أَوْ نَفُوسَ النِّسَاءِ؛ قَالَ: ((عَرَفَ وَبَالَغَ
وَجَمَعَ وَأَنْتَ لِيَدْخُلَ فِيهِ مَا دُونَهُ مِنْ بَابِ
الْأَوَّلَى فَقَالَ تَعَالَى: ﴿التَّفَّاتَاتُ﴾ أَيِ
النَّفُوسِ السَّاحِرَةِ سِوَاءَ كَانَتْ نَفُوسَ
الرِّجَالِ أَوْ نَفُوسَ النِّسَاءِ أَيِ الَّتِي تُبَالِغُ
فِي التَّفْتِ)) (١٠٢). فِي حِينِ وَجَّهَ الطَّاهِرُ
بُنُ عَاشُورَ مَجِيءَ النَّفَّاتَاتِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ
الْمُوْنَّثِ بِأَنَّ النِّسَاءَ أَكْثَرُ تَعَاطِيًا لِلسَّحْرِ
مِنَ الرَّجَالِ؛ قَالَ: ((الْمَرَادُ بِالنَّفَّاتَاتِ فِي
العُقْدِ: النِّسَاءُ السَّاحِرَاتُ، وَإِنَّمَا جِيءَ
بِصِفَةِ الْمُؤْنَّثِ لِأَنَّ الغَالِبَ عِنْدَ الْعَرَبِ
أَنَّ يَتَعَاطَى السَّحْرَ النِّسَاءُ لِأَنَّ نِسَاءَهُمْ
لَا شُغْلَ لَهُنَّ بَعْدَ تَهَيُّبَةِ لَوَازِمِ الطَّعَامِ
وَالْمَاءِ وَالتَّنَظَافَةِ، فَلِذَلِكَ يَكْثُرُ انْكِبَابُهُنَّ
عَلَى مِثْلِ هَاتِهِ السَّفَاسِفِ مِنَ السَّحْرِ
وَالتَّكْهَنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَالْأَوْهَامُ الْبَاطِلَةُ
تَتَفَشَّى بَيْنَهُنَّ)) (١٠٣).

وإعرابه: ٥ / ٣٧٩، والكشف والبيان:
١٠ / ٣٤٠، و النكت والعيون: ٦ /
٣٧٥، وتفسير القشيري: ٣ / ٧٨٥،
والمفردات في غريب القرآن: ٨١٦،
وتفسير البغوي: ٥ / ٣٣٥، والكشاف
٤ / ٨٢١، والمحرم الوجيز: ٥ / ٥٣٩،
والجامع لأحكام القرآن: ٢٠ / ٢٥٧،
وأنوار التنزيل: ٥ / ٣٤٨، و مدارك
التنزيل: ٣ / ٦٩٨، و اللباب في علوم
الكتاب: ٢٠ / ٥٧٣، والتحرير والتنوير:
٣٠ / ٦٢٨.

(٩٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥ / ٣٧٩،
والكشف والبيان: ١٠ / ٣٤٠، والمحرم
الوجيز: ٥ / ٥٣٩، ومفاتيح الغيب: ٣٢ /
٣٧٤، وأنوار التنزيل: ٥ / ٣٤٨.
(١٠٠) ينظر: الكشاف ٤ / ٨٢١.
(١٠١) ينظر: المحرم الوجيز: ٥ / ٥٣٩، وأنوار
التنزيل: ٥ / ٣٤٨.

(١٠٢) نظم الدرر: ٢٢ / ٤١١ - ٤١٢.

(١٠٣) التحرير والتنوير: ٣٠ / ٦٢٨. وينظر

مثل هذا التوجيه في: مفاتيح الغيب: ٣٢ /

٣٧٤.



الخاتمة والتناجح:

تَوَصَّلَ هَذَا الْبَحْثُ، بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، إِلَى ثَلَاثِ نَتَائِجٍ مُهِمَّةٍ، يَتِمُّثَلُّ أَوْهَا فِي أَنَّ الْبِقَاعِيَّ نَظَرَ إِلَى التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَظْرَةً جَدِيدَةً غَيْرَ مَسْبُوقَةٍ، حَتَّى لِيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّهَا تُشَكِّلُ ظَاهِرَةً جَدِيدَةً فِي الْفِكْرِ اللَّغَوِيِّ عَامَّةً لَا فِي فِكْرِ الْبِقَاعِيَّ فَقَطْ، وَقَدْ صَبَّتْ دِرَاسَةُ الْبِقَاعِيَّ لِلتَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ فِي مِيدَانِ إِعْجَازِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ، لِأَنَّهُ كَشَفَ عَن نُّكْتِ بِلَاغِيَّةٍ دَقِيقَةٍ اِمْتَاَزَ بِهَا الْاِسْتِعْمَالُ الْقُرْآنِيُّ لِلْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ. وَهَذِهِ النُّظْرَةُ الْجَدِيدَةُ وَالْمُتَفَرَّدَةُ لِلتَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ، فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَسْتَحِقُّ مِنَ الْبَاْحِثِينَ الدَّرْسَ وَالتَّأَمُّلَ وَالْإِفَادَةَ، وَلَا سِيَّمًا فِيمَا تُوفِّرُهُ حَالَاتٌ جَوَازِ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ مِنْ سَعَةٍ وَمُرُونَةٍ فِي الْاِخْتِيَارِ وَالتَّعْبِيرِ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَمِنْ هَذِهِ النَّيْجَةِ تَنْبُتُ النَّيْجَةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي تَجَلَّى فِي الدَّلَالَاتِ الْاَسَاسِيَّةِ الَّتِي كَشَفَ عَنْهَا الْبِقَاعِيَّ لِلتَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، إِذْ تَدُورُ دَلَالَاتُ التَّذْكِيرِ الْاَسَاسِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الْقُرْآنِيِّ، عِنْدَ الْبِقَاعِيَّ، حَوْلَ:

الْقُوَّةَ وَالْعُلُوَّ وَالرَّفْعَةَ وَالصَّلَابَةَ، فِي حِينِ تَدُورُ دَلَالَاتُ التَّأْنِيثِ الْاَسَاسِيَّةِ، عِنْدَهُ، حَوْلَ: الضَّعْفِ وَالتَّحْقِيرِ وَالتَّقْلِيلِ، وَهَذِهِ الدَّلَالَاتُ الرَّئِيسَةُ تَتَفَرَّعُ مِنْهَا دَلَالَاتٌ سِيَاقِيَّةٌ مُخْتَلِفَةٌ، عَرَضَ الْبَحْثُ لِأَهَمِّ صُورِهَا، عِنْدَ الْبِقَاعِيَّ؛ وَمِنْهَا: دَلَالَةُ الْمَذَكَّرِ فِي سِيَاقِ الْاَيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى: رَفْعَةِ الْقَدْرِ، وَتَعْظِيمِ الْحُجْجِ، وَالْاِرْتِفَاعِ عَنِ التَّهْمَةِ وَالشُّبْهَةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ النَّقْصِ، وَتَفْخِيمِ الشَّيْءِ وَتَكْثِيرِهِ، وَتَهْوِيلِ الْعَذَابِ؛ وَمِنْهَا دَلَالَةُ الْمُوْنَّثِ فِي سِيَاقِ النَّصِّ عَلَى: التَّحْقِيرِ، وَنُزُولِ الْقَدْرِ، وَسُفُولِ الْمُرْتَبَةِ، وَضَعْفِ الْقَوْلِ أَوْ الْعَمَلِ، وَضَعْفِ الْعَقْلِ، وَتَقْلِيلِ الْمُدَّةِ. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ السِيَاقِيَّةِ، وَغَيْرَهَا مِمَّا وَرَدَ فِي هَذَا الْبَحْثِ، تُعَدُّ قِرَاءَاتٍ جَمَالِيَّةً وَبِلَاغِيَّةً رَائِدَةً لِلَايَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ؛ سَتَفْتَحُ الْبَابَ، بِإِذْنِهِ تَعَالَى، لِدِرَاسَاتٍ وَقِرَاءَاتٍ جَدِيدَةٍ لظَاهِرَةِ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ وَالتَّصُوصِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ وَالرَّفِيعَةِ فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ. وَالنَّيْجَةُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا الْبَحْثُ تَتَبَدَّى فِي طَرِيقَةِ



تَنَاولِ الْمَذْكَرَ وَالْمُؤَنَّثَ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ،
وَنَعْنِي بِهَذَا أَنَّ الْبِقَاعِيَّ تَنَاولَ التَّذْكَيرَ
وَالتَّأْنِيثَ مِنْ زَاوِيَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ؛ فَهُوَ
تَنَاولُ بِالتَّوَجُّهِ الدَّلَالِيِّ بَعْضَ النَّصُوصِ
الْقُرْآنِيِّ الَّتِي يَبْدُو ظَاهِرُ التَّعْبِيرِ فِيهَا غَيْرَ
مُؤَافِقٍ لِمَا وَصَفَهُ النُّحَوِيُّونَ بِأَنَّهُ الْأَوَّلَى،
كَمَا فِي عَوْدِ الضَّمِيرِ مُؤَنَّثًا عَلَى مُذْكَرٍ،
فِي نَحْوِ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾
[سورة الأنفال: ٦١]، أَوْ تَجْرِيدِ الْفِعْلِ
مِنْ تَاءِ التَّأْنِيثِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ فَاعِلَهُ
مُؤَنَّثٌ، نَحْوِ: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾
[سورة محمد: ١٨]، أَوْ إِحْطَاقِ التَّاءِ
بِالْفِعْلِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ فَاعِلَهُ مُذْكَرٌ،
نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ﴾ [سورة الحج: ٤٢]، أَوْ مَجِيءِ
الْوَصْفِ مُذْكَرًا وَمَوْصُوفُهُ مُؤَنَّثٌ، نَحْوِ
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾
[سورة الزخرف: ١١]، فِي حِينِ تَنَاولِ
نُصُوصًا أُخْرَى وَقَعَ فِيهَا عُدُولٌ عَنِ
اسْتِعْمَالِ إِلَى اسْتِعْمَالِ آخَرَ اخْتَارَهُ الْقُرْآنُ
الْكَرِيمُ وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَكُونَ أَحَدُ الاسْتِعْمَالَيْنِ أَوَّلَى مِنَ الْآخَرِ،
كَمَا فِي اسْتِعْمَالِ: (مَعِيشَةٌ)، وَالْعُدُولِ

عَنْ (عَيْشٍ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ
أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [سورة
طه: ١٢٤]، أَوْ فِي اسْتِعْمَالِ (ضَلَالَةٌ)
وَالْعُدُولِ عَنِ (ضَلَالٍ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَمَا أَنْتَ بِبَهْدِ الْعَمِيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾
[سورة الروم: ٥٣]، مِمَّا فَضَّلْنَا الْكَلَامَ
عَلَيْهِ فِي الْبَحْثِ. وَهَذِهِ النِّتَائِجُ تَقُودُنَا
إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِعْجَازَ الْقُرْآنِيَّ يَتِمُّظَهَّرُ
بِالْوَانِ وَصُورٍ مُتَنَوِّعَةٍ الْمَعَانِي وَثَرِيَّةٍ
الدَّلَالَاتِ كُلَّمَا تَدَبَّرْنَا بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ
لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعِلْمِ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى
عَظِيمِ نِعْمِهِ وَلَطِيفِ تَوْفِيقِهِ.

مصادر البحث ومراجعته:

- الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.



- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت.
- إعراب القرآن المنسوب للزجاج، أبو الحسن نور الدين علي بن الحسين بن علي جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت نحو ٥٤٣هـ)، تح: إبراهيم الإياري، دار الكتاب المصري-القاهرة، ط: ٤، ١٤٢٠هـ.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ)، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط: ١٥، ٢٠٠٢م. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام
- (ت ٧٦١هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر-بيروت، ط: ١٤٢٠هـ.
- بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، د. ط، د. ت.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة-بيروت.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: ١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف



- الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر
 محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت
 ٨١٧هـ)، تح: محمد علي النجار،
 المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-
 لجنة إحياء التراث الإسلامي،
 القاهرة، د. ط، د. ت.
- البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث،
 أبو البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧
 هـ)، تح: د. رمضان عبد التواب، دار
 الكتب العلمية، ١٩٧٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس،
 محمد الحسيني، الملقب بمرتضى
 الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تح:
 مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد
 الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت
 ٢٧٦هـ)، تحقق: إبراهيم شمس
 الدين، دار الكتب العلمية-بيروت.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء
 عبد الله بن الحسين بن عبد الله
 العكبري (ت ٦١٦هـ)، تح: علي
 محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي
 وشركاه، د. ط، د. ت.
- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي
 بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين
 ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تح:
 محمد حامد الفقي، دار المعرفة-
 بيروت، د. ط، د. ت.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن
 عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)،
 الدار التونسية للنشر -تونس،
 ١٩٨٤هـ.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي
 الزين الشريف الجرجاني (ت
 ٨١٦هـ)، تح: تصحيح: جماعة من
 العلماء، دار الكتب العلمية-بيروت،
 ط: ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- تلخيص الخطابة، أبو الوليد محمد
 بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد
 القرطبي المعروف بابن رشد الحفيد
 (ت ٥٩٥هـ)، المكتبة الشاملة بترقيم
 آلي.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن
 أحمد الأزهري، (ت ٣٧٠هـ)، تح:
 محمد عوض مرعب، دار إحياء
 التراث العربي-بيروت، ط: ١،



- ٢٠٠١ م. (ت ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني
- ١ - توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٢ - التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب - القاهرة، ط: ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.
- ٣ - جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٤ - جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية - لبنان، ط: ٢٨، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣ م.
- ٥ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، د. ط، د. ت.
- ٦ - الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط: ٤، ١٤١٨هـ.
- ٧ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، تح: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ.
- ٨ - حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.
- ٩ - حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ)، دار الكتب



- العلمية بيروت، ط: ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، ابن زنجلة (ت نحو ٤٠٣ هـ)، تح: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، د. ط، د. ت.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، (ت ٣٩٢ هـ)، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ٤، د. ت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق.
- دستور العلماء = جامع العلوم في
- اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمّد نكري (ت ق ١٢ هـ)، تعريب: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت ١١٦٧ هـ)، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - لبنان، ط: ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (ت ١١٢٧ هـ)، دار الفكر - بيروت، د. ط، د. ت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت ١٢٧٠ هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تح:



- د. عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.
- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، ط: ٢، ١٤٠٠ هـ.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) -القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
- شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (ت ١٣٥١هـ)، تح: نصر الله عبد الرحمن، مكتبة الرشد- الرياض، د. ط، د. ت.
- شرح ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث -القاهرة، ط: ٢٠، ١٤٠٠ هـ -١٩٨٠ م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م.
- شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني (ت ٦٧٢هـ)، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، ط: ١، د. ت.
- شرح المفصل للزنجشري، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلى (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، أبو محمد، جمال الدين عبد الله بن يوسف، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع -سوريا، د. ط، د. ت.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، شمس الدين محمد بن عبد



- محمد أديب عبد الواحد جهران، دار
قتيبة - سوريا، ط: ١، ١٤١٦هـ -
١٩٩٥م.
- غريب القرآن، أبو محمد عبد الله
بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت
٢٧٦هـ)، تح: أحمد صقر، دار الكتب
العلمية - بيروت، د. ط، ١٣٩٨هـ -
١٩٧٨م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن
قنبر الملقب بسيبويه (ت ١٨٠هـ)،
تح: عبد السلام محمد هارون،
مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: ٣،
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الكشف عن حقائق غوامض
التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود
بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت
٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي -
بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب
والفنون، مصطفى بن عبد الله
المشهور بحاجي خليفة (ت
١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى - بغداد،
١٩٤١م.
- المنعم الجوّجري القاهري الشافعي
(ت ٨٨٩هـ)، تح: نواف بن جزاء
الحارثي، عمادة البحث العلمي
بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة،
ط: ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٤م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،
شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد
الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)،
منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت،
د. ط، د. ت.
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد
الأدنه وي من علماء القرن الحادي
عشر (ت ق ١١هـ)، تح: سليمان
بن صالح الخزي، مكتبة العلوم
والحكم - السعودية، ط: ١،
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل،
أبو القاسم برهان الدين محمود
بن حمزة بن نصر الكرمانى (ت
نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة
الإسلامية - جدة، د. ط، د. ت.
- غريب القرآن، أبو بكر محمد بن
عُزير السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، تح:



- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- الكلمات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، د. ط، د. ت.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت ٧٧٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار صادر-بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ.
- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب -مصر، ط: ٣، د. ت.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي، الكتاب بترقيم الشاملة آليا.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصللي، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية-الكويت، د. ط، د. ت.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، تح: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط: ١٣٨١هـ.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ.
- المحتسب في تعيين وجوه شواذ



- القراءات والإيضاح عنها، أبو
الفتح عثمان بن جني الموصللي، وزارة
الأوقاف - مصر، ط: ١٤٢٠هـ -
١٩٩٩م
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب
العزیز، أبو محمد عبد الحق بن
غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن
عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تح:
عبد السلام عبد الشافي محمد، دار
الكتب العلمية - بيروت، ط: ١،
١٤٢٢هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو
البركات عبد الله بن أحمد بن محمود
حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)،
تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم
الطيب - بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ -
١٩٩٨م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث
اللغوي، رمضان عبد التواب،
مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: ٣،
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- المذكر والمؤنث بين اللفظ والمعنى،
د. محمود عكاشة، الأكاديمية
الحديثة للكتاب الجامعي - القاهرة،
ط: ١، ٢٠٠٩هـ.
- المذكر والمؤنث، أبو الحسين سعيد
بن إبراهيم التستري الكاتب (ت
٣٦١هـ)، تح: احمد عبد المجيد
هريدي، مكتبة الخانجي - القاهرة،
ط: ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي
بن أبي طالب حموش بن محمد بن
مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي
القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) تح:
د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة
الرسالة - بيروت، ط: ٢، ١٤٠٥هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو
محمد الحسين بن مسعود بن محمد
بن البغوي (ت ٥١٠هـ)، تح: عبد
الرزاق المهدي، دار إحياء التراث
العربي - بيروت، ط: ١، ١٤٢٠هـ.
- معاني القرآن، أبو الحسن المعروف
بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)،
تح: د. هدى محمود قراعة،
مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: ١،
١٤١١هـ - ١٩٩٠م.



- معاني القراءات، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب- جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤١٢ هـ- ١٩٩١ م.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١هـ)، عالم الكتب-بيروت، ط: ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي ورفيقه، دار المصرية للتأليف والترجمة-مصر، ط: ١، د. ت.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط: ١، ١٤٢٠ هـ- ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.
- المعجم المفصل في المذكر والمؤنث، د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.
- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية-بيروت، د: ١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م.
- معجم المؤلفين، عمر كحالة (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى-بيروت، د. ط، د. ت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، أبو محمد، جمال الدين عبد الله بن يوسف، ابن هشام الانصاري، تح: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر-دمشق، ط: ٦، ١٩٨٥ م.
- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠ هـ.



مَوْقِفُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النَّبِيِّ

عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَعْوَتُهُ

الشيخ الدكتور منصور مندور

من علماء الازهر الشريف

فحوى البحث

بحث عرض فيه الشيخ الباحث لظاهرة من الظواهر السلبية التي التزم بها بنو اسرائيل في ايذاء أنبيائهم وقتلهم وعصيانهم وقد نعى القرآن الكريم عليهم هذه الامور حتى لقد صار الكفر ديدنهم والأذى سجيبتهم.

وها نحن نقرأ في هذا البحث صورة جلية لما كان عليه بنو اسرائيل مع نبي الله عيسى ابن مريم الذي أراد أن يهديهم و يُحلَّ لهم كثيراً مما حُرِّم عليهم بسبب بغيهم وكفرهم مستنداً في طرحه الاحداث الى القرآن الكريم أولاً ومستعيناً بمصادر قليلة ومحدودة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المحور الأول:

تعريف بعيسى ابن مريم عليه السلام:

أولاً: ميلاد المسيح عيسى ابن

مريم عليها السلام:

بينما مريم في محرابها، مطمئنة إلى انفرادها، ذاكرة لربها، إذ دخل عليها رجل لا تعرفه، ولا تدري كيف دخل عليها ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم: ١٧] فإذا بها تتنفض انتفاضة شديدة فتلجأ إلى الله تستعيد به، وتأوي إليه ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ [سورة مريم: ١٨].

وبينما هي كذلك إذ يبشرها الملك بما جاء به ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [سورة مريم: ١٩]، غلام له شان عظيم، يكون وجوده بكلمة الله تعالى، وليكون آية من آيات الله ﴿ وَلَنَجْعَلَنَّ لَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٢١]؛ فتسأل في صراحة واستغراب ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي

بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٢٠] فأنا لست ذات زوج، ولا من عزمي أن أتزوج، ولست بغياً حاشا لله، فالتصور البشري يدرك أن الغلام إنما يأتي بوسيلة من هذه الوسائل التي اعتادها الناس، ولكن الملك يكشف لها عن عظيم قدرة الله، فيقول لها كما حكى القرآن الكريم ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَكُلٌّ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٧] فهو آية كما كان آدم آية ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة آل عمران: ٥٩].

والواضح أن الملك نفخ في رحمها نفخة حملت على إثرها، ولما جاءها المخاض أتت إلى المكان البعيد، وتحت جذع نخلة وضعت وليدها، تساعدها الملائكة، يصور القرآن الكريم هذا المشهد فيقول سبحانه: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾ [سورة



مريم: ٢٢ - ٢٣]. وكما أن الله تعالى كان يرزقها وهي في المحراب دون عناء أو شقاء، ساق لها رزقها وهي تضع مولودها، فأسقط عليها الرطب وأجرى لها الماء العذب، ولكنها شعرت بالخوف من عظيم المفاجأة، فقالت: ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ [سورة مريم: ٢٣] وهي في حدة الألم، وهول الموقف، تسمع هذا الصوت الرقيق يناديها من تحتها، يُطمئننها إلى قضاء الله وقدره، ويرشدها إلى طعامها وشرابها، ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتِ لِيكِ يَجْنَعِ النَّخْلَةَ سُنْقَطٍ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا...﴾ [سورة مريم: ٢٤ - ٢٦].

ولا شك أن كل كلمة في كتاب الله لها مدلولها القوي الذي يناسب مقام الآية.. وهذه الدقة تشهد أن القرآن المجيد لا يمكن أن يكون قول بشر.. يلاحظ ذلك في حديث القرآن عن الأنبياء نجد أن كثيراً من الأنبياء خاطبوا قومهم بكلمة يا قوم...

فهذا هو سيدنا نوح يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩].

وهذا هو سيدنا هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [سورة هود: ٥٠].

كذلك فإن سيدنا صالح عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة هود: ٦١]...

وهكذا حال كثير من الأنبياء يتحدث القرآن المجيد عنهم وعن أقوامهم؛ وينطبق هذا المثال على سيدنا موسى عليه السلام.. الذي كان يخاطب قومه بقوله: يا قوم... ويقصد بني إسرائيل فقد بعث فيهم.

فقد جاء في كثير من الآيات القرآنية: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة البقرة: ٥٤]. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة إبراهيم: ٦]...



موقف بني اسرائيل من عيسى (عليه السلام) ودعوته (الصَّبَاح)

هذه الآية للنبي الكريم!! حتى عندما تحدث القرآن عن السيدة مريم أم المسيح نسبها إلى قومها.. قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [سورة مريم: ٢٧]. ولكن المسيح لم يُنسب لأي قوم في القرآن. أي أن عيسى ليس له قوم! فما هو السر في ذلك؟

ولكن لماذا نبي الله عيسى ليس له قوم مثل بقية المرسلين؟؟

فمن المعروف أن نسبة الإنسان تكون دائماً لأبيه، فالأب ينتمي لقبيلة أو قوم أو بلد.. وكذلك فإن الابن ينتمي لنفس القبيلة أو القوم أو البلد... فنبى الله نوح ينتمي لأب من قومه ولذلك نُسب إليهم، ونبي الله إبراهيم ينتمي لأبيه آزر من قومه فُنسب إلى قومه... وهكذا.. وهنا نتساءل: لمن ينتمي سيدنا المسيح؟. طبعاً لا ينتمي لأي قوم لأنه وُلد بمعجزة وجاء إلى الدنيا من غير أب!!.. ولذلك من الخطأ أن يقول المسيح لبني إسرائيل: يا قوم!!.. وكان لابد أن يناديهم بقوله: يا بني إسرائيل..

وكما نعلم أن موسى أرسل لبني إسرائيل.. ولكن ماذا عن عيسى وقد أرسل إلى بني إسرائيل أيضاً؟.

هنا نجد أن الحال يختلف مع سيدنا عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام!. فلا توجد أي آية في القرآن تجمع كلمة (عيسى) أو (المسيح) مع كلمة (قوم).. فكان يخاطبهم بقوله: يا بني إسرائيل دائماً من دون أي ذكر للقوم.

يقول القرآن المجيد: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٧٢]. ويقول أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سورة الصف: ٦]...

وهكذا في كل القرآن لا نجد ذكراً لقوم عيسى!. والآية الوحيدة التي ذكر فيها سيدنا عيسى مع كلمة (قوم) هي: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون﴾ [سورة الزخرف: ٥٧].

وكلمة (قَوْمُكَ) هنا لا تدل على قوم عيسى، بل قوم محمد ﷺ لأن الخطاب في



وهذا ما فعله القرآن.. ولا توجد ولا آية واحدة تشدُّ عن هذه القاعدة.

ومن ثم نجد أن جميع البشر لهم قوم باستثناء نبين كريمين: هما آدم وعيسى (عليه السلام).. فقد ذكر القرآن هذه الحقيقة في آية كريمة واحدة يقول تعالى فيها:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: ٥٩]..

فانظروا إلى دقة هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد... هل هو كلام بشر؟ أم كلام خالق البشر تبارك وتعالى؟(*)

ثانياً: نعم الله على عيسى (عليه السلام):

وما زالت البشارات تترى عليها حول هذا المولود الذي اختارها الله عز وجل لإنجابه على غير مثال سابق، فيأتيها الملك مبيناً نعم الله عليه:

(*) ومن ثم نجد أن قواعد اللغة العربية تسمح لنا أن نكتب ألف (ابن) بعد كلمة عيسى ابن مريم، على خلاف ما إذا جاءت كلمة (ابن) بين علمين فإنها تكتب هكذا: محمد بن عبد الله.

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨) ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٤٩)

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحْجِلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٥٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٤٨ - ٥١] تكشف هذه الآيات عن فضل الله تعالى، ونعمه على عبده ورسوله عيسى ابن مريم (عليه السلام) من خلال تعلمه التوراة والإنجيل والحكمة التي آتاه الله إياها، وجعله مباركاً أي كثير الخير أينما وجد، وذا بركات ومنافع في الدين، وأمره بإقامة الصلاة، والإنفاق مما رزقه الله طالما كان حياً يرزق، وأمره بالبر بوالدته، وبذلك يكون برّاً مما نُسب إليها من قومها ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾



فلم يقل ما ادعاه النصرارى من أنه ابن الله سبحانه وتعالى أو أنه الله عز وجل أو أنه أحد أفانيم ثلاثة، فقولهم هذا قول باطل لا أصل له، وعيسى عليه السلام لم ينطق إلا بما أنطقه الله من الحق: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء: ١٧٢].

رابعاً: نبوة عيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّي يُؤَفِّكُونَ﴾ [سورة المائدة: ٧٥]

أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله، جاء بآيات من الله كما أتوا بمثلها، دلالة على صدقه أنه مرسل من عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٤٩]، وهذا النص يفيد أن

أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [سورة مريم: ٣١-٣٢].

وقد أنعم الله تعالى عليه أيضاً بالتواضع، فلم يكن مستكبراً ولا جباراً ولا شقيماً، قال بعض السلف: لا تجد أحداً عاقاً لوالديه إلا وجدته جباراً شقيماً، ثم قرأ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (١).

ثالثاً: عبودية عيسى عليه السلام لله (عز وجل):

جاءت آيات القرآن الكريم مبينة لحال عيسى ابن مريم، وأنه عبد مخلوق لله تعالى، ليس له شأن من ألوهية الله وربوبيته، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الزخرف: ٥٩] وأول ما نطق به عيسى عند مولده قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [سورة مريم: ٣٠-٣١].

(١) مختصر ابن كثير عند تفسيره للآية ٣٢ من سورة مريم.



رسالة عيسى عليه السلام كانت لبني إسرائيل خاصة، فهو أحد أنبيائهم، ثم جاء قوله سبحانه في المائدة: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِّعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة المائدة: ١١٠].

فقد حرص النص على أن يذكر على لسان عيسى عليه السلام كل خارقة من هذه الخوارق التي جاءهم بها، إنما جاءهم بها من عند الله، وذكُر "إذن الله" بعد كل واحدة منها تفصيلاً وتحديداً؛ للدلالة على أنه لم يجيئ بها من عند نفسه، وإنما جاء بها من عند الله عز وجل.

وهذا النص يعلن حقيقة التصور الاعتقادي الذي قام عليه دين الله كله،

ثم يؤكد ربوبية الله تعالى له ولهم على السواء، فلا عبودية إلا لله، ولا طاعة إلا لله، هذا هو الصراط المستقيم (٢).

خامساً: رفع عيسى ابن مريم عليه السلام:

قال تعالى مخبراً عن نجاته لعبده عيسى من الخيانة والقتل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿﴾ [سورة النساء:

١٥٧-١٥٨] إن الله تعالى رفع عبده ونبيه عيسى عليه السلام إلى سوائه وكرامته، فهو حيٌّ في السماء الثانية -كباقي الأنبياء- على ما أشار إليه حديث المعراج الذي أخرجه البخاري عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به: (ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟. قال: جبريل، قيل: ومن معك؟. قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟. قال: نعم، فلما خلصت فإذا يجيئ وعيسى وهما ابنا خالة، قال: هذا يجيئ

(٢) في ظلال القرآن ص ٤٠١.



وعيسى، فسلم عليهما، فسلمت فردًا، ثم قالوا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح).
وقد أخبر سبحانه بذلك في آية أخرى حيث قال سبحانه: ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ** **وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٥٥].

فأما كيف كانت وفاته، وكيف كان رفعه؛ فهي أمور غيبية تدخل في المشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى، ولا طائل وراء البحث فيها. لا في عقيدة ولا في شريعة؛ والذين يجرون وراءها، ويجعلونها مادة للجدل، ينتهي بهم الحال إلى المراءى وإلى التخليط، وإلى التعقيد دون ما جزم بحقيقة، ودون ما راحة بال في أمر موكل إلى علم الله.

وبالنسبة إلى موضوع (أن الله جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم

ومن المفسرين من يرى أن عيسى عليه السلام سينزل في آخر الزمان؛ فيكون المعنى: إني رافعك إلى مطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء. واستدلوا على ذلك بما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من وجه آخر عن الحسن في قوله ((إني متوفيك)) يعني وفاة المنام، رفعه الله في منامه^(٣) قال الحسن: قال رسول الله ﷺ لليهود: «إن عيسى لم يمت، وإنه راجع إليكم

(٤) الدر المثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي.

(٥) الدر المثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي.

(٦) مختصر تفسير ابن كثير اختصار الصابوني عند حديثه عن الآية ٥٥ من سورة آل عمران.

(٣) الدر المثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي عند تفسيره لآية المذكورة.



القيامة) فلا يصعب القول فيه، فالذين اتبعوه هم الذين يؤمنون بدين الله الصحيح (الإسلام) الذي عرف حقيقته كل نبي، وجاء به كل رسول، وآمن به كل من آمن حقا بدين الله، وهؤلاء فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة في ميزان الله عز وجل؛ كما أنهم كذلك في واقع الحياة كلما واجهوا معسكر الكفر بحقيقة الإيمان، وحقيقة الأتباع.. ودين الله واحد، وقد جاء به عيسى ابن مريم كما جاء به من قبله ومن بعده كل رسول، والذين يتبعون محمدا هم في الوقت ذاته اتبعوا موكب الرسل كلهم من لدن آدم ﷺ إلى آخر الزمان.

وهذا المفهوم الشامل هو الذي يتفق مع سياق السورة، ومع حقيقة الدين كما يركز عليها هذا السياق.

فأما نهاية المطاف للمؤمنين والكافرين، فيقررهما السياق في صدد إخبار الله لعيسى ﷺ: ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون). (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين.

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم. والله لا يحب الظالمين).. وفي هذا النص تقرير لجدية الجزاء، وللقسط الذي لا يميل شعرة، ولا تتعلق به الأماني ولا الافتراء.

سادساً: نزول عيسى ابن مريم ﷺ إلى الأرض:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة النساء:

١٥٩] قال ابن كثير: قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم معنى ذلك: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾

يعني قبل موت عيسى، يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم ﷺ.

عن ابن عباس ((وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)) قال: قبل موت عيسى ابن مريم ﷺ، وقال أبو مالك في قوله: ((إلا ليؤمنن به قبل موته)) قال: ذلك عند نزول عيسى ﷺ،



موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب. ((ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً)) أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض^(٧). أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم ((وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً))^(٨).

(٧) مختصر تفسير ابن كثير اختصار الصابوني عند حديثه عن الآية ١٥٩ النساء.

(٨) صحيح البخاري، للإمام البخاري كتاب الأنبياء. باب: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام المعنى: (إن شئتم) أن تتأكدوا من معني وصدق ما أروي. (وإن من أهل الكتاب) وما من أحد من اليهود والنصارى. (به) بعيسى عليه السلام. (قبل موته) الموت العادي المؤلف بعد نزوله عليه السلام/ والآية في [سورة النساء: ١٥٩].

وقبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به، وقال: الحسن: قبل موت عيسى عليه السلام، والله إنه لحي الآن عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

قال ابن كثير رحمه الله: ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة بذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية (يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان) بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف. فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم، ولهذا قال: ((وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)) (أي قبل



وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والبيهقي في الأسماء والصفات قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم، وإمامكم منكم؟»^(٩). وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود وابن جرير وابن حبان عن أبي هريرة «أن النبي ﷺ قال: الأنبياء أخوات لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه خليفتي على أمتي، وأنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع

الأمنة^(١٠) على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار^(١١) مع البقر، والذئب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون ويدفونونه^(١٢) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ - يَعْنِي عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمْصَرَّتَيْنِ^(١٣) كَأَنَّ

(١٠) قال العلماء: الأمنة بفتح الهمزة والميم والأمن والأمان بمعنى، ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسما باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت. وقوله ﷺ: «وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون» أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أندر به صريحاً وقد وقع كل ذلك.

(١١) فهي نَمْرَة، وجمعها: نِمار، كأنها أخذت من لون النمر؛ لما فيها من السواد والبياض.

(١٢) مسند الإمام أحمد. للإمام أحمد ابن حنبل مسند أبي هريرة رضي الله عنه وفي تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم - كتاب الملاحم. ١٥٩٢ - باب خروج الدجال.

(١٣) (الممصرة من الثياب الملون بالصفرة وليست صفرة بالمشبعة).

(٩) المرجع السابق وأخرجه مسلم في الإيمان،

باب: نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشرية نبينا محمد ﷺ، رقم: ١٥٥.

المعنى: (وإمامكم منكم) يصلي معكم بالجماعة والإمام من هذه الأمة، تكرمه لها. أو المراد: أنه يحكم بينكم بشرعكم المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ.



المحور الثاني:

تعريف بدعوة عيسى عليه السلام:

لقد مضت فترة زمنية على بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام قست فيها قلوبهم، وانحرفت أفكارهم، وابتعدوا عن الصراط المستقيم؛ فضلوا وأضلوا، وقد طغت عليهم المادة فأصبحوا في منأى عن منهج السماء.

ومن ثم أرسل الله تعالى إليهم عيسى ابن مريم عليه السلام ليعيدهم إلى طريق الحق، وإلى الصراط المستقيم، ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة مريم: ٣٦]، وهكذا يعلن عيسى أنه عبد الله وليس هو ابنه كما تدعي فرقة، وليس إلهاً كما تدعي فرقة، وليس ثالث ثلاثة (١٥).

لقد قامت دعوة عيسى عليه السلام على توحيد الله عز وجل، وإفراده بالعبادة، وأن كل ما سوى الله مخلوق ومربوب وعبد لله تعالى، وهذا ما نطق به عيسى وهو في المهدي ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي

رَأْسَهُ يَقَطِّرُ وَإِنْ لَمْ يُصَبِّهُ بَلَلٌ، فَيَقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيُهْلِكُ اللَّهَ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو إِنْ طَالَ بِي عَمْرٌ أَنْ أَلْقَى عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنْ عَجَلَ بِي مَوْتٌ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقِرَّهُ مِنِّي السَّلَامُ» (١٤).

وللآية الكريمة مصاديق أخرى توميء إلى توريث الله - جل وعلا- الأرض لعباده الصالحين، كقوله- تعالى- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [سورة الانبياء: ١٠٥] نجدها بين ثنايا كتب التفسير والعقائد، اضربنا عن الافاضة فيها حرصاً منا على البقاء في صلب الموضوع.

(١٤) مسند الإمام أحمد. للإمام أحمد ابن حنبل مسند أبي هريرة عليه السلام.



الْكَتَبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ
حَيًّا ﴿[سورة مريم: ٣٠-٣١].

وظل عيسى عليه السلام يدعو بني إسرائيل
إلى توحيد الله وعبادته وحده كما
حكى القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ
يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة: ٧٢].

هكذا يقرر الحقيقة التي تقوم عليها
كل دعوة سماوية.
وهكذا تتفق دعوة المسيح عيسى ابن
مريم عليه السلام مع جوهر الشرائع السماوية؛
في توحيد الله تعالى، والتوجه له وحده
بالعبادة دون غيره.

بل إن الأمر ليزداد صعوبة ورهبة
وهيبة، عندما يُسْتَجَوَّبُ عيسى ابن
مريم في مشهد رهيب غريب، في يوم
مرهوب، في أمر الألوهية الذي نسب
إليه، وهو منها براء ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ
يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا

يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ [سورة
المائدة: ١١٦].

ويستشهد بذات الله سبحانه على
براءته مما نسب إليه، مع بيان خصائصه
كعبد، وبيان خصائص ألوهية ربه ﴿إِنْ
كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا
أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾
[سورة المائدة: ١١٦].

ثم يكرر أنه بلغ الأمانة كما أمره ربه
﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ
فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المائدة:
١١٧].

أولاً: نبذة مختصرة عن الإنجيل:
لقد أتى الله تعالى عيسى ابن
مريم عليه السلام الإنجيل هادياً إلى الحق، ونوراً
يستضاء به في إزالة الشبهات وحل
المشكلات التي تعرض لبني إسرائيل
آنذاك.

ومن ثم جاء الإنجيل المشتمل على
الإحياء الروحي، والتهديب الأخلاقي
جاء مكملاً للتوراة المتضمنة للشرائع



القليل مما كانوا يختلفون فيه، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا جِدْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [سورة آل عمران: ٥٠].
ولقد جعل الله الإنجيل موعظة للمتقين الذين فتحت قلوبهم لما في هذه الكتب من الهدى والنور.

وما تجدر الإشارة إليه أن الإنجيل شريعة خاصة لبني إسرائيل، فهو ليس رسالة عامة للبشر، شأنه في هذا شأن التوراة، وشأن كل كتاب وكل رسالة وكل رسول قبل هذه الرسالة الأخيرة، إذ أن الله تعالى جعل القرآن مهيمناً ومؤتمناً وشهيداً وحاكماً على ما قبله من الكتب؛ لما فيه من محاسن ما قبله من الكتب، ولأنه الكتاب الذي أكمل الله به الدين وأتم به الإسلام، وتعهد الله بحفظه في السطور والصدور؛ قال تعالى ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [سورة الحجر: ٩] ولأنه الكتاب الذي ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾ [سورة فصلت: ٤٢].

ثانياً: التخفيف ورفع الحرج:

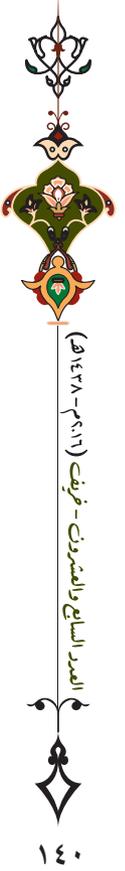
قال تعالى عن لسان عيسى عليه السلام:

التنظيمية؛ لينشأ معاً منهج حياة متكامل، ويربط الناس بربهم، غير أن العداوة الذي شب بين اليهود وبين المسيح أدى إلى انفصال التوراة عن الإنجيل مما ترتب عليه عدم القدرة على قيادة الحياة الاجتماعية للأمم التي عاشت عليها، فقيادة الحياة تقتضي تصوراً اعتقادياً يفسر هذا الوجود، ونظاماً تعبدياً، وقيماً أخلاقية، وتشريعات منظمة لحياة الجماعة مستمدة من ذلك التصور الاعتقادي^(١٦).

والإنجيل الذي في يد النصارى اليوم، والذي يُعرف بالعهد الجديد لا شك هو غير الذي أوحاه الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام عندما امتدت يد التحريف إليه بالزيادة والنقص، وهذه الأناجيل ليست إلا رواية بعض القديسين عن قصة عيسى وليست هي ما أنزله الله عز وجل عليه وسماه الإنجيل الذي أتاه^(١٧). والإنجيل بذلك جاء متبعاً لما في شريعة التوراة، غير مخالف لها إلا في

(١٦) الظلال بتصرف ج١ ص٤٠٠.

(١٧) الظلال ج١ ص٩٩٨.



﴿وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ

عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا

اللَّهِ وَأَطِيعُوا﴾ [سورة آل عمران: ٥٠]

لقد حرم الله تعالى على بني إسرائيل - قبل بعثة المسيح ﷺ - أشياء، وكان تحريمه في

صورة عقوبات حلت بهم؛ بسبب ما

ارتكبه من معاص وانحرافات قال

تعالى: ﴿فِيظَلِمِ مَنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا

عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَجَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن

سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدَّ

نُفُوسًا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا

لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة

النساء: ١٦٠ - ١٦١] وكما جاء في سورة

الأنعام؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ

هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ

الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا

إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا

أَخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَعْضِ مَا

كَفَرُوا﴾ [سورة الأنعام: ١٤٦].

وكان هذا التحريم بسبب طغيانهم

وبغيهم واختلافهم على أنبيائهم.

يقول ابن كثير رحمته: يخبر تعالى أنه

بسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من

الذنوب العظيمة حرم عليهم طيبات كان

أحلها لهم، وهذه سجية لهم متصفون بها

من قديم الدهر وحديثه، ولهذا كانوا

أعداء الرسل، وقتلوا خلقاً من الأنبياء،

وكذبوا عيسى ومحمداً صلوات الله

وسلامه عليهما^(١٨).

يقول الإمام السرخسي: بعض

أصحابنا رحمهم الله تعالى يقولون الحرمة

تثبت هنا بطريق العقوبة كما تثبت حرمة

الميراث في حق القاتل عقوبة، والأصل

فيه قوله تعالى ﴿فِيظَلِمِ مَنَ الَّذِينَ هَادُوا

حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية^(١٩).

ثم شاءت إرادة الله تعالى أن يبعث

فيهم ابن مريم بالتخفيف عليهم،

والرحمة بهم، فيحل لهم بعض ما حرم

عليهم، ومن ثم فإن طبيعة دعوة

عيسى عليه تقوم على التخفيف، ورفع

الخرج عنهم في أمور ظلت كالطوق حول

أعناقهم حيناً من الزمن، إلى أن أنعم الله

عليهم ببعثة عيسى ابن مريم عليه.

(١٨) بتصرف مختصر تفسير ابن كثير ج١

ص٤٦٤.

(١٩) المبسوط، للإمام السرخسي كتاب النكاح.



ثالثاً: تحريم الغلو في الدين:

واشتملت دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام على تحريم الغلو ^(٢٠) في الدين.

فقد نهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين؛ فقال سبحانه: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [سورة النساء: ١٧١].

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم أبو الشيخ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ يقول لا تبتدعوا ^(٢١). يقول الإمام جلال الدين السيوطي: (لا تغلوا) لاتتجاوزوا الحد ^(٢٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ٧٧] وأخرج ابن أبي

(٢٠) (الغلو هو مجاوزة الحد الشرعي).

(٢١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي.

(٢٢) تفسير الجلالين. للإمام جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي.

حاتم عن ابن زيد في قوله ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ قال: الغلوا فراق الحق، وكان مما غلوا فيه أن دعوا لله صاحبة وولدا ^(٢٣).

ولقد بلغت النصارى مبلغاً عظيماً في الجهل والكفر، فليس لجهلهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالتهم منتشر حتى وصل إلى الأتباع من الرهبان، وتوارثه الخلف عن السلف.

يقول الإمام ابن كثير: ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غالوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه ^(٢٤).

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام فإننا أنا عبد؛ فقولوا ^(٢٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي.

(٢٤) مختصر تفسير ابن كثير اختصار الصابوني سورة النساء. عند الآية: من النساء ١٧١.



عبده ورسوله (٢٥).

لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى
ابْنَ مَرْيَمَ، مَعْنَى الْإِطْرَاءِ: مُجَاوِزَةً الْحَدِّ فِي
الْمَدْحِ، وَالْكَذِبُ فِيهِ (٢٦).

قال البخاري: (لا تطروني) من
الإطراء وهو الإفراط في المدح ومجاورة
الحد فيه، وقيل: هو المدح بالباطل (٢٧).
وعن أنس بن مالك أن رجلا قال:
يا محمد، يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا
وابن خيرنا. فقال رسول الله ﷺ: يا أيها
الناس، عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم
الشیطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله
ورسول والله، ما أحب أن ترفعوني فوق
منزلتي التي أنزلني الله عز وجل (٢٨).

ولم يقتصر الغلو عند النصارى على

(٢٥) مسند الإمام أحمد للإمام أحمد ابن حنبل
أول مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢٦) النهاية في غريب الحديث والأثر. للإمام
ابن الأثير حرف الطاء. باب الطاء مع الراء.

(٢٧) صحيح البخاري: الجزء الثاني ٦٤ -
كتاب الأنبياء. ٤٩ - باب: **﴿وَأَذْكُرُ فِي**

الْكِتَابِ مَرْمٍ إِذْ أَنْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة
مريم: ١٦].

(٢٨) مسند الإمام أحمد للإمام أحمد ابن حنبل
مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

أمر العقيدة، بل امتد إلى الشريعة، فظهر
عندهم ما يسمى بالرهبانية التي نفاها
النبي ﷺ عن شريعة الإسلام.

قال مقاتل: قال عثمان بن مظعون
لرسول الله ﷺ: لو أذنت لي فطلعت
خولة، وترهبت، واختصيت، وحرمت
اللحم، ولا أنام بليل أبدا، ولا أفطر
بنهار أبدا!. فقال رسول الله ﷺ: (إن
من سنتي النكاح، ولا رهبانية (٢٩) في
الإسلام، إنما رهبانية أمتي الجهاد في
سبيل الله، وخصاء أمتي الصوم، ولا
تحرموا طيبات ما أحل الله لكم، ومن
سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم، فمن
رغب عن سنتي فليس مني). فقال
عثمان: والله لو ددت يا نبي الله أي
التجارات أحب إلى الله فأتجر فيها؛

فنزلت **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرِفٍ**

تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَعْرِفَرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ

(٢٩) و«الرهبانية في الإسلام»: هي كالاختصاص،

واعتناق السلاسل، ولبس المسوح، وترك

اللحم ونحوها القاموس المحيط للإمام

الفيروزآبادي: باب الباء. فضل الراء.



موقف بني اسرائيل من عيسى (عليه السلام) ودعوته **الصَّبَاغ** •

وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج، ف جاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم قاتم كذا وكذا؟. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أنا أصلي وأنا م وأصوم... الحديث».

قال صاحب سبل السلام: وهو دليل على أن المشروع هو الاقتصاد في العبادات دون الانهالك والإضرار بالنفس وهجر المألوفات كلها، وأن هذه الملة المحمدية مبنية شريعته على الاقتصاد والتسهيل والتيسير وعدم التعسير: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٣٢).

المحور الثالث:

موقف بني إسرائيل من دعوة عيسى عليه السلام
لقد كان بنو إسرائيل يعيشون في انحراف أخلاقي بعد ما فسدت فطرتهم، وانطمست معالم الحق لديهم، وزاغت قلوبهم عن العقيدة الصحيحة إلى عقيدة واهية، مما أدى إلى انحرافهم عن المنهج السليم؛ فقد طغت

(٣٢) سبل السلام، شرح بلوغ المرام، للصنعاني: كتاب النكاح.

جَنَّتِ جَبْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٠﴾.

وعندما وجد النبي محمد ﷺ من أتباعه مثل هذا التشدد والغلو في الدين، من أولئك نفر من الصحابة الذين تذكروا عبادتهم إلى عبادة النبي فكأنهم تقالوها، اعتبر النبي ﷺ ذلك رغوبا عن الدين؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثَى عَلَيْهِ وَقَالَ: "لكني أنا أصلي وأنا م وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٣١).

وللحديث سبب وهو أنه قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أمّا أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر:

(٣٠) الصف، الجامع لأحكام القرآن سورة الصف من ١٠: ١٢.

(٣١) صحيح البخاري للإمام البخاري كتاب النكاح. باب: الترغيب في النكاح.



(١٤٣٨-١٤١١م - ١٤١١هـ)

الصدر السابع والعشرون - حريف

إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَافِئَةً ﴿٣٣﴾.

الطائفة المؤمنة ودواعي إيمانها:

منذ البداية وقد أعلن عيسى ابن مريم عليه السلام التصور الاعتقادي الذي قامت عليه دعوته، والتي تقوم عليه كل الدعوات والرسالات السماوية؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٥١] ليؤكد بذلك ربوبية الله تعالى له ولهم على السواء، فلا عبودية إلا لله ولا مشرع إلا الله، ولا خالق إلا الله، ومن ثم فلا يكون التوجه الصحيح إلا لله تعالى.

وأمام هذه الدعوة أحس عيسى من بني إسرائيل الكفر، فقال: من أنصاري إلى الله؟.

قال صاحب الظلال: من أنصاري إلى دين الله ودعوته ومنهجه ونظامه؟. من أنصاري إلى الله لأبلغ إليه، وأؤدي عنه؟ (٣٤).

والسياق القرآني يبرز هنا طائفة

(٣٣) كما أشارت السورة موضوع البحث (الصف).

(٣٤) الظلال ص ٤٠١.

عليهم المادة، واستهوتهم الشهوات وانطمت قلوبهم، وعميت بصائرهم، ومن ثم أرسل الله إليهم عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، وجعله معجزة لهم منذ ولادته، فكلهمم وهو في المهد بلسان فصيح، وعدد نعم الله تعالى عليه، وأعلن العبودية لله تعالى منذ أول لحظة كلمهم فيها، وأن الله أتاه الحكمة والرسالة، ومنحه من بركاته، وأوصاه بالمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة، ونفى عن أمه مريم عليها السلام أي شبهة، وأعلن أن الله سلمه في أشد الأيام التي تمر بالإنسان يوم الولادة، ويوم الموت، ويوم البعث؛ قال تعالى حكاية عن عيسى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ

ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

[سورة مريم: ٣٠ - ٣٣] وأمام هذه الدعوة الواضحة انقسم بنو إسرائيل إلى طائفتين؛ ﴿فَاتَمَّتْ طَافِئَةٌ مِّنْ بَنِي



الحواريين ومسارعتهم إلى نصره عيسى ابن مريم ودعوته ومؤازرته، وهذا منهج الأنبياء عندما يشعرون بالقلق تجاه رسالتهم، فإنهم يتدبون لها من يضحى من أجلها بالمال والنفس، وذلك كما فعل النبي محمد ﷺ في مواسم الحج وقبل هجرته إلى المدينة، فكان ينادي في القوم: من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي، فإن قريشاً قد منعني أن أبلغ كلام ربي؟!.

فقيض الله له الأنصار، فأووه ونصروه وواسوه ومنعوه من أن يناله أذى حتى فتح الله عز وجل على أيديهم قلوب العباد والبلاد، كذلك قيض الله تعالى لعيسى ابن مريم الحواريين، فنصروه وآزره واتبعوا النور الذي أنزل معه؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٤﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ٥٢-٥٣].

ولقد أمتن الله تعالى على عيسى ﷺ

أن جعل له أنصاراً واتباعاً قد أهتمهم الإيمان والاتباع له؛ فامتثلوا أمر الله تعالى، ونصروا رسوله، واتبعوا النور الذي أنزل معه؛ قال تعالى ممتنا على الحواريين: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة المائدة: ١١١].

والوحي هنا وحي إلهام، كما هو الحال مع أم موسى، وكما هو الحال مع النحل؛ قال ابن كثير: وهذا أيضاً من الامتنان عليه ﷺ بأن جعل له أصحاباً وأنصاراً، ثم قيل: إن المراد بهذا الوحي، وحي إلهام، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة القصص: ١٧]، وهو وحي إلهام بلا خلاف، وكما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴿٦٨﴾﴾ [سورة النحل: ٦٨]، وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أي أهتموا ذلك فامتثلوا ما أهتموا، وقال الحسن البصري: أهتمهم الله عز وجل ذلك، وقال السدي: قذف



في قلوبهم ذلك، ويحتمل أن يكون المراد: وإذا أوحيت إليهم بواسطتك فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله، واستجابوا وانقادوا وتابَعوك، فقالوا: ﴿ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٣٥).

نبذة مختصرة عن الحوارين

من هم الحواريون؟.

قال صاحب لسان العرب: الحَوَارِيُّونَ: القَصَّارُونَ لتبييضهم لأنهم كانوا قصارين ثم غلب حتى صار كل ناصر وكل حميم حَوَارِيًّا. وقال بعضهم: الحَوَارِيُّونَ صَفْوَةُ الأنبياء الذين قد خَلَصُوا هُمْ؛ وقال الزجاج: الحواريون خُلَصَانُ الأنبياء ﷺ، وصفوتهم. قال: والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: الزُّبَيْرُ ابن عمتي وحَوَارِيٌّ من أُمَّتِي؛ أي خاصتي من أصحابي وناصري. قال:

وصفوة اصحاب النبي ﷺ، حواريون، وتأويل الحواريين في اللغة الذين أُخْلِصُوا وَتُقُوا من كل عيب؛ وكذلك الحَوَارَى من الدقيق سمي به لأنه يُنَقَّى

(٣٥) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج١ ص٥٦٢.

من لُبَابِ البُرِّ؛ قال: وتأويله في الناس الذي قد روجع في اختياره مرة بعد مرة فوجد نَقِيًّا من العيوب (٣٦) وقال ابن عون: أصل الحَوْر في اللغة البياض (٣٧).

والحواريون هم أتباع عيسى ابن مريم ﷺ، وقد ألهمهم الله تعالى الإيمان به وبرسوله عيسى، وأشهدوا عيسى على إسلامهم بعد أن انتدبهم، وكانوا اثني عشر رجلاً (٣٨).

وقد اختلف العلماء في سبب تسميتهم:

قيل: إن الحواريين سموا بذلك لبياض ثيابهم، وكانوا صيادين (٣٩). قاله ابن عباس رضي الله عنه (٤٠) وقيل: سموا بذلك لأنهم خاصة الأنبياء؛ عن الضحاك في قوله: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ قال: أصفياء الأنبياء.

(٣٦) لسان العرب للعلامة ابن منظور مادة (حور).

(٣٧) عن القرطبي ج٤ ص٩٧.

(٣٨) القرطبي ج٤ ص٩٧.

(٣٩) وقيل الحواري هو الصياد، وكان بطرس وأندراوس ويعقوب بن زبدي من صيادي الأسماك.

(٤٠) عن القرطبي ج٤ ص٩٧.



الرَّسُولَ فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿

[سورة آل عمران: ٥٣].

وحواريو المسيح عيسى أو تلاميذه كانوا في المشهور عنهم: اثني عشر؛ وهم: سمعان المدعو بطرس، وأندراوس أخوه، ويعقوب بن زبدي، ويوحنا أخوه، وفيلبس، وبرتلوماوس، وتوما، ومتى العشار، ويعقوب بن حلفي، وتداوس، وسمعان القانوني، ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه^(٤٣). فهؤلاء هم الحواريون بالمصطلح الإسلامي أو التلاميذ بالمصطلح النصراني^(٤٤).

وقيل الحواري هو الصياد، وكان بطرس وأندراوس ويعقوب بن زبدي من صيادي الأسماك^(٤٥).

(٤٣) إنجيل متى/ الفصل العاشر ٢/ ٥.
(٤٤) لا يرد لفظ الحواريين في الإنجيل، وإنما الذي ورد عندهم لفظ (التلاميذ) وهم المتلقون عن معلم، وأما الحواريون فهم أرقى من التلاميذ؛ لأنهم يناقشون ويحاورون ويتحاورون بغية الوصول إلى الحق.

(٤٥) موسوعة القرآن العظيم ج ١ ص ٥١٨ د/
عبدالمنعم الحفني/ مكتبة مدبولي/ ط أولى
م. ٢٠٠٤.

وقال ابن كثير: والصحيح أن الحواري: الناصر كما ثبت في الصحيحين عن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: نَدَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْحَنْدَقِ. فَانْتَدَبَ الزَّبِيرُ ثَلَاثًا. ثُمَّ نَدَبَهُمْ. فَانْتَدَبَ الزَّبِيرُ. ثُمَّ نَدَبَهُمْ. فَانْتَدَبَ الزَّبِيرُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٍّ وَحَوَارِيٍّ الزَّبِيرُ". قال سفیان: الحواري الناصر^(٤١). وقال البخاري: (حواري) خاصة من أصحابه، وخالصا من أنصاره^(٤٢).

فكان الحواريون هم أصحاب عيسى عليه السلام الذين حملوا دعوته، ونهضوا بها معه، يحامون عنها، ويبلغونها إلى من يليهم.

وقد اعتمد منهج الأنبياء في الدعوة على تربية جيل يحمل الدعوة، فكان لعيسى عليه السلام الحواريون الذين حملوا لواء الأمانة: ﴿رَبَّنَا إِنَّمَا أَزَلَّتْ وَاتَّبَعْنَا

(٤١) البخاري: كتاب الجهاد والسير. باب: السير وحده.
(٤٢) قاله البخاري باب: فضل الطليعة كتاب الجهاد والسير.



وكان لخاتم الأنبياء ﷺ أصحاب حواريون، حملوا الأمانة وبلغوها كما هي، وكان ﷺ يقول: فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه ربّ مبلغ يبلغه من هو أوعى له (٤٦) وقال ﷺ: (نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها عني. فربّ حامل فقه غير فقيه. وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه) (٤٧).

وفي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسَجَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].
الطائفة الكافرة:

وأما الطائفة الأخرى التي كفرت فأرجح الآراء أنها اليهود؛ لما رأوا من التفاف الناس حول عيسى ابن مريم وأمه، يلتمسون منها البركة، ويضعونها (٤٦) البخاري باب: قول النبي ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض).

(٤٧) سنن ابن ماجه للإمام ابن ماجه عن عبد الرحمن، عن أبي بكره. قال: خطب رسول الله ﷺ يوم النحر، فقال وذكر الحديث في [افتتاح الكتاب في: الإيمان، وفضائل الصحابة، والعلم]. باب من بلغ علماً.

الموضع اللائق بهما. فثارت في نفوسهم عوامل الحقد والضغينة تجاه عيسى وأمه؛ فمكروا بهما وأخذوا يدبرون لهم المكائد والمصائب.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه، أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات، التي كان يرى بها الأكمة (٤٨) والأبرص (٤٩) ويحيي الموتى بإذن الله ويصور من الطين طائراً ثم ينفخ فيه فيكون طائراً يشاهد طيرانه بإذن الله عز وجل إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها أجزاها على يديه ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعوا في اذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى ﷺ لا يساكنهم في بلده، بل يكثّر السياحة هو وأمه (٥٠).

(٤٨) الأكمة الذي يولد أعمى.

(٤٩) لبرص، محرّكة: بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج.

(٥٠) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج١ ص٥٥٥.



أي هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه وهذا منهم من باب (التهمك والاستهزاء) كقول المشركين: {يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون} (٥٣).
غير أن القرآن لم يترك هذا الأمر دون ردٍ واضح يبطل فيه زعمهم، فقال سبحانه: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء: ١٥٧-١٥٨].

وحول كيفية رفع المسيح (عليه السلام) يقول الإمام ابن كثير: كان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه، أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، سعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى (عليه السلام) لا يساكنهم في بلده، بل يكثر السياحة هو وأمه (عليها السلام)، ثم لم يقنعهم ذلك حتى

(٥٣) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج١ ص٤٥٥.

ومن ذلك الأذى ما تحملته السيدة مريم (عليها السلام) وابنها (عليه السلام) من العنت والمشقة والأحقاد والسفاهة ما جعلها تغادر المكان؛ قال تعالى: ﴿ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: ١٥٦] قال السدي: والظاهر من الآية أنهم رموها وابنها بالعظام، فجعلوها زانية، فكانوا ينادون عيسى (عليه السلام) ب (يا ابن الزانية) (٥١) قال الإمام الطبري: يعني: بفريتهم عليها، ورميهم إياها بالزنا، وهو البهتان العظيم؛ لأنهم رموها بذلك وهي مما رموها به غير ثبت ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول (٥٢).

وقد هموا بالتخلص منه وذلك بالقتل، بل وكانوا يتفاخرون بذلك، فيقولون: قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله (على سبيل السخرية يقولون رسول الله) يقول ابن كثير: وقوله: {إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله} (٥١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج١ ص٤٥٥.

(٥٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن. للإمام الطبري.



سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته اليونان، وأنهما إليه أن في بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك من هذا وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ويكف أذاه عن الناس، فلما وصل الكتاب امثل والي بيت المقدس ذلك وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام، وهو في جماعة من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر نفرًا - وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت - فحصره هنالك، فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم، قال لأصحابه: أيكم يُلقى عليه شبيهي، وهو رفيقي في الجنة؟. فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة، وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب، فقال: أنت هو!. وألقى الله عليه شبه عيسى حتى

كأنه هو، وفتحت روزنة^(٥٤) من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرفع إلى السماء وهو كذلك كما قال الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسُوهُ فِي مُتَوَقِّعِكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ** ﴾، فلما رفع خرج أولئك النفر، فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه، وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبححوا بذلك، وسلم لهم طوائف من النصراري ذلك، لجهلهم وقلة عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقيون فإنهم ظنوا - كما ظن اليهود - أن المصلوب هو المسيح بن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، ويقال إنه خاطبها والله أعلم، وهذا كله من امتحان الله عباده لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد أوضح

(٥٤) والرَّوْزَنَةُ: الكُوَّةُ، وفي المحكم: الخرق في أعلى السقف. التهذيب: يقال للكُوَّةِ النافذة الرَّوْزَنُ، قال: وأحسبه معرباً، وهي الرَّوْازِنُ تكلمت بها العرب. ع، لسان العرب لابن منظور باب/ رزن.



بعث الله محمداً ﷺ فقتلوا؛ فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة الصف: ١٤] أي آمن آباؤهم في زمن عيسى "على عدوهم" بإظهار دينهم على دين الكفار "فأصبحوا ظاهرين" (٥٦).

تأييد الله تعالى للطائفة المؤمنة:

قال تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [سورة الصف: ١٤].

جرت سنة الله عز وجل أن ينصر عبادة المؤمنين الموحددين الذين استقاموا على منهج الدين، وسنن المرسلين، أن ينصرهم على من عاداهم، وذلك ما حدث لأتباع عيسى عليه السلام فقد أيدهم الله تعالى فأصبحوا ظاهرين على مخالفيهم من اليهود، ومن غالى في عقيدة المسيح عليه السلام، فقال بغير ما جاء به من أنه عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل، وقد بشره الله بذلك حال حياته، وقبل رفعه، فقال سبحانه لعيسى عليه السلام ﴿... إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

الله الأمر، وجلاه وبينه، وأظهره في القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم، المؤيد بالمعجزات والبيّنات والدلائل الواضحات، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي رأوا شبهه فظنوه إياه ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِيهِ لَعَنِ سَبِّكَ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ﴾ يعني ذلك من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلّمه إليهم من جهال النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال (٥٥).

زاد القرطبي: فتفرقوا ثلاث فرق: قالت فرقة: كان فينا الله ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه إليه، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلواها، فلم يزل الإسلام طامسا حتى

(٥٦) الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي: الجزء ٤. سورة آل عمران. الآية: ٥٥.

(٥٥) بتصرف: راجع مختصر تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٥٥.



وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُكُمْ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿ [سورة
آل عمران: ٥٥] وهذه سنة الله تعالى
مع أوليائه وأصفيائه؛ فقد نصر الله تعالى
رسوله محمداً ﷺ وأصحابه وهم قلة على
من عاداهم من القرشيين يوم بدر فقال
سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ
أَذِلَّةٌ فَأْتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة
آل عمران: ١٢٣].

وهذا نوح ﷺ لبث في قومه ألف سنة
إلا خمسين عاماً ما آمن معه إلا قليل، فلما
رأى إصرارهم على الكفر، وجحودهم
الحق دعا ربه: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ
فَأَنْصُرْ ﴾ [سورة القمر: ١٠].

فجاءت استجابة السماء سريعة
﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا
الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قُدْرٍ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرِ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا
جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفْرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ
مِن مَّدْكِرٍ ﴾ [سورة القمر: ١١-١٥].

وهكذا مع كل الأنبياء والمرسلين
والصالحين من عباده المؤمنين ﴿ الَّذِينَ

إِن مَّكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ الْأُمُورِ ﴿ [سورة الحج: ٤١] وقال تعالى: ﴿ وَعَدَّ
اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ
أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن
كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة النور: ٥٥].

وفي هذا استنهاض للهمم، وتثبيت
لأهل الحق الأمانة على منهج الله في
الأرض، الحاملين للرسالة الأخيرة،
الداعين للخير، الأمرين بالمعروف،
الناهين عن المنكر، الحافظين لحدود الله،
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه
ولا يخشون أحداً إلا الله، وكفى بالله
حسيباً .



الله

وَمِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ
يُصَلِّي عَلَيْكَ وَمَنْ يَلْمِ
كَ فَإِنَّهُ يَلْمِ اللَّهَ
عَلِيمًا

تَفِئَةً مِّنَ الْمَدِينَةِ
الَّتِي كَفَرَتْ هِيَ
وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُكَذِبُونَ

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا
وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَلْمُونَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَهُمْ
يَلْمُونَ اللَّهَ
عَلِيمًا



مُعَوَّاتُ النَّظْرِ الْعَقْلِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

- دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ -

م.ر.م. ضرغام علي محيي الدين

جامعة الكوفة - كلية التربية المختلطة

فحوى البحث

اشتمل القرآن الكريم على توجيهات لتنمية النظر العقلي تتمثل في ذم هوى النفس، واتباع الآباء والاجداد في ما وضعوه من سنن وعادات ما أنزل الله بها من سلطان، ورفض كل الأمور التي تحدّ من جمود العقل البشري الذي أوجده الله - سبحانه - حصنا لبني البشر من الهيمنة والسلوك الحيواني، وكذلك النهي عن اتباع الظن السيء المذموم الذي يفضي الى التسرّع في إصدار أحكامه. والقرآن الكريم، حين يدعو الى التحرر من العوائق، فهو إنما يؤسس للتفكير والنظر السليم، والذي إن أصابهما الخلل، فسيكون التفكير منحرفا لانه مقيد بقيود تمنعه من بلوغ الحق.

مقدمة:

نزول القرآن هو الحفاظ على العقيدة الاسلامية وذلك بنفض غبار الجهل عن عقائد العرب وتنقيتها من شوائب الوثنية الفاسدة التي كانت متربعة على عقول وقلوب الناس قبل نزوله. فضلا عن اظهار استقامة شريعة الاسلام وكشف فساد هذه العقائد وبطلانها ولذا فقد تنوع خطاب الوحي في الاستدلال العقلي بتنوع صور الفساد الذي شمل الاديان والعقائد السابقة لنزول القرآن، لذا نجده قد وقف موقف المجادل امام التيارات المنحرفة والنزعات الباطلة التي حاولت انكار حقائقه واسسه فأفحمها وعارضها بأسلوب مقنع واستدلال ملزم وجدل محكم.

ثم من غير الممكن معرفة ظهور معوقات النظر العقلي في الدراسات القرآنية على وجه التحديد غير ان الاستقراء الناقص يدلنا على ان ابا حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ربما يعد اول من نظر اليه وتناوله من المتقدمين على نحو منهجي منظم تحت تسمية موانع الفهم حيث تحدث في الباب الثالث من كتاب

انزل القرآن الكريم بلغة العرب ونهج أساليبهم في الكلام وفنونهم في التعبير، ولم يكن يخرج عن معهود العرب في العرض او البيان او الإستدلال، ولكن على الرغم من ذلك لا نجد اسلوبا يعلو أساليبه، وفصاحته فوق كل فصاحة، فهو معجز بكل ما حواة من علوم واشتمل عليه من معارف، فضلا عما تميز به عن الكتب السماوية الاخرى بأفاهه غير المتناهية كما وصفه رسول الله ﷺ بان ظاهره انيق، وباطنه عميق له تخوم وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائب^(١)، الا ان واقع المجتمع الذي نزل به القرآن يقوم على التبعية، والتقليد لما تعارف عليه الاباء والاجداد اكثر من قيامه على الاستقلالية الفكرية والعقلية قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا لَآيِقِلُوبًا سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠]، ويرى البحث ان من اهم اسباب

(١) ظ الكليني، الكافي: ٤٣٨ / ٢.



(آداب تلاوة القرآن) عن عشرة اعمال أدرجها تحت عنوان الآداب الباطنية للتلاوة وهي: فهم اصل الكلام، ثم التعظيم، ثم حضور القلب ثم التدبر، ثم التفهم، ثم التخلي عن موانع الفهم، ثم التخصيص، ثم التأثر، ثم الترقى، ثم التبري^(٢).

ومن الملاحظ ان هذا المصطلح برز في سياق التعامل العميق مع القرآن العظيم الذي يتجاوز ظاهر الالفاظ ويغوص في اغوار معانيها، فيتوجب لمن يطمح ان يتعاطى مع القرآن على هذا المستوى ان يتخلى عن معوقات النظر العقلي او موانع الفهم التي تحول بينه وبين كتاب الله تعالى، اذ ما من انسان يزعم انه خال من موانع الفهم سواء على مستوى التعامل النظري التفسيري، ام على مستوى التعامل الاجتماعي العادي، والذي يبعث على الاسف هو خلو مصنفات علوم القرآن قديما والكتب المعنية بمنهجيات التفسير حديثا من هذا المصطلح ما خلا ابياءات (٢) ظ الغزالي، احياء علوم الدين: ١ / ٢٨٠.

متناثرة^(٣)، ولعل اهم كتابين واكثرها شيوعا في مصنفات علوم القرآن ومنهجيات التفسير منذ القرن الثامن الهجري هما (البرهان في علوم القرآن) للزركشي (ت ٧٩٤هـ)، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت ٩١١هـ)، لا نعثر فيها الاعلى ايباءة سريعة نقلها السيوطي عن الزركشي لخص فيها الاخير ابرز ما ذكره الغزالي من موانع فهم القرآن في عبارة مكثفة قال فيها: ((قال في البرهان: اعلم انه لا يحصل للنظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له اسراره وفي قلبه بدعة او هوى او حب دنيا، او هو مصر على ذنب، او غير متحقق بالإيمان، او ضعيف التحقيق او يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم، او راجع الى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضا أكد من بعض))^(٤).

ويجد البحث في قبالة ذلك العناية (٣) ظ الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٧٠ - ١٧٢ + جواد علي كسار، فهم القرآن: ١ / ٢٩٩.

(٤) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن: ٣ / ٢١٦.



وروحه وقواه المعنوية، والآخر ادراكي مرتبط بالإنسان أيضا لكن من جهة عقله ونظره وقواه العقلية^(٦).

ومهما يكن من امر فالقرآن الكريم يولي النظر العقلي عناية فائقة، وقد حذر من أي عائق يقف امام تنمية العقل، لان تغلغلها في النفوس يؤدي الى اغلاق منافذ التفكير ظاهرا ومن ثم الحرمان من ذلك المنهل الالهي قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَنْغَفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَأَسْتَفْشَوْا شِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتَكْبَارًا﴾ [سورة نوح: ٧].

وإذا لم تغلق في الظاهر تأبى هذه النفس السماع باطلا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الاعراف: ١٧٩].

وبعد هذه الجولة السريعة يمكن ان نقسم معوقات النظر العقلي على اربعة اقسام رئيسة نوردها كالآتي:

(٦) ظ المصدر نفسه / ٥٩ - ٦٠.

الفائقة التي اولها رموز مدرسة السلوك والذي في مقدمتهم صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ) الذي جعل كتابه (مفاتيح الغيب) مقدمة منهجية لتفسيره القرآني، فقد مكث غير قليل مع مقولة موانع الفهم وضرورة التخلي عنها لمن يريد النظر في علوم القرآن والتدبر بآياته، الا انه تابع الغزالي في هذه المسألة على مستوى المنهج والمضمون والعبارة، اذ اغلب عباراته هي نفسها عبارات الغزالي وربما زاد عليها او انقص منها او عضدها بدليل نقلي او شاهد حسي^(٥).

الا انه احدث تغييرا ملحوظا ولكنه طفيف اذ قسم الحجب على داخلية وخارجية ثم عاد ليذكر تحت كل واحد من هذين القسمين حجبا عدمية واخرى وجودية، ولذا سمح له هذا التعديل ان يتحدث في وقت واحد عن منطلقين لهذه الحجب احدهما وجودي يرتبط بالإنسان نفسه من حيث قلبه

(٥) ظ الشيرازي، مفاتيح الغيب (الفاتحة الثانية من المفتاح الثالث): ٥٨.



أولاً: عوائق ذات بعد عقلي:

أ. اتباع الظن الكاذب:

يعد اتباع الظن من اخطر العوامل المعرقله للنظر العقلي في القرآن الكريم، التي تؤدي بأفكار الغالبية الى مهاوي العقائد الفاسدة، والشبهات الباطلة، ولذلك كثيرا ما نجد الآيات القرآنية تصدح باجتنب الظن وعدم بناء العقيدة على دعائمه قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

والظن اسم لما يحصل عن اماره، فان قويت ادت الى العلم، وان ضعفت لم تتجاوز حد الوهم يقول الراغب الاصفهاني (ت ٤٥٢هـ): ((الظن اصابة بضرب من الامارة، ولما كانت الامارة مترددة بين يقين وشك فيقرب تارة من طرف اليقين وتارة من طرف الشك، صار تفسير اهل اللغة مبهما، والظن متى كان عن اماره قوية فانه يمدح ومتى كان عن تخمين لم يعتمد وذم به)) (٧).

(٧) الراغب الاصفهاني، الذريعة الى مكارم الشريعة/ ١٨٥+ السيوطي، الاتقان: ١/

إن المراد من الظن المنهي عن اتباعه هو الظن الذي لا يرجع إلى اليقين أما إذا كان مدرك حجية هذا الظن قطعياً فلا مانع من متابعتها، وعلى هذا فالظن على قسمين محمود وضابطه ما سلم معه دين الظان والمظنون به ومذموم، والذي اشارت اليه الآية الانفة الذكر فهو تهمة تقع في القلب بلا دليل، وليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الاحكام غالبا بل المراد به المظنون الذي لا يفيد يقينا... والمبني على الظن اولى ان يكون ظنيا^(٨).

ومن هنا حرّم الله سبحانه وتعالى التعويل على الظن، والاخذ به، فكان الوقوف عند الظن دون السعي لطلب العلم واليقين هو ما يذمه القرآن الكريم لأنه لا يغني عن الحق شيئا قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ

٢١٣+ المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٣/ ١٥٨.

(٨) ظ الرازي، التفسير الكبير: ٢/ ١٠٣-

١٠٤+ العظيم ابادي، عون المعبود: ١٣/

١٧٧+ بحر العلوم، الامامة الالهية تقرير بحث الشيخ محمد السند: ١/ ٣٢.



والشائعات!..))^(٩).

فوصفهم سبحانه بعدم العلم وبالكذب والتخرص: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [سورة يونس: ٦٦]، فالآية مسوقة لدمهم في اتباع الباطل وتأکید لما تقدم من أنه لا برهان لهم على ذلك ويؤكد قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ والمعنى إن يتبع هؤلاء المشركون في أمر آلهتهم إلا الظن والحال أنه قد جاءهم من الله وهو ربهم الهدى وهي الدعوة الحققة أو القرآن الذي يهديهم إلى الحق، والالتفات في الآية من الخطاب إلى الغيبة للإشعار بأنهم أحط فها من أن يخاطبوا بهذا الكلام على أنهم غير مستعدين لان يخاطبوا بكلام برهاني وهم أتباع الظن والهوى^(١٠).

(٩) محمد حسين الطباطبائي، الميزان: ١٠ / ٦١.

(١٠) محمد حسين الطباطبائي، الميزان: ١٩ /

٣٩ - ٤٠ + ناصر مكارم الشيرازي، تفسير

الامثل: ٦ / ٤٠٤ + باقر القرشي، النظام

التربوي في الاسلام / ٢٤٤.

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ

شَيْئًا ﴿ [سورة النجم: ٢٨]، يقول

السيد الطباطبائي: ((فإن اتباع الظن

والحدس الذي لا يستند إلى أساس

ثابت يجز الإنسان في النهاية إلى وادي

الكذب عادة. والاشخاص الذين

جعلوا الأصنام شريكة لله سبحانه لم

يكن لهم مستند في ذلك إلا الأوهام..

الأوهام التي يصعب علينا اليوم حتى

تصورها، إذ كيف يمكن أن يصنع

الإنسان تماثيل ومجسمات لا روح لها،

ثم يعد ما صنعه وخلقه ربا له وأنه هو

صاحب إرادته، وأن أمره بيده؟! يضع

مقدراته في يده وتحت تصرفه ويطلب

منه حل مشاكله؟! أليست هذه

الدعوى من أوضح مصاديق الزيف

والكذب؟. بل يمكن استفادة هذا من

الآية كقانون كلي عام -بدقة قليلة-

وهو أن كل من يتبع الظن والأوهام

الباطلة فإنه سينجر في النهاية إلى

الكذب.. إن الحق والصدق قائم على

أساس القطع واليقين، أما الكذب فإنه

يقوم على أساس التخمينات والظنون



(١١١م-١٤٣٨هـ)

الصدر السابع والعشرون - حريف

ومها يكن من امر يرى البحث ان النهي عن اتباع الظن المذموم يوجب على المسلم الا يتسرع في اصدار احكامه وان يبذل وسعه للإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه والتفكير السليم هو الذي يقود صاحبه الى احكام صائبة وهذا اول ما توصف به العقلية العلمية في القرآن الكريم لأنها ترفض الظن في كل موضع يطلب فيه اليقين كما في مقام تأسيس العقائد التي تقوم على نظرة الإنسان الى الوجود، والقرآن حين يدعو الى التحرر من العوائق والتي منها اتباع الظن المذموم انما يؤسس القاعدة الاساسية للتفكير والنظر السليم، التي ان اصابها خلل فسيكون التفكير منحرفا لأنه مغلول بقيود تمنعه من بلوغ الحق.

ب. الاستسلام للأساطير والخرافات:

الأساطير واحدها أسطورة بالضم وإسطارة بالكسر وهي الترهات والاهام والأباطيل، وقيل أصلها من سطر الكلام أي كتابته، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [سورة القلم: 1]، فكانها أشياء كتبت من الباطل فصار

ذلك اسما لها مخصوصا بها يقال سطر فلان علينا تسطيرا إذا جاء بالأباطيل (١١).
و الخرافة: الحديث المُسْتَمَلَحُ من الكذب، يقال أَحَدَّثَكَ حَدِيثَ خُرَافَةٍ، يريد به الخُرافاتِ الموضوعَةَ من حديث الليل، أَجْرَوهُ على كل ما يُكْذَبُ بِهِ من الأحاديث، وعلى كل ما يُسْتَمَلَحُ وَيَتَعَجَّبُ منه (١٢)، وقالوا: حديث خُرَافَةٍ، ذكر ابن الكلبي أَنَّ خُرَافَةَ من بني عُذْرَةَ أو من جُهَيْنَةَ، اخْتَطَفَتْهُ الْجِنُّ ثم رجع إلى قومه فكان يُحَدِّثُ بِأَحَادِيثَ مما رأى يَعْجَبُ منها الناسُ فكذَّبوه فجرى على ألسنِ الناسِ... والخرف فساد العقل من الكبر (١٣).

فبالأساطير والخرافات ما هي الا تصورات واهام فاسدة تفتقر الى

(١١) ظ الفراهيدي، معجم العين: تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور ابراهيم السامرائي: ٧ / ٢١٠. ابن فارس، مقاييس اللغة: ٣ / ٧٣+ ابن منظور، لسان العرب: ٤ / ٣٦٣+ المجلسي، مرآة العقول في شرح اخبار ال الرسول: ٣٦ / ٢٤٦.
(١٢) ظ ابن منظور، لسان العرب: ٩ / ٦٦. (خرف).

(١٣) ظ الرازي، مختار الصحاح / ٩٨؛ ١٧٣.



﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا
لَوْ كُنَّا نَفْقَهُ لَغَلْنَا بِمِثْلِ هَذَا آيَاتٍ هَذَا إِلَّا
أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الانفال:
٣١]، ويدخل في الاساطير والخرافات
ما يدعيه الكهنة والعرافون من علم،
وما هو بعلم انها هي جملة من الاباطيل
الملفقة، يقول الامام الصادق عليه السلام:
(والكهانة كانت في الجاهلية في كل
حين فترة من الرسل، كان الكاهن
بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشبه
عليهم من الأمور بينهم، فيخبرهم عن
أشياء تحدث، وذلك من وجوه شتى،
فراصة العين، وذكاء القلب، ووسوسة
النفس، وفتنة الروح، مع قذف في
قلبه، لأن ما يحدث في الأرض من
الحوادث الظاهرة فذلك لعله يعلمه
الشیطان ويؤديه إلى الكاهن، ويخبره
بما يحدث في المنازل والأطراف، وأما
أخبار السماء فإن الشياطين كانت تقعد
مقاعد استراق السمع إذ ذاك، وهي
لا تحجب، ولا ترحم بالنجوم، وإنما
منعت من استراق السمع لئلا يقع في
الأرض سبب تشاكل الوحي من خبر

الدليل والبرهان، يتوارثها الناس احيانا
فتكتسب هالة من التقديس، وتصبح
بمرور الزمن امورا مسلما بها لا تحتاج الى
نظر وتفكير، بل تصبح مخالفتها والخروج
عليها امرا صعبا.

لقد أحاط بالبشرية ظلام حالك
قبيل بعثة النبي ﷺ، نشطت فيه
الخرافات وانزوت الأفكار الصالحة،
ودب الجهل وانكمش العلم، وعم
اليأس وقل الأمل، وأوشكت الإنسانية
أن تفقد كل ما حققته الأجيال الطويلة
من تقدم، وأن تتردى في هوة سحيقة
هي إلى عالم الحيوان أقرب نتيجة
الأساطير والخرافات الشائعة بين
العرب، نظرا لانخفاض مستواهم
الفكري وأميتهم بصورة عامة، وما
عبادة الأصنام الا وليدة الخرافات^(١٤)،
ومن هنا كثيرا ما ذكر القرآن الاساطير
على السننهم في آياته المباركة قال تعالى:

(١٤) ظ محمد باقر الحكيم، علوم القرآن/
٦٩-٧٠+ محمد هادي اليوسفي،
موسوعة التاريخ الاسلامي: ١ / ١٣٧-
١٣٨+ احمد شلبي، مقارنة الاديان،
الاسلام/ ٣٦.



السماء، فيلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله، لإثبات الحجّة، ونفي الشبهة، وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها، ثم يهبط بها إلى الأرض، فيقذفها إلى الكاهن، فإذا به قد زاد كلمات من عنده، فيخلط الحق بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به فهو ما أداه إليه الشيطان لما سمعه، وما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه، فمنذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة، واليوم إنما تؤدي الشياطين إلى كهانها أخبارا للناس بما يتحدثون به، وما يحدثونه، والشياطين تؤدي إلى الشياطين ما يحدث في البعد من الحوادث، من سارق سرق ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضا، ولذا (صدوق وكذوب...)(١٥) (١٦)، ولذا بين القرآن الكريم أن من أهداف بعثة

رسول الله ﷺ أنه (يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)، فما هو الإصر وما هي الأغلال التي كانت عليهم؟. لا شك أنها لم تكن أغلالا من حديد، بل الغرض منها هي تلك الأوهام والخرافات التي كانت تمنع عقولهم وأفكارهم عن الرشد والنمو، ولا شك أنها لا تقل عن أغلال الحديد ثقلا وضررا(١٧).

يقول السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠١هـ): ((ومن المعطيات الثورية للحرية الفكرية في الإسلام: الحرب التي شنّها على التقليد وجمود الفكر، والاستسلام العقلي للأساطير أو لآراء الآخرين، دون وعي وتمحيص، والهدف الذي يرمي إليه الإسلام من ذلك تكوين العقل الاستدلالي أو البرهاني عند الإنسان، فلا يكفي لتكوين التفكير الحر لدى الإنسان ان يقال له: فكر كما يحلو لك، كما صنعت الحضارة الغربية لان هذا التوسع في الحرية سوف

(١٥) الطبرسي، الاحتجاج: ٢ / ٨١ - ٨٢.

(١٦) البحراني، شرح مئة كلمة لامير

المؤمنين (عليه السلام) / ٨٥.

(١٧) ظ محمد هادي اليوسفي، موسوعة

التاريخ الاسلامي: ١ / ١٣٨ - ١٣٩.





يكون على حسابها، ويؤدي في كثير من الأحيان إلى ألوان من العبودية الفكرية تتمثل في التقليد والتعصب وتقديس الخرافات، بل لا بد في رأي الإسلام لإنشاء الفكر الحر أن ينشئ في الإنسان العقل الاستدلالي أو البرهاني الذي لا يتقبل فكرة دون تمحيص ولا يؤمن بعقيدة ما لم تحصل على برهان ليكون هذا العقل الواعي ضمانا للحرية الفكرية وعاصما للإنسان من التفريط بها، بدافع من تقليد أو تعصب أو خرافة. وفي الواقع ان هذا جزء من معركة الإسلام لتحرير المحتوى الداخلي للإنسان فهو كما حرر الإرادة الإنسانية من عبودية الشهوات، كذلك حرر الوعي الإنساني من عبودية التقليد والتعصب والخرافة، وبهذا وذاك فقط أصبح الإنسان حرا في تفكيره وحرًا في إرادته^(١٨).

ت. اضطراب الحالة العقلية:

هنالك عدة عوامل ومؤثرات تؤدي الى اضطراب الحالة العقلية، وهذه

المؤثرات على قسمين:

احدهما: المؤثرات المادية: وفي مقدمتها الخمر والمسكرات والمفترات.

فالخمر: كل ما اسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل، والخمر: ما خمر العقل به، وهو المسكر من الشراب، والعرب تسمي العنب خمرًا باعتبار ما يؤول إليه، فالتسمية مجازية، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجَنَ فَتَيَّانٌ ۗ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ إِنَّا نَرْفَعُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٣٦]. فهو يعصر العنب الذي سيصير خمرًا^(١٩)، وقد حرم الاسلام الخمر تحريما باتا وجعلها من الموبقات وكبائر الذنوب لما لها من تأثير على العقل وسمّاه في القرآن الكريم رجسا قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٩٠]. يقول استاذنا الدكتور

(١٩) ظ محمد حسين الصغير، نظرات معاصرة في القرآن الكريم / ٩١.

(١٨) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية / ١٠٨.

الصغير: ((اعتبرت الخمر رجسا من عمل الشيطان الخاص به، وعمل الشيطان يدعو الى الضلال، واكدت ذلك (بانها) حصرا، وطلبت الاجتناب امرا، وعلقت على هذا الاجتناب رجاء الفلاح والسعادة الابدية، وعقبت ذلك بأن الشيطان في رجسه يريد ايقاع العداوة والبغضاء بين بني البشر، ويصد الناس عن ذكر الله، وختم ذلك بقوله: (فهل انتم منتهون) دلالة على ان طائفة من المسلمين لم ينتهوا عن شرب الخمر وسواها حتى قرعوا بهذا الاستفهام الانكاري تأنيبا وتوبيخا)) (٢٠).

ان تحريم الاسلام تناول هذه المسكرات والمفترات التي يفتقد معها العقل كلا او جزءا، فاذا فقد كلا فقد خرج المرء عن دائرة بشريته الى دائرة الحيوانية بل ادنى منها، فقد وصف الله الذين لا جمدوا عقولهم بالأنعام بل هم اضل سبيلا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ

(٢٠) محمد حسين الصغير، نظرات معاصرة في القرآن الكريم/ ٩٨.

قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿ [سورة الاعراف: ١٧٩]، واذا فقد جزءا، فهو تضييع للجوهرة التي وهبها الله لهذا المخلوق دون سائر مخلوقاته ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿ [سورة الاسراء: ٧٠].

واضاعة هذا التكريم اضاعة لأعلى هبة منحها الله - سبحانه وتعالى - لعبده، والعقل هو مناط التكليف، وبه تتقدم البشرية، وتتفاضل المجتمعات الراقية، وضياع هذا العقل في قارة الطريق بين موائد الخمر ومبازل الشهوات إجهاز فعلي على إبراز مقومات الروح الإنساني كما يظهر من رواية علي بن بابويه القمي (ت ٣٢٩هـ) عن الامام الصادق (عليه السلام): ((وإن الله تعالى حرم الخمر لما فيها من الفساد، وبطلان العقول في الحقائق، وذهاب الحياء من الوجه، وأن الرجل إذا سكر فربما وقع على أمه، أو قتل



من اجلها وحرصه على تحريره -العقل- من اغلال الخمر لينطلق لعمارة الارض والانتفاع بها (٢٤).

ثانيها: المؤثرات المعنوية:

كما ان العقل يتأثر بعوامل مادية تمنعه من وظيفته فانه ايضا يتأثر بعوامل ومؤثرات معنوية تجعله مضطربا ومن ابرز هذه المؤثرات:

أ. قناع المذهبيات الفكرية والتعصبات الباطلة:

يعد التعصب سجية ذميمة، وعقبة امام العلم لما تسد على الإنسان منافذ النور، ومهلكة نجد لها ضحايا في كل عصر وفي كل مصر ولا يقل تأثيرا في النظر العقلي عما سبقه من معوقات، والتعصب باسسط تعريف هو أن يحمي قومه أو عشيرته وأصحابه في الظلم والباطل، أو يلح في مذهب باطل أو ملة باطلة لكونه دينه أو دين آبائه أو عشيرته، ولا يكون طالبا للحق، بل ينصر ما لا يعلم أنه حق أو باطل،

(٢٤) ظ محمد حسين الصغير، نظرات معاصرة في القرآن الكريم / ١٠٢ - ١٠٣.

النفس التي حرم الله، ويفسد أمواله، ويذهب بالدين، ويسئ المعاشرة، ويوقع العريضة، وهو يورث مع ذلك الداء (الدين)) (٢١).

وما رواه محمد بن سنان أنه سمع الإمام الرضا عليه السلام يقول: ((حرم الله الخمر لما فيها من الفساد ومن تغييرها عقول شاربيها وحملها إياهم على إنكار الله عز وجل، والفرية عليه وعلى رسله وسائر ما يكون منهم من الفساد والقتل والزنا وقلة الاحتجاز عن شيء من الحرام، فبذلك قضينا على كل مسكر من الأشربة أنه حرام)) (٢٢)، فضلا عن ما افصح عنه كتب الطب من اضرار من بينها الاضطراب العصبي، والمستيريا، وضعف الذاكرة (٢٣)، علة تحريم الخمر فضلا عن ما ابداه الاسلام من دليل قاطع على اهتمامه بالعقل واعماله والحفاظ عليه من المؤثرات والعوائق التي تحول بينه وبين القيام بواجبه وبوظيفته التي خلق

(٢١) القمي، فقه الرضا / ٢٨٢.

(٢٢) الصدوق، علل الشرائع: ١ / ٢٨٥.

(٢٣) باقر القرشي، العمل وحقوق العامل في الاسلام / ١٤٩؛ ١٥٣.



للغلبة على الخصوم، أو لإظهار تدربه في العلوم، أو اختار مذهباً ثم ظهر له خطأه فلا يرجع عنه لئلا ينسب إلى الجهل أو الضلالة، فهذه كلها عصبية باطلة مهلكة ولعل اول من اتصف بالتعصب وغدى امام المتعصبين هو ابليس لعنه الله حينما لادم عليه السلام لقول امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام: ((... فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله، فعده الله إمام المتعصبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية، ونازع الله رداء الجبرية، وادرع لباس التعزز، وخلع قناع التذلل...)) (٢٥) (٢٦).

والمتابع للتاريخ يتبين ما كانت عليه الامم قبل الاسلام من الجهل وما وصلت اليه من الانحطاط في معارفهم واخلاقهم، فكانت الهمجية

(٢٥) الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام، نهج البلاغة (شرح وتحقيق الشيخ محمد عبده): ١٣٨ / ٢.

(٢٦) ظ، المجلسي، بحار الانوار: ٧٠ / ٢٨٣ + علي النمازي، مستدرک سفينة البحار: ٧ / ٢٥٠.

سائدة عليهم، والغارات متواصلة فيما بينهم، والقلوب متجهة إلى النهب والغنيمة، والخطى مسرعة إلى إصلاء نيران الحروب والمعارك، وكان للعرب القسم الوافر من خرافات العقيدة، ووحشية السلوك، فلا دين يجمعهم، ولا نظام يربطهم وعادات الآباء تذهب بهم يمينا وشمالا، وكان الوثنيون في بلاد العرب هم السواد الأعظم فكانت لهم - باختلاف قبائلهم وأسرهم - آلهة يعبدونها ويتخذونها شفعاء إلى الله (٢٧).

فوصفهم ان على قلوبهم اكنة وفي اذانهم وقرا قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا أَيْبًا لَا يُؤْمِنُ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يَجِدُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الانعام:

٢٥]، في الواقع كانت عقولهم وأفكارهم منغمسة في التعصب الجاهلي الأعمى، وفي المصالح المادية والأهواء، بحيث

(٢٧) ظ ابو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن/ ٥٨ - ٦٠ + ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الامثل: ١ / ٣٤٢.



أصبحت وكأنها واقعة تحت الأستار والحواجز، فلا هم يسمعون حقيقة من الحقائق، ولا هم يدركون الأمور إدراكا صحيحا^(٢٨). وللأسف ما زال هذا التعصب المقيت ممتدا الى عصرنا الحاضر عانى منه الفكر الاسلامي على طول مساره وما يزال بما في ذلك الفكر القرآني باتجاهاته المتنوعة واطيافه المختلفة، ويعزى ذلك بسبب صياغة كل فريق من الفرقاء الاساسيين في تاريخ المسلمين الفرقي علم الكلام الخاص به، ومن ثم اسس لرؤية معرفية مستقلة في فهم الاسلام وبخاصة القرآن الكريم، حتى اصبح القرآن ساحة فسيحة لمنظومات فكرية وكلامية ومعرفية مختلفة فضلا عن ان المسألة لم تقف عند هذه التخوم، بل اضيفت اليها خطوط التقاطع والصراع بين المرجعيات المعرفية الثلاث المتمثلة بالفقهاء والفلاسفة والعرفاء، ليتسع ميدان النص القرآني على هذه الاسقاطات الفكرية والمنهجية التي

تجئ اليه من الاختلاف والصراع الفرقي من جهة وتعدد المرجعيات المعرفية وصراعها من جهة اخرى، ليتحول الى مضمار لا يتخلف عنه اتجاه ولا فرقة ولا مذهب ولا مرجعية من كل ما حفل به تاريخ المسلمين والى يومنا^(٢٩)، ويأتي انعكاس الاختلاف على النص القرآني مركبا في اغلب الاحيان، حيث تجتمع فيه حصائل الصراع بين فريق واخر ومرجعية معرفية ومرجعية اخرى مضافا اليه حصائل الصراع الناشئة داخل الاتجاه الفرقي الواحد او المرجعية المعرفية الواحدة، والاصطكاك الكائن بين هذه الأنساق يعكس نتائجه على النص القرآني، مضافا الى الممارسة الادراكية الذهنية وما ينجم عن العمل النظري نفسه من تبعات تأخذ موقعها في ثقافة الفكر القرآني^(٣٠).

ويصبح هذا الخليط المتراكم المتكون من سليم وسقيم، وصحيح وخاطيء،

(٢٩) ظ جواد علي كسار، فهم القرآن: ١ / ٣٢٦-٣٢٧.

(٣٠) ظ المصدر نفسه: ١ / ٣٢٧-٣٢٨.

(٢٨) ظ ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الامثل:

٤ / ٢٤٩.



وحق وباطل جبلا شاهقا امام الإنسان ليكون حاجبا للقران ويمنع من رؤيته على غضاضته الاولى، ثم تتعقد المشكلة وتكتسب ابعادا مضاعفة حينما يضاف الى هذا الخليط من الافكار والانظار والاطر، العصبيات التي تتخذق حول الافكار والانظار والرجال، وتتحول الى اقناع كثيف يغذيه الجهل والاتباع الاعمى فيزداد سماكة وصلابة^(٣١)، خاصة وانه ليس من الطوائف المنتسبة الى العلم والادب شر على العلماء المحقين ولا اضر على الانبياء الهادين، ولا اشد عداوة للمؤمنين بالحقيقة، ولا افسد للعقول من كلام هؤلاء المجادلة وخصوماتهم وتعصباتهم في الآراء والمذاهب... فاذا كان مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على

مسموعه^(٣٢).

ويرى السيد روح الله الخميني قده ان منشأ هذا الحجاب عاملان، ادراكي يتمثل بضعف الاستعداد العقلي، وذاتي ثقافي ناشئ عن التعصب المبني على الاتباع والتقليد ويرى الاخير راجحا في تفسير الظاهرة يقول: ((من الحجب الاخرى، حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة. وهذا الحجاب ينشأ تارة من سوء استعداد الإنسان نفسه، وفي الاغلب من التبعية والتقليد... ان هذا من الحجب التي حجبتنا بالأخص عن معارف القرآن. مثلا اذا رسخ اعتقاد ما في قلوبنا لمحض الاستماع من الوالدين او كنتيجة للأخذ من بعض جهلة اهل المنبر، فان اهل العقيدة لا تلبث أن تتحول الى حاجب ما بيننا وبين الآيات الالهية الشريفة. وبعد ذلك لو جاءت الوف الآيات والروايات مناهضة لتلك العقيدة، ترانا

(٣٢) ظ الشيرازي، تفسير القرآن الكريم: ١/

٤٥١ - ٤٥٢ + الفيض الكاشاني، المحجة

البيضاء: ٢ / ٢٤١.

(٣١) ظ المصدر نفسه: ١ / ٣٢٨.



تخليه عن هذه الاصره في أي مرحلة من مراحل تعاطيه مع كتاب الله العظيم، ذلك ان الإنسان يعيش حالة التعلم من القرآن ابدا مهما كانت المرحلة التي بلغها^(٣٤)، وبنه السيد الخميني الى هذا المعوق بقوله: ((فاذا علمت الان مقاصد هذه الصحيفة الالهية ومطالبها فلا بد لك ان تلفت النظر الى مطلب مهم يكشف لك بالتوجه اليه طريق الاستفادة من الكتاب الشريف، وتفتح على قلبك ابواب المعارف والحكم وهو ان يكون نظرك الى الكتاب الالهي الشريف نظر التعليم، وتراه كتاب التعليم والافادة وترى نفسك موظفة على التعلم والاستفادة...))^(٣٥).

ويرى البحث ان هذا المعوق يؤصد ابواب معارف القرآن وهباته بأقفال محكمة ((والسبب في ان استفادتنا من هذا الكتاب العظيم ضئيلة جدا يعود الى غياب هذا القصد، فنحن لا

اما اننا نصرف تلك الآيات والروايات عن ظاهرها او لا ننظر اليها بعين الفهم))^(٣٣).

ومهما يكن من امر فان الهدف الذي يتوخاه البحث بإثارة الكلام عن هذا الحجاب، هو مواجهة الشكلائية والسطحية في التعامل مع النص القرآني وشن معركة لا هوادة فيها على الاتباع والتقليد والجمود على الموروث، والتسليم الى المرجعيات المذهبية والاطر المنهجية والكلامية والفكرية المتوارثة، بغية تشوير النص وتفجير مكنوناته والتوغل الى طبقات المعاني الغائرة وراء الظاهر، انسجاما مع مقاصد القرآن؛ ولغاية ان يكون القرآن هو باب معرفة الله.

ب. غياب قصدية التعلم:

ينبغي ان يؤسس الإنسان مع القرآن الكريم علاقة قائمة على اصره التعلّم بحيث يكون الإنسان قاصدا فهم كتاب الله والتعلم منه، كما من اللازم عدم

(٣٤) ظ جواد علي كسار، فهم القرآن: ١ /

٣٠٦.

(٣٥) روح الله الخميني، اداب الصلاة/ ٣٣٢.

(٣٣) روح الله الخميني، آداب الصلاة/ ١٩٦ -

١٩٧.



تتعامل معه بقصد التعليم والتعلم، بل غالباً ما تقتصر علاقتنا مع القرآن على القراءة فحسب، نقرأ القرآن لغرض نيل الثواب والاجر، لهذا لا نهتم الا بجهاته التجويدية، فقصدنا ان نتلو القرآن صحيحاً لينالنا الثواب، نحن نقنع بهذا القدر وتجمد علاقتنا مع القرآن عند هذه التخوم من دون ان نتخطاها)) (٣٦).

ثانياً: عوائق ذات بعد نفسي: وفي مقدمة هذه العوائق:

أ. اتباع الهوى:

ويعد من اخطر الامراض التي تصيب النفس الإنسانية، ويقصد به ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، او انقياد النفس إلى ما يستلذ به من الشهوات فقد يقع الإنسان بسببه في جملة الكبائر كالبدعة والضلالة والشبهة، او هو ان يبني المرء مشاريعه على أسس غير عقلية، ومن ثم فهي غير واقعية، وإنما هي قائمة على نزوات وشهوات ضخمتها الخيال، ثم غلب استعماله في الميل المذموم والانحراف

(٣٦) المصدر نفسه / ٣٣٢ - ٣٣٣.

السيئ^(٣٧)، بل هو منشأ عبادة الأصنام والغفلة، فليس عبثاً أن الرسول الأكرم محمد ﷺ عد صنم «الهوى» أعظم وأسوأ الأصنام، لذا قال: ((ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع)) (٣٨).

ومن هنا فقد نهى الله تعالى نبيه عن اطاعة متبعي الهوى: ﴿... وَلَا تُطِيعْ مَنْ

أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨]، فضلاً عن

ان اتباع الهوى أسوأ الضلال لقوله عز اسمه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا

يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يُغَيِّرْ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٠].

وقد ورد في كثير من الروايات ذم اتباع الهوى والنهي عن العمل به، فهذا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام

يحذر من اتباع الهوى وطول الأمل في الدنيا قائلاً: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا

(٣٧) ظ محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة / ٢٣٧.

(٣٨) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل: ١١ / ٢٩٢.



والخلاصة ان اتباع الهوى يسلب الإنسان أهم وسائل الهداية، وهي الإدراك الصحيح للحقائق، ويلقي الحجب على عقل الإنسان وعينه، والتحصن من هذا المعوق خطوة ضرورية لا غنى عنها لطالب الحق والعلم، ذلك أن العالم يجب ان يستبعد كل ما يتعلق بذاته في مقابل ما يسمى (الموضوعية) (*)، والتي هي مبدأ مهم في منهج النظر، وهي تقتضي ان يبحث الموضوع بحثا سليما بعيدا عن الالهواء (٤١).

ب. الاستكبار والاحساس الكاذب بامتلاء الذات:

الاستكبار في اللغة هو اظهار العظمة والتعجب، والاستكبار: التعاضم ومنه قوله تعالى: ﴿سَاصِرْفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ

٥٧+ البروجردى، جامع احاديث الشيعة: ٢٤٩ / ١٣.

(*) الموضوعية: مجموعة الاساليب والخطوات التي يمكننا من الوقوف على الحقيقة والتعامل معها على ما هي بعيدا عن الذاتية والمؤثرات الخارجية ط عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي / ٤٥.

(٤١) ظ ناصر مكارم الشيرازي، الامثل: ١٦ / ٢١٧-٢١٨.

أَخَافُ عَلَيْكُمْ - ائْتَانِ اتِّبَاعِ الْهُوَى وَطُولِ الْأَمَلِ - فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهُوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ - وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ - أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً - فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ - اصْطَبَّهَا صَابُهَا - أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ - فَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الدُّنْيَا - فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأبيه يَوْمَ الْقِيَامَةِ - وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ وَإِنَّمَا بَدءُ وَقُوعِ الْفِتَنِ مِنْ أَهْوَاءِ تَتَبِعُ وَأَحْكَامُ تَبْتَدِعُ...)) (٣٩).

وما ورد عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: ((احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم)) (٤٠).

(٣٩) الامام علي ابن ابي طالب، نهج البلاغة، جمع وتحقيق: الشريف الرضي، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح / ٨٤+ الكليني، الكافي: ٨ / ٥٨.

(٤٠) الكليني، الكافي: ٢ / ٣٣٥+ الطبرسي، مشكاة الانوار في غرر الاخبار / ١٣٦+ المقدس الاردبيلي، مجمع الفائدة: ١٢ / ٣٦٢+ الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٦ /



تَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا
كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا
بِعَايِنَتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا عَنِفِينَ ﴿٤٢﴾ [سورة
الاعراف: ١٤٦] (٤٢).

وهي اصطلاحاً حالة تدعو الى
الاعجاب بالنفس، والتعاضم على
الغير، بالقول او الفعل وهو: من
اخطر الامراض الخلقية واشدها فتكا
بالإنسان، وادعاها الى مقت الناس له
وازدرائهم به، ونفرتهم منه، وهي خصلة
(من اهم كبريات مكائد الشيطان الذي
يوحى للإنسان بالكمالات الموهومة على
الدوام ويدعه راضياً بما عنده قانعاً به،
مستخفاً بما وراءه عازفاً عن كل ما
سواه) (٤٣)، حيث يعيش الإنسان غالب
الاحيان احساساً مضخماً بذاته، يفضي
به اخلاقياً الى التعالي والغرور، ومعرفياً
الى العزوف عن الفهم والتعلم واكتفائه
بما عنده، وهذا الاحساس الوهمي من

(٤٢) ابن منظور، لسان العرب: ٥ / ١٥٣.

(٤٣) روح الله الخميني، اداب الصلاة / ١٩٥.

الامراض التي تصيب العاملين بالفكر
والمعرفة، خاصة اذا ما احرز الإنسان
تقدماً في احد الاختصاصات مما يؤدي
الى طغيان ذلك الاحساس فيكسبه
حالة من القناعة بما عنده والرضا عن
الذات، وقد تنشأ الذاتية المتضخمة
من خلل اخلاقي وقد تقترن بالممارسة
العلمية نفسها وتكون نتيجة مصاحبة
لها لكنها على كلا التقديرين تنتهي
الى الحاق الضرر ببنية المعرفة القرآنية
بعد ان تتحول الى معوق يقول السيد
الخميني **قَدْ تَرَى**: ((من الحجب الكبيرة
حجاب الذاتية والغرور وتضخم
الذات، حيث يرى الإنسان المتعلم نفسه
بواسطة هذا الحجاب مستغنياً لا يحتاج
الى الاستفادة...)) (٤٤)، ومن ابرز آثار
هذا الداء ان الله سبحانه يختم على قلب
المتكبر، فلا يميز بين الحق والباطل قال
تعالى: **﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ
مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾** [سورة غافر: ٣٥]،
فضلاً عن صرفه عن آياته ومنعه من
فهمها قال تعالى: **﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ**

(٤٤) المصدر نفسه / ١٩٥.



الحاصلة منها في حياة الفرد والمجتمع واضحة للعيان، والاطمئنان واحد من أهم إهتمامات البشر، مما يحدو بالإنسان التشبث بكل وسيلة غير مشروعة كأنواع الاعتياد على المواد المخدرة لنيل الاطمئنان النفسي^(٤٧)، الا ان القرآن الكريم يبين أقصر الطرق للتخلص من هذا الوباء القاتل بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: ٢٨]، إذ ان هذا الإيثار يستطيع أن يمحو آثار القلق والاضطراب ويمنحه الاطمئنان في مقابل هذه الأحداث ويؤكد له أنك لست وحيدا، بل لك رب قادر رحيم.

ثانيا: الغضب المذموم:

الغضب نقيض الرضا وهو كيفية نفسانية موجبة لحركة الروح من الداخل إلى الخارج محدثة انفعال للنفس، وهيجان ينشأ عن ادراك ما يسوؤها ويسخطها دون خوف، ومن اثاره غليان دم القلب

(٤٧) ظ ناصر مكارم الشيرازي، الامثل: ٧/

الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿٤٦﴾
[سورة الاعراف: ١٤٦].

ت. اعتلال الحالة النفسية:

يعد اعتلال الحالة النفسية عائقا كبيرا امام عملية النظر العقلي، وذلك لقوة العلاقة بين الحالة العقلية والحالة النفسية، ولعل ابرز مظاهر اعتلال الحالة النفسية:

اولا: الضغط النفسي (القلق):

وهو من الامراض النفسية الشائعة بين الناس وهو حالة انفعالية او شعور غامض وغير سار يتسم بالتوجس والخوف مما قد يحدث^(٤٥)، وله تأثير سلبي في العمليات العقلية لما يحدثه من ((سرعة الاهتياج وضعف القدرة على التركيز وشروذ الذهن والهبوط بين آن وآخر. هذا فضلا عن التردد الشاذ والتشكك وتزاحم الافكار المزعجة على المريض))^(٤٦)، فالاضطراب والقلق من أكبر المصاعب في حياة الناس، والنتائج

(٤٥) ابراهيم انيس؛ عبد الخليم منتصر واخرون، المعجم الوسيط/ ٦٥.

(٤٦) احمد عزت راجح، اصول علم النفس/



وثوران القوة والتغيير على الغير طلبا للانتقام والتشفي فيمتلى لأجلها الدماغ والأعصاب من الدخان المظلم، فيستر نور العقل ويضعف فعله، ولذا لا يؤثر في صاحبه الوعظ والنصيحة، بل تزيده الموعظة غلظة وشدة وهو من المهلكات العظيمة، وربما أدى إلى الشقاوة الأبدية، من القتل والقطع، ولذا قيل: إنه جنون دفعي^(٤٨)، يقول الغزالي: ((قوة الغضب محلها القلب، ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام، وبين ان هذه القوة تتوجه عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها، والى التشفي والانتقام بعد وقوعها، وهذا الانتقام هو قوت هذه القوة وشهوتها، وفيه لذتها ولا تسكن الا به...))^(٤٩).

وقد ورد عن ابي جعفر عليه السلام انه قال: ((ان هذا الغضب جمة من الشيطان توقد في قلب ابن ادم، وان احدكم اذا

^(٤٨) المرتضى، رسائل الشريف المرتضى: ٢ / ٢٧٨ + المازندراني، شرح اصول الكافي: ٤ / ٢٢٧ + النراقي، جامع السعادات: ١ / ٢٥٧.
^(٤٩) الغزالي، احياء علوم الدين: ٣ / ١٦٧.

غضب احمرت عيناه، وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه، فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض، فان رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك))^(٥٠)، والغضب على قسمين محمود ومذموم فالمحمود ما كان لله تعالى وقد امتدح القرآن صحابة رسول الله المنتجين بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ رُكَّعًا...﴾ [سورة

الفتح: ٢٩]، واما المذموم فقد بين الامام علي عليه السلام تأثيره في العقل وتعطيله عملية التفكير السليم: ((الغضب محقة لقلب الحكيم^(٥١)؛ من لم يملك غضبه لم يملك عقله))^(٥٢)، لأنه كلما:

((... اشتدت نار الغضب وقوي اضطرارها، أعمى صاحبه وأصمه عن

(٥٠) الكليني، الكافي: ٢ / ٣٠٥ + الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٥ / ٣٦١ + المجلسي، بحار الانوار: ٦٠ / ٢٦٥.
(٥١) الكليني، الكافي: ٢ / ٣٠٥.
(٥٢) الحر العاملي، هداية الامة الى احكام الائمة: ٥ / ٥٥١.



النبى ﷺ: ((النظافة من الإيمان)) (٥٤)، ومن المؤكد ان قوة الفكر وسلامته تابعة لصحة الجسم فاذا كان الجسم مصابا او مبتلى بالأمراض ضعفت القوة العقلية ولهذا جاء في المثل ((العقل السليم في الجسم السليم))، فان أي خلل يحدث عند الاشباع الخاطىء للحاجات الجسمية يكون عاملا مؤثرا يعيق عملية التفكير بشكل او بآخر والذي يتتبع الآيات القرآنية المتعلقة بصحة الأبدان يجد أن القرآن قد فرض على المسلمين كثيراً من الأصول الصحية العامة التي يعدها الطب الحديث اليوم من القواعد الوقائية الأولية التي تصلح لدفع أكثر الأمراض قبل وقوعها وللتخفيف من حدتها إذا وقعت ومن هذه الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿يَبْنَىْ ءَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ [سورة الاعراف: ٣١] (٥٥)، إذ يبين النص

كل موعظة، فإذا وعظ لم يسمع بل تزيده الموعظة غيظا، وإن أراد أن يستضىء بنور عقله، وراجع نفسه، لم يقدر على ذلك، إذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب، فان معدن الفكر الدماغ، ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان إلى الدماغ مظلم مستول على معادن الفكر)) (٥٣).

يتبين مما سبق ان الغضب افة مدمرة للعقل واتزانه، وتطفى التفكير السليم، فضلا عن ما يتبعه من عواقب وخيمة على الفرد وعلى وحدة المجتمع وترابطه وتماسكه لانه جند من جنود ابليس.

ثالثا: عوائق ذات بعد جسدي:

لقد اعتنى الإسلام بالصحة عناية بالغة، ووضع للأجسام كثيرا من التشريعات التي تقيها من الأمراض وتحفظها من العلل والأسقام، منها ما يتعلق بالنظافة التي تقي الأبدان من الأمراض والسقم، وقد حث الإسلام عليها فقد جعلها مرتبطة بالإيمان يقول

(٥٤) المجلسي، بحار الانوار: ٢٦ / ٢٩١.

(٥٥) ظ باقر شريف القرشي، حياة الامام الرضا ﷺ: ١ / ٢١٥؛ النظام السياسي

(٥٣) علي خان المدني، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: ٢ / ٣٣٦.



المبارك المنهج العام للصحة العامة، وأساسها التوازن، وعدم الاسراف في الأكل والشرب، وقد أعلن القرآن هذه القاعدة في حفظ بدن الإنسان ووقايته من الإصابة بالأمراض، حيث ذكر الله تعالى الإسراف بهادته في القرآن المجيد في ثلاث وعشرين مورداً، والذي يستفاد من موضوع تلك الموارد ان الإسراف بأي شيء كان وكيفما كان فهو مذموم، ولا سيما الإسراف في الموارد المحرمة الذي يسبب عدم هدايتهم الخاصة من الله كما يصرح تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [سورة غافر: ٢٨]، كما يسبب إضلالهم ﴿...كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [سورة غافر: ٣٤]، وقد وردت الروايات الكثيرة في ذم الاسراف ومدى تأثيره في العقل فقد روي عن رسول الله ﷺ انه قال: ((لا تميموا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه

الماء)) (٥٦).

ومهما يكن من امر فكفاية الجسم من الغذاء يعطي الدماغ والقلب حاجته ومن ثم يكون الدماغ والقلب مهياين لتربية عقلية عالية، والا فينبغي الحذر من الاسراف، فالشبع يقسي ويفسد الذهن ويطل الحفظ ويثقل الأعضاء عن العبادة والعلم ويقوي الشهوات وينصر جنود الشيطان (٥٧).

رابعا: عوائق ذات بعد إجتماعي وفي مقدمة هذه العوائق:
أ. التقليد الاعمى:

لا شك ان دعوة القرآن العظيم للنظر العقلي تقتضي ذم التقليد الاعمى للآباء، لأنه يلغي عمل العقل، فالأصل الاولي عند العقل مذمة التقليد وقبحه، وكذا الاصل الاولي عند الشرع، فانه يذم التقليد الاعمى من دون دليل، وإغلاق باب التقليد الاعمى، وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل إصلاح فالتقليد هو الحجاب الاعظم

في الاسلام / ٢٩٥ + حسن الجواهري،
بحوث في الفقه المعاصر: ٣ / ٣٧٥.

(٥٦) المجلسي، بحار الانوار: ٦٢ / ٢٦٦.

(٥٧) ظ الغزالي، بداية الهداية / ١١.



الزمان والمكان من مشكلة تقديس اقوال الاباء والاجداد وإيثارهم على الهدى، ومن ثم فان الرسل الكرام شنوها حربا لا هوادة فيها ضد صنمية ميراث السابقين حتى تنهياً عقول الناس لقبول الدعوات السماوية الجديدة التي تخالف جل ما كان يسود في مجتمعاتهم من خرافات واساطير تناقلوها كابرا عن كابر دون ادنى نظر او تمحيص، ولعل تسفيه احلام الاباء والاجداد كان من اكثر ما يثير اهل الجاهلية، ويبحث فيهم الحق والغضب فكثير ما كانوا يستثيرون الناس ويجرضونهم على الدعوة الاسلامية بقولهم انه يسفه احلام الاباء ويستخف بعقول الاسلاف ويصفونهم انهم لا يعقلون^(٦١).

لذلك دعا القرآن العظيم الى تحرير العقل وانطلاقه من ربة التقليد الذي لا ينبعث الا من الجهل والتعصب، وقد نعى القرآن على المقلدين الذين يقولون: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ

(٦١) ظ عباس محمود العقاد، التفكير فريضة اسلامية/ ١٩ - ٢١.

دون العلم والفهم^(٥٨)، والمقلد حين يقبل قول الغير دون دليل يصبح إمعة كما عبّر رسول الله ﷺ: ((ما مِنْ أَحَدٍ إِلَّا عَلَىٰ بَابِهِ مَلَكَانِ، فَإِذَا خَرَجَ قَالَ: أُغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا وَلَا تَكُنْ إِمْعَةً))^(٥٩)، والامعة هو كل من لا يتمتع بالاستقلال الفكري ولا يرى لنفسه حق التفكير والإدلاء برأيه، فعينُهُ وأذنه مرتهتان بأقلام الآخرين وألستهم فيما يكتبون وما يقولون ومن هنا كان الباعث - من وجهة النظر الاجتماعية - على اختيار الإنسان للجهل هو إِمْعِيَّتُهُ، وكونه إِمْعَةً يقلد الآخرين في عقائدهم وأعمالهم تقليداً أعمى، فلو أنّ البشر قد تحرّروا يوماً من قيد التقليد، لأنحلّ كثير من المشاكل الاجتماعية^(٦٠).

ولقد عانى الانبياء ﷺ على اتساع (٥٨) ظ محمد حسن (اغا بزرك الطهراني)، توضيح الرشد في تاريخ حصر الاجتهاد/ ٢٨+ شهاب الدين المرعشي، القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد: ١/ ١٥٣.

(٥٩) محمد الريشهري، العلم والحكمة في الكتاب والسنة: ٢٠٨.

(٦٠) ظ محمد الريشهري، موسوعة العقائد الاسلامية: ١/ ٤٠.



أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿ [سورة الزخرف: ٢٢]، وهذا يؤكد افتقارهم إلى أدنى حجة ذات قيمة في ما يعتقدون من عبادة الأوثان والعقائد الزائفة، وقد ركز على أن كل ما يمتلكونه من حجة هو أنهم وجدوا آباءهم على ذلك، فتمسكوا به، وهذا هو ديدن هذا الصنف من الناس الذي أغلق على ذهنه المنافذ، وندد بالذين ﴿ .. قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٠]، ليجسد ما تنطوي عليه هذه المقولة من تهافت، وما يغيب فيه هؤلاء من جهل متجذر موروث لا يصغي لدعوة حق ولا لبرهان ساطع بل ليس لديهم أكثر من ترديد مقولتهم تلك ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: ٧٨]، ولو جاءهم متحديا لما وجدوا عليه آباءهم مبينا فساده لم يؤمنوا قال تعالى: ﴿ قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءِآبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سورة

الزخرف: ٢٤]، وكثيرا ما كرر القرآن العظيم مقولتهم النكير على هؤلاء في مواضع آخر، لأنه إنما يواجه في مشروعه المعرفي نظريات استحكمت وترسخت لدى أمم متتابعة، لا يستبعد أن يكون لها امتداد في مستقبل الأمم أيضا... فلقد تجاوزت هذه النظرية حدود المعارف والمعتقدات إلى السلوك والمعاملات قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءِآبَاءَنَا قَالَ ... ﴾ [سورة الاعراف: ٢٨]، ثم بعد هذا يبين القرآن الكريم الجزء الذي ينتظر قوما مضوا على هذا النهج، مثيرا الأذهان إلى ضرورة الحذر من نهج كهذا قال تعالى: ﴿ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٥] (٦٢).

ب. الصحبة السيئة:

اولى الاسلام عناية فائقة في امر البيئة الخاصة (الصداقة)، فلاحظ اهم جوانبها المؤثرة في جمود العقل، وانحدار الفكر في هاوية العادات

(٦٢) ظ باقر القرشي، النظام التربوي في الاسلام/ ٢٤٣.



عليكم أمره ولم تعرفوا دينه، فانظروا إلى خلطائه، فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله، وإن كانوا على غير دين الله، فلا حظ له من دين الله)) (٦٥).

وقد حث الاسلام بإصرار بالغ على اختيار الصديق ذي الشرف والنبيل والاستقامة حتى يكتسب منه حسن السلوك، وفضائل الاعمال يقول الامام الحسن بن علي عليه السلام: ((وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا اردت منه معونة اعانك، وان قلت صدق قولك...، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك الطرائق، ولا يخذلك عنه الحقائق، وان تنازعتما منقسما اترك)) (٦٦). كما حذر من صحبة المصابين ببعض الامراض المؤثرة على النظر العقلي ممن اصيب بأمراض نفسية وعاهات اخلاقية قال الامام علي موصيا ولده الامام الحسن عليه السلام: ((يا بني، اياك

(٦٥) الصدوق، صفات الشيعة / ٦ - ٧ + الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٦ / ٢٦٥ +

المجلسي، بحار الانوار: ٧١ / ١٩٧.

(٦٦) المجلسي، بحار الانوار / ٤٤ / ١٣٩.

السيئة والاخلاق الذميمة، فعوامل بناء شخصية الإنسان- بعد عزمه وإرادته وتصميمه -أمور مختلفة، من أهمها الجليس والصديق، ذلك لأن الإنسان قابل للتأثر شاء أم أبى، فيأخذ قسطا مهما من أفكاره وصفاته الأخلاقية عن طريق أصدقائه، ولقد ثبتت هذه الحقيقة من الناحية العلمية وعن طريق التجربة والمشاهدات الحسية فهي من اقوى العوامل التربوية التي تنقل خلق كل واحد واتجاهاته وميوله إلى الآخر (٦٣).

وقد اكد علماء الاجتماع هذه الظاهرة فقالوا: ((ان الحياة الاجتماعية حياة تأثير وتأثر، فكل انسان يتأثر فيمن حوله ويؤثر فيمن حوله)) (٦٤)، وحيث ان قابلية التأثر هذه نالت اهتماما خاصا لدى الإسلام إلى حد أنه نقل في الروايات عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال: ((ومن اشبهه

(٦٣) ظ الصدوق، صفات الشيعة / ٦ - ٧ + ناصر مكارم الشيرازي، الامثل / ١١ / ٢٤٣.

(٦٤) ظ باقر القرشي، النظام التربوي في الاسلام / ١٣٩.



ومصادقة الاحق، فانه يريد ان ينفك فيضرك؛ واياك ومصادقة البخيل، فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه؛ واياك ومصادقة الفاجر، فانه يبيعك بالتافه؛ واياك ومصادقة الكذاب، فانه كالسراب يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب)) (٦٧).

ت. تفكك الروابط الاجتماعية:

تعد صلة الارحام من اهم الروابط الاجتماعية التي تؤكد الشريعة الاسلامية لما لها من علاقة وثيقة بالتفكير، وقد اكد القرآن الكريم ان جزاء قاطع الرحم غلق منافذ التفكير لديه قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ اِنْ تَوَلَّيْتُمْ اَنْ تُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ وَتُقَطِّعُوا اَرْحَامَكُمْ اُولَئِكَ الَّذِيْنَ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ فَاَصْمَهُمْ وَاَعَمَّ اَبْصَارَهُمْ اَفَلَا يَتَذَكَّرُوْنَ اَلْقُرْءَانَ اَمْ عَلٰى قُلُوْبٍ اَقْفَالٌهَا ﴾ [سورة محمد: ٢٢- ٢٤].

من رحمته (فأصمهم) أي سلبهم فهم ما يسمعون بأذانهم من مواعظ الله في تنزيله، و (اعمى ابصارهم) بمعنى سلبهم عقولهم فلا يتبينون حجج الله، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وادلته (٦٨). وقد جاء عن رسول الله ﷺ انه قال: ((اذا ظهر العلم، واحترز العمل، واثلفت اللسان، واختلفت القلوب، وتقاطعت الارحام هنالك لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم)) (٦٩).

يقول الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ): ((... واعمى ابصارهم أي ساهم عميا وصما وحكم عليهم بذلك لانهم بمنزلة الصم والعمي من حيث لم يهتدوا الى الحق ولا ابصروا الرشد، ولم يرد الاصمام في الجارحة والاعماء في العين لانهم كانوا بخلافه صحيحي العين صحيحي السمع)) (٧٠)، وانما اطلق الصم لأنه لا يكون الا في الاذن وقرن

(٦٨) ظ الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ٧٤ / ٢٦.

(٦٩) الصدوق، ثواب الاعمال / ٢٢٤ + الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٤٩٤ / ٢١.

(٧٠) الطوسي، التبيان: ٣٠٣ / ٩.

وذلك يعني ان الذين يفسدون ويقطعون الارحام لعنهم الله فابعدهم

(٦٧) المجلسي، بحار الانوار: ٧١ / ١٩٩ + الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٤١٩ / ٨.



القرآن الكريم، خلص البحث إلى نتائج أهمها الآتي:

١. ان شمولية القرآن الكريم لمختلف جوانب الحياة يعني شمولية النظر العقلي لمختلف جوانبه، وهذا يتطلب شمولية معالجة القرآن الكريم لعوائق النظر العقلي التي تعترضه وتحريه منها، ذلك ان هناك عوائق تأخذ بعدا عقليا واخرى نفسيا فضلا عن العوائق ذات البعد الجسدي والاجتماعي.

٢. ان النصوص القرآنية المباركة حملت بأفاق تعبيرية، واساليب استدلالية نقلت العقل العربي الاسلامي نقلة واسعة من جمود الجاهلية وسطحية مفاهيمها، وجاء بمفاهيم جديدة قدمت عقيدة نقلت الإنسان المسلم من سذاجة التصور لملامح العقيدة الى منظور يصمد في وجه هجمات المنظومات الاخرى للأديان والملل كلها، ويحقق اهلية الخاتمية والعالمية للرسالة وهي اهم خصائصه.

٣. اشتمل القرآن الكريم على

العمى بالأبصار لأنه قد يكون بالبصر وبالقلب^(٧١).

ثم جاء بالاستفهام للتوبيخ فقال ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ... ﴾ أي افلا يتفهمونه فيعلمون بما اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة والحجج الظاهرة والبراهين القاطعة التي تكفي من له عقل فتزجره فهم اما لا يتدبرون القرآن فيبعدون منه لان الله تعالى لعنهم وابعدهم عن الخير والصدق، والقرآن منها الصنف الاعلى بل النوع الاشرف، واما يتدبرون لكن لا تدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة^(٧٢).

الخاتمة والتناج:

بعد هذه السياحة في أرجاء ما انتظمته المصنفات والبحوث والدراسات مما حوته المكتبات والمواقع الإلكترونية وما أفدناه من أفواه أساتذتنا الكرام، على ضوء فرضية مفادها: ضرورة تدوين مستقل لمعوقات النظر العقلي في

(٧١) ظ الطبرسي، مجمع البيان: ٩ / ١٧٤.

(٧٢) ظ الرازي، تفسير الرازي: ٢٨ / ٦٥ +

الشوكاني، فتح القدير: ٥ / ٣٨ ناصر

مكارم الشيرازي، الامثل: ١٦ / ٣٧٦.



توجيهات لتنمية النظر العقلي تتمثل في ذم الهوى واتباع الآباء والاجداد ورفض كل الامور التي تحد من الارتقاء بالعقل وجموده.

٤. ان النهي عن اتباع الظن المذموم يوجب على المسلم الا يتسرع في اصدار احكامه وان يبذل وسعه للإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه، والتفكير السليم هو الذي يقود صاحبه الى احكام صائبة وهذا اول ما توصف به العقلية العلمية في القرآن الكريم لأنها ترفض الظن في كل موضع يطلب فيه اليقين كما في مقام تأسيس العقائد التي تقوم على نظرة الإنسان الى الوجود، والقرآن حين يدعو الى التحرر من العوائق والتي منها اتباع الظن المذموم إنما يؤسس القاعدة الاساسية للتفكير والنظر السليم، التي إن اصابها خلل فسيكون التفكير منحرفاً لأنه مغلول بقيود تمنعه من بلوغ الحق.

٥. ان الحرب التي شنها الاسلام على

الجمود الفكري، والاستسلام العقلي للخرافات و الأساطير، دون وعي وتمحيص، ترمي الى تكوين عقلا استداليا عند الإنسان لا يتقبل فكرة دون تمحيص ولا يؤمن بعقيدة ما لم تحصل على برهان ليكون هذا العقل الواعي ضمناً للحرية الفكرية وعاصماً له من التفريط بها، بدافع من تقليد أو تعصب أو خرافة، فلا يكفي لتكوين التفكير الحر لدى الإنسان ان يقال له: فكر كما يحلو لك، كما صنعت الحضارة الغربية لان هذا التوسع في الحرية سوف يكون على حسابها، ويؤدي في كثير من الأحيان إلى ألوان من العبودية الفكرية.

٦. ان من ابرز اثار اتباع الهوى انه يسلب الإنسان أهم وسائل الهداية، والذي في مقدمتها الإدراك الصحيح للحقائق، فضلاً عن انه يلقي الحجب على عقل الإنسان وعينه، ولعل التحصن من هذا المعوق خطوة ضرورية لا غنى عنها لطالب



أهم المصادر والمراجع:

خير ما نبتدئ به كتاب الله تعالى
القرآن الكريم.

١. الحر العاملي: محمد بن الحسن

الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)،

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل

الشرعية، تح: مؤسسة آل البيت عليه السلام

لأحياء التراث، ط ٣، مطبعة مهر،

١٤١٤هـ.ق.

٢. هداية الأمة إلى معرفة احكام

الائمة، تح/ قسم الحديث في مجمع

البحوث الإسلامية، ط ١، مؤسسة

الطبع والنشر التابعة للأستانة

الرضوية المقدسة - مشهد - إيران،

١٤١٢هـ.

٣. الزركشي: محمد بن عبد الله (ت

٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن،

تح/ محمد أبو الفضل، ط ١،

١٣٧٦هـ، دار أحياء الكتب العربية -

القاهرة.

٤. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن

بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)،

الإتقان في علوم القرآن تح/ سعيد

الحق والعلم، ذلك أن العالم يجب ان

يستبعد كل ما يتعلق بذاته في مقابل

ما يسمى ((الموضوعية))، والتي هي

مبدأ مهم في منهج النظر^(٧٣).

٧. ذم الاسلام الغضب وعده آفة

مدمرة للعقل واتزانة، فهو يطفئ

التفكير السليم، فضلا عن ما يتبعه

من عواقب وخيمة على الفرد وعلى

وحدة المجتمع وترابطه وتماسكه

لأنه جمة من الشيطان وجند من

جنوده كما يعبر عن ذلك الامام

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ((ان

هذا الغضب جمة من الشيطان

توقد في قلب ابن ادم، وان احدكم

اذا غضب احمرت عيناه، وانتفخت

اوداجه ودخل الشيطان فيه، فاذا

خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم

الارض، فان رجز الشيطان ليذهب

عنه عند ذلك))^(٧٤).

(٧٣) ظ ناصر مكارم الشيرازي، الامثل: ١٦ /

٢١٧-٢١٨.

(٧٤) الكليني، الكافي: ٢ / ٣٠٥+ الحر العاملي،

وسائل الشيعة: ١٥ / ٣٦١+ المجلسي،

بحار الانوار: ٦٠ / ٢٦٥.



الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: صدقي جميل العطار، طبع ونشر دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.

١٠. الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تح/ أحمد حبيب قصير العاملي، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م.

١١. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، ط١، دار الرسالة- القاهرة، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ.

١٢. الفخر الرازي: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٦هـ)، تفسير الرازي، التفسير الكبير: أو مفاتيح الغيب، ط١- دار الكتب العلمية - بيروت- ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٣. الفيض الكاشاني: محمد بن المرتضى المدعو بمحمد محسن (ت ١٠٩٣هـ)، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، تح/ علي أكبر

المنذوب، ط١، مطبعة دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٥. الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، دار الفكر - بيروت ١٩٨٣م.

٦. الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، علل الشرائع، طبع ونشر المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٧. الاحتجاج، تح، السيد محمد باقر الخرسان، مطبعة منشورات دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٨. الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسين (من أعلام القرن السابع الهجري والمتوفى في أوائل هذا القرن): مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تح/ مهدي هوشمند، ط١، دار الحديث، ١٤١٨هـ.

٩. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير



- الغفاري، ط ٢، مطبعة مهر - قم،
الناشر: دفتر انتشارات إسلامي،
د. ت.
١٤. القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم
القمي (٣٢٩هـ)، فقه الرضا،
تح: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء
التراث، ط ١، الناشر: المؤتمر العالي
للإمام الرضا عليه السلام، مشهد - قم،
١٤٠٦هـ. ق.
١٥. الكليني: محمد بن يعقوب (ت
٣٢٩هـ)، الكافي، تحق/ علي أكبر
الغفاري، دار الكتب الإسلامية،
طهران، ١٣٦٣هـ. ش.
١٦. المازندراني: محمد صالح (ت
١٠٨١هـ)، شرح أصول الكافي،
تح/ علي عاشور، ط ١، دار
إحياء التراث العربي - بيروت،
١٤٢١هـ.
١٧. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي
(ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة
الأطهار، تح/ محمد تقي اليزدي،
محمد باقر البهبودي، ط ٣، دار
- إحياء التراث العربي، ١٩٨٣م.
١٨. المدني: السيد علي خان الحسيني
الشيرازي (ت ١١٢٠هـ)، رياض
السالكين في شرح صحيفة سيد
الساجدين، تح/ السيد محسن
الاميني، ط ٤، مطبعة مؤسسة
النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ.
١٩. المرتضى: علي بن الحسين الموسوي
المعروف بالشريف المرتضى
(٤٣٦هـ)، رسائل الشريف
المرتضى، تح و تقد/ السيد أحمد
الحسيني، د. ط، مطبعة سيد
الشهداء - قم، ١٤٠٥هـ.
٢٠. النراقي: محمد مهدي (ت
١٢٠٩هـ)، جامع السعادات، تح/
السيد محمد كلنتر، ط ٥، منشورات
جامعة النجف الدينية - مطبعة
الآداب، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ.



هَيْمَنَةُ الْهُوِيَّةِ الْأَسْلَامِيَّةِ وَخُصُوصِيَّتُهَا (دِرَاسَةٌ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)

طلال فائق المالحي
العتبة الحسينية المقدسة

فحوى البحث

يراد بفكرة البحث: (هيمنة القرآن الكريم على بقية الكتب السماوية) مجموعة من الأسس والقواعد والأدلة النافذة في حكمها على التشريعات السماوية جميعها. وهو مصداق قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]. وهذه (الهيمنة) انما تحققت بفعل هيمنة الله-تبارك وتعالى -على المخلوقات ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ مِنْ الْقُرْآنِ أَنْ تَتَذَكَّرَ أَلَمْ يَأْتِكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ لِيُحْكِمَ الْبَيْنَ وَهُوَ خَشِيَ الرَّجَمَ الْعَظِيمَ ﴾ [سورة الحشر: ٢٣].

وقد ركز السيد الباحث على مسألة قبول الآخر و عدم اضطهاده وتغييبه وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة مطالب مذيلا بقائمة طويلة للمصادر اضطررنا لاختصارها.

توطئة:

وقبال ذلك سنحاول الإجابة على الرؤية القرآنية (للآخر) في ظل الهوية الإسلامية، وعن حدوده في هدي مضامين مكونات الكتاب المهيمن وأحكامه؟. وقبل البدء بالإجابة عن كل الأسئلة المذكورة آنفاً وجدتني ملزماً بتسليط الضوء على بعض المفردات التي يركز البحث عليها ومنها ما يأتي:

مفهوم الهوية الإسلامية:

وردت «الهوية» في معجمات اللغة مضمومة الهاء، نسبة إلى الضمير «هو»، ويراد بها الماهية بحسب تعريف الجرجاني لها وهي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق^(١)، وقد وافقه على هذا صاحب تاج العروس تماماً^(٢).

وقد بين الجرجاني معنى تلك الماهية بشكل أكثر تفصيلاً بقوله: (الهوية هي الأمر المتعلق من حيث امتيازها عن الأغيار)^(٣)، وقد قيل إنها (ما به الشيء

إن مفهوم هيمنة القرآن الكريم على بقية الكتب الإلهية إنما يراد منه: مجموعة من الأسس والقواعد القرآنية والأدلة المُعززة لها النافذة في حكمها على جميع التشريعات السماوية والأرضية، التي يُرجع إليها لتدعيم مبدأ الخير الذي يروجوه الإنسان في تلبية حاجاته كافة، إذ لا يخفى أن هيمنة القرآن الكريم هيمنة ذاتية وموضوعية تنتهي إلى هيمنة الشريعة الإسلامية بلحاظ أن الكتاب أحد أركانه الرئيسية، بيد أن محور البحث يكمن بالإجابة عن سؤال مؤداه أيلزم بحكم هيمنة الكتاب والشريعة أن يكون النبي المرسل بالرسالة المهيمنة مهيمناً على غيره من الأنبياء ﷺ أم لا يلزم ذلك؟. أو يجب أن يكون ذا خصائص تميّزه عن غيره من الأنبياء والرسول ﷺ بالأداء أو بالرتبة أو بالتسديد الإلهي.

ثم السؤال عن إمكانية لزوم أن تكون هوية الانتساب إلى الشريعة المقدسة لها خصيصة الهيمنة تبعاً لهيمنتها وهيمنة كتابها؟.

(١) ظ: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات: ٢٥٧.

(٢) ظ: الزبيدي، تاج العروس: ٢٥ / ١٧١؛ ٣٩ / ١٢٣.

(٣) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات: ١٩٥.



من هنا عرِّفت الهوية الإسلامية بأنها:
(الإيمان بعقيدة الإسلام، وتعزيز الانتماء إليه واحترام قيمه الحضارية والثقافية، وإبراز شعائره والتمسك بها، والقيام بحق الرسالة)^(٨)، وفي هذا التعريف نظر لأنَّه يبيِّن مكوّنات الهوية الإسلامية أو مستلزماتها لا ماهيتها، إذ إنّ الهوية الإسلامية مصطلح يدلُّ على حقيقة ذاتية الإسلام التي (تشكّل محور استقطاب للأمة أو للفرد وتميّزهما عن غيرهما)^(٩)، وهذا يعني أنّ الهوية الإسلامية تقوم على بعدين^(١٠):

الأول: البعد الفردي الذي يُعبّر عن الكيان الاختياري للإنسان، وهو ما ينطوي على مضمون قيميّ مبدئيّ، يتضمّن تعريف الإنسان بذاته، وبأهدافه في الحياة، وبالمعايير التي تشكّل المرجع لديه وتضبط دوافعه.

الثاني: البعد الجماعي الذي يعني

هو هو باعتبار تشخصه^(٤)، ولذلك فإنّ (هويّة الشيء تعيّنهُ ووحده وخصوصيّته ووجوده المتفرد)^(٥).

واستعملت الكلمة حديثاً للبطاقة التي يُنبَت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وقد ورد هذا الاستعمال في المعجمات الحديثة فهي تعني (إحساس الفرد بنفسه وفرديّته وحفاظه على تكامله وقيّمته وسلوكيّاته وأفكاره في مختلف المواقف)^(٦).

وتُستعمل كلمة (هوية) في الأدبيات المعاصرة للتعبير عن خصيصة المطابقة: مطابقة الشيء لنفسه، أو مطابقة لمثله^(٧).

يتّضح من كلّ ممّا تقدّم أنّ الهوية بالرغم من تعدّد تعريفاتها لا تخرج عن كون المراد منها: خصيصة الشيء وجوهره الذي يتميّز به عن غيره أو عن الآخر.

(٤) زين الدين المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف: ١٤٤.

(٥) التهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١/ ١٠١٠.

(٦) أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/ ٢٣٧٢.

(٧) الموسوعة الفلسفية العربية: ١/ ٨٢١، معهد إنماء العربي، بيروت، ١٩٩٥ م.

(٨) خليل نوري العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية: ٤٥.

(٩) شريف محمّد جابر، الهوية والشرعية دراسة في التأصيل الإسلامي لمفهوم الهوية: ٨.

(١٠) ظ: المصدر نفسه: ٨.



والآخر... و (الأنا) لا معنى لها سوى أتمها المقابل، لـ(الآخر) تقابلاً تعارض وتضاداً^(١٢)، من هنا نستطيع أن نقول إنَّ المفهوم يُنظر إليه بالتعارض والمغايرة على أساس الرؤية الفلسفية وكان تعريف الشيء بضده.

في حين عرّفه آخرون من وجهة نظر معرفية لسانية بأنه «عنصر اساس في فهم وتشكيل الهوية، حيث يقوم الناس بتشكيل أدوارهم وقيمهم ومنهج حياتهم قياساً ومقارنةً بالآخرين كجزء من منهجية التفاعل البيئي التي لا تحمل بالضرورة معان سلبية»^(١٣)، وعُرف (الآخر) أيضاً بأنه «هو كلّ إنسان مختلف، سواء كان هذا الاختلاف شكلياً أم ضمناً فهو اختلاف من ناحية الشكل وصفات فيزيولوجية - بنى جسمانية أو

(١٢) محمد عابد الجابري، مفهوم الأنا والآخر: الموقع الكتروني // <http://www.aljabriabed.net/maj-moiautre.htm>

(١٣) الآخر: الموسوعة الحرّة: ويكيبيديا موقع إلكتروني: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

الانتماء إلى (جماعة)، وهو يتضمّن تعريف الإنسان بذاته من حيث هو منتّم إلى جماعة (أمة الإسلام).

وكلّ من البعدين يعطي للهوية الإسلامية سمات تميّزها عن الهويات الأخرى ومن أهم تلك السمات^(١١):

١. أتمها تعطي الفرد والأمة مقومات البقاء والحفاظ على الخصيصة من دون ذوبان في الثقافات والهويات الأخرى.
٢. أتمها تستوعب حياة الفرد المسلم في مجالاتها كافة فهي محدّدة الوظيفة، واضحة المعالم بيّنة الأهداف في الحياة الدنيا والآخرة.

الآخر:

لقد تعارف في الأوساط الثقافية المعاصرة استعمال مفردة (الآخر)، إذ تبنت الفلسفة الأوروبية الحديثة محاور متعدّدة منها (الأنا) وبهذا «كان كلّ وجود غير وجود (الأنا) هو (آخر) بالنسبة لها، وبالتالي فعلاقة التباين هي علاقة بين الأنا

(١١) ط: خليل نوري العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية: ٤٦.



ضمني يعني (فكرياً - سياسياً - دينياً - عرقياً)» (١٤).

وبالنظر لما عُرض من تعاريف (للآخر) نجد هذه التعريفات قد ابتعدت عن الوسطية إفراطاً وتفريطاً، فقد وصل الأمر ببعضهم إلى حدّ التعارض والتناقض والتضادّ أحياناً، ووصلت الحال ببعضهم الآخر إلى حدّ البعد اللساني اللغوي الذي يفضي إلى تشكيل الهوية بمعناها المحدود فحسب؛ في حين نجد (الآخر) بالمعيار القرآني - من وجهة نظر الباحث - رؤية كونية كلية يتسع بعدها الفكري لتستوعب كل ما دون الذات المسلمّة، أو هو الإنسان المخالف لرؤى الإسلام وعقيدته، أي غير المسلمّ من الديانات السماوية الأخرى، إذ بذلك تُحدّد الهوية الإسلامية نفسها وخصيصةها وما يميّزها عن الآخر ونجد في آيات القرآن الكريم عامّة فضلاً عن باقة آية الهيمنة كثيراً

(١٤) الآخر، حسام سليمان: موقع الكتروني:

www. srcaaw. org / ar / print.

art. asp?aid=150963&ac=2

من الإشارات إلى بيان هوية الآخر من جهة وآلية التعايش معه وقبوله عملياً،

يقول تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، إذ

نستفيد من الآية المباركة وجود سياسة قرآنية دقيقة في قبول الآخر والتعامل معه، ولهذا لم نذكر في منطوق مفهوم (الآخر) معنى التضادّ والتعارض بين (الأنا) و(الآخر) لا من قريب ولا من بعيد لأن هذا المضمون لم يُشر إليه النصّ القرآني مطلقاً، على الرغم من وجود الاختلاف الفكري والعقدي بين المسلم وغيره؛ قال تعالى: ﴿كَلَّا

نُؤْمِدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [سورة الإسراء:

٢٠] بل دعت الرؤية القرآنية والشريعة الإسلامية إلى إحياء القواسم المشتركة بين المسلم والآخر - وهذا ما سنثبته في محاور هذا المبحث - والانفتاح سلوكياً

للتعايش في مجالات الحياة كافة، قال

تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ



التباين متأثراً ببوصلة الإطلاق والنسبية صعوداً ونزولاً من جهة، وتباين ظروف أهمها من جهة أخرى، وهذا التباين سيؤثر طردياً على مضامين ومفردات كلّ شريعة قياساً بالشرائع الأخر، ومن ثمّ تتفاضل هذه عن تلك.

وعليه نسلم بتفاضل الشريعة الخاتمة ورفعة مضامينها بحكم أنّها المتممة والجامعة والناسخة لما قبلها من الشرائع، فضلاً عن قدرة الناس لتقبّل الشريعة ونضج العقل المعرفي لتحمل مسؤولية تكاليف السماء واستعدادهم لذلك، علاوة على ما ذكر من أسباب لهذا المحور سلفاً.

تفاضل الأنبياء وأثره في بناء الأمة:

إنّ التفاضل في الشرائع جاء بموجب أسباب متعدّدة منها أثر هذا النبي عن ذاك في تعزيز الإيمان في عقول الأمة وقلوبها ووجدانها، وهذا الأثر ينمّ على قدرة الرسول ﷺ وملكاته وسعة قابليته التي أهّلته ليكون رسول الله تعالى لشريعة من الشرائع على الرغم من كثرة أنبياء الله تعالى ﷺ، فاصطفاء

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ
وَنُقَسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾
[سورة الممتحنة: ٨].

من خلال كلّ تلك الاستفهامات والإثارات والرؤى القرآنية سنثبت أنّ شريعة الإسلام نظرت إلى (الأخر) نظرة سماوية معيارها -الأوّل والأخير- الاعتقاد بوحدة الدين وتعدّد الشرائع على صعيد زمن الوحي لتنتهي عند الشريعة الخاتمة والمهيمنة بالمآل.

وما يبتغيه الباحث من (الأخر) هو (الأخر الديني) أو الآخر ممّن يعتقد بالشرائع السماوية غير شريعة الإسلام بلحاظ أنّ موضوعنا يخصّ هذه الفئة، على الرغم من أنّ البحث يمكن أن يستوعب من هو خارج هذه الدائرة بحكم أنّه سيعرض أسساً كُليّة اتّصفت بها شريعة الإسلام لتستوعب كلّ البشرية بغض النظر عن انتهاءاتهم العقديّة.

المطلب الاول

خصيصة نبي الاسلام ﷺ

لا شك في تسالم وجود التباين النسبي بين التشريعات الإلهية، إذ يتجسّد ذلك



الله لأولي العزم من الأنبياء ﷺ - على سبيل المثال - مبني على أنهم «أولوا الجد والثبات والصبر»^(١٥)، ولهذا خاطب الله رسوله الكريم ﷺ ووصاه بالصبر لقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٥].

إن تفاضل الأنبياء له الأثر الواضح في بناء الأمة وفي تثبيت موضوعاتها التي تتأثر الشرائع الساوية بموجبها، ولهذا صرح النص القرآني بحقيقة هذا التفاضل وشرعيته؛ بل فرّق عبر آيات متعدّدة بين الرسول والنبى بوصفه مرتبةً من مراتب التمثيل الإلهي لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٥٢]، فالآية وغيرها من الآيات المباركات تُفيد التفريق بين مفردتي الرسول والنبى باعتبار أنّ واو العطف تقتضي التغير دلالةً، فضلاً عن وجود التفاضل بين المرتبتين «كما (١٥) الزمخشري، الكشاف: ٢/ ١١٤٤.

أن دلائل عديدة تشير إلى الاختلاف من وجوه متعدّدة من ضمنها عموم شريعة الرسول وخصيصة نبوة النبي، ومن ضمنها أيضاً أنّ الرسول من له شرع خاصّ به مستقل عمّن سبقه أو مكمل له، والنبى لا يأتي بشرع أصلاً... كما أنّ التبليغ وعدمه يمثلان فرقاً آخرًا مهمًّا بين المرتبتين»^(١٦).

لم ينته التفاضل عند هذا الحدّ فحسب؛ بل صور القرآن الكريم التفاضل داخل المرتبة الواحدة - الرسالة والنبوة - لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]، ففي الآية دلالة على التفضيل الإلهي الحاصل بين الأنبياء ﷺ فيهم من هو أفضل وفيهم من هو مفضل عليه وجميعهم فضل، فإنّ الرسالة الإلهية نفسها فضيلة وهي مشتركة بين الجميع، ففيما بين الرسل أيضاً اختلاف في المقامات وتفاوت في الدرجات فإنّ الاختلاف بين

(١٦) ستار الأعرجي، الوحي: ٨٦. ظ: المفيد، الاختصاص: ٣٢٨، ظ: مغنية، الكاشف:



الرسول اختلاف في المقامات وتفاضل في الدرجات مع اتّحادهم في أصل الفضل وهو الرسالة^(١٧)، وهذه الدلالة تؤكّدها الآية نفسها لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ أي أنّ هذه الرفعة الإلهية بموجب التفاضل الذاتي والسلوك الإجرائي والثبات على طاعة الله تعالى والصبر على البلوى، فهي درجة مشتملة «على أمر واقعي غير اعتباري»^(١٨) بلحاظ مقدّماتها الواقعية والعملية.

ولأهميّة هذه المرتبة الرفيعة عند الله تعالى وأهميّة أثرها بفضل الشرائع بعضها على بعض كان اهتمام الباحثين بالنظر ملياً في مقوّمات هذه المرتبة ولوازمها التي تميّز مرتبة هذه الشريعة عن تلك، ولعلّ محاولات القدح في هذه المرتبة بنسب الجنون والسحر وغيرها من الدعاوى الباطلة إلى شخص الرسول الأكرم ﷺ في زمن الوحي وفي هذا الزمن أيضاً غايته قطع صلة النبي ﷺ بالله تعالى

(١٧) ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٣١٣ / ٢.

(١٨) المصدر نفسه: ٣٢٥ / ٢.

ونفي سماوية الكتاب والرسالة.

الأدلة العقلية

لسماوية الرسول والرسالة:

إنّ الشك في الرسالة السماوية للرسول ﷺ مدعاة للشكّ بالركن الرئيس والأول للإسلام وهو القرآن الكريم وعده صنفاً بشرياً.

وللردّ على ذلك ينبغي أن نتعامل على أساس المبنى العقلي والتاريخي والتجريبي فحسب؛ بحسبان عدم تسليم الطرف الآخر بأي دليل غيبي أو نقلي مستمدّاً من الرسالة المحمّدية نفسها، لذا لزم عرض جملة من الأدلّة تثبت سماوية القرآن الكريم ونبوّة محمد ﷺ التي يمكن اختزالها بما يأتي:

١. وحدة موضوع الرؤية الكونية في مصادر شريعة الإسلام عامّة وانسجام مرتكزاتها من جهة وانسجام الظواهر والتفريعات مع أمّات القضايا والموضوعات من جهة أخرى.

٢. تناسق الأحكام التشريعية -العبادية

والمعاملاتية -على مدى ٢٣ سنة



٣. إنَّ المنظومة القيمية التي جاء بها الرسول الأكرم والرسالة الإسلامية منسجمة تماماً مع القيم المطلقة، إذ لم يعرض ﷺ مفهوماً نسبياً يخالف ما أقرته الرسالات الإلهية السابقة وكذا الأمم اللاحقة، مما يدل على عدم بشرية ما جاء به الرسول ﷺ.

٤. يُعدّ القرآن الكريم منسجماً في نظمه ومعناه لا تنفك أجزاء تناسقه بعضها عن بعض، إذ يقول الإمام علي (عليه السلام): «وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض»^(٢٠)، وهذا يدل على أنه مكوّنٌ واحدٌ متجانسٌ في الروح والماهية، فأول القرآن كأوسطه وآخره وأوله، وكل آية فيه ماثلة لسائر الآيات والسور من حيث رقي الأسلوب والدلالة^(٢١)، وهذا أحد وجوه الإعجاز، إذ لا يمكن

(وهي مدّة الوحي) وكذا انسجامها وموضوعاتها والعلة من وراء سنّها وبقائها حتى يومنا هذا، إذ لا يمكن إحراز منظومة متكاملة مع فرض أنّها من مخاض تفكير الرسول ﷺ ونتاجه الذاتي. فورود منظومة بهذه الدقة من دون أن يطرأ عليها أي تعديل بين الحين والآخر^(١٩) كما هو حال التشريعات الوضعية -على الرغم من صدورها من جهات مختصة- يُعدّ دليلاً على مساويتها وسماوية رسولها.

(١٩) قد يُشكل أنّ النسخ في القرآن الكريم هو أحد أوجه التغيير، ويمكن أن نجيب بالآتي: إنّ النسخ في القرآن الكريم إنّما جاء نتيجة متطلبات تغيير الموضوع وظرفه الزمكاني والبيئي، كما أنّ النسخ لم يتعرّض للكليات إطلاقاً بل للمسائل الجزئية، وغير ذلك من الأبعاد التي لا تخلّ في أصل المطلب خاصّة وأنّ القرآن الكريم يبيّن المقصد من وراء النسخ لقوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]. كلّ ذلك حال الاعتقاد بوقوع النسخ في آيات القرآن الكريم والحال أنّ بعض من العلماء ومنهم الخوئي ذهب إلى نفي وقوعه فيه، وأشار إلى توهم من ادّعى ذلك، وقد استثنى آية النجوى فقط. ظ: الخوئي، البيان: ٢٧٧.

(٢٠) الشريف الرضي، محمد عبدة، نهج البلاغة:

١٧ / ٢ / خطبة ١٣٣.

(٢١) محاضرة صباح عنوز لطلبة الدراسات

العليا في كلية الفقه/ الدكتوراه - قسم علوم

القرآن: الساعة الحادية عشر من صباح يوم

١٣ / ١٠ / ٢٠١٣ م.



الرسول الأكرم ﷺ بحكم سماويتها.
 ٥. يُعدّ كتاب الله وطريقة وحيه وآياته
 دعوةً للرسول من أجل نشر شريعة
 الإسلام ومضامينه الداعية للحجج
 العقلية والمنطقية فضلاً عن أنّ السبل
 الحسيّة والتجريبية دعوةً لحرية
 التفكير للوصول إلى حقائق الأشياء
 وماهياتها، وهو نمط اشترك به جميع
 الرُّسل والرسالات الإلهية.

٦. بمقتضى الجعل الإلهي كانت
 المعجزات إحدى أهم طرق إثبات
 صدق دعوة الرُّسل فضلاً عن تعزيز
 رسالاتهم السماوية حتى باتت -
 المعجزة - من أهم مشتركاتهم،
 ووجود القرآن الكريم بوصفه
 معجزة الإسلام فضلاً عن المعجزات
 الأخر من ضمن الجعل والمشاركات
 في أعلاه.

٧. يُعدّ الإخبار الغيبي بالمستقبل
 وكذا استشراف الرسول ﷺ
 والقرآن الكريم من الأدلة الواقعية
 لارتباطه ﷺ بالوحي الإلهي، فضلاً
 عن أنّ الحقائق التاريخية التي ذكرها

تحقيق ذلك مع فرض بشرية القرآن
 بلحاظ أنّ الرسول ﷺ سيتأثر بحكم
 بشريته بالظروف الذاتية ممّا يؤدي
 إلى تغيير أسلوبه في الخطاب فضلاً
 عن الظروف الزمانية والمكانية، ممّا
 يستدعي تبين آيات القرآن وسنّته
 بمقتضى تبين الرؤى والأفكار
 المتأثرة بالظروف في أعلاه، ولا
 سيّما أنّ حقبة الوحي ليس بقليلة،
 فهي ثلاثة وعشرون عاماً وقد
 مرّت بظروف متغايرة كثيرة وطويلة
 الأمد.

فمع الفرض والمدّة في أعلاه لا
 يمكن القول ببشرية الرسالة المحمّدية
 ولا سيّما أنّ علماء النفس والاجتماع
 وكلّ الدراسات الإنسانية قد أجمعوا
 على أنّ أفكار الإنسان ورؤاه تتأثر طردياً
 بمناخات مقوّمات شخصيته - وهي:
 الأسرة وبيئة النظم الاجتماعية والجينات
 الوراثية والرفقة والقوى الذاتية^(٢٢) وهذا
 ما لم نجده بتاتاً في المنظومة التي أتى بها

(٢٢) ظ: أحمد عزّت راجح، أصول علم النفس:
 ٥٠٣-٥٣٧.



٨. مثلت الحقائق العلمية التي ذكرها أو نبه عليها القرآن الكريم من زمن الوحي دليلاً آخر على صدق نبوة الرسول ﷺ، في الوقت الذي تأخر العلم لاكتشاف تلك الحقائق العلمية في مختلف المجالات (٢٤).

٨. مثلت الحقائق العلمية التي ذكرها أو نبه عليها القرآن الكريم من زمن الوحي دليلاً آخر على صدق نبوة الرسول ﷺ، في الوقت الذي تأخر العلم لاكتشاف تلك الحقائق العلمية في مختلف المجالات (٢٤).

(٢٣) للاستيثاق والاستزادة ظ: البيهقي، دلائل النبوة: ٢ / ٦٦، المقرئ، إمتاع الأسماع: ١٨٦ / ٨.

(٢٤) للاستزادة ظ: كارم السيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حميد النجدي.

٩. لو أن القرآن من الرسول ﷺ وأنه لم يوح إليه - كما ادعى بعضهم - لاقتضت الحكمة منه - بناء كيانه الذاتي - أن لا يعلن رفضه لكل القيم والمعايير والمبادئ التي رفضها الإسلام اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وفكرياً، إذ عدّ انقلاباً ساخراً وواضحاً على أمته ومجتمعه؛ بل لحباهم وأرضاهم في بعض المضامين بما يصبّ في مصلحته، وذلك لإنجاح ما سعى إليه، ولكن حاشاه من ذلك لأن خلقه مبادئه وحي السماء والقرآن.

١٠. إن دعوة بشرية النبي محمد ﷺ والقرآن، على أنه ﷺ كان قد نهل وتعلّم مضامين رسالته من بعض القساوسة والرهبان، يفرض علينا طرح سؤال مقتضاه: لمّ لم يعلن أحد هؤلاء القساوسة والرهبان ذلك من جهة؟. ولمّ لم تبرز قابلية هذا القسّ أو ذاك في مجال فنون البلاغة وإعداد النظم التشريعية؟. ليكون له السبق في ذلك بدلاً من أن



يمنحها محمد بن عبد الله ﷺ .

تفرد النبي محمد ﷺ :

لقد اصطفى الله تعالى رسول الله ﷺ للرسالة الخاتمة التي كمل الدين وتم بها، واصطفاه ﷺ لحمل الرسالة المهيمنة له مسوغاته المنطقية، إذ لزم بالضرورة أن تكون هناك فروقات خاصة لحامل الرسالة المهيمنة كما هي الحال في فروقات الرسالة نفسها، وبالنظر في اصطفائه ﷺ ولوازم تفردّه يتبين وجود اعتبارين هما: الأوّل المائز الذاتي للرسول الأكرم؛ أي إنّ الله تعالى منح رسول الله سمات متعدّدة بحكم ما تميّز به ﷺ عن بقية الرسل والأنبياء فضلاً عن البشر جميعاً، أمّا الآخر فهو مائز جعل التشريعي، أي إنّ الله تعالى قد سدّد نبيّه ﷺ بمعجزات وكرامات متعدّدة اختلفت عن معجزات غيره من الأنبياء والرسل بموجب أنّه ﷺ رسول خاتم الرسالات والشرائع وعلى يديه يتحقّق كمال الدين، وبمقتضى الاعتبارين يكون تفرد الرسول واصطفاء الله تعالى له بمقتضى أنّه خير خلقه، وأنّ أي فارق

يذكر على المستوى الذاتي أو الجعل التشريعي سيكون بلحاظ ما تقدّم، ومن هذه الانفرادات التي انفرد بها الرسول الأعظم هي ما يأتي:

١. المعجزة العقلية: القرآن الكريم معجزة عقلية اختلفت عن سائر معجزات الأنبياء والرسل ﷺ التي كانت معجزات مادّية، إذ تُعدّ المعجزة العقلية معجزةً دائمة لعدم انتفاء الجانب العقلي من جهة ولانتفاء المعجز المادّي ومحدودية وقته بانتفاء العلة من وجوده فضلاً من انتفائها بوفاة الرسول والنبي من جهة أخرى، ونجد الرسل ﷺ جميعهم قد افتقروا للتصديق من قبل الكتب الإلهية اللاحقة وأنبيائهم، إذ أنتهج بهذا النهج على طول مراحل الوحي الإلهي، على حين لم يفتقر الرسول الأكرم ﷺ والقرآن الكريم إلى التصديق بوصف الأوّل خاتم الرسل من جهة وأنّ معجزته معجزةً عقليةً دائمةً من جهة أخرى، إذ ينتفي التصديق بكتاب تالٍ لاثبات



هية القرآن الكريم.

٢. الرسالة الخاتمة: قال تعالى: ﴿ مَا

كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ ﴾ [سورة

الأحزاب: ٤٠]، إذ تُعدّ خاتمة النبوة مائراً للرسول الأكرم لا

بلحاظ أن نبوته ﷺ آخر النبوات؛ بل بلحاظ أن الله جعله خاتماً للرسالات الإلهية وأن اصطفاه للرسالة الخاتمة كان بحكم أتمها الأفضل والأتم والأكمل، وعليه فإن النتيجة تقتضي أن اصطفاه أي رسول للشريعة المهيمنة لا بد من أن يكون ذلك الرسول مهيماً في المنزلة والرفعة لا محالة.

٣. قدرته ﷺ على تحمّل الصعاب: إذ

اتّسم الرسول الأكرم ﷺ بقدرته على تحمّل الصعاب في أداء رسالته والظروف التي أحاطت به ﷺ، حين يستوجب ما عليه أن يؤدّيه

اتّجاه مسؤولياته، إذ يقول الرسول الأكرم: «ما أودى نبي مثل ما

أوديت» (٢٥)، لذا خاطبه الله تعالى:

﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۝ ﴾

[سورة الطور: ٤٨]، ومن هنا عدّ عطاؤه ﷺ أصلاً من أصول اتمام الرسالة الإلهية، إذ من دونه لا تستبين لها دلالة ولا تتضح لها غاية (٢٦).

٤. تعظيم الخطاب القرآني للرسول

الأعظم ﷺ، إذ تميّز الخطاب بتعظيم شأنه وبيان رفعة بعين الله، فلم يذكر القرآن (اسم الرسول محمد ﷺ) عند مخاطبته مباشرة قط إجلالاً له وتكريماً لمقامه عنده سبحانه، ولهذا كان ينعته بصفة الرسول والنبي لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ ۝ ﴾ [سورة المائدة:

٦٦] وقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ ﴾

[سورة الأحزاب: ٤٥].

(٢٥) المجلسي، بحار الأنوار: ٣٩ / ٥٦.

(٢٦) ط: ضياء الدين زين الدين، مبادئ عامة في أصول التدبر القرآني: ٢ / ٤٥٢ - ٣٥٤.



مطلقة»^(٢٨)، فهي أرجى آية دالة على إمكانية صدور الشفاعة من الرسول المصطفى، فالآية في مقام الامتنان للرسول ﷺ وفيها وعد خصّ به ﷺ لم يعد سبحانه بمثله أحداً من خلقه قط^(٢٩)، ومن ضمنهم الأنبياء والرسول ﷺ وهذه النعمة المطلقة هي (الشفاعة).

٦. الشهادة: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ [سورة النحل: ٨٩]، إنها يُراد من الشهادة الوقوف عند أعمال الأمم بوصف الشهيد حجّةً على أمته، ففي الآية «دلالة على أن كل عصر لا يجوز أن يخلو ممن يكون قوله حجّةً... وهو عدل»^(٣٠)، والآية تشمل جميع الأنبياء والرسول ﷺ بوصفهم الحجج على أممهم، في حين

(٢٨) محمد صادق الصدر، مئة المتان: ٢ /

(٢٩) ظ: الطباطبائي، الميزان: ١ / ١٧٧-١٧٨.

(٣٠) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن:

٥. الشفاعة: خصّ الله تعالى الرسول الأعظم ﷺ بالشفاعة، في حين لم يصرّح القرآن الكريم عن بإمكانه شفاعة بقيّة الأنبياء والرسول ﷺ لمحبيهم، على الرغم من أن القرآن بيّن مشروعية الشفاعة وإمكانية وقوعها في آيات متعدّدة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٨]، في الوقت الذي صرّح القرآن في آيات متعدّدة آخر بمنح الرسول الأكرم ﷺ خصيصة الشفاعة لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٩]، فقد نقل العياشي عن تفسير الآية عن أحدهما ﷺ قال: «هي الشفاعة»^(٢٧) وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [سورة الضحى: ٥] فالآية في مقام تسلية الرسول ﷺ وإكرامه، ونفي الهجر عنه وعمّن أحبّه في الدنيا والآخرة، فهي «ليست مطلق النعمة؛ بل نعمة

(٢٧) العياشي، تفسير العياشي: ٢ / ٣٣٧.



يكون الرسول ﷺ شهيداً على أمته وعلى بقية الأنبياء والرسل ﷺ أيضاً بدلالة قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ فلفظة هؤؤلاء تدل على «الشهداء دون عامة الناس فالشهداء شهداء على الناس، والنبى ﷺ شهيد على الشهداء وظاهر الشهادة على الشاهد تعديله دون الشهادة على عمله فهو ﷺ شهيد على مقامهم لا على أعمالهم ولذلك لم يكن من الواجب أن يعاصرهم ويتحد بهم زماناً»^(٣١)، فإن كان الرسول ﷺ شاهداً على جميع الأنبياء والأوصياء فهذا يدل دلالة قاطعة على تفرده بهذه السمة، علاوة على كونه المهيم على جميع الخلق ومن ضمنهم الأنبياء والرسل ﷺ جميعاً بحكم أنه الحجّة عليهم قاطبة من دون استثناء.

٧. إن التبشير بالرسول الأكرم في الكتب السماوية لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ

الَّذِي آتَىٰ بِحُجَّتِهِ مَكَتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧] فيه دلالة على سمة انفراده ﷺ عن غيره بوصفه النبى الخاتم والمهيم والمرجع لبقية الرسل ﷺ والحجة عليهم، ولهذا تسامت على ذكره ﷺ كتب العهدين القديم والجديد، فإنه يلحظ فيها «عبارات تتضمن إشارات معتد بها حول ظهور هذا النبى العظيم»^(٣٢)، وقد أفرد علماءنا من بحوثاً في مجال جمع البشارات من الكتب السماوية على الرغم من اعتقادنا بأن يد التحريف طالتها، ومن ذلك على سبيل المثال ما: «جاء في سفر التكوين الاصطلاح ١٧ العبارة ١٧ إلى ٢٠: وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله... وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه (أي دعاءك في حقه) ها أنا أباركه وأثمره وأكثره

(٣٢) مكارم شيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤ / ٥٣٦.

(٣١) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١٢ / ٣٢٤.



حين نجد أمم الأنبياء والرسل ﷺ
 قد أذاهاها الله تعالى: ﴿لِيَأْسَ الْجُوعُ
 وَالْخَوْفُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾
 [سورة النحل: ١١٢] ومن جنس
 ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
 رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ
 الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة
 النحل: ١١٣].

نخلص مما تقدم أنّ الله تعالى
 قد فضّل بعض الأنبياء وأنزلهم
 درجات من الرفعة متعدّدة، وأنّه كان
 للرسول ﷺ أرفع الدرجات لقوله
 تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة
 البقرة: ٢٥٣] لأنّ الله تعالى قد منح
 المصطفى ﷺ خصائص وفضائل لم
 يخصّ بها أحد من قبل، لذا «رفعه على
 سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في
 الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة فهو
 المفضّل عليهم»^(٣٥)، وعليه فإنّ رفعة
 منزلة الرسول ﷺ وتميّزه - عن البشر
 عامّة فضلاً عن الأنبياء ﷺ - يمنحه
 سمة الهيمنة الشأنية وتلك الهيمنة التي
^(٣٥) الزخشي، الكشاف: ١ / ١٣٦.

كثيراً جيّداً. اثني عشر رئيساً يلد
 وأجعله أمة كبيرة»^(٣٣).
 ٨. الأمان: من جملة ما خصّ الله تعالى
 به رسوله الكريم ﷺ دون غيره
 من الأنبياء ﷺ أنّه أمانٌ للناس أين
 ما حلّ، ومن ثمّ كان ذلك حصناً
 وأماناً لأُمَّته دائماً، إذ يقول سبحانه:
 ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ
 فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
 يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٣]،
 إذ لا يمكن جمع العذاب والرحمة
 بوصفه ﷺ رحمةً لقوله تعالى:
 ﴿أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
 [سورة الأنبياء: ١٠٧]، فقد روي
 عن الإمام عليّ عليه السلام بهذا الشأن ما
 نصّه: «كان في الأرض أمانان من
 عذاب الله وقد رفع أحدهما فدونكم
 الآخر فتمسّكوا به، أمّا الأمان
 الذي رفع فهو رسول الله ﷺ، وأمّا
 الأمان الباقي فالاستغفار»^(٣٤)، في

(٣٣) المصدر نفسه: ٤ / ٥٣٦.

(٣٤) الشريف الرضي، محمد عبدة، نهج

البلاغة: ٤ / ١٩ / تسلسل ٨٨.



الإنسان وقيّمته العليا:

لقد كان لزاماً على الباحث أن يبيّن خصيصة الإنسان بوصفه مخلوقاً في ضمن المخلوقات الأخرى، وأنّه يشترك مع بعض الكائنات الحيّة ويختلف عنها في موارد أحرى، من هنا قيل إنّ في الإنسان خصيصة المعادن، وهي الكون والفساد، وخصيصة النبات، وهي النمو والغذاء، وخصيصة الحيوان، وهي الحسّ والحركة، وخصيصة الإنسان، وهي التفكير والإدراك، وخصيصة الملائكة، وهي الطاعة والحياة، لذا قيل إنّه -أي الإنسان- حيوان ناطق موازنة بجنس الحيوان، بحكم أنّه يشترك مع جنسه في كثير من المشتركات ولا سيّما العضوية بيد أنّه يختلف عنها في الإدراك الذي يُعدّ المائز الحقيقي بين الاثنين، لذا عُرف بأنّه ناطق أو مدرك أو مفكّر أو طالب الهدف أو الطالب المطلق أو المختار وغير ذلك

(٣٦) من المقولات التي يكون قاسمها المشترك سمات وخصائص تفرّقه عن

(٣٦) ظ: محمّد جواد مغنية، معالم الفلسفة الإسلامية: ٢٤٠.

تمثّل المرجعية للرسول الأكرم فهو المرجع لجميع الأنبياء والرسل بحكم أنّه الشاهد عليهم جميعاً، وهو المهيمن بحكم أنّه الخاتم لجميع الرسالات وغيرها من السمات الأخرى التي تعزّز مبدأ الهيمنة له ﷺ، وبالمحصّلة فإنّ الشريعة المهيمنة ذات الكتاب المهيمن يلزم منها أن يكون رسولها مهيماً بسماته واصطفائه بالحتمية المطلقة.

المطلب الثاني

الإنسان وخصيصة الهوية الإسلامية

عرض القرآن الكريم خصيصة الإنسان بعنوانه العام كما اعتنى بعرض خصيسته وهو منتسب للهوية الإسلامية، وفي كلتا الحالين صوّر النصّ الكريم أهمية الإنسان وعلو رتبته موازنة ببقية الموجودات من جهة وقيّمته العليا بوصفه خليفة الله تعالى في الأرض من جهة أخرى، أي إنّهُ -القرآن الكريم- سعى لعرض الإنسان من جهة جعل الله التكويني له، وكذا جعله التشريعي باصطفائه خليفةً له سبحانه وتعالى دون سائر المخلوقات.



جنس الحيوان وتحرّجه من المحدودية إلى
ألّا محدود في التفكير والنمو والتطور،
وكذا في الرغبات والميول.

وبالنظر إلى تلك الخصائص التي
تميّز الإنسان ندرك حقيقة فارق الإنسان
وماهيته ورفعة منزلته عند الله تعالى
موازنة بسائر المخلوقات، إذ يمكن أن
يتميّز عن غيره بمايزين رئيسين هما (٣٧):

أولاً: وعي الإنسان وعمق معرفته:
لعلّ أهمّ ما يميّز الإنسان قدرته
على النفوذ إلى أعماق الأشياء بالنظر
والمعرفة، فهو قادر على الانتقال من
جزئيات العالم المحيط به ومفرداته
للتعرّف على القوانين الكليّة والواقعية
والحقائق العامّة التي تستوعب العالم،
ونفوذه هذا-بحكم العقل-تجاوز
الطرفين المكاني والزماني ومحدوديتها
ليطلّ على نافذة الماضي والحاضر
والمستقبل بل يقف خارج حدود
الطبيعة، ولو لم يكن قادراً على ترتيب

(٣٧) ظ: الخميني، رسالة الطلب والإرادة:
١٢٥، مرتضى مطهري، الإنسان
والإيمان: ٨-١٢، كمال الحيدري، الفلسفة
شرح الأسفار الأربعة: ١/ ٢٤-٢٨.

المقدّمات وتنظيم المعلومات للوصول
إلى نتائج مجهولة لبقية في درجة ومرتبة
واحدة من دون تقدّم.

ثانياً: الميول والرغبات والأهداف:

بمقتضى وعي الإنسان وعمقه
المعرفي نجده له رغبات تدفع به للبحث
عن متطلّبات لتحقيق ميوله وأهدافه،
لذا عدّ مائزاً آخر يميّز الإنسان عن
بقية أفراد جنسه، من هنا نجد تلك
الرغبات تتأثّر طردياً عكسياً بحجم
سعة الإنسان وعمق معرفته، ولما كان
الناس غير مستوين في المقدّمات كانوا
غير مستوين أيضاً في النتائج والأهداف
التي يتوصّلون وينتهون إليها على الرغم
من فطرية تلك الميول والرغبات بحكم
أنّ الإنسان مفكّر، وأنّ سمة التفكّر
والإدراك نابعة من أمور فطرية تشكّل
ذات الإنسان وحقيقته، وهي: حبّ
الاطّلاع ومحاولة الوصول إلى الحقائق
الواقعية، حبّ الخير والقيم، حبّ
الجمال والرغبة إليه، الميل إلى الإبداع،
العشق والعبادة، ويمكن أن نخترل
جميع ذلك بأمر فطري واحد هو (حبّ



الكمال المطلق).

معيار خصيصة التفاضل

لم تكن فكرة الخصيصة غريبةً عن ثقافة المجتمعات والشعوب في العصور المتقدّمة وكذا المتأخّرة، فقد صوّر القرآن الكريم تفاخر اليهود والنصارى بانتسابهم إلى شرائعهم وأتباع رُسُلهم حتّى غالوا في القول بأنهم أبناء الله، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ [سورة المائدة: ١٨]، فقد فسّرت الآية على «أنّ اليهود قالوا نحن في القرب من الله بمنزلة الابن من أبيه، والنصارى لما قالوا للمسيح ابن الله، جعلوا نفوسهم أبناء الله وأحباءه»^(٣٩)، في حين فسّرها آخرون بأنّ المراد من قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ هو المعنى المجازي، فيستفاد من ذلك أنّهم أرادوا من اطلاق الأبن عليهم لأجل إظهار أنّهم مورد عنايته سبحانه وعطفه ومحبّته^(٤٠)، وفي كلتا الوجهتين من التفسير، يكون مورد

نستتج ممّا تقدّم أنّ الفارق بين الإنسان وسائر الحيوانات العلم والمعرفة الذي هو ملاك (إنسانيته) هذا من جهة، وطلبه المطلق بغية تحقيق رغباته وأهدافه من جهة أخرى، فهو اختلاف في الماهية فضلاً عن الاختلاف الكيفي، لذا أشار محمّد باقر الصدر إلى هذه الحقيقة ووصفها بالنتيجة الخطيرة، لأنّها تكشف عن ماهية الإنسان وحقيقته المادّية والروحية التي كابر وجودها المذهب التجريبي، إذ يرى الصدر أنّ للإنسان جانين «أحدهما مادّي متمثّل في تركيبه العضوي، والآخر رُوحى لا مادّي، وهو مسرح النشاط الفكري والعقلي»^(٣٨).

فقد صوّر القرآن الكريم قيمة الإنسان العليا ومنزلته الرفيعة من آيات متعدّدة منها قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١﴾ **عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣** **عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤** [سورة الرحمن: ١ - ٤]، وقوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [سورة العلق: ٥].

(٣٨) محمّد باقر الصدر، فلسفتنا: ٤٢٥.

(٣٩) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥٩ / ٦ / ٢.

(٤٠) ظ: السيزواري، مواهب الرحمن: ١١ / ١٠٩.



والنظم القيمة يُعدّ معيار المفاضلة على وفق الرؤية القرآنية مطلقاً.

ولعلّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة

الحجرات: ١٣] من قبيل المصداق على ما ذكر في أعلاه، فالآية المباركة تبين أنّ التعارف هو المسوّغ من وراء جعل الله البشر ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾، فالآية في مقام بيان استهجان التفاضل والتفاخر بالأنساب والنهي عنه من جهة وتثبيت مبدأ التقوى بوصفه معياراً للتفاخر من جهة أخرى، لقوله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فيكون النصّ الكريم

هنا في مقام «تعليل للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستثناف التحقيقي كأنّه قيل إنّ الأكرم عنده تعالى هو الأتقى فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى» (٤٢) ليس غير.

وصور القرآن الكريم حقيقة التفاضل وحدّد معاملة في مواطن متعددة

(٤٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٨ / ١٢٣.

الاختصاص - بما ورد من دعوتهم - في مقام التشريف والإكبار مُفاضلةً على غيرهم بحكم أنّهم الأقرب للحقّ والهدى باتباعهم لشريعة الله تعالى.

وعرض القرآن الكريم وجهات نظر متعدّدة للتفاضل بلحاظ تباين رؤى البشر واتّجاهاتهم، إذ أعاد البشر خصيصة التفاضل فيما بينهم تارةً إلى النسب وأخرى إلى المال والولد، في حين ذهب آخرون إلى تفاضل العرق، وغير ذلك من أوجه التفاخر (٤١)، وبغضّ النظر عن وجه المقارنة عن جميع ما تقدّم من صور المفاضلة، فإنّ مائز الرؤية الكونية

(٤١) ومن جنس ذلك التفاضل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّواهُ﴾ [سورة المائدة: ١٨]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [سورة الكهف: ٣٤]، وقوله: ﴿أَلَمْ نَكُنْ أَكْثَرُ مِنْكُمْ نَفَرًا﴾ [سورة التكاثر: ١].



فيه كان منها العلم والمعرفة قبال الجهل، قال تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٩]، في حين نجد النصّ القرآني في موطن آخر وضع أساساً عبّر عنه بالطيب والخبيث وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ [سورة المائدة: ١٠٠]، فالبون واسع بين الخبيث والطيب بموجب الرؤية القرآنية وإن كثُر الخبيث أو كان محلّ إعجاب، إذ الطيب «عام في حلال المال وحرامه، وصالح العمل وطالحه، وصحيح المذاهب وفسادها، وجيّد الناس وردّهم»^(٤٣)، وعبّر -القرآن الكريم- عن ذلك بتعبير آخر ليفرق بين المؤمن والكافر، فقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة هود: ٢٤] فالآية المباركة أرادت أن تشبه «الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن اسماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبّر معانيه وتشبيهه

(٤٣) الزمخشري، الكشاف: ١/ ٣١٠.

المؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بالضدّ فيكون كلّ واحد منهما مشبهاً باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضدّيهما»^(٤٤)، بهذا نجد التعبير القرآني قد خاطب المتلقّي بتعبيرات متعدّدة ليفرق كنايةً بين المسلم والضالّ، وبين المؤمن والكافر وبين الطيب والخبيث وغيرها من أوجه التفاضل^(٤٥) ومنها قوله تعالى: (٤٤) البيضاوي، تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٥٩. (٤٥) قد يُشكل أنّ المقصد من تفاضل المراتب في شريعة الإسلام فضل المؤمن على من سواه ومنه المسلم بدليل القرآن الكريم نفسه لقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [سورة الحجرات: ١٤]. نقول: نعم هناك فرق بين معنى الإسلام والإيمان، فالإسلام أعمّ من الإيمان ممّا يُحتّم وجود الفرق والرتبة بينهما، بيد أنّ الآيات القرآنية ونصوص السنّة المطهّرة صوّرت هذه المنازل وعدت قبول الإسلام بمجرّد إعلان الشهادتين ولم يظهر الناطق بهما ما يُخالف أُسس الشريعة الإسلامية - إذ يُعدّ ذلك إسلاماً ظاهرياً - وعلى الرغم من كلّ ذلك فإنّ الجعل التشريعي لله تعالى أوجب وجود



﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۗ ﴿١٩﴾ وَلَا

الْظَّالِمُتْ وَلَا النُّورُ ۗ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُّ ۗ

﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۗ ﴾ [سورة

فاطر: ١٩ - ٢٢]، وهو ما يفضي بالقرآن الكريم إلى حقيقة أنّ التفاضل والتفاخر هو ما يحمله الإنسان من قيم عليا ومثل رفيعة تمثل رؤية السماء الكونية.

الجعل الإلهي وخصيصة

الهوية الإسلامية:

لا شكّ في أنّ خصيصة الهوية الإسلامية لم تأت من فراغ؛ بل جاءت بموجب التفاضل الذي شرّعه سنن السماء الإلهية وقوانينها، ونجد آثار هذه القوانين الإلهية واضحة من بين أحكام الشريعة الإسلامية إجرائياً، إذ نتلمّس التفاضل بين المسلم والآخر بموجب الجعل التشريعي لله تعالى، وهذا ما يمكن قراءته من دلالة لفظة (الجعل) في الآيات التي تبيّن التفاضل أو تحدّد

معياره، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۗ ﴾ [سورة

الحجرات: ١٣] وقوله تعالى: ﴿ وَلَنْ

يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۗ

مناخات شرعية تعصم دماء المسلم وماله وغيرها، في الوقت نفسه أكد القرآن الكريم ضرورة تعميق الإسلام الواقعي المتمثّل بالإيمان بوصفه الحالة المثلى لخليفة الله تعالى في الأرض من جهة وتحقيق الغاية من وجود الشرائع والرّسل - وهي ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۗ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]. من جهة أخرى.

في حين نستفيد من الاستفهام في أعلاه أنّ مرتبة الإسلام وحدها تعدّ مرتبةً رفيعةً عند الله تعالى بلحاظ أنّ معيار التفاضل بين البشر على وفق الرؤية القرآنية وقوف الإنسان عند الحقّ وما يحمله من قيم تمثّل الرؤية الكونية المثلى، وبالتفريق بين الإسلام والإيمان ندرك هذه الحقيقة أنّ الإسلام على الرغم من أنّه أقلّ منزلةً من الإيمان أرفع مكانةً من هو خارج هذه الدائرة، لما أشرناه من أنّ الإسلام أعمّ من الظاهر والآخر إذعان بالباطن، وقد يجتمعان إذا تطابقت الظاهر والباطن على أمر واحد فكان القول والعمل به مصداقاً للاعتقاد له، فالإيمان يراد به مطلق التصديق بحقّ أو باطل، ويراد بالإسلام مطلق الانقياد» الرسائل السماوية السابقة امتداد أنّ تقاطع، أبو اليسر رشيد كهوش: بحث من ضمن البحوث التي أُلقيت في مهرجان ربيع الرسالة الثقافي العالمي السابع / ٢ / ١٢ / ٢٠١٣ م.



[سورة النساء: ١٤١] فالظاهر من معنى

الآيتين المباركتين أن جعل الله تعالى جعلاً تشريعياً، إذ كانت دلالة الأولى أن التقوى معيار التفاضل والتفاخر ولا تتحقق التقوى ما لم يتمسك المرء بمنطق التشريع الإلهي - الأحكام السماوية - وبهذا فإن ضابطة التقوى - ميدان التفاضل - في الآية الكريمة هي معالم التشريع وأحكامه، في حين أن الآية الأخرى كانت دلالتها أن الله تعالى

«لم ولن يجعل في عالم التشريع حكماً يكون موجباً لكونه سبيلاً وسلطاناً للكافرين على المؤمنين»^(٤٦)، فالأظهر مما تقدم أن القرآن الكريم صور أن مقصد جعل الإلهي التشريعي هو تحقيق علو المؤمنين ورفعتهم لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ

الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة

المنافقون: ٨]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ

الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ

الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣٣]،

ومن هذه الأحكام التي تدخل في هذا

(٤٦) البجنوردي، القواعد الفقهية: ١ / ١٨٧.

العنوان ما يأتي:

١. المسلم هو كل من شهد الشهادتين ولم يُظهر منه إنكار لضروري من ضرورات الدين حتى ولو كان إسلامه ظاهرياً غير واقعي، لأن أحكام الإسلام تدور مدار إعلان الشهادتين، وبذلك يُعد كل من أعلن الشهادتين في عرف النظم الإسلامية مسلماً مساوياً في الحقوق والواجبات^(٤٧).

٢. يُعدّ المسلم طاهراً وطهارته معنوية قبال الكافر الذي نجاسته معنوية بلحاظ الفساد العقدي^(٤٨)، فقد وقع «الإجماع على أن الإسلام هو أحد المطهّرات، بمعنى أنه إذا أسلم الكافر طهر بالإسلام وهو ظاهر»^(٤٩).

٣. لا سلطة للكافر على المسلم بأي نحو من أنحاء السلطة بموجب

(٤٧) محمّد باقر الصدر، ومضات: ٢٤٥.

(٤٨) محمّد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة:

٣٥٢، الكلبيگاني، نتائج الأفكار: ٢٧.

(٤٩) عماد الدين الأعرجي، كنز الفوائد في حلّ

مشكلات القواعد: ١ / ٤٢.



الزكوات والكفارات ونحوها، وغير المالية مثل الصلاة والصوم وسائر العبادات^(٥٢)، وذلك لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٨]، ولما نُقل عن رسول الله ﷺ لقوله: «الإسلام يجب ما قبله»^(٥٣)، بيد أن ذلك لا يسقط ما في ذمته للآخرين من المسلمين وغيرهم.

٥. يشترط في صحّة الإسلام أمور كثيرة، نشير فيما يأتي إلى أهمّها: العبادات، والنكاح، والأولياء، والوصاية الأخذ بالشفعة، والإحياء، والنيابة في العبادات، وأخذ اللقيط، والعتق كفّارة، وإطعام المساكين من الكفّارة، والتذكية، والنذر، والقضاء، والشهادة، والقذف، والقصاص^(٥٤)، مما يجب مراعاتها في

(٥٢) ظ: محمّد علي الأنصاري، الموسوعة الفقهية الميسّرة: ٣ / ٢٦٨.

(٥٣) المجلسي، بحار الأنوار: ٦ / ٢٣.

(٥٤) ظ: محمّد علي الأنصاري، الموسوعة الفقهية الميسّرة: ٣ / ٢٧٠.

قاعدة العلو ونفي السبيل، إذ يُعدّ قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤١] دليلاً على نفي سيطرة الكافر على المؤمن، على حين يُعدّ قول الرسول ﷺ عمّا نُقل عنه: «الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه»^(٥٥) دليلاً آخر على نفي السبيل من جهة وعلو سيطرة المؤمن على الكافر من جهة أخرى، ولعلّ العلة في ذلك، وجوب إعزاز المسلم وتعظيمه وعدم إهانته^(٥٦) إكراماً لانتائه لشريعة الإسلام الإلهية كما أشرنا إلى ذلك.

٤. إنّ الشخص إذا كان كافراً وأسلم سقطت عنه حقوق الله تعالى، سواء أكانت مالية أم غيرها، فالمالية مثل

(٥٥) الطوسي، الخلاف: ٤ / ٢٤. الطوسي، المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف:

١٢ / ١، ابن إدريس الحلّي، السرائر: ١ / ٤٧٦.

(٥٦) ظ: الجواهرى، جواهر الكلام: ٢٢ / ٣٣٤، فاضل الصفرار، فقه العلو والارتقاء:



أحكام العبادات والمعاملات.

٦. يُجرّم مال المسلم وعرضه ودمه،

إذ نقل عن الرسول الأكرم ﷺ في خطبة الوداع أنّه قال: «وإني أمرت

أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا

مّني دماءهم وأموالهم إلا بحقّها وحسابهم على الله» (٥٥).

تُفيد من كلّ ما تقدّم أنّ للهوية

الإسلامية خصيصة يكتسبها الإنسان

بمجرّد انتهائه إلى الإسلام وإظهاره

الشهادتين، إذ لا يحقّ لأحد حينئذ أن

ينكر عليه عضوية الأمة الإسلامية، قال

تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ

السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [سورة النساء:

٩٤]، فسياق الآية المباركة ودلالاتها

تقودنا إلى أنّ للمسلم مكانة اعتبارية

وحصانة اجتماعية وآثاراً شرعية لا يمكن

تجاوزها أو الاعتداء عليها.

هيمنة الهوية الإسلامية:

لم تكن خصيصة الهوية الإسلامية

(٥٥) أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ١ / ١١،

المجلسي، بحار الأنوار: ٣٧ / ١١٣.

متأتية من وصفها شريعةً ساهويةً

فحسب؛ إذ يمكن أن يُشكّل على ذلك

وجود شرائعٍ أُخرٍ متممة إلى السماء أيضاً

غير النصّ القرآني، إذ لا فرق بينها وبين

شريعة الإسلام بالمحصّلة الانتسابية،

فليس المسوّغ من التفاضل انتساب

الشريعة الإسلامية -المحمّدية- إلى

السماء فحسب؛ بل إنّ التفاضل لها

قد جاء بوصفها خاتمةً لتراتب نزول

الشرائع الإلهية فهي محصّلة إتمام دين

الله تعالى وإكمالها، ولما كانت الشريعة

الخاتمة هي الأتم والأكمل، لزم من هنا

بحكم السُنن الإلهية فضلاً عن السُنن

العقلية أن يمثل الإنسان المكلف لها-

بلحاظ أنّ شريعة الإسلام شريعة إلهية

ناسخة لبقية الشرائع المتقدّمة بلحاظ

تكمالها تنمّة -فقد نصّ القرآن الكريم

على الامتثال للشريعة المهيمنة والخاتمة

لدين الله بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ

الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:

١٨٥]، من هنا كان فضل الشريعة

الإسلامية على بقية الشرائع الإلهية،



مُسْتَقِيمٍ ﴿ [سورة النحل: ٧٦]؟.

نخلص من هنا إلى أن خصيصة المسلم إنما جاءت بمقتضى تفرده عمّن دونه في تعيينه للحقّ وتشخيصه له، بوصف التشخيص وتعيين معرفة لماهية الشيء التي هي (الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق)^(٥٦)، وأنّ هذا التفرّد للمسلم المدرك للحقيقة عمّن دونه ممّن جهل أو ضلّ أو عاند يُعدّ المائز الحقيقي للفاضل بينه وبين الآخر، إذ يُعدّ المطلب نفسه للتفريق بين شرف الإنسان موازنة بغيره من الموجودات الأخرى، ومن هنا فإنّ شرف المسلم جاء بمقتضى إيمانه بأشرف الرسالات والقيم السماوية موازنة بغيره ممّن ضلّ طريق الهدى والحقّ، وحيثنذ سيكون أرفع رتبةً بالمآل حتماً.

من هنا كانت للهوية الإسلامية خصيصة فهي تمثّل الانتماء إلى شريعة الإسلام - الشريعة المحمّدية - لفظاً والاعتقاد بأصوله عقلاً وقلباً والعمل

(٥٦) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات:

مؤسّسة - فضلاً عن سمة كمالها وتامها - على أساس حكم إدراك الإنسان عقلاً لوجوب اتباع الشريعة الأحقّ بالاتباع لأنّ كتابها هو كتاب الحقّ وقد أشارت إلى ذلك آية الهيمنة في قوله:

﴿إِلَيْكَ أَلِكْتَبَ بِالْحَقِّ﴾ وامتثاله -

أي الإنسان - بوصفه مكلفاً لأوامر شريعة الحقّ ونواهيها يُعدّ واجباً عقلاً ومنطقاً ومن هنا كان للإنسان المسلم الفضل في معادلة التفاضل، كتفاضل ﴿الْحَيِّثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [سورة المائدة:

١٠٠]، وتفاضل ﴿الظُّلْمَتُ وَالنُّورُ﴾

[سورة الرعد: ١٦]، وبين ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الزمر:

٩] وبين ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ

وَالسَّمِيعِ﴾ [سورة هود: ٢٤]، بحكم

أنّ معيار التفاضل القرآني معياراً معرفي يركن إلى الحقيقة والعلم من جهة وإلى

السلوك الإجرائي من جهة أخرى، فهل

يستوي من كان خارج معادلة التفاضل

القرآني - من البشر - عمّن دونه، أي

هل يستوي الضالّ والمغضوب عليه

و ﴿وَمَنْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ



بموجبها على نحو التسليم انقياداً وحباً.

المطلب الثالث

الآخر في ظل هيمنة الهوية الإسلامية

حينما يُذكر (الآخر) في حديثنا هذا إنَّما يُراد منه غير المسلم أو هو الإنسان المخالف لرؤى الإسلام وعقيدته من أهل الكتاب كما أسلفنا ذلك في مطلع المبحث، بيد ما نسعى إليه من خلال هذا المطلب بيان وجهة نظر النصِّ الكريم (للآخر الديني) ومعرفة المساحة المتاحة له وسط هيمنة الهوية الإسلامية، ولعرض رؤية القرآن الكريم عن (الآخر الديني) يمكن اختزال الحديث في محاور ثلاثة هي:

الآخر وقيم الإسلام الإنسانية:

يأتي مبدأ قبول الآخر لإقرار مفهوم التعددية؛ أي إنَّ فكرة قبول الآخر مبنية على أساس إقرار التعددية الدينية، ولما كانت الرؤية الإسلامية للتعددية مقيدة غير مطلقة، بحكم أنَّ مبنائها قائم على أساس أنَّ الرسالة الإسلامية (المحمّدية) رسالة مكملّة للرسالات التي سبقتها و متممة لها؛ بوصفها الخاتمة

للرسالات الإلهية كافة، رفضت الرؤية الإسلامية التعددية بمعناها المتداول، بلحاظ أنَّها نظرت إلى التعددية من زاوية أخرى، وقيدت الموضوع بوضع ضوابط ومعايير قننت المفهوم بغية استقراره بعد تداولي شرعي.

ويحسب الباحث أنَّ المشكلة تكمن في تحديد مفهوم (التعددية) و (الآخر) ولا سيَّما ما كان عند الباحثين الإسلاميين أو ممَّن يتَّهم الإسلام بإلغاء الآخر جزافاً، ممَّا أفضى إلى علو الأصوات بلزوم قراءة النصِّ الديني قراءةً جديدةً بحجّة أنَّ الرسالة الإلهية محال أن تُلغي أيّاً من المقولتين في أعلاه، في حين أنَّ المشكلة - حقيقةً - تكمن في فهم النصِّ الديني، وهذا لا ينافي مبدأ لزوم قراءة النصِّ الديني قراءةً جديدةً وفهمه بمقتضى مراد الله تعالى.

فالأظهر أنَّ القرآن الكريم بوصفه نصّاً دينياً قد حدّد معايير التعددية الدينية من جهة ولم يبلغ الآخر بوصفه غير مسلم من جهة أخرى - كما



يخفى على أي متطّلع على أنّ الاعتقاد بالآخر أو قبوله لا يلزم منه الإيمان بمبادئ عقائد الآخر.

وعلى أساس التفريق بين التمسك بالأسس والقواعد الكلية وآداب التعامل مع الآخر لزم القول إنّ النصوص الكريمة لشرعة الإسلام أكّدت القيم الإنسانية العليا، بل عدّتها من ضمن تطبيقاتها الشرعية العملية، فقد سنّت الشريعة السمحة أحكاماً بكلّ ما يتعلّق بالتعامل مع الآخر بما يحافظ على كلفة التمسك بعقيدة الإسلام

من جهة واحترام الآخر من جهة أخرى^(٥٨) ولهذا عدّت شريعة الإسلام جميع المفردات التي راج تداولها في النسق الثقافي المعاصر- مثل التسامح والتعايش والتعاون والحوار وقبول الآخر ونبذ العنف وما شابه ذلك - مفردات قارّة قرآنيّاً وإسلامياً؛ بل عدّها القرآن الكريم آلية تحقيق العدالة الاجتماعية لجميع

(٥٨) يمكن النظر في جميع كتب الفقه والرسائل العملية التي توضّح هذا المطلب، مع إمكانية التدبّر والنظر في علّة تلك الأحكام الشرعية والوقوف عند المؤشّرين أعلاه.

سنّته في مطلبنا هذا - وإنّما أكّد القيم الإنسانية العليا نظريّاً وفعلها إجرائياً، من خلال الرؤية القرآنية التي فرّقت بين رفضها لعقيدة الآخر وحوار الآخر معه والتعايش معه، بل وضعت نظماً لمستويات التعايش معه تتناسب بحسب تلك المستويات^(٥٧)، وفرّقت بين التسامح مع الآخر على وفق آداب وفنون تنظّم العلاقات الاجتماعية معه، ورفضها التسامح في الأسس والمبادئ العقدية، وكذا تمّ التفريق بين بيان رؤية النصّ الكريم وحرية فكر الآخر، إذ لا

(٥٧) لقد نظّمت الشريعة الإسلامية علاقة المسلم مع الآخر لتأمين الحلول التي تتطلبها العدالة في المجتمع عموماً، ممّا يلزم النظر في أساس الحكم والنظام الإداري له بحسب واقع الدولة من جهة والمجتمع من جهة أخرى، أي إنّ هناك نظماً وقوانين إلهية للدولة الإسلامية ومنها قانون التعامل مع الآخر، على حين نجد نظماً آخر نظّمت المسلم الآخر خارج نطاق دائرة الدولة الإسلامية، كما نجد نظماً آخر عنت بتعامل المسلم مع الآخر في دولة الآخر ونظامه؛ للاستزادة يمكن النظر في الإسلامية والفدرالية، حسن بحر العلوم، ونظرية السلطة في الفقه الشيعي: توفيق السيف.



الناس التي هي مراد الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء: ٥٨].

أسس قبول (الآخر) في ظل هيمنة الهوية الإسلامية:

على فرض هيمنة الهوية الإسلامية لمجتمع أو نظام ما، فإنّ النصوص الكريمة للإسلام وضعت أسساً للتعامل مع الآخر والتعايش معه وقبوله في نظامه الاجتماعي بوصفه إنساناً له حقوق كما له واجبات، ومن تلك الأسس للتعامل مع الآخر ما يأتي:

١. سعة الرحمة الإلهية: عدتّ شريعة الإسلام الرحمة الصبغة العامة والهدف الأول والأخير من التعامل مع الآخر، فالرحمة هي الأصل والقاعدة والصبغة العامة لنظرية التعامل، فقد أكد القرآن الكريم هذا المبدأ لكونه الهدف الأسمى من خلق الإنسان ووجوده في الدنيا والآخرة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ

رَبُّكَ وَلِلذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود: ١١٩]، ويبيّن أنّ التعامل الإلهي مع

خلقه تعامل رأفة ورحمة للناس، لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ

شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [سورة غافر: ٧]، فالرحمة الإلهية عامّة شاملة لكلّ الناس لا تخصّ أناساً دون سواهم،

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦]،

وبالنظر إلى أصل الوجود، وبعث الأنبياء ﷺ، وإنزال الكتب الإلهية، وبعثة نبينا محمداً ﷺ ما كان ذلك إلا

رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧] (٥٩)، فهي رحمة واسعة لكلّ

شيء وما الإنسان ومن ضمنه الآخر غير المسلم إلا من أهمّ الأشياء التي وسعت رحمته جلّ وعلا.

٢. وسطية المنظومة الإسلامية: تُعدّ

وسطية المنظومة الإسلامية الاعتدال والتوسط بين الأمور، أي لا إفراط ولا تفريط بل أمر بين أمرين، يروى عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «خير

(٥٩) ط: نمر النمر، الرؤية القرآنية في التعامل مع الآخر: بحث، مجلّة الصائر، موقع الكتروني.



تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَمُهَيْمِنًا ﴾.

٣. تعزيز مبدأ الحرّية: لقد ربط الإسلام التجربة الإنسانية بمبدأ الحرّية، وأكبر هذا المبدأ في التفكير والاعتقاد والخيار والسلوك، فباتت الحرّية بإطارها العام من ملاك الرؤية الإسلامية، إذ دخلت تحت عنوانها مفردات متنوّعة ومصاديق إجرائية متعدّدة أيضاً، ولذا كان للإنسان حقّ الاختيار والاعتقاد، بلحاظ ما تقدّم، من قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: ٩٩]، فأقرار مبدأ حرّية الإنسان وعدم إكراهه على أي أمر ما إنّما هو أساس مصداق الانفتاح على الآخر وقبوله بوصفه إنساناً له حقّ الاختيار والاعتقاد والسلوك.

الأمر أوسطها»^(٦٠) ولعلّ هذه الخصيصة التي تميّزت بها الرؤية الإسلامية على مستوى الجانب العقدي والتشريعي والقيمي ألفت بظلالها على مستوى الخطاب والحوار والتعامل مع الآخر، وهذا ما نلمسه جلياً في مذهب شريعة الإسلام ومفرداته «على قدر كافٍ من الوضوح مضموناً وصياغةً، ويفسح مجالاً واسعاً للتوازن بين حسّ الوحدة وبين الاعتراف بالتعدّدية»^(٦١) وقبول الآخر والتعايش معه، على الرغم من أنّ مذهب الرؤية الإسلامية يقطع بالأحقّية المطلقة لمنظومته العقدية على النظم الأخرى، وقد أشار إلى هذا المضمون لفظة (الحقّ) في آية الهيمنة إذ عبّرت عن الأحقّية المطلقة للقرآن الكريم وذلك في قوله

(٦٠) ابن أبي جمهور الإحسائي، عوالي اللئالي: ١ / ٢٩٦، المجلسي، بحار الأنوار: ٧٤ / ١٦٦.

(٦١) جورج قرم، تعدّد الأديان وأنظمة الحكم: ٢٥٤.



٤. وحدة الأصل: قال سبحانه وتعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء:

١]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا
خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَىكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة

الحجرات: ١٣]، فالآيتان من ضمن
مجموعة الآيات التي حدّدت وحدة
أصل الإنسان، إذ نفى النصّ الكريم
كلّ أشكال التمايز بين الناس بسبب
العرق أو اللون أو المال أو الطبقة،
وبذلك أسّس مبادئ التكافؤ
والمساواة والتسامح والانفتاح،
كما أسّس رفضه التمييز والدونية
الاجتماعية والاقتصادية والعرقية،
ليفضي ذلك إلى مبدأ قبول الآخر
والتعايش معه^(٦٢) على أساس وحدة
الخلق ولحاظ اتّفاق المنشأ الأصل
للجميع.

(٦٢) ط: حسن عزّ الدين بحر العلوم،
التعددية الدينية في الفكر الإسلامي: ٤٤.

٥. قيم الإسلام الإنسانية: لقد تمسك

الإسلام بمثل عليا هي من صميم
المنظومة القيمية لرسالة الإسلام
المبنية على أساس الرؤية الكونية
الإلهية، إذ تبنت الإسلام تلك القيم
والمثل العليا ذات الطابع الإنساني
إذ تمثّلت بالعدالة والتسامح والحب
والحوار وغيرها، فضلاً عن السنن
والقوانين الشرعية التي ترجمت
تلك المفاهيم الإنسانية إلى سلوك
لتؤطر جميع تلك المحاور مشكّلةً
مصدّقاً لاحترام الآخر وقبول
خصائصه، ولهذا نجد عدداً من
الآيات تخاطب الإنسان عامّة من
دون النظر إلى انتمائه العقدي، قال
الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ
أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [سورة النساء:
٥٨]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل: ٩٠].

٦. الجعل التكويني وحقيقة التنوع

البشري: قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا
النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ



تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا وَأَتَيْنَهُ ... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾، فعلى الرغم من أن آية الهيمنة تدلّ على نسخ القرآن لبقية الكتب، بيد أنها أقرت تنوع التشريعات الدينية ومنهاجها على مرّ تاريخ الوحي بمقتضى دلالة الآية، وأنّ بقاء بعضهم على سنن الشرائع السابقة لا يعني رفض عقائد الآخر جملةً وتفصيلاً - على الرغم من أنّ البقاء على تلك الشرائع يُعدّ من قبيل الضلال - لأنّنا نعتقد بتضمّن تلك الكتب والشرائع بعضاً من الوحي ولو إجمالاً، ممّا يلزم احترامها واحترام معتنقيها وقبولهم، ولا سيّما أنّ القرآن الكريم قد أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٨٢]، فالشرائع الإلهية الأخر التي سبقت شريعة الإسلام تملك من الحقّ شيئاً يلزم احترامه.

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]، أكّدت الآية المباركة الجعل الإلهي التكويني لتنوّع البشر بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ﴾، ومن ثمّ حدّدت الآية المباركة المسوّغ لهذا الجعل، لأنّ «الاختلاف المترائي في الخلقة من حيث الشعوب والقبايل إنّما هو للتوصّل به إلى تعارفهم ليقوم به الاجتماع المنعقد بينهم إذ لا يتمّ ائتلاف ولا تعاون وتعاضد من غير تعرّف فهذا هو غرض الخلقة من الاختلاف المجعول» (٦٣) إذ يُعدّ ذلك اعترافاً للتنوّع البشري؛ بل أساساً لوجود الآخر بوصفه حقيقةً ثابتةً يلزم تعارف الإنسان على الآخرين من أفراد جنسه.

٧. الجعل التشريعي وحقيقة تعدّد الشرائع: لقد أقرت آية الهيمنة تعدّد الشرائع على طول زمن الوحي الإلهي وصدّقت نزولها لقوله

(٦٣) الميزان، الطباطبائي: ١٨ / ٣٣٠.



وسائل تفعيل قبول الآخر:

لقد بينا أن الشريعة الإسلامية قد انفردت عن بقية الرسالات الأخر باعتبارها بالآخر من خلال وضع أدوات وآليات لقبوله منها ما يأتي:

١. التعارف: قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]، بغض النظر عن الجعل الإلهي التكويني الذي أشارت إليه الآية إذ عدّ أساساً لقبول الآخر فالآية حدّدت مبدأ سلوكياً لتفعيل التعايش مع الآخر لقوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ فإنها تعترف ضمناً بوجود الآخر فضلاً عن الانفتاح عليه؛ بل انفتاح الأمم بعضها على بعض بحكم أن التعارف هو «حقيقة موضوعية، تنتج عن التنوع، ولولا التنوع لانتهى التعارف فلا قيمة له، ولا وجود إلا مع هذا الجعل التكويني» (٦٤)،

فتكون دلالة التعارف هو الانفتاح والتواصل ومن ثمّ ينتهي ذلك إلى الوئام والتعايش بين البشر لتحقيق مراد الله تعالى بحكم أن المسوّغ من الجعل التكويني الإلهي في أن يكون البشر ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ التعارف.

٢. تطبيق أدبيات المنظومة القيمية: للمنظومة القيمية الإسلامية والأخلاقية آداب وفنون، إذ عدّت تلك الآداب مناسطاً لقبول الآخر والتعايش معه، فباتت الآداب مصداقاً لتلك القيم تعمل على ترويض الإنسان على حبّ البشر عامّة من دون النظر إلى معتقده بلحاظ الاشتراك في الجنس، يروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال لمالك الأشر حينما أرسله عاملاً على مصر فقال له فيما أوصاه به: «وأشعر قلبك الرحمة للرحمة، والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتנם أكلهم فإنهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير



المفاهيم والتعاليم المرتبطة بأساليب الحوار، لذا اعتمدت شريعة الإسلام على منهجية الدعوة بالمنطق والحوار الهادئ^(٦٧)، ومن جنس ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦]، فالآية المباركة تؤكد أهمية المناقشات المنطقية بوصفها حواراً بين أطراف متنوعة أو مختلفة في الرأي، إذ الحوار أحد الأساليب والطرائق الصحيحة والمناسبة للتباحث وتقارب وجهات النظر أجمع^(٦٨)، التي تؤول بأطرافه إلى التفاهم والانسجام وقبول كل واحد منها الآخر.

٥. البحث عن المشتركات: هناك الكثير من المشتركات بين الشريعة الإسلامية والآخر من أهل الكتاب، ولهذا كانت دعوة القرآن الكريم لهم لحصر تلك المشتركات

(٦٧) ظ: حسن بن موسى الصفار، الحوار والانفتاح على الآخر: ٦٦.

(٦٨) ظ: مكارم شيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٠ / ٧٥.

لك في الخلق»^(٦٥).

٣. الانفتاح الإيجابي: لا شك في أن من أولويات قبول الآخر الانفتاح عليه انفتاحاً منضباً على وفق الضوابط والمعايير الإسلامية، إذ يعدّ التعامل الإيجابي سبيلاً إلى نقل الآخر من جهة الضلال والعداوة إلى جهة الحق والولاية الحميمية، بيد أن إباحة التواصل لا يعني إباحة الموالاة^(٦٦)، ومن هنا أشرنا إلى أن يكون الانفتاح منضباً يحقق الخصيصة الإسلامية من جهة ويفتح على الآخر بما يحترم خصيصة الآخر، ليكون كل ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

٤. الحوار: من الطبيعي أن تحفل المنظومة الإسلامية بالكثير من

(٦٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة: ٤٢٧ / صبحي الصالح.

(٦٦) ظ: محمد حسين علي الصغير، فقه الحضارة: ١٧٣، نمر النمر، الرؤية القرآنية في التعامل مع الآخر: بحث، مجلة الصائغ، موقع الكتروني



والعمل على جعلها سبيلاً للتفاهم والانسجام وقبول الآخر، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، فالمتأمل في الآية المباركة يجد دعوة القرآن صادقة لقبول الآخر والتعايش معه بالبحث عن أكبر قدر من المشتركات من جهة لقوله ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ قبال ردم هوة المتباينات من جهة أخرى لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾، ولم ينحصر الخطاب القرآني على تأكيد البحث عن المشتركات فحسب؛ بل أراد أن يؤكد هذه الدعوة الصادقة - أي قبول الآخر - بمحاورة الآخر ولو عزفوا عنه قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

٦. الدعوة إلى السلم^(٦٩): دعت الشريعة الإسلامية عبر القرآن الكريم إلى السلم لقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٨]، وقوله كذلك: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [سورة الأنفال: ٦١]، كما دعت إلى إطفاء نار الفتن، وتجفيف مستنقعات التوتر؛ وذلك عبر إظهار الأمن والسلام مع البشرية جمعاء، ولا سيما إذا تفهّم الآخر مقصد الشريعة الإسلامية من الدعوة إلى السلام وتعاملوا بالروحية نفسها، بهذا لزم برّ الآخر والعدل معه، بنصّ القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة الممتحنة: ٨]، إذ لا بدّ من أن يُبرّ كلّ إنسان يحافظ على روح الإنسانية

(٦٩) ط: نمر النمر، الرؤية القرآنية في التعامل مع الآخر: بحث، مجلّة الصائر، موقع الكتروني.



الآخر ادعاءً محضاً، إذ تفرّدت عن غيرها من الشرائع الأخر في نظرتها وقبولها (للآخر) في أمرين اثنين هما:

الأول: أن المنظومة الإسلامية بكلّ مكوناتها خرجت من حيز التنظير في قبولها للآخر إلى حيز الفعل من خلال تطبيقات إجرائية لأحكام شرعية مثلت الرؤية الكونية والعقدية الإسلامية، حتّى أضحت تلك الأحكام الشرعية تمثّل حقيقة أدبيات الذوق الإسلامي وآداب قيمه وأخلاقه، فألت بعض الأحكام الشرعية أن تقبل الآخر وتحاوره أو تضع أسس التعايش معه لدرجة الإلزام في الأمر والنهي فضلاً عن الاستحباب والكراهية كما عرضنا بعضاً منها في محورنا هذا.

الثاني: يعدّ القرآن الكريم قبول الآخر ضرورة عقدية لا بدّ منها بلحاظ أنّه -أي القرآن- قد صرّح مراراً وتكراراً تصديقه للكتب الإلهية والشرائع السماوية، إذ إنّها قد نزلت لتُمثّل مرحلةً وظرفاً تشريعياً خاصّاً - كان ذلك قبل شريعة الإسلام - وما

بالتزام السلام بغية العيش مع الآخر بأمن وأمان.

٧. منظومة الأحكام الشرعية: للإسلام منظومة شرعية من النظم الاجتماعية كافة تقوم على تنظيم علاقة المسلم من جهة والمسلم والآخر من جهة أخرى، وتعود مرجعية هذه النظم إلى رؤية كونية إلهية تعطي الآخر كما تعطي للمسلم حقوقاً وواجباتٍ مع ملحظ مقتضاه أمران أحدهما خصيصة الهوية الإسلامية وحصانتها، والآخر شكل ومستوى النظام الاجتماعي والإداري للمجتمع الإسلامي لتحديد علاقة الآخر بما يترتب على ذلك من أحكام، ولعلّ (وثيقة المدينة) وأحكام (أهل الذمة) وأحكام آخر تخصّ انصهار أهل الكتاب بالمجتمع الإسلامي خير دليل على مستوى انفتاح الشريعة الإسلامية عملياً على الآخر.

وتأسيساً على ذلك يمكن القول بأنّه لم يكن تفرّد الرسالة الإسلامية في قبول



آية الهيمنة إلا إحدى تلك الآيات التي صدقت الكتب السماوية الآخر لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا ﴾ بل وصفت باقة آية الهيمنة - كبقية آيات النصّ الكريم - التوراة والإنجيل بالهدى والنور، قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَنبَأْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

قَالَ هَذِينَ الْمَائِزِينَ لَشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بِخُصُوصِ قَبُولِ الْآخَرِ نَجْدَ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَةِ الْآخَرَ لَا تَتَوَانَىٰ عَنِ الْإِغَاءِ الْآخَرَ عِلَانِيَةً بَلْ عَدَّتْ كُلَّ شَرِيعَةٍ نَفْسَهَا الشَّرِيعَةَ السَّمَاوِيَةَ الْوَحِيدَةَ، كَمَا هِيَ حَالُ الشَّرِيعَةِ الْمَوْسُوِيَةِ الَّتِي أَنْكَرَتْ كُلَّ الْأَدْيَانِ وَالشَّرَائِعِ الْآخَرَ، وَكَذَا هِيَ حَالُ الشَّرِيعَةِ الْمَسِيحِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَقْتَرَنَّ إِلَّا بِالشَّرِيعَةِ الْمَوْسُوِيَةِ.

وَنَخْلُصُ إِلَىٰ أَنَّ خُصِيصَةَ الْهُوِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَصَانَتَهَا الشَّرْعِيَّةِ وَالْإِعْتَابَرِيَّةِ جَاءَتْ بِمَقْتَضَىٰ خُصِيصَةِ

الرسالة الإسلامية نفسها بحكم جعل التشريعي الإلهي لها، فضلاً عن خصيصة رسولها ﷺ إذ اتسم بخصال ميّزته عن غيره من الأنبياء والرسل ﷺ، وهذه النتيجة نجدها مطّردة مع حقيقة مرتبة الإنسان وعلوّه على وفق الرؤية الإسلامية بمقتضى جعل التكويني الإلهي له موازنة بالموجودات الآخر، وبلحاظ هذه المرتبة التشريعية لجنس الإنسان كانت رؤية الإسلام للآخر رؤيةً مختلفةً تجسّدت في الجانب النظري والعملية، إذ يمكن عدّ إكبار الإنسان دليلاً على هيمنة الرسالة الإسلامية لتضمّنها لمضامين عالية لم يدركها الإنسان إلا بعد حين ومنها احترام الآخر وقبوله ولزوم التعايش معه.

بِئْسَ أَنْ مَكَانَةَ الْإِنْسَانِ عَامَّةً لَمْ تَضْعَفْ مِنْ خُصِيصَةِ الْمُسْلِمِ وَحَصَانَتِهِ وَلَا مِنْ خُصِيصَةِ هَيْمَنَةِ الْهُوِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِطْلَاقًا، بِحُكْمِ أَنَّ مَرَجِعَ هَذِهِ الْخُصِيصَةِ وَمُصَدَّرُهَا شَرِيعَةٌ سَمَاوِيَةٌ مَهِيْمَةٌ، وَكَذَا سَتَجْرِي هَذِهِ الْهَيْمَنَةُ عَلَىٰ مَعْتَقِيهَا مَوَازِنَةً بِغَيْرِهِمْ بِالْمَالِ.



أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم. دراسة في التأصيل الإسلامي لمفهوم الهوية.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي (ت بعد ١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، نقل النصّ الفارسي إلى العربية: عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- الموسوعة الفلسفية العربية: معهد إنماء العربي، بيروت، ١٩٩٥م.
- خليل نوري العاني، الهوية الاسلامية في زمن العولمة، مركز البحوث والدراسات الاسلامية -العراق، الطبعة الاولى ٢٠٠٩.
- شريف محمد جابر، الهوية والشرعية
- دراسة في التأصيل الإسلامي لمفهوم الهوية.
- ستار جبر حمود الأعرجي، الوحي ودلالته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١/ ١٤١٧هـ-١٩٩٧٢، بيروت لبنان.
- أبو القاسم الموسوي الخوئي، البيان في تفسير القرآن، منشورات: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط٣/ ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، بيروت لبنان.
- احمد عزت راجح، لصول علم النفس، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، ط٨/ ١٩٧٠م، الإسكندرية-مصر.
- أبو بكر البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجَردي



- من ضمن البحوث التي أُلقيت في مهرجان ربيع الرسالة الثقافي العالمي السابع / ٢ / ١٢ / ٢٠١٣ م.
- البجنوردي (ت: ١٣٩٥هـ)، القواعد الفقهية، تحقيق: مهدي المهريزي-محمد حسين الدرايتي، الناشر: نشر الهادي - قم - إيران، المطبعة: الهادي، ط١ / سنة الطبع: ١٤١٩ - ١٣٧٧ ش.
 - محمد باقر الصدر، ومضات، الناشر دار الصدر (مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر)، الطبعة الأولى، المطبعة شريعت - قم المقدسة، ١٤٢٩هـ.
 - الطوسي (ت ٥٤٨هـ)، المؤلف من مختلف بين أئمة السلف: تحقيق: حقه وقابله جمع من الأساتذة وراجعه السيد مهدي الرجائي، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، المطبعة: مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، ط١: ١٤١٠ / إيران، مشهد.
 - ابن إدريس الحلبي (ت: ٥٩٨هـ)، السرائر، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، المطبعة: مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢: ١٤١١هـ.
 - الجواهري (ت: ١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام، تحقيق وتعليق وإشراف: الشيخ علي الآخوندي، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، المطبعة: حيدري، ط٧ / سنة الطبع: ١٣٦٨ ش.
 - فاضل الصفا، فقه العلو والارتقاء (بحث علمي يعالج الهيمنة الاستعمارية على بلاد المسلمين)، دار صادق للطباعة والنشر، العراق - كربلاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
 - الكلبايگاني (ت: ١٤١٤هـ)، نتائج الأفكار، الناشر: دار القرآن الكريم - قم المقدسة، المطبعة: أمير، ط١ الطبعة: محرم الحرام ١٤١٣هـ.
 - محمد علي الأنصاري، الموسوعة الفقهية الميسرة، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.



التَّنَاسُبُ فِي تَرْتِيبِ نَزُولِ السُّورِ الْقِصَارِ سُورَةُ (الْعَلَقِ وَالْقَلَمِ وَالْمُزَّمَلِ) أُنْمُودَجًا

الدكتور السيد محمد الموسوي المقدم
جامعة طهران - إيران

السيد جعفر السيد باقر الحسيني
جامعة الكوفة - العراق

فحوى البحث

تناول السيدان الباحثان موضوع (علم التناسب)، بوصفه من العلوم التي تعدّ منهجاً أسلوبياً يستجلي العلاقات اللغوية والأسلوبية والعقلية داخل النص الكريم، انتهاءً بالوقوف على انسجام وحداته وتلاحم بناه.

وقد اتخذ البحث من ثلاث سور شريفة مما نزل ابتداءً من القرآن الكريم انموذجاً لبسط البحث وهي: سورة العلق وسورة القلم وسورة المزمل لظهار صور التذوق الاسلوبي والبلاغي للقرآن وتفعيل تدبره والاعتناء به واستخراج معانيه ثم البحث في لوازمها والاحكام والمعاني السياقية التي لا تُستقى من الجملة بمفردها.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الموضوعية والشكلية والذهنية بين النصوص التي تبدو في ظاهرها متنافرة أو مبعثرة، الا أنها جارية في تأليف محكم وبناء متراص ونسيج محكم، جار على أحسن نظام وأتم منوال، فتلوح من مقاصد القرآن، وتتجلى بدائعه، وتتضح باطنها بخلاف ذلك بعد بعد النظر والتحقيق، وأي ابداع في القراءة والتأويل انجح من الرقي بالنص من حيز الانحزام الى مرتبة الانسجام، وإذا كان هذا الحكم يخص النصوص البشرية عامة فما بالك بالنص القرآني الذي لا يجد فيه المسؤول مدلفاً الى القول بالانحزام، والتبعثر، والتشتت ظاهراً وباطناً، ومرجع هذه المناسبة في الآيات والسور الى معنى رابط بينهما عام أو خاص، أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول^(٢) باختلاف الموضوعات وتباين المقامات في النص القرآني لا يخل بالانسجام الداخلي، مادامت المناسبات المتعددة

علم التناسب من العلوم التي تعدّ منهجاً أسلوبياً يستجلي العلاقات اللغوية والاسلوبية والعقلية داخل النصّ، انتهاءً الى الوقوف على انسجام وحداته وتلاحم بناه،^(١) ولما كان انسجام النص القرآني، وتماسك أجزائه وبناءه ليس ظاهرة عارضة، أو أمراً مرتجلاً، بل هو وحدة كاملة متماسكة كالجملّة الواردة، وانه يفسر بعضه بعضاً لتعلق بعضه براقب بعض تضافت عليه عوامل شتى، كنمو النص من المجرى الى المفصل، والمراد سياقه، وتكامل السياقات: سياق الآية وسياق السور، وسياق القرآن، فهذا كلّه بما يراعى في الفهم والسير والتأويل، حتى لا يهدر مغزى النص أو يحمل دلالة متعددة، ولقد تفاوتت أهل العلم في ادراك المناسبات لتفاوت قدراتهم في فهم أسرار البيان القرآني، والتبحر في إدراك الروابط

(١) النص القرآني من تهافت القراءة الى أفق

التدبر، د. قطب الريسوني، ص ٢٢٤.

(٢) الاتقان، السيوطي، ج ٢، ص ١٣٩.



تدفع هذا الاختلال وتحفظ التماسك الموضوعي بروابط شتى، وهذا ما تهدي إليه الباحثان (ج. بروان، وج. بول) في النصوص الممتازة حين قالوا: إن انسجام النصوص أمر يجب على القارئ تخفيفه والتنقيب عنه، وذلك من خلال اكتشاف الروابط بين أجزاء الكلام المثمر مع النصّ تأويلاً وتفسيراً.

وقد نوّه نولدكه^(٣) بذلك إذ رأى أن القرآن وحدة مترابطة ترجع كلّها الى معرفة التوحيد، ثم طبق مبدأ هذا العلم على جزء من النص القرآني: (السور المكية) وان كانت نصوصاً صغيرة إلا أنها جزء من نص متماسك هو النص القرآني ينبغي ربطها به^(٤).

وعد بعض الباحثين علم المناسبة من المواضيع الشيقة الجميلة التي تتعلق بكتاب الله عزّ وجلّ، وهو من صور التدوق الأسلوبية والبلاغية للقرآن، وتفعيل التدبر والاعتناء بالقرآن

واستخراج المعاني ثم البحث في لوازمها واستخراج العبر والأحكام والمعاني السياقية التي لا تستقي من الجملة بمفردها بعيداً عن السياق^(٥).

التناسب لغة واصطلاحاً

التناسب في اللغة: التطابق، والتآلف، والتلاؤم، والتجانس، والتوازن، والتوافق.

أصل المادة: (اتّصال شيءٍ بشيءٍ) ومنه النسب سُمّي لاتصاله وللاتصال به^(٦).

والنسب واحد الأنساب، وهو القرابة، وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه، أي قريبه، وبينهما مناسبة أي مشاكلة، ونسبت الرجل، أي ذكرت نسبه، وبابه ضرب، وانتسب إلى أبيه، أي اعتزى^(٧).

والنسب هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه...

والمناسبة: المقاربة والمشاكلة، وفلان (٥) التناسب القرآني، أمير طلال النعيمي، ص ٢.

(٦) معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٤٢٣.

(٧) مختار الصحاح، ص ٤٧٩؛ المصباح المنير، مادة «نسب».

(٣) تاريخ القرآن، ص ٧٧.

(٤) النص القرآني من تهافت القراءة الى أفق التدبر، ص ٢٢٤.



الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني»^(١١).

وعرفه الفراهي الذي أطلق عليه اسم (النظام) بالقول: «ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة... وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول الى الآخر»^(١٢).

وعرف المناسبة الدكتور مصطفى مسلم بأنها: «الرابطه بين شيئين بأي وجه من الوجوه وفي كتاب الله تعني ارتباط السور بما قبلها وبعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها»^(١٣).

وقد أطلق على التناسب عدة مصطلحات كالتناسق، والانسجام،

(١١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ١، ص ١٢.

(١٢) دلائل النظام، الفراهي، عبد الحميد، (الهند: ١٣٨٨هـ)، ص ٧٥.

(١٣) مباحث في التفسير الموضوعي، (دمشق: ٢٠٠٥م)، ص ٥٨.

يناسب فلاناً، أي يقرب منه ويشاكله^(٨). ومنه المناسبة في العلة في باب القياس وهي الوصف المقارب للحكم؛ لأنه اذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم^(٩).

التناسب اصطلاحاً:

عرّف البقاعي علم المناسبات القرآني بأنه: «علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن بعضها إثر بعض، وهو سرّ البلاغة لأدائه الى تحقيق مطابقة المعاني، لما اقتضاه من الحال» وأضاف قائلاً: وتتوقف الإجابة على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو^(١٠).

وعند القاضي أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)، هو: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ج ١، ص ٦.



أو علم المناسبة، أو الوحدة البنائية والوحدة العضوية، والنظام، والوحدة الموضوعية وغير ذلك^(١٤).

سورة العلق: سميت بد(العلق) لدلالته على أن الله تعالى أعزَّ الإنسان بإنزال القرآن عليه كما أعزَّ العلق بإنزال روح الإنسان وصورته عليه^(١٥).

وهي اول سورة نزلت من القرآن، وسياق آياتها لأياً نزلها دفعة واحدة، وهي مكية قطعاً^(١٦)، كما أن سياقها يدل على صلاة النبي ﷺ قبل نزول القرآن، وفيه دلالة على نبوته قبل رسالته بالقرآن^(١٧).

الفعل (اقرأ) جاء على صيغة الأمر

(١٤) ينظر: دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة، دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، زهراء خالد سعد الله العبيدي، ص ١٤ و ١٨، (الموصل: ٢٠٠٧م).

(١٥) تفسير المهائمي المسمى (تبصير الرحمن و تيسير المنان)، ج ٣، ص ٥٥٢.

(١٦) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠٥ و ٣٠٦؛ سنن البيهقي، ج ٧، ص ٥١؛ الصحيح من اسباب النزول وفضائل السور، ص ٤٠٥.

(١٧) الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٣٢٢.

امثالاً لأمر الله تعالى بالقراءة المحققة للمعرفة، تلك الموصلة لله - تبارك وتعالى - وفي هذا الافتتاح براعة استهلال القرآن الكريم ثم جاءت غالبية أفعال هذا التصوير ماضية؛ للدلالة على تحقق وقوع أحداثها، وجاءت بعض أفعال هذا التصوير مضارعة دلالاته على التجدد والاستمرار، هذا فضلاً عن أن المراوحة بين الأفعال الماضية والمضارعة يحقق التنوع، وربطت أسماء الفاعل الأحداث بأصحابها، ودلت الصيغة في (الأكرم) المعرفة بد(أل) على اختصاصه تعالى بهذه الرتبة العليا من الكرم الفيّاض^(١٨).

ومحور السورة جاءت لتبين عظيم قدرة الله، وذلك ببيان خلق الإنسان من علق وقدرة الله على تعليمه بعد خلقه، وكلها دلائل جلية على عظيم قدرة الله وكمال فضله^(١٩).

وتضع جميع تراتيب السور المروية

(١٨) ينظر: التصوير القرآني في جزء عم، أناهيد عبد الحميد جمال حريري، ج ٢، ص ٧٧٦؛ التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٤٣٥.
(١٩) التفسير الموضوعي، ج ٩، ص ٢٤٩.



[سورة العلق: ٦-٧] وهذا الطغيان؛ بسبب من استغناء الإنسان، سواء أكان الاستغناء مادياً أم معنوياً، وتعليل طغيان الإنسان برؤيته لنفسه الاستغناء، للإيذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد، والجملته مؤكدة بعدة مؤكّدات، لقصد زيادة تحقيق الخبر؛ لغرابته، حتى كأنه مما يتوقع أن يشك السامع فيه (٢١).

وقد حُذِفَ متعلق الفعل: (استغنى)، والمراد: استغنى بماله أو عشيرته أو جاهه...، أو بجمعها. وفي ذلك إيجاز وبراعة في القول (٢٢).

ثم جاء تذكير الانسان الطاغي بمصيره، تنبيهاً وتهديداً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ على طريقة الالتفات من أسلوب الغيبة الى الخطاب.

وفي تقديم خبر (إنّ) على اسمها: (الرجعى) قصر الرجوع إليه وحده، واهتمام بذلك الرجوع.

ثم جاء الاستفهام التعجبي

هذه السورة أولى السور ترتيباً، والمتبادر أن ذلك بسبب كون الآيات الخمس الأولى منها هي أولى آيات القرآن نزولاً على ما عليه الجمهور؛ لأنّ مضمون باقي الآيات وأسلوبها يدلان على أنّه نزل بعد مدّة ما من نزول آياتها الخمس الأولى، على أن هذه المدّة ليست طويلة على تُلهم آيات السورة (٢٠).

وفي الآيات الخمس الأولى أمر النبي ﷺ بالقراءة فناسب أن تستفتح بالقراءة، وباسم الله؛ الإقراء للقرآن، وباسم الله، لأنه هو الذي يدعو محمداً ﷺ باسمه الى الدين، وذكر الرب لأن القراءة للتربية والتعليم. ونوّه بما ألهم الله الإنسان من العلم والمعرفة التي أغدقها الله تعالى على الانسان بصفقتها المعيار المميّز للبشر عن سواه... لكن الملاحظ أن النصّ القرآني الكريم، علّق على هذا العطاء المعرفي للإنسان قائلاً:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَىٰ﴾

(٢١) التحرير والتنوير، ج٣، ص٤٤٤.

(٢٢) البلاغة القيّمة، د. عبد القادر حسين، ص١٢٥.

(٢٠) التفسير الحديث، دروزة، ج٢، ص٣١٥؛ الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص٣٢٥.



الإنكاري التقيحي في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۙ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۙ﴾ حال الناهي عبداً عن عبادة الله والصلاة له، وهذا تقرير للنبي ﷺ واعلام له بما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة (٢٣).

ثم توال استفهامان آخران؛ لاستحضار المستفهم عنه في الذهن فأضاف الى الاستفهام الأول من التشنيع والتعجيب وهي تُضْمُّ شناعة الى شناعة، وتضاف بشاعة الى بشاعة؟! أرايت إن أضاف الى الفعلة المستنكرة؛ ثم ينهاه، مع أنه على الهدى، أمر بالتقوى، فكنى بالعبء عن رسول الله ﷺ وتنكير العبد لتفخيمه ﷺ كأنه قيل: ينهى أكمل الخلق في العبودية عن عبادة ربه. ثم أضاف الى الفعلة المستنكرة فعلة أخرى أشد نكراً؟! (أرايت إن كذب وتولى)؟! فهنا يجيء التهديد الملفوف، وقد كنى في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۙ﴾ عن الوعيد والعقاب وهو عيد موجز دالّ مغن (٢٤).

إنما طرحه النص هنا ليؤدي مهمة فنية مزدوجة:

الأخرى: مهمة عضوية هي الربط الفني بين هذا القسم الذي ختمه بظاهرة طغيان البشر؛ وبين القسم الثاني من السورة، إذ يتمخض قصصياً للحديث عن نموذج من نماذج الطغيان الذي يطبع بطل القصة، (٢٥) الذي اغتر بهاله وجاهد تصدى للنبي ﷺ وتثبيت للنبي ﷺ في دعوته و موفقه وعدم المبالاة به.

وبعد أن أمر الله نبيه ﷺ أن يقرأ باسم ربه، وأن يدعوه باسمائه الحسنی، أقسم عزّ وجلّ بالقلم الذي يكتب به لمنافع الخلق، إذ هو أحد لساني الإنسان، يؤدي عنه ما في جنانه، ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه، وبه تحفظ أحكام الدين، وبه تستقم أمور

(٢٥) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، ج ٥، ص ٣٧٠.

(٢٣) ينظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٧٨٢.

(٢٤) ينظر: التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٤٤٩.



العالمين (٢٦).

وهكذا نجد في سورة العلق تناسقاً

عجيباً بين أجزائها، وتسلسلاً رائعاً في ترتيب الحقائق التي تضمنتها، ففي المقطع الاول: تشير السورة الى أن الله هو الخالق الذي خلق وهو الذي علم، فمنه البدء والنشأة، ومنه التعليم والمعرفة.

والمقطع الثاني من السورة يرشد القرآن الى انحراف بعض الخلق عن النهج القويم وعن شكر المنعم الذي خلق وعلم، فلم يستفيدوا من العلم والمعرفة.

وفي المقطع الثالث: يمضي القرآن الكريم في بيان صورة من صورة الطغيان الذي يقف في وجه أهل الطاعة، موضحاً ما تؤول اليه عاقبة صاحب هذه الصورة.

وفي ضوء هذا المصير الرهيب تختتم السورة بتوجيه المؤمن الطائع الى الإصرار والثبات على الإيمان والطاعة، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ

﴿سورة العلق: ٦-٧﴾.

وهذه المقاطع الثلاثة جاءت جميعاً تدل على عظمة الصانع وتبين عدم

ثم عبّر عن صورة من طغيان الانسان الذي حمله على الوقوف في وجه من يعبد الرحمن، فنهى عن طاعة الله، فاستحق وعيد الله له بالعقاب، وفي ذلك دلالة على جهله بحقيقة قدرة الله الخالق جلّ وعلا.

ويبرز ارتباط آيات هذا المشهد بعضها ببعض، واختتام فواصله بمدّ طبيعي تمثله: (ألف)، وارتباطها بوقفات غير منتهية، وتوافقها في تركيبها المقطعي على مستوى مقطعين، وفي قالبها النبري على مستوى ستة مقاطع، وافتتاح المشهد الرابع بأداة الردع والزجر: (كلا) واستئناف الجملة التي تليها. وهو مشهد العقاب المنتظر لذلك الطاغية تمثله الآيات [١٥-١٩] إذ يبرز غضب الله على هذا الطاغية المتماهي في غيّه، ويتوعده الله تعالى بجذبه من ناصيته، وبتعذيب زبانية العذاب الغلاط إياه، إذ دعا أهل ناديه الطوغيت (٢٧).

(٢٦) مجمع البيان، ج ١، ص ٨٥ و ٣٩٨.

(٢٧) ينظر: التصوير القرآني في جزء عم، ج ٢، ص ٧٨٤ وما بعدها.



التفات بعض خلقه الى جلال وعظيم قدرته، وبذلك نرى أن مقاطعها الثلاث شديدة الصلة بعضها ببعض (٢٨).

فمقصودها: الأمر بعبادة من له الخلق والأمر، شكراً لإحسانه، واجتناباً لكفرانه، طمعاً في جنانه، وخوفاً من نيرانه، لما ثبت من أنه يدين العباد يوم المعاد (٢٩).

ثم جاء تذكير الإنسان الطاغي بمصيره؛ تنبيهاً وتهديداً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ على طريق الالتفات من أسلوب الغيبة الى الخطاب.

هكذا كانت السورة الأولى في القرآن الكريم.. ابتداء قوي منذ اللحظة الأولى لنزوله، وهذه الفواصل التي تبدو للنظرة الأولى متباعدة، هي من الداخل متناسقة، وهذا نسق من القرآن عجيب، آيات جمعت بين روعة الإبداع في نسقها الخارجي والداخلي على حد

سواء، اذ جاءت الفاصلة القرآنية فيها متنوعة بتنوع الانفعالات الصادرة من لين مقاطعها أو شدتها، مما أدى الى هذه اليقظة النفسية، والى هذه الإيحاءات التي أوحى بها الكلمات بل الحروف، وكانت الروعة كل الروعة في تتابع هذه الفواصل القرآنية، وهي تعبر بحسبها وجرسها وايقاعها، وتتوالى عباراتها بجزالتها وفخامتها وانتفاء كلماتها وحروفها، الأمر الذي أدى الى هذه الموسيقى الداخلية التي تنبع من اختيار الكلمات، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات، ومن ثم كانت الصورة الرائعة التي صحبتها موسيقاها- من الداخل والخارج - فلم تلبث أن استجاب العقل والوجدان لداعيها، بعد أن صحبتها تلك المواقف النفسية المتأثرة بها (٣٠).

سورة القلم:

سورة القلم مكية، نزلت بعد سورة

(٢٨) ينظر: التفسير الموضوعي، ج ٩، ص ٢٥٠ و ٢٥١.

(٢٩) مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور، ابراهيم بن عمر البقاعي، ج ٣، ص ١٢٣.

(٣٠) الصورة الادبية في القرآن الكريم، د.

صلاح الدين عبد التواب، ص ٢٠٢

و ٢٠٣.



مضمون سورة (ن) والسورة التي قبلها (العلق). فابتدأ بسورة (ن) إذ أن الله أراد أن ينوه بالقلم في سورة العلق فالقلم المقسم به هو ما يكنى عنه بالقلم من تعلق علم الله بالموجودات الكائنة والتي ستكون^(٣٥) وحيث أقسم في الثانية بـ ﴿رَبِّكَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ لتدل على قوة عقل هذا الرسول الذي أنزل الله عليه هذا القرآن، ومنه يعلم العلم والعرقان، وبه تهذب النفوس، وترقى شؤوننا الاجتماعية والعمرانية لتكون تأكيداً لما احتوته هذه الآيات الخمس في صدر تلقين القرآن منذ بدء تنزيله بخطورة القراءة والكتابة والعلم والتعلم في حياة الإنسان وكرامته^(٣٦).

و(ن) إما اسم للسورة، أو لغرض منه التحدي، مثل: ق و ص بأن يأتيوا

(٣٥) ينظر: التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٥٦؛ وقال البيضاوي والسيد شبر في انوار التنزيل والجواهر الثمين «والقلم الذي كتب اللوح، أو الذي يكتب به لكثرة منافعه». انوار التنزيل، ج ٥، ص ٢٣٣؛ الجواهر الثمين، ج ٦، ص ٢٥٩.
(٣٦) ينظر: التفسير الجديد، ج ١، ص ٣٦٤.

العلق،^(٣١) والمحور الأساس الذي تدور عليه السورة الكريمة هو إثبات نبوة محمد ﷺ وتثبيت قلبه،^(٣٢) وبالعلاج تربوي للرسول ﷺ بشأن التأثيرات التي تأثرت بها نفسه من مواقف المكذبين برسالته إيّان نزول السورة، إذ اتهمه بعض كبراء قومه وعُتاتهم بالجنون^(٣٣). وقد أقسم الله جلّ شأنه بالقلم لما فيه البيان على صدق نبيه ﷺ وإثبات نبوته وبراءته من الجنون الذي افتراه عليه الجاحدون زوراً وبهتاناً. والمجنون يستحيل أن يكون نبياً، وصاحب الخلق العظيم يستحيل أن يكون كذاباً مدعياً^(٣٤).

وهناك ارتباط واضح ومتين بين

(٣١) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ٢٧؛ وقال الألوسي في روح المعاني: هي من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، فقد نزلت -على ما روي عن ابن عباس - ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ...﴾ ثم هذه، ثم المزمّل، ثم المدثر.

(٣٢) ينظر: التفسير الموضوعي، ج ٨، ص ٢٩٠.
(٣٣) ينظر: معارج التفكير ودقائق التدبّر، عبد الرحمن حسن جبنة الميداني، المجلد الاول، ص ١٩٩.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٦.



بمثل القرآن أو بعضه، مادام مكوناً من حروف اللغة العربية التي بها ينطقون ويكتبون، وينظمون الشعر، ويدبجون الخطب البليغة^(٣٧).

ولما كان الحاصل بالقلم من بث الأخبار ونشر العلوم على تشعبها والأسرار ما يفوق الحصر، فصار كأنه العالم المطيق واللسن المنطيق... ولما كان المخاطب بهذا^ﷺ قد عاشر المرسل إليهم دهرًا طويلاً وزمنًا مديدًا أربعين سنة، وهو أعلاهم قدرًا وأطهرهم خلأً، وأمتهم عقلاً وأحكمهم رأياً وأرفهم وأرفعهم عن شوائب الأدناس همة، وأزكاهم نفساً بحيث إنه لا يدعي بينهم إلاّ بالأمين، ولم يتجدد له شيء يستحق به أن يصفوه بسببه بالجنون، وهو سلوك المنحرفين الذين سيناھضون رسالة الاسلام، نفى سبحانه عنه^ﷺ ما

(٣٧) ينظر: مفاتيح الغيب، ج ١، ص ١٢٧؛ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٩؛ الكشاف، ج ١، ص ١٣؛ والتفسير المنير في العقيدة والشريعة، وهبة الزحيلي، ج ٢٩، ص ٤٤؛ في ظلال القرآن، ج ١، ص ٣٨؛ تفسير المراعي، ج ٢٩، ص ٢٨.

قالوه، فثبت له^ﷺ كمال العقل وسداد الرأي ورشاد الأمر، مقابل تهمة الجنون، وأضاف الى كمال العقل سمة هي من أرفع مستوياتها وهي: الخلق العالی الذي يعبر عن التوافق الداخلي والخارجي للشخصية، فالشخصية السوية هي التي تتوازن داخلياً بحيث لا تحيا الإنشطار والتخرق، وتتوازن خارجياً حينها تحق سمة (التكيف أو التوافق الاجتماعي) الذي يعني القابلية على أن تتعامل مع الآخرين، وليس أن تهرب منهم وتنسحب الى الداخل، وهذا هو قمة الخلق العظيم^(٣٨).

ثم أردف الله تعالى بما يقوي قلبه^ﷺ ويدعوه الى التشدد والإصرار مع قومه مع قلة العدد، وكثرة الكفار، لأنهم لم تنفع فيهم الأخلاق ولا العلم، لأنهم انحرفوا عن شكر من خلق وعلم، وطغوا وتجبروا بدلاً من أن يشكروا المنعم على انعامه. فسورة (ن) يتحد موضوعها من أوله الى آخره في بيان عظمة الرسول - في كمال عقله وخلقه -

(٣٨) ينظر: التفسير البنائي، ج ٥، ص ٧٩.



وماله عند ربه من تكريم وتبجيل وتعظيم. فاتبع الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾ إعلاناً بأنه ﷺ ممن ارتضاه من الرسل وخصه بخصائص وكفاه شر أعدائه (٣٩).

سورة المزمّل: سميت به؛ لدلالته على عظم أمر الوحي، لأن أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمل (٤٠).

السورة مكية من حقائق السور النازلة في أول البعثة (٤١).

يدور محور هذه السورة الكريمة حول شخصية الرسول ﷺ، إشارة إلى إحدى أحوال المصطفى ﷺ فجاء خطاب الانبساط مع سيد المرسلين، والاشعار بملاطفة الله تعالى رسوله ﷺ ببدائه بوصفه بصفة تزمُّله، والأمر بقيام الليل، وبيان حجة التوحيد. والأمر بالصبر على جفاء الكفار، (٤٢) ولقد تكرر بدء مطالع السور ببدء النبي ﷺ مما يصح أن يقال إنه أسلوب من أساليب النظم

القرآني في مطالع السور وشخصياتها (٤٣). وهذا الاستهلال الفني للسورة: ينطوي على أهمية جماليه فائقة هي: العنصر الإيجائي لهذا الخطاب ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾. فالزمل- لغوياً - هو المتلف بثيابه، ولكن العبارة ذات إيحاءات متنوعة- وهذه هي سمة الفن - حيث نجد أن النصوص التفسيرية تتفاوت في تحديد الدلالة المقصودة من العبارة المذكورة، فالبعض ذهب الى أن المقصود منها: المتزمل بعبادة النبوة، (٤٤) وهذا يعني أننا أمام (استعارة)، (٤٥) والبعض ذهب الى أن المقصود من ذلك هو: المتزمل بالنوم فتكون أمام (رمز)، والبعض ذهب الى الدلالة اللغوية فحسب (٤٦) ... والأهم

(٤٣) التفسير الحديث، ج ١، ص ٤٠٥.

(٤٤) ينظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٦٨؛ فتح القدير، ج ٥، ص ٣٧٨؛ غريب القرآن، ابن قتيبة، ج ١، ص ٤٢١.

(٤٥) شبه إجراء التبليغ بتحمل الحمل الثقيل بجامع المشقة (محاسن التأويل، ج ٩، ص ٣٤٠).

(٤٦) أي خاطبه العلي بكسائه المشتمل به أي بالوصف الذي هو عليه ملاطفة له. (التفسير المبين، ج ١، ص ٧٧٣). وإيناساً لنفسه، وتجباً إليه، حتى يزداد نشاطاً،

(٣٩) البحر المحيط، ج ١٠، ص ٣١١.

(٤٠) تفسير المهاشمي، ج ٣، ص ٤٦٧.

(٤١) تفسير الميزان، (الأعلمي)، ج ٢٠، ص ٦٦.

(٤٢) التفسير الموضوعي، ج ٨، ص ٤٢٥.



من ذلك أن كلاً من التفسير اللغوي والاستعاري والرمزي: يتجانس مع فكرة السورة التي تريد أن تتحدث عن قيام الليل، طبعياً، إنَّ هذا الخطاب للنبي ﷺ، (كما أن له خصوصيات عبادية)... ولكن انسحاب ذلك على مطلق المؤمنين بحيث يفيدون منه: أمرٌ ينبغي ألا نتردّد فيه، فقيام الليل أمرٌ تؤكّده نصوص التشريع بنحو بالغ المدى، حتى أن النبي ﷺ كان يقول بما معنا: أن جبريل كان يوصيه بقيام الليل، حتى ظن أن المؤمنين ينبغي ألا يناموا في الليل... كما ربط النصّ القرآني بين قيام الليل وبين قراءة القرآن ترتيلاً... (٤٧)

والكلام مؤكّد من عدّة وجوه: بالنون المؤكّدة، وكلمة ناشئة مصدر

وهو يبلغ رسالة ربه (التفسير الوسيط، الطنطاوي، ج ١٥، ص ١٥٢).

(٤٧) التفسير البناي، ج ٥، ص ١٥٨ وما بعدها.

قال سبحانه: ﴿... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ أي بينه تبييناً، وفصله تفصيلاً، بقراءته على ترشّل وتؤدّة، بتبيين الحروف وإشباع الحركات، فذلك أعون على تأمله، وأثبت لمعانيه في القلب. (ينظر: الكشف، ج ٣، ص ٢٢٦).

جيء به للمبالغة، وكلمة الفصل -هي- وأفعال التفضيل في أشدّ وأقوم. وتميز أشدّ وطناً، وأقوم قِيلاً، كل هذه الكلمات حوافز ودوافع للاهتمام بقيام الليل في أول البعثة استعداداً لتهيئة الجسم وحفز النفس للأمر المهم. ثم تناولت السورة موضوع ثقل الوحي الذي كلّف الله به رسوله ليقوم بتبليغه للناس بجد ونشاط، ويستعين على ذلك بالاستعداد الروحي بإحياء الليل في العبادة، وأمرته ﷺ بالصبر على أذى المشركين، وهجرهم هجراً طويلاً، فالله سبحانه كفيل بالانتقام منهم بإهلاكهم وإبادتهم. ولقد أخذ القرآن يذكر سبب هذا

الأمر فقال ما معناه: يا محمد انك تحمل أكبر رسالة، وتدعو الناس الى أضخم دعوى: دعوة الحق والحرية والكرامة، وسيكون لك أعداء، وسيكون لمن يدعو بدعوتك، لهذا أمرناك بإعداد نفسك وجسمك الى تحمل الرسالة.

فجاء التوجيه الى الصبر بعد التوجيه الى القيام والتبذل والذكر، فكلاهما شاق وعسير.



- واضحة المعالم^(٤٩).
- وختمت السورة بتخفيف الله تعالى عن رسوله ﷺ ومن معه من المؤمنين من قيام الليل رحمة به وبهم، ليتفرغ الرسول وأصحابه لبعض ضروراتهم المعيشية، فإنّ منهم المريض ومنهم المجاهد في سبيل الله، ومنهم الذين يضربون في الأرض طلباً للرزق والقوت، لهم ولذراريهم^(٤٨).
- لقد رسمت هذه السورة طريق السير الى الله، وبينت الطريق الى التقوى في حدّه الأدنى وحدّه الأعلى؛ فحدّه الأدنى صلاة مفروضة، وزكاة، واستغفار، وقيام ما تيسر من الليل. وحدّه الأعلى: صلاة، وإنفاق، واستغفار، وقيام من الليل، وترتيل قرآن، وذكر، وانقطاع الى الله عزّ وجلّ، وصبر على أقوال الكافرين، وهجرهم، وانتظار فعل الله فيهم إذا لم يكن جهاد مأموراً به، وصلّة ذلك بقضية العبادة والتقوى التي هي محور السورة
- الأساس في التفسير، سعيد حوي، (القاهرة: ٢٠٠٩).
 - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، دار الفكر، (بيروت: ٢٠٠١م).
 - البلاغة القيمة، د. عبد القادر حسين، (القاهرة: ١٩٩٩).
 - التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، (تونس: د. د. ت).
 - التصوير القرآني في جزء عمّ، دراسة أدبية تحليلية، (جدة: ٢٠٠٦م)، أ. أناهيد عبد الحميد جمال حريري.
 - التفسير البناني، د. محمود البستاني، (مشهد: د. د. ت).
 - تفسير الوسيط، الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (بيروت: ١٤٢٢هـ).
 - تفسير روح البيان، حقي البروسوي، اسماعيل، (دار الفكر: د. د. ت).



(٤٨) ينظر: صفوة التفسير، الصابوني، ج ٣، ص ٤٦٣؛ مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ج ٣، ص ١٣١؛ التفسير الموضوعي، ج ٨، ص ٤٢٦.

(٤٩) التفسير الموضوعي، ج ٨، ص ٤٢٨؛ الأساس في التفسير، سعيد حوي، ج ١١، ص ٦٢٠٠ و ٦٢١١.

- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيشابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، (بيروت: ١٤١٦هـ).
- التناسب القرآني، أمير طلال النعيمي، (مجلة البحوث والدراسات الاسلامية، عدد ٣٢، عام: ٢٠١٣).
- التناسب القرآني عند الإمام البقاعي، مشهور موسى مشهور مشاهرة، (الأردن: ٢٠٠١م).
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، (طهران: ١٤٠٦هـ).
- الجواهر الثمين في تفسير الكتاب المين، السيد عبد الله شبر، مكتبة الألفين، (الكويت: ١٤٠٧هـ).
- دلائل النظام، الفراهي، عبد الحميد، (الهند: ١٣٨٨هـ).
- دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة، دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، زهراء خالد سعد الله العبيدي، (الموصل: ٢٠٠٧م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الألوسي، السيد محمود، (بيروت: ١٤١٥هـ).
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (بيروت: ١٤٢٢هـ).
- زبدة التفاسير، الكاشاني، المولى فتح الله، (مؤسسة المعارف الاسلامية: ١٤٢٣هـ).
- صفوة التفاسير، الصابوني، محمد علي، (القاهرة: ١٩٩٧م).
- غريب القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تحقيق: أحمد ضفر، (بيروت: ٢٠٠٧م).
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (بيروت: ١٤١٤هـ).
- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى الغرناطي، محمد بن أحمد، (دار الأرقم: ١٤١٦هـ).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، (بيروت: ١٩٨٧م).



connotative meanings are revealed after verification and concentration. This rule concerns the human texts. so we can imagine how the Quranic text is.

In the Quranic text, the occasion is related through a general or particular meaning related to them, and it could also mean a sensational or imaginative relation or mental collocation like the cause and effect or the reason and result. The variation of the subject matters and the difference in the occasions of the Quran does not affect the internal structure as long as the various occasions removes the flaws and reserves the cohesiveness of the text by several ties. This is what the

researchers such as J. Brown and J. Paul has reached when they said that the coherence of the text should be searched for by the reader through investigating the cohesive ties found in the text among the parts of speech.

Theodor Noldeke has referred to the point that Quran is a cohesive unit referring to the knowledge of monotheism and applied this principle on a Quranic text.

Some of the researchers regarded this science as one of the interesting subjects related to the book of Allah and they indicated that it is an image of the rhetoric and stylistic taste of the Quran.



:Abstract

This science is regarded as one of the stylistic methods that reveals the linguistic, stylistic and mental relations within the text. Also, it sheds the light towards the coherence of its units and the cohesive ties used. The coherent and cohesive ties of a text are not a matter that could be improvised, rather it is a whole coherent unit which interprets itself as its parts are related to each other. Many factors are involved, such as the growth of the text from the general to the particular, the intended meaning and the complementation of the contexts; the context of Verses and of the Suras

in the Quran. All of that is taken into consideration in comprehension and interpretation in order not to lose the meaning of the text or to lead to an impossible indication. The scholars has varied in realizing the reasons for being different in their ability to comprehend the secrets of rhetoric in the Quran and to concentrate deeply in realizing the objective, formal and mental connections between the texts which superficially seem different or opposite, but in fact they have a cohesive structure and carries the indications of the Quran and its intended meanings. The





الْجُمْلَةُ التَّدْيِيلِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَفْهُومُهَا وَأَقْسَامُهَا وَدَلَالَاتُهَا

م. د. علي موسى عظمة
كلية التربية - جامعة ميسان

فحوى البحث

هذه الدراسة أفردتها الباحثة للجملة التذييلية في القرآن الكريم، من حيث بيان مفهومها وأقسامها، وأثرها في فهم النص القرآني. وهي جملة تامة، تحتفظ بعلاقات الإسناد والتركيب والإفادة، وعادة ما تكون جملة موجزة يذيل بها الكلام ليتحقق بها ما قبلها، وتتضمن معناه توكيداً وتقريباً، وتلك هي الدلالة الكبرى لها، بيد أنها تتصرف إلى أغراض ودلالات عديدة بحسب السياق الذي ترد فيه.

ويشتمل البحث على تمهيد يتضمن التأسيس لمصطلح الجملة التذييلية وبيان مواقعها؛ وعلى مبحثين، الأول في أقسام الجملة التذييلية، والمبحث الثاني في التناسب بين المعنى في الجملة التذييلية والمعنى العام في سياق الآية، وتضمن خاتمة اشتملت على أهم التوصيات والنتائج التي توصل إليها.

المقدمة:

لا ريب أن القرآن الكريم منبع العلوم العربية وأساسها، ومعين مختلف المعارف وموردها، «وأن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تغنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلاّ به»^(١).

وتناولت مزيداً من الدراسات والبحوث الجملة في القرآن الكريم، من حيث أقسامها، وأنماط تراكيبها، وبناءؤها، ودلالاتها، كما كثر الحديث عن محور دراسة الفاصلة القرآنية، بيد أنه لم يفرد بحث مستقل للجملة التذييلية، يبين مفهومها وأقسامها، وأثرها في فهم النص القرآني. ويراد بها الجملة الموجزة التي يذيل بها الكلام ليتحقق بها ما قبلها، وتتضمن معناه توكيداً وتقريراً.

وليس من ذي مسكة يغفل مكانة هذه الجملة وأهميتها في بناء النص القرآني، وإظهار دلالاته، فالآيات القرآنية غالباً ما تذيّل بجمل تتلاءم

مع دلالاتها، وتتناسب مع صدورها، والترابط القائم بين أجزاء الآية يعدّ لونها من ألوان إعجاز القرآن الكريم، ومن مظاهر انسجام النصّ القرآني وتماسك بنائه وتناسب أجزائه.

من هنا حاولت في هذا البحث المتواضع إبراز ذلك من خلال تمهيد بينت فيه التذييل لغة واصطلاحاً، والمعنى الاصطلاحي المقصود من الجملة التذييلية، إذ تعددت المصطلحات الممكنة إطلاقها على هذا النوع من الجمل، فرجّح البحث هذا المصطلح، لكونه جامعاً مانعاً، ولأن كثيراً من المفسرين ذكروه في تفاسيرهم، فضلاً عن أن التذييل مصطلح شائع في التراث البلاغي والعروضي.

وأشفعت ذلك بمبحثين، الأول تضمن ذكر قسمين أساسيين من أقسام الجملة التذييلية من حيث دلالاتها، أشار إليهما البلاغيون، القسم الأول: الجملة المؤكدة لمضمون ما قبلها، والقسم الثاني: الجملة الجارية مجرى الأمثال. وبينت أهم أغراض هذين القسمين ودلالاتهما.

(١) نهج البلاغة بتحقيق محمد عبدة: ١ / ٥٥ - خطبة ١٨.



وتناولت في المبحث الثاني التناسب بين المعنى في الجملة التذييلية والمعنى العام في سياق الآية، مشيراً إلى التناسب الظاهر الذي لا يحتاج فهمه إلى كثير عناء، ويدركه سائر المعنيين بفهم الخطاب القرآني، والتناسب الخفي الذي يحتاج الوصول إلى المناسبة فيه إلى مزيد من التأمل والفكر. وختمت البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها.

معتمداً في كل ذلك مصادر التفسير وغيرها التي عنيت بإظهار قيمة التذيل وأساره البلاغية، ومن أبرزها: الكشاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي، ونظم الدرر للبقاعي، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، وروح المعاني للألوسي، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور. أملاً أن يكون هذا قد قدم شيئاً جديراً بالنظر، والله ولي التوفيق.

التمهيد

مفهوم التذيل

قبل الخوض في تفاصيل هذا البحث، أجد من الضروري أن أمهد

أولاً لبيان أبعاد هذا المصطلح اللغوية، ومن ثم أبين وجهات النظر في المعنى الاصطلاحي المقصود في هذا العنوان طبقاً لمعطيات المعاجم اللغوية وغيرها.

التذيل لغة

جاء في المعنى اللغوي لمادة (ذيل):
الذيل: هو ما أسبل فأصاب الأرض من الرداء والإزار. والذيل: آخر كل شيء، وواحد أذيال القميص وذبوله، ويقال: أذال فلان ثوبه، وذيل ثوبه تذيلاً، إذا أطال ذيله. والتذيل: تطويل الذيل.

وذيل المرأة: كل ثوبٍ تلبسه إذا جرّته على الأرض من خلفها. والذيل في درع المرأة أو قناعها: إذا أرخت شيئاً منها، وذالت المرأة تذيلاً، أي جرّت ذيلها على الأرض وتبخرت. وأذالت المرأة قناعها، أي أرسلته. وذال الرجل يذيل ذيلاً: تبخر فجرّ ذيله.

وذيل الريح: ما انسحب منها على الأرض، أو ما تركه في الرمل كأثر ذيل مجرور، وقيل: أذيال الريح مآخبرها التي تكسح بها ما خفّ لها.

وذيل الفرس والبعير والثور الوحشي



التذييل في العروض والبلاغة:

إن المعاني المتقدمة التي تتضمنها مادة (ذيل) في معاجم اللغة، تكشف النقاب عن الدلالة الاصطلاحية للتذييل عند العروضيين والبلاغيين، فثمة مناسبة بين دلالة اللفظ اللغوية والاصطلاحية تساعد على كشف المعنى وتوضيحه، ومن ثم يمكن من خلالها أن نقف على تحديد مفهوم الجملة التذييلية، وبيان أنماطها.

فالتذييل عنوان بارز في الدرس النقدي والبلاغي، أفاض في بحثه العلماء القدماء والمحدثون، وهو عند العروضيين من علل الزيادة، ويراد به: زيادة حرف ساكن على ما آخره وتُد مجموع، نحو زيادة الألف قبل نون (متفاعِلن) و (مستفعلن) و(فاعِلن) فتصير (متفاعِلان) و (مستفعلان) و (فاعِلان)^(٤).

أما علماء المعاني فعدّوا التذييل

(٤) تنظر مادة (ذيل) في: لسان العرب: ١١ / ٢٦١، وتاج العروس: ٧ / ٣٣٢. وينظر: ميزان الذهب: ١٣، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١ / ١٣١.

ونحوها: ذنبه إذا طال، أو ما أسبل منه فتعلّق، وفرس ذائل، وذِيَال ومُذْيَل: ذو ذيل، أو طويل الذيل. والأثني: ذائلة. وذال الفرس وأذيل: صار له ذيل، وذال بذنبه: شال. وتذيّلت الدابة: حركت ذنبها، وتذيّل: تبختر. والذِيَال: الطويل القدّ. ومن الخيل: المتبختر في مشيه، وجمع الذيل: أذِيَال، وأذيل، وربما قالوا: ذِيُول. وقولهم: جاء أذِيَال من الناس، أي أواخر منهم قليل^(٢).

فالمادة بمجملها تدلّ على البسط والنشر والامتداد والسعة والطول. قال بن فارس: «الذال والياء واللام أصيلٌ واحد مطّرد منقاس، وهو شيءٌ يسفل في إطفاء. من ذلك: الذيل، ذيل القميص وغيره. وذيل الرّيح: ما انسحب منها على الأرض. وفرسٌ ذِيَالٌ: طويل الذنب»^(٣).

(٢) تنظر مادة (ذيل) في: كتاب العين: ٨ / ١٩٧، والصحاح: ٤ / ١٧٠٢، والفائق في غريب الحديث: ١ / ٤٠٨، والنهية في غريب الحديث: ٢ / ١٧٥، ولسان العرب: ١١ / ٢٦٠، والقاموس المحيط: ٣ / ٣٨٠، وتاج العروس: ٧ / ٣٣١.
(٣) معجم مقاييس اللغة - ذيل -: ٢ / ٣٦٦.



قسماً من أقسام الإطناب كالتزويني والسيوطي^(٥)، وعدّه آخرون لوناً مستقلاً من ألوان البديع كالعسكري والباقلاني^(٦). ووقفوا على مفهومه وأنواعه، ومثلوا له من الشعر والقرآن.

ومرادهم من التذييل «هو أن يذيل الناظم أو النثر كلاماً بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجمل تحقّق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيداً، أو تجرى مجرى المثل بزيادة التحقيق»^(٧).

ويجري التذييل في القرآن الكريم، (٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة في علوم البلاغة: ١ / ١٩٠، ومختصر المعاني: ١٧٨، وجواهر البلاغة: ٢٣٢.

(٦) ينظر: كتاب الصناعتين: ٤١٣، وإعجاز القرآن: ١ / ١٠٢. ومن مصادر البلاغة الأخرى التي أفردته بمبحث خاص: كتاب بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي، كما نجده في شروح التلخيص للفتازاني وغيرها.

(٧) خزانة الأدب وغاية الأرب: ١ / ٢٤٢، معجم المصطلحات البلاغية: ٢ / ١٢٢. وينظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، والبرهان في علوم القرآن: ١ / ٧٦، وصور البديع - فن الأسجاع: ٤٣، ولغة القرآن في جزء عم: ٣٦٩، والفاصلة القرآنية: ١٩.

وفي السنة الشريفة، وفي منظوم كلام العرب ومنتوره، وله أمثلة كثيرة في كلّ ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَائِهِمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سورة سبأ: ١٧]. أي «هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور»^(٨).

ووقع ذلك في السنة الشريفة، ومنه ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ربكم رحيم، من همّ بحسنة فلم يعملها كتب له عشر أضعاف إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة أو محابها، ولا يهلك على الله إلا هالك»^(٩). فقوله: «لا يهلك على الله إلا هالك» تذييل لما تقدّم، وقد خرج الكلام فيه مخرج الأمثال^(١٠).

ومن المنظوم قول ابن نباتة السعدي يمدح سيف الدولة:

- (٨) البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٦٨، والإتقان في علوم القرآن: ٢ / ١٩٨.
(٩) المعجم الكبير: ١٢ / ١٢٥.
(١٠) خزانة الأدب وغاية الأرب: ١ / ٢٤٢.



فهمه» (١٣).

الجملة التذييلية:

التذيل المتقدم عن البلاغيين لا يتقيد بلفظ، بل يتعداه إلى جملة مستقلة تعود بمفهومها إلى متقدم، قال أسامة بن منقذ في التذيل: «هو أن تأتي في الكلام جملةً تحقّق ما قبلها» (١٤).

وذكر السيوطي وغيره أنّ التذيل: «هو أن يؤتى بجملة عقب جملة، والثانية تشتمل على معنى الأولى، لتأكيد منطوقه أو مفهومه، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقرر عند من فهمه» (١٥). فالتذيل يكون بجملة غايتها إيصال المعنى إلى المتلقي، وتحقيق الفهم وتوكيده في نفوس المخاطبين.

فالجملة التذييلية بناءً تركيبياً ودلاليًّا

(١٣) البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٦٨،
وينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢ /
١٩٨.

(١٤) البديع في نقد الشعر: ١٢٥.

(١٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٢٧٩،
وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١ /
١٩٠، والتوقيف على مهمات التعاريف:
١ / ١٦٨، ومختصر المعاني: ١٧٨،
وجواهر البلاغة: ٢٣١.

لم يبقِ جودك لي شيئاً أوّمله

تركتني أصحبُ الدنيا بلا أمل (١١)

فصدر البيت مكتمل المعنى؛ لأنه استوفى ما أراده من المدح فيه، ثم احتاج إلى تذييل البيت، بتكرار المعنى المتقدم فيه استحساناً وتوكيداً، فأخرجه مخرج المثل السائر حيث قال: (تركتني أصحب الدنيا بلا أمل)، ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى (١٢).

والدارسون في علوم القرآن، لم يخرجوا من دائرة تعريفات البلاغيين؛ ذلك لأن البلاغة إنما نشأت في رحم الدراسات القرآنية، مظهرة لبيان القرآن، وكاشفة عن تميزه وإعجازه، ففي برهان الزركشي: «التذيل... اصطلاحاً: أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه، ليكون معه كالدليل، ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من

(١١) الديوان ١: ٢٥٢.

(١٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١ /
١٩٠ - ١٩١، وخزانة الأدب وغاية
الأرب: ١ / ٢٤٤، وجواهر البلاغة:
٢٣٢.



تام المعنى، يحتفظ بعلاقات الإسناد والتركيب والإفادة، وهي جملة موجزة، تمتاز بالتكثيف الدلالي، يذيل بها الكلام ليتحقق بها ما قبلها، وتتضمن معناه توكيداً وتقريراً. أي إنها تؤدي وظيفة إيضاحية بيانية، أو توكيدية تحقيقية. وقد ورد هذا المصطلح عند ابن حجة الحموي في الشاهد (٣٧٤) وهو قوله: إذا زجر السفية جرى إليه

وخالف والسفيه إلى خلاف قال: «السفيه إلى خلاف: جملة تذييلية، أي شان السفية الميل إلى مخالفة الناصح، وهذا البيت لم يعزه الفراء إلى أحد»^(١٦). وورد مصطلح الجملة التذييلية عند أبي السعود، والشوكاني، والآلوسي، وابن عاشور، في موارد من تفاسيرهم^(١٧).

(١٦) خزائن الأدب وغاية الأرب: ٥ / ٢٢٦.
(١٧) ينظر: تفسير أبي السعود: ١ / ١٢٣، وفتح القدير: ١ / ٣٤٥ و ٣٧٠ و ٣٧٦، ٢ / ٣٩٢، و ٤٧١ و ٤٧٧ و ٤٧٨، وروح المعاني/ ٩ / ١٣ و ١٨٠، و ١١ / ١٦٣، و ١٣ / ١٣، والتحرير والتنوير: ١٢ / ١٦٩، و ١٦ / ١٧٨.

وأطلق عليها بعض الباحثين المحدثين هذا المصطلح أيضاً، وعرفها بقوله: «هي التي تؤكد مدلول النصّ، وغالباً ما تكون ممثلة لنهاية النصّ»^(١٨). وأضاف: «وغالباً ما تأتي الجملة التذييلية في نهاية نصّ الآية بتركيب مناسب مناسبة إعجازية لما تقدم من الجملة»^(١٩). وذكرت باحثة أخرى أنّ الجملة التذييلية «تعدّ وحدة تركيبية خاصة تنوع حسب المقام والمعنى المقصود والغاية المرجوة، بوصفها فناً إطنائياً يؤدي دوره التذييلي من خلال صورتين، حرص البلاغيون على ذكرهما، وهما: أ. التذيل الذي يجري مجرى المثل. ب. التذيل الذي لا يجري مجرى المثل»^(٢٠).

مواقع الجملة التذييلية:

قد يتبادر إلى الذهن أنّ الجملة التذييلية يتوجب أن تقع في آخر الآية،
(١٨) آيات المعاملات في القرآن الكريم: ٤٣.
(١٩) آيات المعاملات في القرآن الكريم: ٦٠-٦١.
(٢٠) الإطناب في القرآن الكريم، أنماطه ودلالاته - دراسة بلاغية: ٢٤٣.





الجملة التذييلية في القرآن الكريم

الصَّبَاحُ

وهو الغالب فيها، بيد أنها قد تقع في وسطها، أو في ختامها، أو تكون آيةً برأسها، تأتي بعد تمام المعنى، على سبيل التأكيد أو التقرير والتحقيق.

ومن أمثلة توسط الجملة التذييلية التي تؤكد مقطعاً من الآية: قوله سبحانه: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَخَرُّوهُمْ مِمَّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوهُمْ وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩١]. فقوله عز وجل: ﴿وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾. جملة تذييلية جاءت في وسط الآية، تأكيداً للجملة السابقة لها (٢١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [سورة فاطر: ٤٢-٤٣]. فقوله سبحانه: ﴿وَلَا

يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، جملة تذييلية (٢٢)، وهي جملة وسطية، لم ينته الكلام عندها.

وقوله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنۢ وَعَدَدۡنَا عَلَيْكُمۡ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلِ مَا أَعْتَدۡنَا عَلَيْكُمۡ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤]. فقد وردت الجملة التذييلية في وسط الآية، وهي قوله: ﴿وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾، معقبة على الجملة السابقة ومؤكدة لها. وهذا التذييل جارٍ مجرى المثل، كما هو واضح من تركيبه، «وهو من قبيل قولهم: يوم بيوم، والحرب سجال» (٢٣).

وأمثلتها في ختام الآي كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَحْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [سورة النساء: ٣٧]. فقوله سبحانه: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾. جملة تذييلية

(٢٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٢ / ١٨٥.
(٢٣) التحرير والتنوير: ٢ / ٢١٠.

(٢١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢ / ١٩٩.

تقرر مضمون ما قبلها^(٢٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة ال عمران: ٥٧]. فقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ «جملة تذييلية مقررة لما قبلها»^(٢٥).

ومثال على الجملة التذييلية التي تكون آية برأسها تؤكد أو تقرر مضمون آية أو آيات سابقة لها: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(٨٦) **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ [سورة ص: ٨٦-٨٧]. فقوله سبحانه: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾. جملة تذييلية للآية التي قبلها. وقوله تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ**﴾ [سورة الكافرون: ٦]، فهذه الآية «تذييل وفذلكة للكلام السابق بما فيه من التأكيدات، وقد أرسل هذا الكلام إرسال المثل»^(٢٦).

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ هَتُوْا لَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ**

(٢٤) ينظر: روح المعاني: ٥ / ٣٠.

(٢٥) فتح القدير: ١ / ٣٤٥.

(٢٦) التحرير والتنوير: ٣٠ / ٥١٢.

فَعَلِينَ﴾^(٧١) **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾^(٧٢) **فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ**﴾^(٧٣) **فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن سِجِّيلٍ**﴾^(٧٤) **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ**﴾ [سورة الحجر: ٧١-٧٥]. فقوله سبحانه: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ**﴾ جملة تذييلية، وقد جاءت آية برأسها.

اصطلاحات بديلة:

عبر بعض المفسرين والباحثين عن الجملة التذييلية ببعض الاصطلاحات البديلة منها ما يفي بالغرض لكونه جامعاً مانعاً، ومنها ما يقصر عن ذلك، وكما يأتي:

١. جملة الفاصلة القرآنية: أُطلق عليها هذا المصطلح؛ لكونها أقرب الجمل في الآية إلى الفاصلة القرآنية؛ ولأنها تكتنف تلك الفاصلة، إذ تقع الفاصلة في آخرها^(٢٧).

وعلى الرغم من التداخل بين الفاصلة والتذييل، لاسيما إذا جاءت الفاصلة في ختام التذييل، لكن الفاصلة تنفرد بكونها لا تأتي إلا في آخر الآية،

(٢٧) ينظر: الجملة في القرآن الكريم: ٢٥٣.



التذييلية الواقعة وسطاً من حدّ التعريف، فهو غير جامع من هذه الناحية.

ومعلوم أنّ الفاصلة قد تكون في جملة تذييلية، وقد تكون في غيرها، فليس كلّ آي القرآن مختوماً بجملة تذييلية؛ لأنّ بعض الآي عبارة عن جملة واحدة، فتسمينها بجملة الفاصلة يدخل فيها سواها من الفواصل غير المذيلة، فهو غير مانع من هذه الناحية.

والفريق الثاني: كأبي عمرو الداني وغيره يرى أنّ الفاصلة كلمة آخر الجملة، وإن لم تكن رأس آية^(٣٠)، أي إنّ الفاصلة تكون رأس آية، وتكون غيرها، يقول الداني: «وأما الفاصلة فهي الكلام التام المنفصل مما بعده، والكلام التام قد يكون رأس آية وغيرها، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس آي وغيرها، فكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمّ النوعين، وتجمع الضربين»^(٣١).

(٣٠) ينظر: البرهان في علوم القرآن / ١ / ٥٣ - ٥٤، ومختصر المعاني: ١٧٨، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١ / ٤٠٥، ومباحث في علوم القرآن: ١٥٣. (٣١) البيان في عدّ آي القرآن: ١٢٦.

ويأتي التذييل في وسطها أو في آخرها، وقد تأتي الفاصلة بغير الجملة، أما التذييل فيأتي دائماً جملة^(٢٨).

ثم أن تسمية الجملة التذييلية بجملة الفاصلة، أمرٌ يخضع لمفهوم الفاصلة عند العلماء؛ وهم في ذلك فريقان: الفريق الأول: يعدّ الفاصلة آخر الآي، كقافية الشعر وقرينة السجع، ومنهم أبو علي الفارسي، والزرکشي، والراغب الأصفهاني، وابن منظور، والفيروزآبادي، وتابعهم بعض المتأخرين^(٢٩).

وعلى وفق رأي هؤلاء، لا يصحّ إطلاق مصطلح (جملة الفاصلة) على الجملة التذييلية؛ لأنّ الفاصلة لا تكون إلاّ في آخر الآية، وبذلك تخرج الجمل (٢٨) ينظر: التذييل في القرآن الكريم، دراسة بلاغية: ٢١.

(٢٩) ينظر: تفسير التبيان: ٥ / ٥٩، ومفردات ألفاظ القرآن: ٦٣٨، ومجمع البيان: ٤ / ٤١٢، ولسان العرب - فصل - ١١ / ٥٢٤، والتسهيل لعلوم التنزيل: ١ / ١٥، والبرهان في علوم القرآن: ١ / ٥٣، والقاموس المحيط - فصل - ٤: ٣٠، ومن بلاغة القرآن: ٧٥، والفاصلة في القرآن الكريم: ٢٩، وأبحاث في أصوات العربية: ١٤٣، وفواصل الآي في القرآن: ٨٤.



وعلى وفق هذا الرأي تشمل (جملة الفاصلة) جميع الجمل التذييلية، سواءً أكانت رأس آيةٍ أو وسطاً، لكنها تتسع لغيرها مما يكون رأس آيةٍ لكنه لا يتضمن جملةً تذييلية، فالمصطلح جامع لكنه غير مانع.

٢. الجملة المذيلة: والجملة التي قبلها تسمى مذيلةً، هكذا وصفها أبو البقاء الكفوي والألوسي^(٣٢)، وتابعتها الطباطبائي في موارد من تفسيره^(٣٣). وهذا المصطلح يصلح بديلاً للجملة التذييلية.

٣. جملة الخاتمة: ويمكن إطلاقها على آخر جملة في الآية القرآنية، أو خصوص الجمل التي تتضمن مفهوم صدر الآية^(٣٤). وإطلاقها على آخر جملة في الآية القرآنية، ليس جامعاً ولا مانعاً؛ لأنه يقصر عن استيعاب كلِّ

الجمل التي يصحّ أن تسمى تذييلية، لكون بعضها يقع في وسط الآية كما تقدم، ويضمّ إليها جملاً ليست منها، وهي خواتيم الآيات غير المذيلة. أما القول بأن جملة الخاتمة هي خصوص الجمل التي تتضمن مفهوم صدر الآية، فهو قول يشمل جميع الجمل التذييلية، ولا يستثني منها شيئاً.

٤. الجملة الذيلية: ومفهومها في النحو الوظيفي: تلك الجملة التي توجد في ذيل الجملة السابقة، وتقوم بدور تعديل أو توضيح أو تصحيح معلومة من المعلومات الواردة في الجملة المتقدمة عليها. ويقسم بعضهم الجملة على وفق المنحى الوظيفي إلى بسيطة ومركبة، ويقسم الجملة البسيطة تبعاً للمكونات الخارجية إلى: الجمل الابتدائية، والجملة الذيلية، والجملة الندائية^(٣٥). ومصطلح الجملة الذيلية يصلح بديلاً للجملة

(٣٢) ينظر: الكليات: ٥٢٧ و١٦٤٩، وروح المعاني: ٢٨ / ١١٥.

(٣٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢ / ١٦٤، و٨ / ٢٠٤، و١٩ / ١٦٥.

(٣٤) ينظر: جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية - دراسة أسلوبية: ٢٨.

(٣٥) ينظر: اللسانيات وتدرّيس اللغة العربية (تدرّيس اللغة العربية من منظور لساني وظيفي): ص ٨٤ - ٨٥.





الجملة التذييلية في القرآن الكريم.....**الاصطلاح**

التذييلية، على وفق المفهوم المتقدم لها. ومما تقدم يمكن أن نطلق مصطلح الجملة المذيّلة، أو الذيلية أو الخاتمة في أحد معنيها، على الجمل التي تكون في أواخر الآي مقررّة لمضمون ما قبلها، أو جارية مجرى الأمثال. لكن يبدو أن إطلاق مصطلح (الجملة التذييلية)، أكثر تخصيصاً وأقرب إلى المفهوم المراد، لكون التذييل مصطلحاً وارداً في التراث البلاغي والعروضي العربي على وفق ما قدمنا، فضلاً عن أنّ كثيراً من المفسرين عبروا عن جملة التذييل بهذا المصطلح.

المبحث الأول:

أقسام الجمل التذييلية:

تأتي الجمل التذييلية بحسب إمكان استقلالها بإفادة المراد على قسمين أشرنا إليهما في تعريفها؛ الأول: الجملة المؤكدة لمضمون ما قبلها، وهي لم تستقل بإفادة المراد، بل تتوقف على ما قبلها. القسم الثاني: الجملة التذييلية الجارية مجرى الأمثال. ويقصد بالجملة الثانية هنا حكم كليّ منفصل عما قبله، جارٍ مجرى الأمثال

في الاستقلال وفشو الاستعمال^(٣٦). وبحسب الدلالة يُقسّم كلا القسمين إلى ما يؤكد منطوق الجملة الأولى، أو ما يؤكد مفهومها. والمراد بالمنطوق «ما دلّ عليه اللفظ في محلّ النطق»^(٣٧)، نحو قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠].

فقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ تذييل يفيد التعليل، ويؤكد منطوق ﴿وَلَا تَعْدُوا﴾ حيث تشترك الجملتان باللفظ نفسه. والمراد بالمفهوم «ما دلّ عليه اللفظ لا في محلّ النطق»^(٣٨) حيث تأتي الجملة الثانية تأكيداً للدلالة الأولى دون اشتراكها في اللفظ، نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْطًا عَائِنْتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٤]. فجملة ((إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ))

(٣٦) ينظر: مختصر المعاني: ١٧٧.
(٣٧) الإتيان في علوم القرآن: ٢ / ٨٤.
(٣٨) الإتيان في علوم القرآن: ٢ / ٨٥.

تؤكد دلالة قوله سبحانه: ﴿كَانَتْ تَعْمَلُ
الْفَجْبِثَ﴾، من دون اشتراك الجملتين
في اللفظ.

القسم الأول:

الجملة المؤكدة لمضمون ما قبلها

وهي التي يؤتى بها لتأكيد مضمون
ما قبلها وتحقيقه وتقديره، ولا تزيد على
المعنى الأول، لعدم استقلالها بذاتها
لإفادة المعنى المراد، وعدم استغنائها
عما قبلها^(٣٩). فهي مرتبهة بعلاقتها بما
قبلها.

وقد أكد البلاغيون على وظيفة
التأكيد، لما لها من صلة بفهم الخطاب،
ومعناه «التقرير، أي: جعل الشيء ثابتاً
في ذهن المخاطب»^(٤٠). وهو يقوم على
التعالق التركيبي والدلالي بين طرفين،
فكل تأكيد لابد أن يكون متعلقاً بكلام

(٣٩) ينظر: بديع القرآن: ١٥٥، والإيضاح في
علوم البلاغة: ١/ ١٩١، ومختصر المعاني:
١٧٨، والإتيان في علوم القرآن: ٢/ ١٩٩،
وأنوار الربيع: ٣/ ٣٩-٤١، والبليغ في
المعاني والبيان والبديع: ١٧٠-١٧١.

(٤٠) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون
والعلوم: ١/ ٦٢.

سابقٍ مؤسسٍ له، وهو بذلك يحقق
الترابط بين الجملة الأساسية والجملة
التذييلية^(٤١).

فمن الجمل التذييلية التي لا تستقل
بنفسها، بل تأتي مؤكدةً للمعنى السابق،
قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا
يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا
لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كُنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا
أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
[سورة هود: ١٢].

فقد جاءت جملة ((وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ وَكِيلٌ)) تذييلاً لقوله تعالى:

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾
وقد جرت مجرى الدليل والبرهان على
أنَّ الرسول ﷺ ليس وكيلاً على قبول
الإيمان من الناس، إنما ذلك إلى الله
تعالى، فإنه عالم بحالهم، وأنه فاعل بهم
جزاء أقوالهم وأفعالهم، فأمره أن يتوكل
عليه في جميع أموره، وأن يقوم بتبليغ
الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح
غير ملتفتٍ إلى استكبارهم، ولا مبالٍ

(٤١) ينظر: الإطناب في القرآن الكريم، أنماطه
ودلالاته - دراسة بلاغية: ٢٤١.



امثاله، ويحمل الناس على ذلك، وإن كرهوا^(٤٣). فناسبت كلمات الجملة التذييلية ما تقدّم من الأحكام التشريعية.

تركيب وأغراض هذا النوع من الجمل
تتماز الجمل التذييلية بالتنوع الأسلوبي في التركيب الجملي، فقد تكون الجملة التذييلية جملةً اسميةً تفيد الثبات والإطلاق، وقد تكون فعليةً تدلّ على التجدد والاستمرار، وقد ترد بأسلوب التوكيد أو النفي أو القصر أو الاستفهام أو التعجب أو التعريض، ويصاحبها في كل ذلك أدوات ربط تسهم في إبراز دلالاتها ومدى ارتباطها بالكلام المذيل، كالنواسخ وحروف العطف والجزم والاستفهام والنفي وغيرها.

والجمل التذييلية من أكثر الجمل تكثيفاً واستيعاباً للمعاني، وقبولاً للظواهر اللغوية والأسلوبية المختلفة، كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والتكرار، والإيجاز والإطناب، والإظهار والإضمار وغيرها،

(٤٣) التحرير والتنوير: ٢ / ٣٨٣.

بسفهم واستهزائهم^(٤٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْبِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...** ﴾ - إلى قوله - **وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨].

فجملة ((والله عزيز حكيم)) «تذييل وإقناع للمخاطبين؛ وذلك أن الله تعالى لما شرع حقوق النساء، كان هذا التشريع مظنةً المتلقّي بفراط التحرّج من الرجال، الذين ما اعتادوا أن يسمعوا أن للنساء معهم حظوظاً، غير حظوظ الرضا والفضل والسخاء، فأصبحت لهنّ حقوق يأخذنها من الرجال كرهاً- إن أبوا - فكان الرجال بحيث يرون في هذا ثلماً لعزتهم... فبين الله تعالى أن الله عزيز، أي قوي لا يعجزه أحد، ولا يتقي أحداً، وأنه حكيم يعلم صلاح الناس، وأن عزته تؤيد حكمته، فينفذ ما اقتضته الحكمة بالتشريع، والأمر الواجب

(٤٢) ينظر: تفسير النسفي: ٢ / ١٤٨، وتفسير

أبي السعود: ٤ / ١٩١، وتفسير البيضاوي:

٣ / ٢٢٤.



وما يكتنف ذلك من جماليات في النظم والمناسبة والسياق والفاصلة.

أما من حيث أغراضها فقد تقدّم أنّ الغرض الأساس للجملة التذييلية، هو تأكيد مضمون ما قبلها وبيان فحواه، وتلك هي الدلالة الكبرى لها، بيد أنّها تتصرف إلى أغراض ودلالات عديدة بحسب السياق الذي ترد فيه، فتتنوع أغراضها ودلالاتها بحسب المخاطب، فخطاب الكافرين يتميز بالتهديد والوعد والوعيد، وخطاب المنافقين ببيان قدرة الله عليهم وعلمه بهم، أما خطاب المؤمنين فجاء تارة بالترغيب والتشويق والمدح، وأخرى بالتشديد والتحذير، أو الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق.

وفيما يأتي أهم تلك الدلالات التي جاءت متناسبة مع مضمون الآيات السابقة للجملة التذييلية:

ذكر أسماء الله الحسنى: تفتن أسماء الله الحسنى في الجملة التذييلية بذكر ظواهر إعجازه في خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان وبعثه، وإحياء

الأرض بعد موتها، وغير ذلك من مظاهر علمه وقدرته، نحو قوله سبحانه:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة المائدة: ١٧].

مخاطبة حواس الإنسان: قد تستنطق الجملة التذييلية جوارح الإنسان وحواسه، ولاسيما السمع والبصر والفؤاد، في الآيات التي تدعو الإنسان إلى التأمل وإعمال العقل في خلق الكون والإنسان، نحو قوله سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (٢٠) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٢٠-٢١]. وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٠].

دعوة المؤمنين إلى التحلي بمكارم الأخلاق: الهادية إلى التخلُّق بكل خلقٍ نبيل، وأدبٍ كامل، كالعدل والتقوى والصبر والرضا بالقضاء والوفاء بالعهد والنهي عن الكبر والإسراف والبخل والظلم وغيرها، نحو قوله تعالى:

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْزَاقُهُمْ مِثْلَ



كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]. قال ابن عاشور: «جملة ((وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)) تذييل، ليس من كلام الراسخين، مسوق مساق الثناء عليهم في اهتدائهم إلى صحيح الفهم والألباب: العقول» (٤٥).

ومنه أيضاً قوله سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩]. وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الرعد: ١٩]. وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة طه: ١٢٨].

تعظيم الحكم: تشمل معظم آيات الأحكام على جمل تذييلية توحى بعظم

مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الممتحنة: ١١]. فالجملة التذييلية ((وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)) تدعو المؤمنين إلى التقوى والى «الوفاء بما أمرهم الله، وأن لا يصددهم عن الوفاء ببعضه، معاملةً المشركين لهم بالجور وقلة النصفة، فأمر بأن يؤدي المسلمون لإخوانهم مهور النساء اللاتي فارقوهن، ولم يرض المشركون بإعطائهم مهورهن، ولذلك اتبع اسم الجلالة بوصف ((الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ))؛ لأن الإيثار يبعث على التقوى، والمشركون لما لم يؤمنوا بما أمر الله انتفى منهم وازع الإنصاف، أي فلا تكونوا مثلهم. والجملة الاسمية في الصلة للدلالة على ثبات إيمانهم» (٤٤).

المدح والثناء: خص الله سبحانه ذوي الألباب بالمدح والثناء، وهم أهل العقول السليمة والأفهام المستقيمة، وأهل التفكير والاعتبار، وأهل التدبر والاتعاظ، الذين ينظرون بعقولهم نظر اعتبار لا بأبصارهم، بما في أحكام الله من الحكم، والمصالح الدالة على



الحكم الشرعي، سواء أكان الحكم الشرعي أمراً أم نهياً، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِمَّنِ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ٢٢]. «فالنهي عن نكاح امرأة الأب ذيل بجملتين ((إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا)) فيها مبالغة في ذم هذا الفعل، وهذا التأكيد دائماً يقع بعد الأوامر والنواهي» (٤٦).

ومنه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٩]. قال الألوسي: «((وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ)) أي الهالكين، والآية تذييل لقوله: ((الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ)).. الخ، تعظيماً لشأن ما أحله الله تعالى وما حرّمه، وتغليظاً على من خالف ذلك» (٤٧).

التعليل: تأتي الجملة التذييلية

معللة ما سبق من الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [سورة مريم: ٦١] فالجملة التذييلية ((إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا)) تعليل لجملة ((الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ))، أي يدخلون الجنة وعداً من الله واقعاً، وهذا تحقيق للبشارة (٤٨).

وقال سبحانه: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة المائدة: ١١٤]. فقوله: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ «تذييل جار مجرى التعليل، أي خير من يرزق؛ لأنه خالق الأرزاق ومعطيها بلا عوض» (٤٩).

التوجيه والنصح والإرشاد: نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة التغابن: ١٧]. قوله:

(٤٨) التحرير والتنوير: ١٦ / ٦١.

(٤٩) تفسير أبي السعود: ٣ / ٩٨، وينظر: روح

المعاني: ٧ / ٦٢.

(٤٦) المعاني في ضوء أساليب القرآن: ١٣.

(٤٧) روح المعاني: ٦ : ٦٧.



التنبيه والتحذير: نحو قوله تعالى:
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة
الأعراف: ١٠]. قوله: ﴿قَلِيلًا مَا
تَشْكُرُونَ﴾. «أي تلك النعمة، تذليل
مسوق لبيان سوء حال المخاطبين
وتحذيرهم»^(٥٢).

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَمِمَّا تَقْتُلُونَ وَإِنَّمَا لَكُمْ
سَمْعَنَا وَأَطْعَمَنَا وَأَنْتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الْصُّدُورِ﴾ [سورة المائدة: ٧]. فقوله:
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ جملة
تذيلية «للتحذير من إضرار المعاصي،
ومن توهم أن الله لا يعلم إلا ما يبدو
منهم»^(٥٣).

استنكار إعراض الإنسان عن
الحقّ وجحوده: وغالباً ما يكون ذلك
في سياق إنكار فعل غير مناسب في
العقل، وتأتي الجملة التذيلية بأسلوب
لاذع، لا يخلو من الإنكار أو التوبيخ أو
الردع، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾. «شكر الله لعبده
هو مجازاته له بالأجر الجزيل على العمل
القليل. وقوله: ﴿حَلِيمٌ﴾ أي لا يعجل
بالعقوبة، بل يستر ويتجاوز عن الذنوب.
ومجئ هذا التذليل هنا يشعر بالتوجيه في
بعض نواحي إصلاح الأسرة، وهو
أن يقبل كل من الزوجين عمل الآخر
بشكر، ويقابل كل إساءة بحلم، ليتم
معنى حسن العشرة، ولأنّ الإنفاق
يستحقّ المقابلة بالشكر، والعداوة تقابل
بالحلم»^(٥٠).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ
حَتَّى يُؤْمِنَ^٤ وَلَا أَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ
وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ
حَتَّى يُؤْمِنُوا - إلى قوله - وَيَبَيِّنْ أَيْتَهُ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة البقرة:
٢٢١]. قوله: ﴿وَيَبَيِّنْ أَيْتَهُ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، أي «لكي يتعظوا،
أو يستحضروا معلوماتهم، بناءً على أن
معرفة الله تعالى مركوزة في العقول،
والجملة تذليل للنصح والإرشاد»^(٥١).



(٥٢) تفسير أبي السعود: ٣ / ٢١٤.

(٥٣) التحرير والتنوير: ٥ / ٥٥.

(٥٠) أضواء البيان: ٨ / ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٥١) روح المعاني: ٢ / ١٢٠.

أَلْحَبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ أَلْمَيَّتِ وَيُخْرِجُ
أَلْمَيَّتِ مِنَ الْحَى ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١﴾
[سورة الأنعام: ٩٥]. وقوله: ﴿٢﴾ فَذَلِكُمْ
اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالَةُ
فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣﴾ [سورة يونس: ٣٢].
وقوله: ﴿٤﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾ [سورة الواقعة: ٧٠].
وقوله: ﴿٦﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ
الَّذِينَ وَاصِبًا أَفْعَبْنَا اللَّهُ نَنْقُونَ ﴿٧﴾ [سورة
النحل: ٥٢].

الترغيب والترهيب: جاءت بعض
الجمال التذيلية تدعو إلى الترغيب،
وأخرى تدعو إلى الترهيب، وهو
أسلوب بارز في القرآن، لأنه من أنجع
الأساليب في الدعوة؛ لاعتماده على
عنصري الثواب والعقاب، اللذين
يشكلان حافزاً قوياً للإقبال على كل ما
هو نافع، والابتعاد عن كل ما هو ضار.
ومن أمثلة الترغيب قوله سبحانه:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩]. فلما

كان الحديث عن طاعة الله والرسول
وبيان مكانة المطيعين العظيمة مع النبيين
والصديقين والشهداء، جاءت الجملة
التذيلية لترغيب وتشويق المسلمين
بهذه المكانة، قال ابن عاشور: «والجملة
تذليل مقرر لما قبله مؤكداً للترغيب
والتشويق»^(٥٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ
دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ
خَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٢٥]. قوله
تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٥٥).
«تذليل جيء به للترغيب في إتباع
مِلته ﷺ، والإيذان بأنه نهاية في الحسن،
وإظهار اسمه ﷺ تفخيماً له وتنصيماً
على أنه الممدوح»^(٥٥).

وقد يأتي كلا الترغيب والترهيب في
آية واحدة، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ
سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة
الأنعام: ١٦٥]. وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ
رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ

(٥٤) التحرير والتنوير: ٢ / ١٩٩.

(٥٥) روح المعاني: ٥ / ١٥٤.





لَشَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿ [سورة الرعد: ٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَقَاتُ يَرَبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ - إلى قوله - وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨]. قوله: ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾. أي «غالب لا يعجزه الانتقام ممن خالف الأحكام ((حَكِيمٌ))» عالم بعواقب الأمور والمصالح التي شرَّع ما شرَّع لها، والجملة تذييل للترهيب والترغيب»^(٥٦).

الوعد والوعيد: قد يكون الترغيب والترهيب بطريق الوعد والوعيد والتهديد، نحو قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة النور: ٢١]. وقوله:

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ جملة تذييلية «بين الوعد والوعيد، أي سميع لمن يشيع الفاحشة، عليم بما في نفسه من محبة

(٥٦) روح المعاني: ٢ / ١٣٥.

إشاعتها، وسميع لمن ينكر على ذلك، عليم لما في نفسه من كراهة ذلك، فيجازي كلاً على عمله»^(٥٧).

ومنه قوله تعالى: ﴿ الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ - إلى قوله - وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَنْعَدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٩]. قوله: ﴿ وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾. «تذليل للمبالغة في التهديد»^(٥٨).

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَائِنَهُ فَنَعَزِفُوهَا وَمَا يُبْكُ بِغَضَلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النمل: ٩٣]. قوله: ﴿ وَمَا يُرِيكَ بِغَضَلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ «كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذليل، مقرر لما قبله، متضمن للوعد والوعيد، كما ينبى عنه إضافة الرب إلى ضمير النبي ﷺ»^(٥٩).

القسم الثاني:

الجملة التذييلية الجارية مجرى الأمثال وهي جملة مستقلة، مكنتية بذاتها بإفادة المعنى المراد، يخرجها المتكلم مخرج

(٥٧) التحرير والتنوير: ١٨ / ١٥١.
(٥٨) روح المعاني: ٢ / ١٤٠.
(٥٩) تفسير أبي السعود: ٦ / ٣٠٧.

المثل السائر ليحقق بها ما قبلها^(٦٠).

الإطناب العام^(٦٣).

والأمثال «عبارة موجزة يتداولها الناس تتضمن فكرةً حكيمةً في مجال الحياة البشرية وتقلباتها»^(٦١). وأمثال القرآن ليست أمثالاً ظاهرة تشتمل على حدث أو قصة مقارنة للمثل، بل هي «جارية مجرى الأمثال، وقد تداولها الناس استئناساً ببلاغتها، واحتياجاً لمضربها، حتى عادت سائرة بتتابع الاستشهاد في ضوء ما تعارفوا عليه من أمثال الخاصة والعام»^(٦٢).

فالمثل إذن صورةٌ من صور الجمل التذيلية التي ترسل إرسالاً في النثر والشعر، لما له من أثر في نفس المخاطب، وفي تقرير المعنى بما لا مزيد عليه، ومن أمثلة الجملة التذيلية الجارية مجرى الأمثال في الشعر، قول النابغة الذبياني:

ولست بمستقبٍ أحياناً لا تلمّه

على شعثٍ أيّ الرجال المهذب^(٦٤)

فقوله: أيّ الرجال المهذب؟. خرج

مخرج المثل، إذ دلّ مفهوم البيت على نفي الكامل من الرجال، فحقق ذلك وقرره بقوله: أيّ الرجال المهذب؟! وهو استفهام بمعنى الإنكار، أي ليس في الرجال مهذب الفعال، مرضي الخصال.

والأمثال في القرآن الكريم تعدّ أسلوباً من أساليب تعبيره، ومظهراً من مظاهر إعجازه البياني «وأكثر ما ورد التذيل في القرآن مثلاً، وجرى بمعانيه وألفاظه قريباً من ألسنة العرب في

وهي تمثل نوعاً من أنواع التذيل بوصفها بنية تركيبية خاصة تؤلف صورة فنية تمثيلية حية نابضة ومؤثرة في سياق النص العام، وتؤدي وظيفة تفاعلية في الجمل بين المتقدم والمتأخر، مما يتمخض عنه تعدد دلالي يدخل تحت مفهوم

(٦٠) ينظر: بديع القرآن: ١٥٥، والإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ١٩١، ومختصر المعاني: ١٧٨، والإتقان في علوم القرآن: ٢ / ١٩٩، وأنوار الربيع: ٣ / ٣٩-٤١، والبليغ في المعاني والبيان والبديع: ١٧٠-١٧١.

(٦١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٣٣٢.

(٦٢) الصورة الفنية في المثل القرآني: ١١.

(٦٣) ينظر: الإطناب في القرآن الكريم، أنماطه ودلالاته - دراسة بلاغية: ٢٤٤.

(٦٤) الديوان: ٧٨.



الخ، معطوفة عليه، فهي تذييل له باعتبار أن المقترحين الشاكين من جملة الضالين الطريق المستقيم المتبدلين» (٦٧).

أغراض الأمثال القرآنية:

إن الآيات القرآنية الجارية مجرى الأمثال، هي عبارات وتراكيب تأتي غالباً لغايات تهذيوية نفسية، أو وعظية إرشادية، وتحمل سمات تقترب من مفهوم المثل، وإنما يضرب المثل لأجل البيان والتوضيح، وتقريب المعنى إلى ذهن السامع.

والتذييل بهذا النوع من الجمل لا يخرج من حيث أغراضه ودلالاته عن القسم الأول، ومن أهم الأغراض التي ذكرها الزركشي «التذكير والوعظ والزجر والاعتبار والتقدير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبه للفعل كنسبة المحسوس إلى الحسن.

وتأتي أمثال القرآن مشتملةً على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم

(٦٧) روح المعاني: ١/ ٣٥٦.

جاهليتهم وإسلامهم» (٦٥).

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء: ٨١]. فالجملة الأخيرة ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ جرت مجرى المثل السائر، قال ابن عاشور: «جملة ((إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)) تذييل للجملة التي قبله لما فيه من عموم يشمل كل باطل في كل زمان. وإذا كان هذا شأن الباطل كان الثبات والانتصار شأن الحق؛ لأنه ضد الباطل» (٦٦).

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٨]. قوله: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٨]. «جملة مستقلة

مشملة على حكم كلي، أخرجت مخرج المثل، جيء بها لتأكيد النهي عن الاقتراح المفهوم من قوله: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾

(٦٥) الحجاج في القرآن الكريم: ١/ ٤١٥.

(٦٦) التحرير والتنوير: ٨/ ٣٦٥.



الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمرٍ وإبطال أمرٍ» (٦٨).

فالأمثال تعين على فهم القرآن وتصور قضاياه، بإخراج المبهم إلى الواضح، والمضمر إلى المظهر، والمجرد إلى المحسوس، وهي أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ، وأقوم في الإقناع، وأعون على تجلية المعنى المراد من غيرها.

المبحث الثاني:

الجملة التذييلية والسياق القرآني

جاء في دائرة المعارف البريطانية أنّ خواتيم الآيات قد سبقت بطريقة اعتباطية، وأنّ القرآن يعطي القارئ انطباعاً بأنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية بدليل ختمه بعض الآيات بأنّ الله عليم، وأخرى بأنّ الله حكيم، وثالثة بأنّ الله يعلم ما لا تعلمون، وورد فيها أنّ هذه الخواتيم لا علاقة لها بما قبلها، وإنما وضعت لتتميم السجع (٦٩).

بيد أنّ المتأمل في الجمل التذييلية يرى

أنها متناسبة دلاليّاً مع السياق الذي ترد فيه، ومع المعنى العام للآية، فالآية دائماً تحتّم بما يتلاءم مع مضمونها، ويتناسب مع صدرها، بحيث لو غيرت أو أبدل بها غيرها، لأبأها الذوق السليم، وهذا مظهر من مظاهر تلاحم النص القرآني وتماسكه، وكونه نصّاً واحداً نزل من لدن عظيم حكيم واحد.

ولشدة هذا التناسب، فقد كان يدركه حتى من لم يقرأ القرآن من متذوّقي اللغة، إذ ورد عن الأصمعي، في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٨]، أنه قال: قرأت هذه الآية، وإلى جنبي أعرابي، فقلت: والله غفور رحيم، سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد؛ فأعدت: والله غفور رحيم. فقال: ليس هذا

كلام الله، فتنبهت، فقلت: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أنّي أخطأت؟ فقال: يا

(٦٨) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٤٨٧.

(٦٩) ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية:



تناسب الجملة التذييلية مع

السياق دلاليًا:

إن لموقع الجملة التذييلية في السياق بالغ الأثر في تحديد الدلالة من خلال ارتباطها بالمعنى الكلي المتقدم، وما يترتب عليه، حيث إنها تمثل خاتمة ونهاية أكثر رسوخاً ومكوئناً في الذهن.

ومن أعظم ما يتصل بالسياق من علوم القرآن والتفسير هو علم المناسبة، الذي يختص بربط كلام الله تعالى بعضه ببعض، ويعين على فهم الآية، ويظهر اتصال السياق بين الآيات، ويكشف عن إعجاز القرآن البياني. وعرف البقاعي علم المناسبة القرآني بأنه: «علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال»^(٧٢).

من هنا عني علماء التفسير ببيان المناسبة بين الجمل، وبين الآيات، وبين السور، واجتهدوا في استنباط وجوه الارتباط بينها، منهم كالزخشي (ت

(٧٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:

٦ / ١

هذا، عزّ فحكّم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع^(٧٠).

وحكي أنّ أعرابياً سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَكَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٩]، فقروا: فاعلموا أن الله غفور رحيم، ولم يكن الأعرابي يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله، فلا يقول كذا. ومزّ بهما رجل، فقال: كيف تقرأ هذه الآية؟.

فقال الرجل: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: هكذا ينبغي؛ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه^(٧١).

فكان مفهوم الجمل المتقدمة في الموردين يوحى بمفهوم الجملة التذييلية بحيث لا يمكن العدول عن تركيبها إلى تركيب آخر، لما بينهما من عرى لا تنفصم، فالسابق يمهد لللاحق، واللاحق يؤكد السابق.

(٧٠) زاد المسير: ٢ / ٢٧٤.

(٧١) تفسير النسفي ١: ١ / ١٠٠، تفسير الرازي:

٥ / ٢٣١، البحر المحيط: ٢ / ١٣٢،

الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٢٧١.



٥٣٨هـ) في (الكشاف)، والفخر الرازي (ت٦٠٦ هـ) في (مفاتيح الغيب)، والزملكاني (ت٦٥١ هـ) في (البرهان في إعجاز القرآن)، والزرکشي (ت٧٩٤ هـ) في (البرهان في علوم القرآن)، والغرناطي (ت٨٠٧ هـ) في (البرهان في ترتيب سور القرآن)، و (ملاك التأويل)، والبقاعي (ت ٨٨٥ هـ) في (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)، والسيوطي (ت ٩١١ هـ)، في (الإتقان) و(أسرار ترتيب القرآن) و (أسرار التنزيل) و(تناسق الدرر في تناسب السور)، وأبو السعود (ت٩٥١ هـ) في (إرشاد العقل السليم)، والآلوسي (ت١٢٧٠ هـ) في (روح المعاني)، والطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣ هـ) في (التحرير والتنوير)، والغماري (ت١٤١٣ هـ) في (جواهر البيان في تناسب سور القرآن).

ومن الدراسات الحديثة كتاب (أسماء الله الحسنى في خواتم آيات سورة الفاتحة والبقرة)، للدكتور علي بن سليمان العبيد، و(التناسب البياني في القرآن- دراسة في النظم المعنوي والصوتي)

للدكتور أحمد أبو زيد، وغيرها كثير.

أقسام التناسب:

ويمكن تقسيم تناسب الجمل التذيلية مع ما يتقدمها، من حيث ظهور الدلالة أو عدمه، على قسمين:

الأول: التناسب الظاهر:

قد يكون الأثر السياقي ظاهراً والتناسب ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى كثير عناء، ولا سيما إذا كانت الجملة التذيلية تؤكد منطوق الجملة الأولى، أي تشمل على لفظة، وقد تقدمت تلك اللفظة بعينها في أول الآية، ويسمى تصديراً، أو ردّ العجز على الصدر^(٧٣). نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران: ٨].

وقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٧].

(٧٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ٧٩ و٩٤، الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٢٧١.



واحد، وهو قوله: ﴿وَلِإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ أما الجملتان التذييلتان فمختلفتان من ناحية الألفاظ، بيد أن الخاتمة في كل منهما منسجمة في الإيقاع مع فواصل الآيات التي وردت في السياق، فضلاً عن الانسجام الدلالي لكل منهما مع السياق العام للآيات التي وردت ضمنها.

ففي السياق الأول كان الوصف للمنعّم عليه، وهو الإنسان وما جبل عليه من نكران الجميل وكفران النعم، فناسب أن يقول عقب أوصافه بأنه ظلوم كفار. وكأن الله يقول له: أنا المعطي، وأنت الآخذ المستفيد، فحصل لك -أيها الإنسان - عند الآخذ وصفان: كونك ظلوماً، وكونك كفاراً.

أما السياق الثاني فكان الوصف للمنعّم، وهو الله تبارك وتعالى، وإثبات إلهيته وتحقيق صفاته، وذكر نعمه الكثيرة التي أسبغها على الإنسان، فناسب ذكر وصفه بأنه غفور رحيم في ختامها، وكأنه الله سبحانه يقول: لي عند إعطاء تلك النعم صفتان: وهما إني غفور

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٤].

الثاني: التناسب الخفي:

قد يحتاج الوصول إلى المناسبة في سياقات آخر إلى مزيد من التأمل والفكر، وذلك في موارد أهمها:

المورد الأول: اختلاف الجملتين التذييليتين، واللفظ السابق لهما واحد:

من الظواهر الأسلوبية اللافتة للنظر في تناسب الجملة التذييلية مع سياقها القرآني، أن ترد آيتان متحدتان لفظاً في سياقين مختلفين، غير أنهما تُدَيَّلان بجملتين مختلفتين، ومن ذلك قوله

تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَلِإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّكَ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم:

٣٤]. وقوله في سورة النحل: ﴿وَلِإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّكَ اللَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النحل: ١٨].

فاللفظ السابق للجملتين التذييليتين



رحيم، أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي (٧٤).

ونظيره قوله تعالى في سورة الجاثية:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة

الجاثية: ١٥]. وقوله في سورة فصلت:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [سورة

فصلت: ٤٦]. «ونكتة ذلك أن قبل

الآية الأولى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا

لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا

كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة الجاثية: ١٤]

فناسب الختام بفاصلة البعث؛ لأن قبله

وصفهم بإنكاره. وأما الثانية فالختم فيها

مناسب؛ لأنه لا يضيع عملاً صالحاً، ولا

يزيد على من عمل سيئاً» (٧٥).

ونظيره قوله تعالى في سورة النساء:

(٧٤) ينظر: ملاك التأويل: ٢ / ٧١٨، والبرهان

في علوم القرآن: ١ / ٨٦، والإتقان في علوم

القرآن: ٢ / ٢٧٤، ومن بلاغة القرآن: ٨٤،

ووجوه من الإعجاز القرآني: ٣٦، والتعبير

القرآني: ١٩٧، والتعبير الفني في القرآن:

٢٠٥.

(٧٥) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٨٧، والإتقان

في علوم القرآن: ٢ / ٢٧٤.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ

إِنَّمَا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٤٨].

وقوله تعالى فيها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ

يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

[سورة النساء: ١١٦].

فالآيتان في السورة المباركة

متطابقتان في اللفظ، إلا أنها ختمتا

بجملتين مختلفتين؛ والسبب في

الاختلاف يرجع إلى اختلاف المخاطب

أي اختلاف سياق المقام الذي يعد

المتلقي أحد مكوناته، فقد ذكر تعالى قبل

الآية الأولى اليهود وتحريفهم وخذاعهم

ونفاقهم، وافتراءهم الكذب على الله،

وبين أنهم يشتركون الضلالة بالهدى،

ويرغبون في إضلال المسلمين، فقال

سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ

الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا

السَّبِيلَ ﴾ [سورة النساء: ٤٤]. ثم قال

سبحانه: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ

عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا

وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ - إلى



يشاقون الرسول ﷺ، ومن يشاقق رسول الله ﷺ فهو في ضلال بعيد، ومن يسلك طريقاً غير طريق المؤمنين فإنه يضل عن السواء، ويدخل جهنم فيكون في ضلال بعيد، فسياق الآيات، وما تضمنه من ابتعاد المنافقين عن جادة الحق، يتناسب مع ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿ **وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا** ﴾ (٧٦).

المورد الثاني: اتفاق الجملتين التذييليتين، واللفظ السابق لهما مختلف:

قد ترد الجملتان التذييليتان بلفظ واحد في سياقين مختلفين، وفي الموردين يتناسب معنى الجملة التذييلية مع سياقها الذي ترد فيه، وهو في غاية الدقة والجمال في التعبير القرآني، كقوله تعالى في سورة النور: ﴿ **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَنزِلْنَكُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ آيَاتٍ وَالَّذِينَ لَا يُبَلِّغُوا إِلَيْكُمْ رَسُولَنَا نَقِلْنَاهُم بِغَمٍّ خِيفَتُهُمْ يُؤْذِنُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا نُصَلِّبُهُمْ صِلَابًا مِنْ أَشْجَارٍ نَارٍ يُوقَدُ مِنْهَا سَائِرٌ كَغَيْظِ اللَّهِ** ﴾ [سورة النور: ٢٤].

(٧٦) ينظر: ملاك التأويل: ١ / ٣٤٧، والبرهان في علوم القرآن: ١ / ٨٧، والإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٢٧٤، وسورة النساء دراسة لغوية تحليلية: ٤٠ - ٤٢.

قوله - **فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [سورة النساء: ٤٦].

ثم دعتهم الآيات إلى الإيمان بالله وحده وعدم الإشراك به، فإن عذابه آت لا محالة لمن أشرك به وافترى عليه، فقال: ﴿ **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْغَسَ وُجُوهَهَا فَنَرُدَّهَا عَلَيْهِ آذَانَهَا أَوْ نَطَعْنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ** ﴾ [سورة النساء: ٤٧]. فناسبت ما تقدم من أوصاف الشرك بالله والافتراء عليه أن تكون جملة التذييل: ((**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا**)).

أما الآية الثانية التي ذلت بقوله سبحانه: ﴿ **وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا** ﴾. فقد تقدمها ذكر المنافقين في زمان الرسول ﷺ، وما صدر منهم من إتباع الهوى والانحراف عن السراط السوي، قال عز وجل: ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ أَجْهَنَّهُمْ وَسَاءَ مَا مَصِيرًا** ﴾ [سورة النساء: ١١٥]. فالآية تتحدث عن الذين



مِنْكُمْ الْحُلْمُ فَلَيْسَتْ تَدْرُونَ كَمَا اسْتَدْنَدَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ [سورة النور: ٥٨ - ٥٩].

الحق الباطل. وختم الآية الثانية بقوله: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾؛ لأنها وردت في سياق الإيذان، ونقيض الإيذان الكفر^(٧٨).

فقد جاءت الجملتان التذييليتان بلفظ واحد ((وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) في سياقين مختلفين، ويراد في الآية الأولى «عليم بمصالح عباده، حكيم في بيان مراده، وقال في الثانية عليم بمصالح الأنام، حكيم ببيان الأحكام»^(٧٧).

ونحو قوله تعالى في سورة القصص: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [سورة القصص: ٧١]. وقوله سبحانه في الآية التي تليها: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة القصص: ٧٢].

المورد الثالث: اختلاف الجملتين التذييليتين، واللفظ السابق لهما مختلف: ومن ذلك قوله تعالى في سورة

غافر: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَخِضْ بِالْحَقِّ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة غافر: ٧٨]. وقوله سبحانه: ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة غافر: ٨٥]. فختم الآية الأولى بقوله: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾؛ لأنها وردت في سياق الحق، ونقيض

فقد ذيل الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؛ لأنه جعل الليل وكأنه لا موجود سواه، فاقتضى السياق أن يقول: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ للمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع، ولا يصلح للإبصار. وذيل الآية التي تليها بقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؛ لأنه جعل وجود النهار سرمداً، فاقتضى السياق أن يقول:

(٧٧) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٨٩، الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٢٧٥.

(٧٨) التعبير القرآني: ٢٠١.





الجملة التذييلية في القرآن الكريم.....

• **الصَّبَاغ**

﴿ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴾ إذ النهار مضيء صالح للإبصار، وهذا من دقيق المناسبة المعنوية (٧٩).

مرئية، لقوله في صدرها ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا ﴾؛ ولأن سوق الماء إلى الأرض الجزر وإخراج الزرع والأكل منه كلها أمور مرئية، فناسب أن يقول في ذيلها ﴿ أَفَلَا يَبْصُرُونَ ﴾ (٨٠).

ومنه قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ أَقْبَرُونَ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ (٦١) ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة السجدة: ٢٦ - ٢٧].

ومنه قوله تعالى في سورة الحج: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٦٣) ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ الْحَكِيمُ ﴾ (٦٤) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الحج: ٦٣ - ٦٥].

فقد جاءت الجملة التذييلية في الآية الأولى: ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾؛ لأن الموعظة فيها سمعية، لقوله في أولها: ﴿ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾، ولم يقل: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا ﴾، كما في الآية الثانية؛ ولأنه تقدم ذكر الكتاب قبلها في قوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ [سورة السجدة: ٢٣]. وهو مسموع، وورد فيها أخبار القرون وهي مسموعة أيضاً. فناسب أن تكون الجملة التذييلية ((أَفَلَا يَسْمَعُونَ)).

فقد ذيل الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾؛ لأنه ورد في السياق ذكر موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وإخراج النبات من الأرض، ولأنه تعالى خير بنفعهم.

أما الآية التالية لها فان موعظتها
(٧٩) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ٨٢،
روح المعاني: ٢٠ / ١٠٧.

(٨٠) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ٨٠،
روح المعاني: ٢١ / ١٤٠، والبحر المحيط:
٧ / ٢٠٠.

وذيل الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾؛ لقوله قبلها: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا حاجة إليهما، بل هو غنيّ عنهما، جوادٌ بهما؛ لأنه ليس غنيّ نافعاً غناه إلا إذا جاد به، وإذا جاد وأنعم استحقّ عليه الحمد.

وذيل الآية الثالثة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾؛ لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم، وإجراء الفلك في البحر لهم، وتسييرهم، وما في ذلك من الهول العظيم، وجعله السماء فوقهم وإمساكه إياها عن الوقوع، حسن ختامه بالرفقة والرحمة^(٨١).

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١-١٣].

(٨١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ٨١.

فقد ذيل الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. وذيل الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ولم يكن التذييل اعتباطياً في الموردين «وإنما جاء لملائمة معنى الآية التي ختمها، فلما كانت الآية الأولى تتحدث عن الفساد في الأرض بأعمال يُشعر بها، وتلك قضية تتعلق بالحواس الظاهرة، ختمت بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٤]؛ لأن الرؤية إحدى الحواس، وقوله تعالى: ﴿وَأَنبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الزمر: ٥٥]؛ لأن العذاب مما يُشعر به ويُحسّ.

ولكن لما كانت الآية الثانية تتعلق بالسفه - وهو الجهل - وهو أمرٌ يتعلق بالتفكير والعقل، ناسب أن تُختم بنفي العلم^(٨٢).

المورد الرابع: ما ظاهره مخالفة

(٨٢) لغة القرآن - دراسة توثيقية فنية: ١٧٨.



فحين جاءت الفاصلة بالعزة للإشارة إلى أن القادر على العقاب عزيز دائماً، وهو قادر على المغفرة، كما هو قادر على العقاب، ولم يكن كافياً أن يقتصر على وصف العزة؛ لأنه ليس كل قادر عادلاً أو حكيماً، فقرنت العزة بالحكمة. والمعنى إن تغفر لهم - وهم مستحقون للعذاب - فلا اعتراض عليك من أحد في ذلك، والحكمة متحققة فيما فعلته» (٨٤).

ومنه قوله في سورة البقرة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٩].
وقوله في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ تَحْفَوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُنْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: ٢٩].
فإن المتبادر إلى الذهن في آية البقرة التذييل بالقدرة، وفي آية آل عمران التذييل بالعلم.

(٨٤) لغة القران - دراسة توثيقية فنية: ١٨١ -

١٨٢. وينظر: الإتيان في علوم القرآن: ٢ /

الجملة التذييلية للسياق:
قد يخفى وجه الحكمة على بعضهم، فيتبادر إليه أن السياق يقتضي جملة تذييلية غير المذكورة، نحو قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنْ تُعَذِّبِهِمْ فَأِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة: ١١٨].

فقد يقال: لماذا لم تذييل الآية بقوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ لأن المقام مقام صفح وغفران لقوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؟. وقد نقلت عن مصحف أبي (فانك أنت الغفور الرحيم) وبها قرأ ابن شبنوذ (٨٣).

وإنما ذيل الآية بقوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لحكمة تظهر بالتأمل «فإذا أمعن الإنسان النظر، وجد أن الذي استحق العذاب لا يستطيع أن يغفر له إلا من ليس فوقه أحد يردّ عليه حكمه، وكانت سلطته أعلى السلطات، وقوته أعظم القوى، وعزته فوق كل عزة، ومن كان كذلك يجب أن يكون متصفاً بالحكمة التي تضع الشيء محله،

(٨٣) الإتيان في علوم القرآن: ٢ / ٢٧٥.



والجواب «أن آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض وما فيها، على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم، وخلق السماوات خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت، والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالماً بما فعله كلياً وجزئياً، مجملاً ومفصلاً، مناسب ختمها بصفة العلم، وآية آل عمران لما كانت في سياق الوعيد على موالة الكفار، وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب، مناسب ختمها بصفة القدرة»^(٨٥).

انتهى البحث بحمد الله ومنه.

نتائج البحث

١. التذييل عن البلاغين إنما يكون بجملة تامة، تحتفظ بعلاقات الإسناد والتركيب والإفادة، وهي جملة موجزة يذيل بها الكلام ليتحقق بها ما قبلها، وتتضمن معناه توكيداً وتقريراً. أي إنها تؤدي وظيفةً إيضاحيةً بيانيةً، أو توكيديةً تحقيقيةً.

٢. قد يتبادر إلى الذهن أن الجملة

(٨٥) الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٢٧٦.

التذييلية يتوجب أن تقع في آخر الآي، بيد أنها قد تقع في وسطها، أو في ختامها، أو تكون آيةً برأسها، تأتي بعد تمام المعنى، على سبيل التأكيد أو التقرير والتحقيق.

٣. هناك اصطلاحات بديلة عن الجملة التذييلية، منها: المذيلة، والذيلية، والخاتمة، والفاصلة، ويمكن أن نطلق مصطلح الجملة المذيلة، أو الذيلية، أو الخاتمة في أحد معنيها المتقدمين، على الجمل التي تكون في أواخر الآي مقررمة لمضمون ما قبلها، أو جارية مجرى الأمثال. لكن يبدو أن إطلاق مصطلح الجملة التذييلية، أكثر تخصيصاً وأقرب إلى المفهوم المراد، لكون التذييل مصطلحاً وارداً في التراث البلاغي والعروضي العربي على وفق ما قدمنا، فضلاً عن أن كثيراً من المفسرين عبروا عن جملة التذييل بهذا المصطلح.

٤. ترد الجمل التذييلية على أنواع متعددة وألوان متباينة، فتقسم بحسب إمكان استقلالها بإفادة المراد



الذي يعين العقل على الفهم والاستيعاب بشكل جيد لا لبس فيه، ويبرز الحكمة من ضرب الأمثال حسب مقتضيات الأحوال. وكل ذلك يشهد على كونه نصاً واحداً من عند الواحد، وهو يشهد بحق وصدق على إعجاز القرآن.

٧. الجملة التذييلية خلاصة موجزة لما قبلها، فهي أكثر الجمل تكثيفاً واستيعاباً للمعاني، وقبولاً للظواهر اللغوية والأسلوبية المختلفة، كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والتكرار، والإيجاز والإطناب، والإظهار والإضمار وغيرها، وما يكتنف ذلك من جماليات في النظم والمناسبة والسياق والفاصلة. من هنا فهي بحاجة إلى دراسة مستفيضة تغطي هذه الجوانب.

٨. تمتاز الجملة التذييلية بالتنوع الأسلوبي في التركيب الجملي، فقد تكون الجملة التذييلية جملةً اسميةً تفيد الثبات والإطلاق، وقد تكون فعليةً تدلّ على التجدد والاستمرار،

على قسمين أشار إليهما البلاغيون: الأول: الجملة المؤكدة لمضمون ما قبلها، الثاني: الجملة التذييلية الجارية مجرى الأمثال. وكلاهما قد يؤكدان المنطوق، وقد يؤكدان المفهوم.

٥. الغرض الأساس للجملة التذييلية هو توكيد مضمون ما قبلها وبيان فحواه، وتلك هي الدلالة الكبرى لها، بيد أنها تتصرف إلى أغراض ودلالات عديدة بحسب السياق الذي ترد فيه، وقد استخرجنا أهم تلك الدلالات.

٦. تتناسب الجملة التذييلية مع السياق دلاليًا، تناسباً ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى كثير عناء، ولا سيما إذا كانت الجملة التذييلية تشتمل على لفظة، وقد تقدمت تلك اللفظة بعينها في أول الآية. أو تناسباً خفياً يحتاج الوصول إلى المناسبة في بعض السياقات إلى مزيد من التأمل والفكر.

من هنا فالجملة التذييلية مظهر من مظاهر تلاحم النص القرآني وتماسكه



وقد ترد بأسلوب التوكيد أو النفي أو القصر أو الاستفهام أو التعجب أو التعريض أو القصر، ويصاحبها في كل ذلك أدوات ربط تسهم في إبراز دلالاتها ومدى ارتباطها بالكلام المذلل، كالنواسخ وحروف العطف والجزم والاستفهام والنفي والتوكيد وغيرها. وهذا أيضاً مما يحتاج إلى عناية المختصين من الباحثين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أهم المصادر والمراجع^(٨٦)

١. إعجاز القرآن: الباقلائي، لأبي بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م.
٢. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الثانية،

(٨٦) فصل السيد الباحث ذكر مصادره ومراجعته في ثمان صفحات اختصرناها في أربع... فنعتذر.

١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

٣. البحر المحيط: أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ود. زكريا عبد المجيد النوتي، ود. أحمد الجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ - ٢٠٠١م

٤. بديع القرآن: ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة النهضة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

٥. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٦. البليغ في المعاني والبيان والبدیع: الشيخ أحمد أمين الشيرازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧. البيان في عد آي القرآن: أبو عمرو



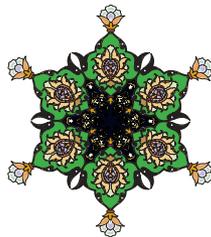
- الدامي، (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٨. التسهيل لعلوم التنزيل: الغرناطي الكلبي، (ت ٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣-١٩٨٣م.
٩. التعبير الفني في القرآن: د. بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٠م.
١٠. التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٧م.
١١. التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٢. جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية -دراسة أسلوبية: نور هاني محمد سمحان، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩م.
١٣. الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٤. زاد المسير: ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٥. سورة النساء دراسة لغوية تحليلية: أطروحة دكتوراه، نعمه يعقوب محمود الحسان، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
١٦. صور البديع، فن الأسجاع: علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥١م.
١٧. الصورة الفنية في المثل القرآني -دراسة نقدية بلاغية: محمد حسين



- علي الصغير، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٨. الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
١٩. الفاصلة القرآنية: د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٠. الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١. فواصل الآي في القرآن الكريم: عبد العزيز فيصل سالم، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٣. قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية: د. فضل حسن عباس، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٢٤. الكليات - معجم المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، قابله ووضع حواشيه: د. عدنان درويش، ود. محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
٢٥. اللسانيات وتدرّيس اللغة العربية (تدرّيس اللغة العربية من منظور لساني وظيفي): عبد الوهاب صديقي، مجلة الدراسات الأدبية، الجامعة اللبنانية، العدد الثاني، السنة الثانية، ديسمبر، ٢٠١٢.
٢٦. لغة القرآن - دراسة توثيقية فنية: د. احمد مختار عمر، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٧. لغة القرآن الكريم في جزء عمّ: محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية



- لطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.
٢٨. مباحث في علوم القرآن: متاع القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة عشر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٣م.
٢٩. مختصر المعاني: سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، دار الفكر، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٣٠. المعاني في ضوء أساليب القرآن: د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م.
٣١. معترك الأقران في إعجاز القرآن:- جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٨.
٣٢. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من اللفظ في آي التنزيل: احمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، (ت ٧٠٨) تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٣. من بلاغة القرآن: د. أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٥٠م.
٣٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٣٥. وجوه من الإعجاز القرآني: مصطفى محمد زكي الدباغ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.



أَلْحَبُّ... مُصْطَلِحَاتُهُ وَتَجَلِّيَاتُهُ

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أ.ر. عبد القار سلامي

أ.زهيرة نقول

قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب واللغات

جامعة تامسان- الجزائر

فحوى البحث

تتناول الدراسة لفظة الحبّ في القرآن الكريم و تجلياتها، و تقف على دلالاتها المختلفة، وترصد التطور الدلالي للفظه قبيل الإسلام و بعده، و تكتشف مدى تمجيد الوحي لهذه اللفظة أو مرادفاتها، و ما لها من انعكاسات على الحياة النفسية و الاجتماعية للمسلم، كما تعالج العلاقات الروحانية بين العبد و ربه و بين أفراد المجتمع الإسلامي و المتجلية في سياق الآيات التي وظفت اللفظة أو مرادفاتها.

و قد أحصت الدراسة عدد مرّات تكرار اللفظة في القرآن الكريم، و مواضعها، و أهم المعاني التي تدلّ عليها، كما أشارت إلى أحباب الله -جلّ و علا- حسب ما جاء في الذكر المبين.

تقديم:

البلاغة، و الجوهريّ في الصّحاح وصولاً إلى مجمع اللغة العربية في المعجم الوسيط. فما معنى الحب؟. و ما مدى تأثير الإسلام في تطوّر دلالاته؟. و من هم أحباب الله جلّ و علا؟.

تعريف القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٧) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنزِلُ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة: ١٨].

و قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَثْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ»^(١). الشاهد في الآية الكريمة و في الحديث الشريف هو القرآن: و هو مشتقّ من «قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ أَوْ نَظَرْتُ فِيهِ، هَكَذَا يُقَالُ، وَ لَا يُقَالُ: قَرَأْتُ إِلَّا مَا نَظَرْتُ فِيهِ مِنْ شَعْرٍ أَوْ حَدِيثٍ، وَ قَرَأَ فُلَانٌ قِرَاءَةً حَسَنَةً، فَالْقُرْآنُ مَقْرُوءٌ وَ أَنَا قَارِئٌ، وَ رَجُلٌ قَارِئٌ: عَابِدٌ نَاسِكٌ»^(٢).

(١) محي الدين النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ٦ / ٨٩ [كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضيلة حافظ القرآن].

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين: ٣ / ٣٦٩ [قرأ].

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله الذي خلق النَّاسَ شُعوباً وَ قِبَائِلَ، وَ جعل بينهم المحبة و المودّة و الرّحمة، و الصّلاة و السّلام على حبيبنَا المحبوب نبينَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَ على آلِهِ وَ صحبه و إخوانه إلى يوم الدّين. و بعد:

فإنّ القرآن الكريم معجز بألفاظه، غنيّ بمعانيه، يشيد بالمحبّة و الرّفق و العاطفة الصّافية، وينبذ العنف و الغلظة و البغضاء، و مع هذا، قلّة هي الأعمال التي تعالج التطوّر الدّلاليّ لألفاظ الحبّ و تجلياته في القرآن الكريم، و تحدّد معانيه المختلفة ضمن السياقات القرآنيّة، نحو: معاني الحبّ و ما تصرّف منه في القرآن الكريم لمحمد جوهديّ و الحبّ و البغض في القرآن الكريم لها يوسف جار الله الجار الله.

أما المعاجم العربيّة فقد أشارت إلى هذه اللفظة الجميلة ضمناً، أثناء شرحهم للمفردات، و أشارت إلى مختلف تعريفاتها المعجمية، كما فعل الخليل في كتاب العين، والزّخشيّ في أساس



و القرآن لغةً: «هو كلام الله المنزَّل على رسوله مُحَمَّدٍ ﷺ، المكتوب في المصاحف، والقراءة ومنه^(٣). و في لسان العرب: «الْقُرْآنُ: التنزيل العزيز... يُسَمَّى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ كتاباً و قُرْآنًا و فُرْقَانًا، و معنى الْقُرْآنُ الجمع، و سُمِّيَ قريناً لئنه يجمع السُّور و يضمُّها»^(٤).. و ويذهب ابن الأثير أن أصل القرآن: «قَرَأَ القِرَاءَةَ، والأصل في هذه اللَّفْظَةِ: الجَمْعُ، وكلُّ شيءٍ جمعته فقد قرأته، و سُمِّيَ الْقُرْآنُ قُرْآنًا لئنه جمع القصص، والأمر و النَّهْيُ: والوعد والوعيد والآيات والسُّور بعضها إلى بعض... وقد يُطْلَق على الصَّلَاةِ لأنَّ فيها قِرَاءَةً»^(٥).

ويذكر الجوهريّ إن: «قَرَأَتِ الْكِتَابَ قِرَاءَةً و قُرْآنًا، ومنه سُمِّيَ الْقُرْآنُ... و سُمِّيَ الْقُرْآنُ لئنه يجمع السور

فيضمُّها»^(٦).

وعليه فإنَّ القرآن كلمة إسلامية، نعني بها كلام الله - جلَّ وعلا - المنزَّه عن الخطأ والمعجز بألفاظه ومعانيه، والمنزَّل على سيِّدنا مُحَمَّدٍ ﷺ، و سُمِّيَ قُرْآنًا إمَّا لئنه يُقرأ كثيراً، وإمَّا لئنه جامع للسُّور والآيات وأحكام العادات والعبادات التي تقرَّبنا إلى الله سبحانه وتعالى.

و الْقُرْآنُ: «هو المنزَّل على الرِّسُول، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً، متواتراً بلا شُبْهَةٍ، و الْقُرْآنُ عند أهل الحقِّ، هو العلم اللدنيّ، الإجماليّ الجامع للحقائق كلّها»^(٧).

وللقرآن الكريم أسماء كثيرة من أشهرها: «الْفُرْقَانُ: و سُمِّيَ بذلك لتفرُّقه بين الحقِّ والباطل. والكتاب... والذِّكْر والتَّنْزِيلُ»^(٨).

وقد وردت كلمة القرآن «بهذه

(٣) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: ٧٢٢ [القرآن].

(٤) جمال الدين بن منظور: لسان العرب: ١/ ١٣٣ [قرأ].

(٥) مجد الدين ابن الأثير النهاية: في غريب الحديث والأثر: ١/ ١٣٣ [قرأ].

(٦) أبو نصر إسماعيل الجوهري: تاج اللغة و صحاح: ٩٢٥ [قرأ].

(٧) علي بن مُحَمَّد الجرجاني: كتاب التعريفات: ٢٧٩ [القرآن].

(٨) محمد حمدي زقزوق: الموسوعة الإسلامية العامة: ١١٢٥ [القرآن الكريم].



الحبيب... و الحَبَاب: بالضمّ: الحِبُّ...
و المحبّة و المحبوبة جميعا: من أسماء
مدينة النبي ﷺ و حَبُّ الماء... : حَبَابُهُ
نُفَاحَاتِهِ و ففَاقِعِهِ الَّتِي تَطْفُو» (١١).

و الحَبُّ: «المحبّة، و كذلك الحِبُّ
بالكسر، و الحِبُّ أيضا الحبيب... و حَبُّهُ
يُحِبُّهُ... و تَحَبَّبَ إِلَيْهِ: تَوَدَّدَ... و تَحَابُّوا: أَي
أَحَبَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ... الحِبَابُ:
المُحَابَبَةُ و المُوَادَّةُ، و الحَبَابُ بِالضَّمِّ:
الحُبُّ» (١٢).

و فِي المَعْجَم الوَسِيطِ: «اسْتَحَبَّهُ:
آثَرَهُ... و الحَبُّ: الوداد [عند الفلاسفة]:
ميل إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة،
أو الجذابة أو النّافعة،... و المحبّة الميل إلى
الشيء السار» (١٣).

و قيل أصلها «الصّفاء، لأنّ العرب
تقول لصفاء بياض الأسنان و نضارتها
حَبَبَ الأسنان. و قيل: مأخوذة من

(١١) لابن منظور: لسان العرب: ١ / ٢٧٤ -

٢٨٠ [حب].

(١٢) أبو نصر إسماعيل الجوهري: تاج اللغة و
صحاح العربية: ٢١٧ [حب].

(١٣) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط:
١٥١ [حب].

الصّيغة فِي ثَمَانٍ و خَمْسِينَ آيَةً فِي القُرْآنِ
الكريم، ووردت كلمة قرآناً فِي عَشْرِ
آيَاتٍ، و كلمة قرآنه فِي آيَتَيْنِ، و قد اجتهد
العلماء فِي بيان أصل هذه الكلمة فمنهم
من قال إنّه اسم مرتجل على الكتاب المنزّل
على رسول الله ﷺ، و منهم من قال إنّها
كلمة عربيّة» (٩).

تعريف الحبّ:

الحُبُّ فِي المَعْجَم العربيّة مشتقّ
من [حب] و معناه فِي كتاب العين:
«أَحْبَبْتُهُ: نَقِضَ أَبْغَضْتُهُ، و الحِبُّ و الحِبَّةُ
بمنزلة الحبيب و الحبيبة، و الحِبُّ: الجِرَّةُ
الضّخمة، و يُجْمَعُ على حِبَّةٍ و حِبَابٍ،
و قالوا الحِبَّةُ إِذَا كانت حُبُوبٌ مُخْتَلِفَةٌ
من كلِّ شَيْءٍ شَيْءٌ... و حَبَّةُ القَلْبِ:
ثَمَرَتُهُ» (١٠).

و جاء فِي لسان العرب: «الحِبُّ
الوداد و المحبّة... و أحبه الله فهو
محبوب... المُحَابَبَةُ و المُوَادَّةُ... الحِبُّ:

(٩) عودة خليل أبو عودة: التطور الدلالي بين
لغة الشعر الجاهليّ و لغة القرآن الكريم:
٤٨٩.

(١٠) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين
١٤٣٤: ١ / ٢٧٧ [حب].



الحُبَاب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشَّدِيد، فعلى هذا فالمحَبَّة: غليان القلب وثورانه عند الاحتياج، إلى لقاء المحبوب. وقيل: مشتقة من اللزوم والثبات ومنه أحبَّ البعير إذا برك ولم يَقم^(١٤).

و خلاصة القول، إنَّ الحَبَّ، لا محال، هو شعور بالصِّفاء تجاه الخالق جلَّ و علا أو واحد من الخلق أو شيء نميل إليه، و ننجذب إلى محاسنه و منافعه، و هو صادر من حبة القلب و لبه و ملازمٌ للمُحَبِّ.

لفظة الحَبِّ في القرآن الكريم:

تكرَّر ذكر لفظة الحَبِّ و مشتقاتها في القرآن الكريم: « ٨١ [واحدًا و ثمانين] مرَّةً^(١٥). و لما صنَّفناه حسب ما جاء به المعجم المفهرس لألْفاظ القرآن الكريم^(١٦) وجدناها ٨٣ [ثلاثًا و ثمانين] مرَّةً كما هو ملاحظ في الجدول التَّالي:

الرقم	اللفظة	موضعها	الرقم	اللفظة	موضعها	الرقم	اللفظة	موضعها
٠١	حَبَّبَ	الحجرات ٠٧	٢٨	يُحِبُّ	آل عمران ١٥٩	٥٦	يُحِبِّبُكُمْ	آل عمران ٣١
٠٢	أَحْبَبْتِ	القصص ٥٦	٢٩	يُحِبُّ	النساء ٣٦	٥٧	يُحِبِّبُهُم	المائدة ٥٤
٠٣	أُحْبِبْتُ	ص ٣٢	٣٠	يُحِبُّ	النساء ١٠٧	٥٨	يُحِبُّونَ	آل عمران ١٨٨
٠٤	أُحِبُّ	الأَنْعَامُ ٧٦	٣١	يُحِبُّ	النساء ١٤٨	٥٩	يُحِبُّونَ	التَّوْبَةُ ١٠٨
٠٥	تُحِبُّوا	البقرة ٢١٦	٣٢	يُحِبُّ	المائدة ١٣	٦٠	يُحِبُّونَ	النور ١٩
٠٦	تُحِبُّونَ	آل عمران ٣١	٣٣	يُحِبُّ	المائدة ٤٢	٦١	يُحِبُّونَ	الحشر ٠٩
٠٧	تُحِبُّونَ	آل عمران ٩٢	٣٤	يُحِبُّ	المائدة ٦٤	٦٢	يُحِبُّونَ	الإنسان ٢٧
٠٨	تُحِبُّونَ	آل عمران ١٥٢	٣٥	يُحِبُّ	المائدة ٨٧	٦٣	يُحِبُّونَكُمْ	آل عمران ١١٩

(١٤) مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و البغض في القرآن الكريم: ٣٢.

(١٥) محمد جوهدي: معاني الحَبِّ و ما تصرَّف منه في القرآن الكريم: ٣٠.

(١٦) محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألْفاظ القرآن الكريم: ١٩١.



الحب مصطلحاته وتجلياته في القرآن الكريم (المصباح)

٥٤	المائدة	يُحِبُّونَهُ	٦٤	المائدة ٩٣	يُحِبُّ	٣٦	الأعراف ٧٩	تُحِبُّونَ	٠٩
١٦٥	البقرة	يُحِبُّونَهُمْ	٦٥	الأنعام ١٤١	يُحِبُّ	٣٧	النور ٢٢	تُحِبُّونَ	١٠
٣٢	التوبة	اسْتَحَبُّوا	٦٦	الأعراف ٧	يُحِبُّ	٣٨	القيامة ٧٥	تُحِبُّونَ	١١
١٠٧	النحل	اسْتَحَبُّوا	٦٧	الأعراف ٥٥	يُحِبُّ	٣٩	الفجر ٢٠	تُحِبُّونَ	١٢
١٧	فصلت	اسْتَحَبُّوا	٦٨	الأنفال ٥٨	يُحِبُّ	٤٠	الصف ١٣	تُحِبُّونَ	١٣
٣	إبراهيم	يَسْتَحِبُّونَ	٦٩	التوبة ٤	يُحِبُّ	٤١	آل عمران ١١٩	تُحِبُّونَ	١٤
١٦٥	البقرة	حُبِّ	٧٠	التوبة ٧	يُحِبُّ	٤٢	البقرة ١٩٠	يُحِبُّ	١٥
١٤	آل عمران	حُبِّ	٧١	التوبة ١٠٨	يُحِبُّ	٤٣	البقرة ١٩٥	يُحِبُّ	١٦
٣٢	ص	حُبِّ	٧٢	النحل ٢٣	يُحِبُّ	٤٤	البقرة ٢٠٥	يُحِبُّ	١٧
٨	العاديات	حُبِّ	٧٣	الحج ٣٨	يُحِبُّ	٤٥	البقرة ٢٢٢	يُحِبُّ	١٨
١٦٥	البقرة	حُبًّا	٧٤	القصص ٧٦	يُحِبُّ	٤٦	البقرة ٢٢٢	يُحِبُّ	١٩
٣٠	يوسف	حُبًّا	٧٥	القصص ٧٧	يُحِبُّ	٤٧	البقرة ٢٧٦	يُحِبُّ	٢٠
٢٠	الفجر	حُبًّا	٧٦	الروم ٤٥	يُحِبُّ	٤٨	آل عمران ٣٢	يُحِبُّ	٢١
١٧٧	البقرة	حُبِّهِ	٧٧	لقمان ١٨	يُحِبُّ	٤٩	آل عمران ٥٧	يُحِبُّ	٢٢
٨	الإنسان	حُبِّهِ	٧٨	الشورى ٤٠	يُحِبُّ	٥٠	آل عمران ٧٦	يُحِبُّ	٢٣
٢٤	التوبة	أَحَبِّ	٧٩	الحجرات ٩	يُحِبُّ	٥١	آل عمران ١٣٤	يُحِبُّ	٢٤
٨	يوسف	أَحَبِّ	٨٠	الحجرات ١٢	يُحِبُّ	٥٢	آل عمران ١٤٠	يُحِبُّ	٢٥
٣٣	يوسف	أَحَبِّ	٨١	الحديد ٢٣	يُحِبُّ	٥٣	آل عمران ١٤٦	يُحِبُّ	٢٦
١٨	المائدة	أَحْبَاؤُهُ	٨٢	المتحنة ٨	يُحِبُّ	٥٤	آل عمران ١٤٨	يُحِبُّ	٢٧
٣٩	طه	مَحَبَّةً	٨٣	الصف ٤	يُحِبُّ	٥٥			



(١٤٣٨هـ - ١٤١١م)

الصدر السامع والشعور - حريف



معاني الحب في القرآن الكريم:

خلال تقصينا لفظة الحب أو مشتقاتها وجدناها تدل على معاني مختلفة، و تعبر عن أغراض جمّة منها:

١. الثواب/ الطاعة:

و تتجلى في آيات بيّنات كثيرة نحو

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ

مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ

ذَلِكَ فَضَلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، يقول الإمام

الزّخشي: ((يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)): محبة

العباد لربهم طاعته و ابتغاء مرضاته، و

أن لا يفعلوا ما يوجب سخطه و عقابه،

و محبة الله لعباده أن يُشبههم أحسن الثواب

طاعتهم و يعظمهم و يثني عليهم و

يرضى عنهم^(١٧).

فمحبة الله - جلّ و علا - للعباد

تختلف عن كلّ أنواع المحبة، و تتمثل

في عناية الله سبحانه و تعالى بالعبد،

(١٧) أبو القاسم الزّخشي: تفسير الكشاف:

و الإحاطة به في الدّنيا و الآخرة. فهو وحده يُدخل من يشاء جنّته و يحرم منها من يشاء، لأنّ الله يُجازي من أحبّ من عباده خير الجزاء.

أمّا طاعة العباد لربهم فتلك عين

المحبة، لأنك إن أحببت محبوبك لزمته

و أطعته، و اتبعت أوامره، و تصرفت

وفق ما يريد، رغبة في التّقرب إلى

المحبوب، و لزيادة التّوضيح، ولك أن

تنظر في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:

٣١]. فكذلك علاقة العبد المحبّ لربه،

يسعى للتّقرب من الله جلّ و علا بشئى

العبادات و النّوافل، حتّى يُحبه، فإنّ أحبه

نال الرضا و ضمن الجنّة.

و قد أكّد الزّخشيّ هذا القول

إذ قال: «محبة العباد لله مجاز عن إرادة

نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره و

رغبتهم فيها، و محبة الله عباده أن يرضى

عنهم و يحمد فعلهم... فمن ادّعى محبته

و خالف سنة رسوله فهو كذاب^(١٨).

(١٨) الزّخشيّ: تفسير الكشاف: ١٦٨.



٢. استحسان الدنيا و تفضيلها عن الآخرة:

من معاني الحب في القرآن الكريم، نجد ألفاظ و آيات دالة على تفضيل الدنيا، والتمسك بنعيمها و أموالها و نسائها و خيرها عموماً، و فيها أمثلة كثيرة: نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة إبراهيم:

٣] و قوله جلّ و علا: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

فالآية الأولى تذكر من يُفضّل الحياة الدنيا على الآخرة، و في الآية الثانية تفصيل لهذه الحياة التي استبدلوها بالذي هو خير، فحدد الله جلّ و علا ما يحبّه العبد من أشخاص وهم:

﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾، و الأشياء المادّية وهي الأموال و التّجارة الرّابحة، و المساكن، يُفضّلون هذه الأمور عن الله العزيز الجبار و عن الحبيب ﷺ، و عن الجهاد في سبيل الله.

٣. العشق:

لا شك أن المحبّة بين الرّجال والنساء شيء فطريّ في الطّبيعة الإنسانيّة، لاسيما و أنّ الرّسول ﷺ كان زوجاً محبباً. فقد أحبّ السيّدة خديجة رضيها و فضلها على سائر النساء حتّى أنّه لم يتزوج عليها غيرها إلّا بعد وفاتها ﷺ. و عليه تكون المحبّة بين الزوجين مباحة و مطلوبة لتعمّ الرّحمة بينهما اقتداءً بنبيّ الرّحمة - سيّدنا محمد ﷺ، و من مظاهر الحب بين الرّجل و المرأة: قوله جلّ و علا في سورة

يوسف: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنَّا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة يوسف: ٣٠] وشغفها حباً: «خرق حبّه شغاف قلبها حتّى وصل إلى الفؤاد، و



الشغاف حجاب القلب، و قيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب»^(١٩).

فقد صوّرت التّسوة كيف تمكّن حبّ يوسف عليه السلام من امرأة العزيز، و كيف اخترق حبّه غلاف قلبها و ولج لبّه فأفقدتها القدرة على التّمييز بين الحقّ و الباطل.

٤. القلّة:

تدلّ لفظة الحبّ في القرآن الكريم على القلّة نحو قوله جلّ و علا:

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٨] يقول

الزّمخشريّ: «الضمير للطعام أي: مع اشتهاؤه و الحاجة إليه، و نحوه و أتى المال على حبّه، و لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون»^(٢٠)، ومعناه: على قلّته^(٢١).

و يقول المولى جلّ و علا: ﴿لَيْسَ

الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١٩) الزّمخشريّ: الكشاف: ٥١٢.

(٢٠) الزّمخشريّ: الكشاف: ١١٦٤.

(٢١) مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و البغض في القرآن الكريم: ٣٦=

وَأَلْمَلَيْتُكَ وَالْكَتَبِ وَالْتَيْتَنَ وَعَاتَى أُمَمًا عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

[سورة البقرة: ١٧٧] ومعناه: على قلّته^(٢٢). أي: مع حبّ المال و الشّح به.. أن تؤتیه و أنت صحيح شحيح تأمل العيش و تحشى الفقر»^(٢٣).

٥. النّفع:

و يعبر الحبّ أيضا عن النّفع، كقوله سبحانه و تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الصّفّ: ١٣] أي: محبة شيء ينّفع به^(٢٤)، و معناها: «و لكم إلى هذه

النعمة المذكورة من المغفرة و الثّواب في الآجلة، نعمة أخرى عاجلة محبوبة

(٢٢) مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و البغض في القرآن الكريم: ٣٦.

(٢٣) الزّمخشريّ: تفسير الكشاف: ١٠٩.

(٢٤) ينظر: مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و البغض في القرآن الكريم: ٣٧.



وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾
 [سورة الروم: ٢١] و في تفسير الآية
 يذهب الزمخشري إلى أن: «جعل بينكم
 التّوَادِّ و التّراحم بعصمة الزّواج بعد أن
 لم تكن بينكم سابقة معرفة و لا سبب
 يُوجد التّعاطف من قرابة، أو رَحِم...
 و المودّة كناية عن الجماع، و الرّحمة عن
 الولد» (٣٠).

و يقول الله جلّ و علا: ﴿ **وَلَيْنَ
 أَصْدَابِكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ
 بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبَسْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ
 فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾** [سورة النساء:

٧٣] و التفسير -هنا-: «كأن لم تتقدم له
 معكم مودّة لأنّ المنافقين كانوا يُؤادون
 المؤمنين و يُصادقونهم في الظّاهر، و إن
 كانوا ييغون لهم الغوائل في الباطن، و
 الظاهر أنّه تهكّم لأنهم كانوا أعدى عدوّ
 للمؤمنين و أشدّهم حسدا لهم، فكيف
 يوصفون بالمودّة إلّا على وجه العكس
 تهكّم بحالهم» (٣١).

و تکرّر كذلك ذكر المودّة في قول الله

(٣٠) الزّمخشري: تفسير الكشاف: ٨٢٧.

(٣١) الزّمخشري: تفسير الكشاف: ٢٤٦.

إليكم» (٢٥) يُريد أن هذا الحبّ تبغون
 وراءه نفعاً و فضلاً عاجلاً غير آجل،
 لهذا حملت اللفظة محنى المنفعة.

مرادفات الحبّ في القرآن الكريم:

للحبّ مرادفات كثيرة في لغتنا، فهو
 «الوداد» (٢٦). و هو «المعزّة و الصّداقة و
 الموالاتة و الحلّة و الصّفاء و الإخاء» (٢٧)
 و العشق، يقال: «عَشِقَهُ عَشْقًا... أحبه
 أشدّ الحبّ» (٢٨). و المحبّ: المتيمّ من
 «تام تيمًا... الهوى و الحبيب فلانا:
 استعبده و ذهب بعقله» (٢٩). و لكنّ
 أكثر المرادفات استعمالاً هي لفظة الودّ
 و مشتقاتها.

ومن مواضع ذكر الودّ في القرآن
 الكريم نجد قوله جلّ و علا: ﴿ **وَمَنْ
 ءَايَنْتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
 لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً**

(٢٥) الزّمخشري: تفسير الكشاف: ١٠٩.

(٢٦) ابن منظور لسان العرب: ١ / ٢٧٤
 [حب].

(٢٧) مها يوسف جار الله: الحبّ و البغض في
 القرآن الكريم: ٣٨.

(٢٨) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: ٦٠٣
 [عشق].

(٢٩) نفسه: ٩٢ [عشق].



جلّ و علا: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [سورة

الشورى: ٢٣] يقول الزمخشري: «يجوز أن يكون استثناء متصلًا، أي لا أسألكم أجرا إلا هذا، وهو أن تودّوا أهل قرابتي، و لم يكن هذا أجرا في الحقيقة، لأنّ قرابته قرابتهم... في آل فلان مودّة، ولي فيهم هوى و حُبُّ شديد» (٣٢).

و عليه، فقد كثر استعمال هذه اللفظة على أمّها مرادفة للحبّ تحمل معنى التميّ: «تقول وددت لو تفعلُ ذلك... أي تميّت... و الودود: المحبّ» (٣٣).

أحباب الله جلّ و علا في

القرآن الكريم:

خصّ الله -جلّ و علا- حبه لفته من العباد، يتمتّعون بصفات معيّنة، «و هي ثمان صفات يحبّها الله في عباده» (٣٤).

(٣٢) الزمخشري: الكشاف: ٩٧٧.

(٣٣) الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية: ١٢٣٥ [وودد].

(٣٤) مها يوسف جار الله الجار الله/ الحب و بغض في القرآن الكريم: ٩٢.

و هم المحسنون و التوّابون و المتطهرون و المتّقون و الصّابرون و المتوكّلون و المقسطون و المقاتلون في سبيل الله.
١. المحسّنون:

المحسنون لغة: مشتقّ من حَسَن و الحسنة: «ضد السيئة وهي معروفة عند المسلمين واللفظة مشتقة من حَسَن: حُسنا: جَمَل فهو حَسَن... وأحسَن: فعل ما هو حسن... والثّيء: أجاد صنعه... و حاسنَه: عامله بالحسنى... والأحسن: الأفضل... و الحسنة: ضد السيئة من قول و فعل... والنعمه» (٣٥).

و في الصّحاح: «الحسن: نقيض القبح... والمحاسن خلاف المساوي» (٣٦).
ويضيف الزمخشري قائلا: «حَسَن الله خلقه، و حَسَن الحلاق رأسه: زيّنه» (٣٧).

و عليه، «الإحسان على هذا الأساس هو كمال الحضور مع الله تعالى، المراقبة الجامعة لخشيته، و الإخلاص له، بأن يُحسن الإنسان قصده، يجعله خالصا
(٣٥) لمجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: ١٧٤ [حسن].

(٣٦) للجوهري: الصحاح: ٢٥٢ [حسن].

(٣٧) الزمخشري: أساس البلاغة: ١٩٠ [حسن].



تاب: عاد إلى الله و رجع و أناب» (٤٠) و التَّوبَةُ: «الرَّجُوعُ مِنَ الذَّنْبِ» (٤١) و الله: تَوَّابٌ و إلى الله المتاب... و أدرك فلان زمن التَّوبَةِ أي الإسلام، لأنَّه يُتاب فيه من الشَّرِكِ» (٤٢). و التَّوبَةُ: «ترك الذَّنْبِ لقبحه و النَّدَمَ على ما فرط منه، و العزيمة على ترك المعادة» (٤٣).

يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا مِنَ النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

[سورة البقرة: ٢٢٢] و معناه أن الله «يحب التَّوَّابِينَ الَّذِينَ يُطَهَّرُونَ أَنفُسَهُمْ بِطَهْرَةِ التَّوبَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَفْذَارِ كَمَجَامِعَةِ الْحَائِضِ، وَ الطَّاهِرِ قَبْلَ الْغَسْلِ، وَ إِتْيَانِ

(٤٠) ابن منظور: لسان العرب: ١ / ٢٢٤ [توب].

(٤١) الجوهري: الصحاح [توب].

(٤٢) الزَّخَشَرِيُّ: أساس البلاغة: ١ / ٩٨ [توب].

(٤٣) مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و البغض في القرآن الكريم: ١٠٥ .

مُتَجَرِّدًا لِلَّهِ، فَلَا يَسْتَجِيبُ وَ لَا يَطِيعُ إِلَّا كَلِمَةَ رَبِّهِ، وَ أَمْرَ دِينِهِ» (٣٨).

و قد ذكر الإحسان و المحسنون في القرآن الكريم مرَّات عديدة: منها قوله جلَّ و علا: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ بِإِثْقَالِهِمْ لَعْنَهُمْ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٣].

فقد جعل الله سبحانه و تعالى الصَّفْحَ و العفو من صفات المحسنين، فرزقهم حبَّه جلَّ و علا. ٢. التَّوَّابُونَ:

تاب في اللِّغَةِ مِنْ «تَبَّتُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً وَ مَتَابًا، وَ أَنَا أَتَوَّبُ إِلَى اللَّهِ لِيَتُوبَ عَلَيَّ قَابِلَ التَّوْبِ، أَي قَابِلَ التَّوْبَةِ... وَ التَّوْبَةُ الْإِسْتِحْيَاءُ» (٣٩)، و «رَجُلٌ تَوَّابٌ تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ، وَ اللَّهُ تَوَّابٌ يَتُوبُ عَلَى عَبْدِهِ...»

(٣٨) مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و البغض في القرآن الكريم: ١٠٥ .

(٣٩) الخليل الفراهيدي: كتاب العين: ١ / ١٩١ .



ما ليس بمباح و غير ذل» (٤٤) فقد كان «اليهود يعتزلون النساء في كل شيء، و كان النصرارى يُجامعون الحيض و لا يباليون بالحيض، فأمر الله بالاقتصاد في الأمرين» (٤٥).

و السبب في حبّ الله عزّ و جلّ للتّوّابين، إنّ التّائب استشعر بأنّ له ربّاً غفورا رحيماً، فرجع إليه و أناب، و تاب عن معاصيه التي اقترفها، و تذكّر العقاب الذي اعدّه للعاصين فخاف منه و استغفر ربّه (٤٦).

٣. المتطهرون:

الطّهارة: من طهر: و طهّر و اطهر و تطهّر... و من المجاز: تطهّر من الإثم: تنزه منه... و التّوبة طهور للمذنب» (٤٧) قال رسول الله ﷺ: «الطّهور شطر الإيمان» (٤٨).

(٤٤) الزّمخشرى: أساس البلاغة: ١ / ٩٨ [توب].

(٤٥) مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و البغض في القرآن الكريم: ١٣٠.

(٤٦) المرجع نفسه: ١٣٠.

(٤٧) الزّمخشرى: أساس البلاغة: ١ / ٦٢٠ [طهر].

(٤٨) النووي: صحيح مسلم بشرح النووي:

فالطّهارة من «طهر» و: «الطهر: نقيض النّجاسة، كالطّهارة... و الطّهور: المصدر، و اسم ما يتطهّر به» (٤٩).

ومنه: «التّطهر... و الطّهور: الماء الذي يُتطهّر به... و هو الذي يرفع الحدث و يزيل النّجس» (٥٠) و أمّا قولنا: «وهم يتطهّرون، أي يتنزهون... و الطهر نقيض الحيض، و المرأة طاهرة من الحيض، و طاهرة من النّجاسة و من العيوب» (٥١).

و جاء في الموسوعة العلمية: الطّهارة: «هي النّظافة و الخلوص من الأدناس، سواء كانت كالأدناس أو معنويّة كالعيوب... و شرعا: هي عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة» (٥٢).

و ثمّ، فإنّ الطّهارة مشتقة من «طهر الشيء بالماء و غيره: جعله طاهرا...»

٣ / ١٠٠ كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء].

(٤٩) الفيروز أبادي: القاموس المحيط: ٥٥٨ - ٥٥٩ [طهر].

(٥٠) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث و الأثر: ٥٧٢ [طهر].

(٥١) للجوهري: الصحاح: ٧١٠ [طهر].

(٥٢) لحمود حمدي زقروق: الموسوعة الإسلامية العامة: ٤٢٩ [طهارة].



أقيه: إذا صُنِّتَه و سترته عن الأذى... أي تحببها... و أصل اتقى: أوتقى^(٥٤) و في أوتقى على افتعل... و التَّقْوَى و التَّقِي: واحد... و التَّقِي: المتَّقِي... و وقاه الله و قايته، أي حفظه. و الوقاية أيضا: التي للنساء. و الوَقَاية بالفتح لغة. و الوقاء و الوقاء: ما وَقَيْتَ به شَيْئاً^(٥٥).

و التَّقْوَى: «هي الاحتراز بطاعة الله عن عُقوبته و هو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك»^(٥٦).

يقول الله تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٦]. و يقول جلّ و علا:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ

(٥٤) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث و

الأثر: ٩٨٥ [وقفا].

(٥٥) الجوهري: تاج اللغة و صحاح العربية:

١٢٦٥ [وقى].

(٥٦) مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و

البغض في القرآن الكريم: ٩٢.

و الطَّهارة: حرفة من يطهر الأولاد... و الطَّهر الخلوّ من النَّجاسة و الحيض... و المَطَّهر عند النَّصارى مكان تطَّهر فيه النَّفس بعد الموت بعذاب موقوت... و المَطَّهر مادّة توقف التَّعفن أو التَّخمُّر أو التَّتَّيح^(٥٣).

و نخلص إلى إنّ لفظة الطَّهارة و مشتقاتها لم تختلف بين أصل الوضع و السِّياق، و ظلت إلى يومنا هذا تدلّ على التَّقاء و النِّظافة الحسيّة و المعنويّة. الفرق الوحيد أنّها في الشَّرع تحترم طرق معيّنة في مواقيت خاصّة، و هي شرط من شروط الصَّلَاة.

يقول الله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [سورة

البقرة: ٢٢٢].

٤. المتَّقُونَ:

أصله التَّقْوَى «وقا، وقيتُ الشيء

(٥٣) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: ٥٦٩

[طهر].



وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَآتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

[سورة البقرة: ١٧٧].

و عليه، نقصد بالتقوى: تجنّب كل أنواع المعاصي، الصغيرة قبل الكبيرة، و هو أيضا لزوم الصدق و الصبر و أداء العبادات لتجنّب العقوبة، ولعلّ السبب في حبّ الله عزّ و جلّ للمتقين، «فلأنّ المتقي جعل نصب عينه رضى الرحمن، و صرف نفسه عن صغائر الذنوب فضلا عن كبائرهما فهو في خوف و وجل من الحقّ سبحانه، شديد الاحتراز» (٥٧) من أجل ذلك استحق حبّ الله جلّ و علا، فاز فوزا عظيما.

٥. الصّابرون:

الصابرون كلمة مشتقة من صبر وفي لسان العرب: «صَبْرَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَصْبِرُهُ صَبْرًا: حَبَسَهُ... وَالصَّبْرُ: نَصَبُ الْإِنْسَانِ لِلْقَتْلِ فَهُوَ مُصْبِرٌ... أَنْ يُمَسِكَ الطَّائِرُ

(٥٧) مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و البغض في القرآن الكريم: ٩٨.

أو غيره من ذوات الرّوح، يُصَبِّرَ حَيًّا ثُمَّ يُرْمَى بِشَيْءٍ حَتَّى يُقْتَلَ» (٥٨).

و صبر في المعجم الوسيط: «تجلّد ولم يجزّع وانتظر في هدوء واطمئنان... وحبس نفسه عنه... و فلانا: حبسه ولزمه... والتّصبيرة: ما يتناوله الجائع يستعين به على الصبر حتى ينضج الطعام... و المصبور: المحبوس على القتل» (٥٩).

إذن، انتقلت دلالة الصّبر بين ما هو معنويّ وهو «حبس النفس عن الجزع» (٦٠) وبين الدلالة الحديثة الملموسة وهو حبس الطير أو أي حيوان ليقتل رميا، وجه التسمية هو الحبس. و قد سمى الله نفسه الصّبور، و لعلّ سبب حبّ الله للصّابرين، أنّه من الفضائل الخلقية التي يتحلّ بها المؤمن، و تبثّ في نفسه السكينة و الطمأنينة (٦١)، و

(٥٨) ابن منظور: لسان العرب: ٣ / ٤٠٩.

(٥٩) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط: ٥٠٦ [صبر].

(٦٠) لسان العرب لابن منظور: ٣ / ٤١٠ [صبر].

(٦١) ينظر: مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و البغض في القرآن الكريم: ١١٩.



أن تُحِبَّ التَّآخِرَ خَلْفَ الدَّوَابِّ» (٦٣).
و التَّوَكَّلَ: «إظهار العجز و الاعتماد
على غيرك،... و واكلت فلانا مُواكلاً:
إذا اتَّكَلتَ عليه و اتَّكَل هو عليك» (٦٤).
و في أسماء الله تعالى: «الوكيل، هو
القيِّم الكفيل بأرزاق العباد، و حقيقته
أنَّه يَسْتَقِلُّ بأمر الموكول إليه... يُقال:
استعنت القوم فتواكلوا، أي وكنني
بعضهم إلى بعض» (٦٥).

وَمَا سَبَقَ، نَسْتَتِجُ أَنْ التَّوَكَّلَ عَلَى
الله: «تفويض الأمر إلى الله و الاعتماد
عليه وحده في تحقيق الغايات مع
الأخذ بالأسباب المشروعة، و سلوك
السنن التي هيأها الله لعباده من غير
تقصير» (٦٦)، فهو لاء هنيئاً لهم حبّ المولى
جلّ و علا، لقوله تعالى: ﴿ **فِيمَا رَحِمَهُ**
مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

رضاه بما كتب له المولى العزيز، و الإيمان
بالقضاء خيره و شرّه.

يَتَضَحَّ الحَبُّ الإلهي للعباد
الصابرين في قوله سبحانه جلّ و علا:
﴿ **وَكَايَنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرٌ فَمَا
وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا
أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [سورة
آل عمران: ١٤٦] فقد تحدّث الله جلّ و
علا عن صبر النبيّ من قاتل معهم رغم
ما تعرّضوا له من أوجه البلاء و البأس و
العذاب، «فما وهنوا عند قتل النبيّ و ما
ضعفوا عن الجهاد بعده، و ما استكانوا
للعدوّ و هذا تعريض ممّا أصابهم من
الوهن و الانكسار عند الإرجاف بقتل
رسول الله ﷺ و يضعفهم عن ذلك عن
مجاهدة المشركين» (٦٢).

٦. المتوكلون:

و أصل الكلمة توكلّ: «وكلّته
إليك، أكله كِلَةً، أي فوّضته، و رجل
وكل... و هو المُواكِل يتكل على غيره
فَيَضِيع أمره، و تقول وَكَلْتُ بالله، و
توكلت على الله... و الوِكَال في الدّابّة

(٦٢) الزمخشري: تفسير الكشاف: ١٩٨.

(٦٣) الخليل: كتاب العين: ٤ / ٣٩٧ [وكل].

(٦٤) الجوهري: تاج اللغة و صحاح العربية:

١٢٦٧ [وكل].

(٦٥) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث و

الأثر: ٩٨٧ [وكل].

(٦٦) ينظر: مها يوسف جار الله الجار الله:

الحب و البغض في القرآن الكريم: ١١٩.



لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٦٧﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، و معناه شاورهم في الأمر، «فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى، فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الأرشد والأصلح، فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله، لا أنت ولا من تشاور» (٦٧).

٧. المقسطون:

هم الذين يحملون صفة العدل والإنصاف، يقول الله جلّ و علا فيهم:

﴿لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخَةِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة المائدة: ٤٢] و يقول أيضا: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة

(٦٧) آل الزمخشري: الكشاف: ٢٠٢.

الحجرات: ٩]، إذا المُقسطُ عموما هو العادل، «و القسط بالفتح الجور، من القسُط و هو اعوجاج في الرجلين، و عود قاسط يابس، و أقسطته الرياح، و أمّا القسط بمعنى العدل فالفعل منه أقسط و همزته للسلب، أي أزال القسط و هو الجور» (٦٨).

و المُقسط أيضا من أساء الله الحسنى: هو العادل... أقسط يُقسط فهو مُقسط إذا عدل، و قسط يقسط فهو قاسط: إذا جار... القسط الميزان، سُمي به من القسط: العدل» (٦٩).

و لعل سبب حب الله للمُقسطين هو أن المُقسط: عرف حقَّ الله فأداه كما ينبغي له، فأقام القسط في نفسه و في علاقته مع خالقه... و كذلك في علاقته مع أهله و أبنائه، يتعامل معهم بالعدل دون الجور و التَّحيز... و في جميع معاملاته» (٧٠).

(٦٨) الرّمخشري: الكشاف ١٠٣٧ [قسط].
 (٦٩) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث و الأثر: ٧٥١ [قسط].
 (٧٠) ينظر: مها يوسف جار الله الجار الله: الحب و البغض في القرآن الكريم: ١٥٨.



الاستعمال كأنه مقصور عليه... وأما ابن السبيل: المسافر الكثير السفر: سمي ابنا لها لملازمته إياها» (٧٢).
وقيل أيضا سبيل الله: «الحج وطلب العلم، وكل ما أمر الله به من الخير، واستعماله في الجهاد أكثر» (٧٣).
وعليه فإنّ العبارة: إسلامية حديثة، مع أنّ السبيل معروف عند العرب، إلاّ أنها حين ركبت مع لفظ الجلالة «الله» أضحت دالة على كل ما يتقرب به إليه-جل وعلا- من عبادات وخاصة الجهاد.

بذلك نتوصّل إلى أنّ المجاهدين في سبيل الله من أحباب المولى سبحانه و تعالى، وأصل الجهاد في اللّغة: «جهد- جهدا: جدّ، ويقال جهد في الأمر... وطلب حتّى وصل إلى الغاية، وبلغ المشتقّة... جاهد العدو مجاهدة و جهادا: قاتله... الجهاد (شرعا): قتال من ليس لهم ذمّة من الكفّار... والجهد المشتقّة

(٧٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤١٦ [سبل].
(٧٣) مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط: ٤١٦ [سبل].

٨. المقاتلون في سبيل الله:
من أحباب الله أيضا المقاتلون في سبيل الله جلّ و علا، لقوله تعالى:
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُومٍ ﴾
[سورة الصّف: ٤] و «في سبيل الله»: من العبارات الإسلامية التي لم تعرفها العرب إلا بدخول الإسلام، والسبيل في اللغة من سبل: «خذ هذا السبيل فهو أوطأ السبل، وسبيل سابل: مسلوك... ومن المجاز: أسبل المطر: أرسل دفعه وتكاثف كأنما أسبل سترًا... والزم سبيل الله. خير السبيل» (٧١).

وقد تكرر في القرآن الكريم و في الحديث الشّريف ذكر: «سبيل الله وابن السبيل، والأصل هو الطريق... وسبيل الله عام يقع على كل من عمل خالص سلك به طريق التعبد إلى الله- تعالى- بآداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات... وإذا أطلق في الغالب واقع على الجهاد، حتى صار لكثرة

(٧١) الزمخشري: أساس البلاغة: ٤٣٦.



والتهاية والغاية» (٧٤).

يقربنا إلى حبه.

وفي صحيح مسلم كتاب كامل عن الجهاد، وكلها تدل على «جاهد في سبيل الله مجاهدة و جهادا» (٧٥)، لذلك نلاحظ أنّ اللفظة قد انتقلت من دلالة المشتقة والتعب في كل الأمور، واختصت بدخول الإسلام في القتال في سبيل الله، لما فيه من بأس شديد وتعب، وفقدان للأموال والأرواح.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. أنّ الإسلام يدعو إلى تبادل المحبة و المودة بين الناس، و يمقت العداوة و الخصومة و البغضاء في المجتمعات.

و لعلّ سبب حبّ الله المجاهدين: هو دفاعهم المُستَميت عن دينهم وعقيدتهم و رفعهم السلاح بوجه أعداء الإسلام، فاستغنوا عن حياتهم مقابل رضوان الله عليهم.

٢. تكرّرت لفظة الحبّ في القرآن الكريم عشرات المرّات نظرا لتقدّيس الإسلام العواطف الصّافية، حتّى أضحّت من صفات المولى سبحانه و تعالى.

الخاتمة:

و ختاماً، فإنّنا نحمد الله حمدا كثيرا طيباً مباركا فيه أنّه و فقنا إلى إنجاز هذا العمل، و نسأله - سبحانه - أن ينفعنا به و ينفع به غيرنا - كما نسأله جلّ و علا حبه، و حبّ من يحبه، و حبّ أيّ عمل

٣. يضمّ القرآن الكريم بعض المرادفات لللفظة الحبّ، لاسيما: الودّ حتّى أنّ الله جلّ و على أسمى نفسه الودود.

٤. ارتبط حبّ الله جلّ و علا بمجموعة من الصفات التي يتّسم بها المؤمن: وهي المقسطون و التوابون و المتطهّرون و المتوكلون و المقاتلون في سبيل الله و الصابرون و المتّقون و المحسنون.

(٧٤) المرجع نفسه: [جهد]..

(٧٥) الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية:

٥. غياب الأعمال و الدّراسات التي تتناول مختلف العواطف و



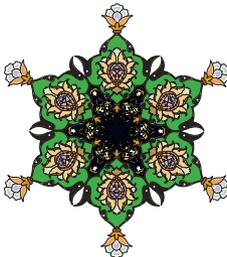
- الانفعالات بالقرآن الكريم مع أنّها موجودة في الذكر الحكيم.
و صلّ اللهم و سلّم و بارك على سيدنا محمّد، و على آله و صحبه و إخوانه إلى يوم الدين.
- الجرجاني، علي بن محمّد: كتاب التعريفات، تحقيق نصر الدين تونسي، شركة القدس للتجارة - القاهرة، مصر، ط. ١، ٢٠٠٧ م.
- جوهدي، محمد: معاني الحبّ و ما تصرّف منه في القرآن الكريم: كلية الآداب و العلوم الإنسانيّة، جامعة شريف هداية الله الإسلاميّة الحكوميّة جاكرتا، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م: [بحث مقدم لنيل الدّرجة الأولى].

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، مجد الدين: النهاية في غريب الحديث و الأثر، إشراف علي بن حسين بن عبد الحميد، دار الجوزي، المملكة العربيّة السعوديّة، ط. ١، ١٤٢١هـ.
- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب: تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط. ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.
- ابن منثور، جمال الدين: لسان العرب: تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط. ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.
- جار الله الجار الله، مها يوسف: الحب و البغض في القرآن الكريم، تقديم السيّد محمّد السيّد نوح، إشراف: عبد العزيز صقر رسالة ماجستير في التفسير و علوم القرآن، جامعة الكويت ١٤١٩هـ - ١٩٩٩ م.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل: تاج اللغة و صحاح العربيّة، مراجعة محمد محمد تامر و أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة مصر، د. ط، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
- خليل أبو عودة، عودة: التطوّر الدّلاليّ بين لغة الشعر الجاهليّ و لغة القرآن الكريم، مكتبة المنار، الأردن، الزّرقاء/ ط. ١ / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.
- زقزوق، محمد حمدي: الموسوعة الإسلاميّة العامّة، المجلس الأعلى



- للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، مصر،
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.
- الزمخشري، أبو القاسم:
١. أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل
عيون السود، دار الكتب العلمية،
بيروت، لبنان، ط. ١، ٤١٩ هـ -
١٩٩٨م.
٢. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل
و عيون الأقاويل في وجوه التأويل،
إخراج: خليل مأمون شيحا، دار
المعرفة، بيروت، لبنان، ط. ٣،
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الطناحي، محمود محمد: من أسرار
اللغة في الكتاب و السنة، دار الفتح
للدراسات و النشر و المكتبة المكيّة
العربية، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم
المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار
الكتب المصريّة، القاهرة، مصر، د.
ط، ١٣٦٤هـ.
- عواد الشرافي، إيمان: المحبة
والكراهية في ضوء القرآن الكريم:
إشراف محمود هاشم عنبر، الجامعة
- الإسلامية، غزّة، كلية أصول الدين،
قسم التفسير و علوم القرآن، رسالة
ماجستير، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب
العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،
دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط.
١، ١٤٣٤هـ - ٢٠٠٢م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين: القاموس
المحيط، دار الهدى، عين مليلة،
الجزائر، د. ط، ٢٠١١م.
- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط:
مكتبة الشروق الدولية، ط٤،
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- النووي، محي الدين: صحيح مسلم
بشرح النووي، تحقيق رضوان جامع
رضوان، مؤسسة المختار للنشر
و التوزيع، القاهرة، مصر، ط١،
٢٠٠١م.





الرمزية في الخطاب القرآني

م.م. رياض عبد الرحيم حسين الباهلي
كلية التربية - جامعة البصرة

فحوى البحث

يعدّ بحث (الرمزية) و (التأويل)، من الابحاث القرآنية المهمة والتي تعلقّت بمسألة لغة الدين، وهو عنوان تناوله قديماً علماء الكنيسة، على أساس أنه منهج لفهم النصوص الأدبية والدينية على وجه الخصوص، ثم طبق على الفهم القرآني، ليكون احد المناهج التفسيرية و التأويلية المتبعة فيه. وقد تناول السيد الباحث (الرمزية) بوصفها منهجاً متبعاً عند مجموعة من المدارس الفكرية والعقدية، القديمة منها والمعاصرة. فتناول التعريف اللغوي و الإصطلاحي للرمزية، كما تطرق الى تاريخ وسعة الرمزية في القرآن الكريم. ومن ثم تعرض للرمزية في المدارس التأويلية كالمدرسة الباطنية والمدرسة الصوفية وكذلك الوضعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

يعدُّ بحث لغة الدين من المباحث الفلسفية لدى علماء الغرب ومفكرهم بل من المباحث الأساسية والمحورية في المؤسسات الدينية والإسلامية على وجه الخصوص، والتي لها المحورية في فهم النصوص الدينية، التي تشمل بإطلاقها النصوص القرآنية، فهي من المباحث المشتركة بين المباحث القرآنية والفلسفية.

كما تعدّ من الفروع الفلسفية المرتبطة بالنصوص الدينية، ففيها نظر الى فلسفة الدين وحقيقة العلاقة بين الدين والعقل، وتعاطي الدين مع العقل، ومن الموضوعات التي تبحث في هذا المجال هي الموضوعات المرتبطة بمنهجية قراءة النصوص القرآنية والروائية، والتي هي محل البحث والتي من خلالها يتم عرض اللغة الرمزية للقرآن الكريم.

من الدوافع الأساسية لكتابة هذا البحث هو غياب الرؤية الموضوعية

والمعلومة الواقعية حول تاريخ الرمزية ومدى تعاطيها مع القرآن الكريم، وعدم تشخيص المدارس الفكرية والعقدية التي تناولت الرمزية في فهمها للقرآن الكريم.

فتشخيص المدارس الرمزية وما تعتمده من اطر هو من اساسيات هذا البحث، وهو ما سنتناوله في بحثنا هذا، وضمن محاوره عدة هي:

١. تعريف الرمزية على مستوى اللغة والإصلاح.

٢. الحركة الرمزية في القرآن الكريم.

٣. الرمزية بين التأريخ والحداثة.

٤. الرمزية والمدارس التأويلية. المدرسة الباطنية - المدرسة الصوفية - المدرسة الوضعية.

مع عرض لنماذج تطبيقية تبنتها هذه المدارس في مجال التطبيق القرآني، مع ما تحمله من رؤى فكرية وعقدية في مجال التأويل والتفسير.

ربما تناول بعض من علماء التفسير هذا الموضوع لكن الجديد فيه هو طريقة العرض التي حصرت بها المدارس



الفكرية في مجال الرمزية التأويلية، لم يتطرق اليه احد وفقا لمطالعاتنا في هذا المجال.

الرمزية لغة واصطلاحاً:

من الامور المتسالم عليها في فهم النص القرآني، ان هناك معان ظاهرية للنص القرآني واخرى باطنية، والأولى تنال بالتفسير والاخرى بالتاويل. وهذا أمر، وإن وقع فيه خلاف واختلاف في تحديد هوية التاويل، الا ان مقولة التفسير والتاويل من المسلمات التفسيرية ولو إجمالاً.

لذا تعرض اعلام الفنون القرآنية والتفسيرية الى موضوعة الرمزية في النص القرآني، وقد حاولوا تقديم رؤية واضحة عن ذلك، لكنهم قدموا لنا قراءة محدودة لموضوعية النص غنية في التطبيق فقيرة في التنظير. فكان الغنى التطبيقي انعكاسا طبيعيا لضيق الرؤية الموضوعية التي يتعاطى معها البعض منهم في فهمه لنص القرآني، فَهَمَّ غلب عليه طابع الفصل بين المراتب التي تجاري اللفظ في ظاهره. اي التفسير

المفرداتي و التفسير الجُملي (التجزئي) والتفسير التركيبي (الموضوعي) فكان لهذه الخلفية التفكيكية الأثر البالغ في تحجيم الرؤية النظرية في عرض الرمزية في النص القرآني.

والمراد من الرمز لغة هو الإشارة من دون الإفصاح، قال الراغب (الرمز اشارة بالشفة والصوت الخفي والغمز بالحاجب، وعبر عن كل كلام كإشارة بالرمز كما عبر عن الشكاية بالغمز قال تعالى ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ اَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ اَيَّامٍ اِلَّا رَمَزًا ﴾^(١).

كما جاء في جامع البيان: الرمز ابياء في الشفتين، (وقد يستعمل في الإيحاء في الحاجبين، والعينين احياناً، وذلك غير كثير فيهم، وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت: الرمز)^(٢).

اما الرمز في الإستعمال فانه يقتصر على المعنى التركيبي او الجملي للنصوص

(١) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص ٢٠٣ مادة (رمز).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ج ٣، ص ٣٥٣.



الغرب^(٣). لكن مفهوم الرمزية لم يتداول كاصطلاح تم تبلوره في مدرسة ومذهب فكري وأدبي إلا في عصور متأخرة^(٤)، وهو ما يعرف بالرمزية الحداثوية، فهي رمزية لفظية انتقلت في الكثير من مجالاتها لتدخل عالم الألفاظ والنصوص الأدبية والدينية، وهو ما يطلق عليه بالرمزية الحداثوية او المعاصرة. باعتبار ان من وظائف قاريء النصوص الأدبية والدينية، استجلاء المعاني الخفية والبعيدة المدى لا ان يوجد للنص معاني افرزتها قوالبه الخاصة، فمثل هذا الدور السلبي في محاكاة الرمزية في النص يفقد النص مضامينه ويبعث حركته المركزية باتجاه مقاصده المعرفية العليا.

(٣) كمال الحيدري، منطق فهم القرآن، ج ١ ص ١٠٦.

(٤) لم يعرف المذهب الرمزي بخصائصة المتميزة الا عام ١٨٨٦م، حيث ينقل بأن رواد الرمزية المتأخرين (عشرين كاتباً فرنسياً) اصدروا بياناً نشر في احدى الصحف يعلن للعالم ولادة المذهب الرمزي مع بيان خصائصه، ثم تطور الأمر لتغزو لرمزية مختلف الفنون.

عامة ومنها النص القرآني خاصة. حيث يهدف من وراء ظواهرها الى معنى يتحرك في ضوئه النص - في سياقه الجُملي - من دون الإفصاح او البوح به. من هنا نرى ان الرمزية مجالها اوسع بكثير من المستوى المفرداتي لكن دون ان ينعقد لها اي مدلول تصديقي تقف عنده، وذلك لإعتبارات تتضح في طيات البحث.

الرمزية بين التاريخ والحداثة:

لم تكن الرمزية وليدة عهد جديد بمقدار ما هي موجودة في الحضارات الاولى، لاسيما الحضارات التي كانت كثيرة التأمل في حقيقة الموت كما هو الحال عند الفراعنة واليونانيين القدماء، حيث اعطى الفراعنة للموت رمزية كبرى في اروقتهم المعرفية والعلمية، فهم من اشار الى العالم الآخر بالغرب، وهم من تعاطى معه بصورة مزجية بين المادية، التمثلة بتحنيط موتاهم وبتزويدهم بالطعام والملبس والخدم، وبين الأمور الغيبية التمثلة بعودة الروح واستئناف حياة اخرى تمثل عالم



لذا نرى ان بين الرمزية التقليدية والحداثوية توجهان مختلفان الى حد كبير في الشكل والمضمون.

فالرمزية التقليدية اهتمت وبشكل كبير بالمعطى الإلهي، سواء كانت النسبة للسماء واقعية أم ادعائية، في حين اهتمت الرمزية الحداثوية بالمعطيات البشرية اكثر من توججها للمعطيات السمائية الربانية.

وهنا نشأت لدينا اشكالية صميمة تكمن في تطبيق الرمزية الحداثوية على النص الديني، بوصفها كانت تتعاطى سابقا مع نصوص بشرية قابلة للصحة والخطأ والإضافة والحذف، وللأخذ والرد، فان هؤلاء جاءوا بمعظم جدليات وتناقضات المعطى البشري واسقطوها على النص الديني عموما.

هذا ما ساعد على بروز الكثير من الإشكالات العلمية والعملية في مرحلة الجري والتطبيق الواردة في النصوص الدينية، وظهور الكثير من التيارات الفكرية المعتدلة والمتطرفة.

وربما يحكم البعض على الرؤية

التقليدية والحداثوية طبقا لمبدأ الصحة في مجال كل منهما، فالتقليدية صائبة في تعاطيها مع النص الديني، والحداثوية صائبة في تعاملها مع النص البشري. لكن الإشكال يقع في تعاطي كل منهما في مجال الآخر.

و الواقع هو ان لكل منهما نقاطاً ايجابية واخرى سلبية متعلقة بما يحمله من رؤية محدودة بمقتضيات زمانية او مكانية، ومعارف فكرية وعقائدية.

من هنا نجد ان رمزية النص الديني قد القت بما تحمل من توجهات مواكبة لكل زمان ومكان لحاكمية الإيجاءات النفسية للقارئ ليشكل من مفردات النص ما يريده هو لأن النص فاقد لصوته، بل لاصوت له^(٥).

ان دراستنا لموضوع الرمزية ليس مطلوباً لذاته فحسب بوصفه مقدمة مهمة لفهم عدد كبير من النصوص القرآنية، وباعتباره حلقة اساسية من حلقات العلم والمعرفة في الإتجاهين

(٥) كمال الحيدري، منطق فهم القرآن، ج ١ ص ١١٢ ط ١ دار فراقدم.



المكانية لعصر من العصور خاصة، بل هناك مجموعة من الظروف الموضوعية التي وسعت رقة الرمزية في القرآن الكريم.

والتي منها تربوية الخطاب القرآني في جميع جوانبه، فهي التي اقتضت الإشارة الى بعض المطالب الحساسة، بدلا من التصريح بها، من قبيل قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِنَبَأٍ يَقْرِيهِهُ. بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ...﴾ [سورة الممتحنة: ١٢]

حيث اشار فيها الى الفاحشة، وقوله تعالى ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِاَكْلَانِ الطَّعَامِ...﴾ [سورة المائدة: ٧٥] في اشارة الى حاجتها الى دفع الفضلات، ومن كان ذلك شأنه فهو لا يصلح للألوهية قطعاً.

وكذلك قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ [سورة الاعراف: ١٨٩] في الإشارة الى المواقعة والمقاربة، وايضا قوله تعالى ﴿... زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

الباطني والتأويلي للقرآن الكريم. فالمرتكز الأساسي للعملية التأويلية هو الرمز والرمزية، فاذا ما فقدت العملية التأويلية هذا المرتكز تلكأت في الكثير من معطياتها العلمية والعملية. وعليه فبالقدر الذي يتوفر عليه المؤول من معطيات الرمزية تكون القيمة المعرفية لتواجه التأويلي، والعكس بالعكس.

الحركة الرمزية في القرآن الكريم:
لم يتعرض القرآن الكريم لمفردة الرمز الا في اية واحدة وهي قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [سورة آل عمران: ٤١] بالرغم من تناوله الرمزية العملية في الكثير من آياته المباركة.

لو تناولنا الخطاب القرآني بالجانب التأويلي لوجدنا الكثير من هذه الآيات الى لا يعرف معناها الا من خلال العمل بالرمزية، نعم لم تكن الرمزية القرآنية مفروضة من قبل الظروف الزمانية او



غَرَبِيَّةٌ ... ﴿ [سورة النور: ٣٥] في اشارة
لى الوسطية في السلوك بين الاستغراق في
الرهبنه (الشرقية) والاستغراق في المادية
والماديات (غربية).

وهذا ما نجده ما ثلا في العشرات
من الآيات القرآنية الاخرى.

الرمزية في المدارس التأويلية:

تعدّ اللغة الرمزية والتأويلية من
النظريات الموجودة لقراءة النصوص
الدينية، والتي استعملت في قراءة
النصوص الإسلامية والتي من ضمنها
(الآيات القرآنية) وتنقسم هذه النظرية
على ثلاثة اقسام:

- الرمزية الباطنية (تأويل الباطنيين).
- الرمزية الصوفية (تأويل المتصوفة).
- الرمزية الوضعية (التأويل الوضعي).

تتشارك جميع هذه الأقسام في نقطة
واحدة وهي عدم قبول الفهم الظاهري
للآيات القرآنية، واعتماد ما وراء اللفظ
وما الفاظ الآيات القرآنية برأيهم الا
رموز تعبر عن معانٍ أخرى، وهو ما
يستدعي تأويل تلك الألفاظ للوصول
الى تلك المعاني، وعليه لا بد من البحث

عن معانٍ أخرى غير الظاهرة في الألفاظ.
من هنا سوف نتعرض لهذه النظريات
بصورة مختصرة.

أولاً: النظرية التأويلية للباطنيين.

يعدّ أصحاب الإتجاه الباطني
من الاتجاهات الإسلامية التي تقابل
اصحاب الاتجاهات الظاهرية في
الأفكار والأطروحات.

فالباطنيون لا يفهمون الدين
الا عن طريق تأويل الآيات باطنياً،
وهذا وصف اتصفت به الإسماعيلية
أكثر من غيرها. والإسماعيلية فرقة
آمنت بستة من أئمة الشيعة الإمامية،
ويعتقدون بأن الإمام الصادق عليه السلام قد
نصب ولده إسماعيل للأمامة بعده،
والمعروف ان إسماعيل قد توفي في حياة
والده لكنهم يعتقدون بأنه هو المهدي
المنتظر، ويبررون شيوع خبر وفاته هو
لحفاظ عليه، وسمي هؤلاء بالواقفة
او الخاصة^(٦).

لكن هذا الوصف في الواقع هو اعم

(٦) محمد كاظم شاکر، طرق تأويل القرآن
ص ٢٠٦-٢٠٧.



المعاني الباطنية أيضاً.
ثالثاً: حقيقة أو معنى الشئ أو الكلام^(٩). ﴿ وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [سورة يوسف: ١٠٠].

هذا ما جاءت به الآيات القرآنية التي تحمل المعاني التأويلية غير القرآنية والتي تنقسم على اربعة معانٍ هي:
أ. تفسير الأحلام وحقائقها المكونة، وهي غير متاحة للجميع^(١٠). وهذا الرأي يعطى هذه الخصوصية لمجموعة من الناس دون غيرهم. لاعتبار من المعاني الباطنية غير الظاهرية.

ب. الحكم والأسرار التي اكتنفتها أفعال الخضر عليه السلام وغابت عن أفعال الكثير بمن فيهم النبي موسى عليه السلام^(١١).

(٩) محمد أبي السعود، تفسير أبي السعود، إرشاد القلب السليم الى مزايا القرآن الكريم ج ١ ص ١٩٥٦، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(١٠) محمد حسين الأصفهاني، ديوان الأصفهاني ص ٢٣.

(١١) مرتضى الأنصاري فرائد الأصول، ج ٣ ص ١٢٧.

من ذلك لأنه يعم كل من ترك ظواهر النصوص واعتمد على الباطن. وهذا ما حملته معاني التأويل اللغوية والتي منها. أولاً: التأويل من الأول أي إرجاع الشئ الى الأصل، رد الشئ الى الغاية المرادة منه علماً كان او فعلاً^(٧)، وهذا المعنى ناظر الى المقصود الباطني الكامن وراء اللفظ.

ثانياً: أول الكلام تأوله ودبره وقدره، وأوله وتأوله فسره، قال تعالى ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [سورة يونس: ٣٩].

قال بن الأثير: هو من آل الشيء يأول الى كذا، أي رجع وصار إليه، والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن موضعه الأصلي الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ^(٨)، وهذا كما يحمل على المعاني الظاهرية يحمل على

(٧) ابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مفردات في غريب القرآن، ص ١٧٨ دار الأدب العربي لبنان.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج ١ ص ٢٦٤، دار إحياء التراث.



ج. حقيقة ومصير الطعام الذي رآه صاحبنا النبي يوسف عليه السلام في منامها في السجن، وتحديد هذه المصاديق غير ميسور للجميع^(١٢).

د. العاقبة المجهولة لأفعال الإنسان المختارة، إذ ليس بمقدور الجميع الإطلاع على مآل هذه الأفعال ووجهها الآخر^(١٣).

وجميع هذه الآراء تشير الى المعاني والمعارف الباطنية للآيات الكريمة.

لقد صرح الباطنيون في كثير من المواطن الى ان لغة القرآن ما هي الا رموز واشارات ترمز الى معانٍ مخفية وراء اللفظ.

يقول ناصر خسرو ان الشريعة الناطقة كلها عبارة عن رموز وأمثال لا يعرفها كل احد، وبالنتيجة كل من لا يعرف الرموز والمعاني لا يعرف تكليفه^(١٤).

كما جاء في رسائل أخوان الصفا ان اكثر كلام الله تعالى والأنبياء والحكماء عبارة عن معانٍ أخفيت بسبب سر من الأسرار، وهذه الأسرار لا يعرفها الا الله تعالى والراسخون في العلم.

وسبب ذلك هو ضعف بعض القلوب عن تحمل تلك الأسرار، وهذا ما أشار اليه النبي الأكرم بقوله أمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم^(١٥). كما اعتبروا إفشاء هذه الأسرار من الكفر، وأما

خواص الحكماء لا يحتجوا الى توضيح لأنهم مطلعين على تمام تلك حقائق تلك الأسرار والرموز^(١٦). و استدل الإسماعيلية على هذا الرأي بمجموعة من الأدلة العقلية والنقلية والتي منها.

الأدلة العقلية:

ان كل ما هو ظاهر محسوس يشتمل على باطن معقول.

يقول ناصر خسرو في هذا المجال ان كل ما موجود في العالم على قسمين أما ظاهر أو باطن، وكل ما هو ظاهر يمكن

(١٥) رسائل اخوان الصفا ج ٢ ص ٣٤٣.

(١٦) رسائل اخوان الصفا ج ٢ ص ٣٤٣.

(١٢) علي اكبر يابائي، (تأويل القرآن) مجلة معرفت، مؤسسة الإمام الخميني للتربية والتعليم، العدد الافتتاحي.

(١٣) السيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن ج ٣ ص ١٣٨ دار الهادي.

(١٤) ناصر خسرو قباداني، وجه الدين، ٥٣.



الخفية، ولأن هذه الدرجات ثابتة بأمر الله تعالى فالعالم ثابت ايضاً.

والدليل على اثبات باطن الكتاب والشريعة هو ان الظاهر لا يكون الا بباطنه فالسما والارض لا يبدوا منهما الا اللون الأزرق، وهو الذي يظهر للعيان والشمس والقمر لا يظهر منهما الاضياؤها، كما لا يظهر من السماء شيء اذا الشمس وصلت الى برج الحمل تخضر الأرض وتاخذ زيتتها، واذا وصلت الى برج الميزان تصفر اوراق الأشجار (١٧)...

كذلك كتاب الله والشريعة فظاهرة، وأما معناها وتأويلها فباطن غير ظاهر للجهلاء، وظاهر للعلماء حيث يمتازون به عن الجهلاء، علاوة على ذلك فإن الكتاب والشريعة مثل الجسدين والمعاني والتأويل مثل الروحين، كما ان الجسد لا وزن له بدون الروح فكذلك الكتاب والشريعة لا وزن لها بدون التأويل والمعنى.

وعلى نفس هذا النمط من الاستلال قام القاضي نعمان بعرض مجموعة الأدلة (١٧) ناصر خسرو وجه الدين، ص ٦٢ - ٦٦.

معرفة بالحواس، ويقال له محسوسات، وكل ما هو باطن فهو مخفي لا يستطيع الناس إدراكه بالحس، وأرباب الحكمة يدركوه بالعقل والعلم ويسمى هذا النوع بالمعقولات، وكل ما هو ظاهر فهو غير ملمس، وكل ما هو ملمس فهو غير ظاهر، ويمكن استكشاف الطاعات من خلال أقوال الشريعة، وهو المسمى بالظواهر والتي هي من قبيل الصلاة الصوم الحج الزكاة الجهاد وغير ذلك.

باعتبار ان اصحاب الحس لا يتفانون في إدراكه.

وعندما يقال الباطن يعني به الأمور التي لا طريق للحس اليها، ولو لم يكن للأشياء باطن لما كان لشيء على شيء مزية باعتبار ان الأمور الظاهرية ظاهرة للخلق على درجة واحدة قال تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [سورة الزخرف: ٣٢].

فنضع مجموعة فوق مجموعة بدرجات حتى يسخر بعضهم ببعض وهذه الآية تدل على اثبات الأمور



النقلية، مستدلاً فيها على اثبات الدليل العقلي وهو كالتالي:

إن كل محسوس له ظاهر وباطن، ظاهر يمكن إدراكه بالحس، وباطنه عن طريق العلم، ولذا كل ظاهر يمكن إدراكه عن طريق الحس يشتمل على باطن هو زوج وقرين له يقول تعالى ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الذاريات ٤٩] يعني خلقنا من كل شئ زوجين حتى يكون عبرة ولفظة شئ تشمل كل الألفاظ المنزلة وعلى التنزيل لها باطن أيضاً.

والواحد الذي لازوج له هو الله تعالى، وغيره يتقوم بالزوجية^(١٨) هذا ما أكده قوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [سورة لقمان: ٣١]. ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٠].

كما عبرت مجموعة من الآيات بهذا الاتجاه أي لا بد من الأخذ بالباطن والتأويل مثل قوله تعالى ﴿وَأَلَّوْا سَتَقَمُوا﴾

(١٨) القاضي نعمان، تأويل دعائم الإسلام ص ٧٠.

عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [سورة الجن: ١٦].

فهذه الآية لا يمكن حملها على المعنى الظاهري لأن الماء المراد هنا ان كان هو السائل المعروف فهو لا يختص بالمؤمن بل يشمل الكافر أيضاً لذلك لا بد من الأخذ بالمعاني الباطنية لمصطلح (الطريقة) (والماء) ولهذا ذهب الباطنيون الى أن الطريقة بمعنى النبي والإمام من بعده، وأما الماء فهو العلم الكثير.

الدليل النقلي:

الأدلة النقلية من الأدلة التي تمسك بها الباطنية على صحة مذهبها إليه من تفسير للآيات التي تشتمل على كلمة التأويل مثل قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]. حيث ذهب

القاضي نعمان الى أن الآية مطلقة وتشمل بإطلاقها جميع الآيات القرآنية الأخرى، كما استدل الباطنية بمجموعة من الروايات والتي من ضمنها قول الإمام الصادق (لا توجد آية الا ولها



ظهر وبطن) (١٩).

الشريعة أغلال وقيود:

ان من الميزات التي يتميز بها اصحاب النظرية الباطنية قولهم: ان الفلاح وقبول الأعمال وفي النهاية دخول الجنة إنما هو مشروط، بالباطن و تحدثوا على قبول الظاهر في بعض الموارد والتي لها مساس بالأحكام الشرعية على المستوى المباشر، ولهذا يقول ناصر خسروا كل من يعمل بشريعة الرسول من دون علم التأويل سوف يجد باب الجنة مغلقاً أمامه، وكل من يعمل بالعلم تفتح له أبواب الجنة) (٢٠).

وهذا ما أكده قوله تعالى ﴿ وَسَيَقَ الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

فالجميع يذهبون الى ان الذين يخافون ربهم اذا جاءوا مجاميع مجاميع تفتح لهم أبواب الجنة، أي ان الأبواب

(١٩) القاضي النعماني تأويل دعائم الإسلام ص ٧٠-٧٢.

(٢٠) ناصر خسروا قبادي وجه الدين، ص ٣٥.

مغلقة لكن عندما جاء القوم فتحت تلك الأبواب مما يشير الى ان شريعة الأنبياء عبارة عن رموز واشارات وأمثال ونجاح الناس وتوفيقهم عبارة عن فتح هذه الرموز والأمثال. وعلى سبيل المثال فإن الباب المخصص للجنة يفتح فيجد الناس طعاماً وشراباً ومكاناً مناسباً وكلما كان درب الجنة مغلق كان باب النار مفتوح كما قال تعالى ﴿ وَسَيَقَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحِتْ أَبْوَابُهَا ﴾ أي ان الكافرين يساقون الى جهنم على شكل مجاميع فإذا وصلوا الى هناك تفتح لهم أبوابها، وبالنتيجة فإن فتح باب الجنة هو تأويل الكتاب والشريعة.

كما ان الوحي من المعاني الباطنية والتي هي الصورة الأولى التي أشار إليها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [سورة الشورى: ٥١] وهذا من الوحي الرمزي، الذي هو سر بين الله سبحانه وتعالى وبين رسوله صلوات الله وسلامه عليه...! و هذا يعني أن هذه الأسرار



معروفة الدلالة لرسول الله، وإلا لما كان لوحيها إليه حكمة..

و هذا الوحي الذي هو عن طريق الرسول السماوي هو الذي يشارك أهل اللسان العربي، النبي في فهم دلالات ألفاظه، و معانى آياته، لأنه بلسانهم الذي يتكلمون به، و بألفاظهم التي يتعاملون بها.. أذن المعاني الظاهرية لا اختلاف في فهمها لأهل اللغة العربية ومن عرفها، لكن الأسرار والمرادات الواقعية هي مما اختص به النبي بفهمه والعمل به.

وذهب جمع من المفسرين مثل العلامة الطباطبائي في (تفسير الميزان) و الطنطاوي في تفسير (الجواهر) إلى حمل هذه الآيات على التشبيه والكناية و ضرب الأمثال، أو ما يسمّى (البيان الرمزي) ثم شرحوا ذلك بصور عدّة.

و أشار القرآن الكريم إلى ذلك الإعجاز (الأعجاز الرمزي) بكلمة «الوحي» ليبين أنّ حياة النحل لا تقاس بحياة الأنعام، و ليدفعنا للتعمق في عالم أسرار هذه الحشرة العجيبة، و لتتعرف

من خلالها على عظمة و قدرة خالقها، و لعل «الوحي» هو التعبير الرمزي الذي اختصت به هذه الآية نسبة إلى الآيات السابقة.

و الغرض من هذا الاستدلال الرمزي التنبيه لدقائق الصنع الإلهي كيف جاء على نظام مطّرد دال بعضه على بعض، كما قيل:

انتقال من التعريض الرمزي بالوعيد الأخرى في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٢] إلى قوله: ﴿وَالَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة التغابن: ٣] و قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُشِيرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة التغابن: ٤] إلى تعريف أوضح منه بطريق الإيحاء إلى وعيد لعذاب دنيوي و أخروي معا فإن ما يسمّى في باب الكناية بالإيحاء أقل لوازم من التعريض و الرمز فهو أقرب إلى التصريح.

و من خلال هذا العرض، نستطيع أن نقرر في اللغة القرآنية، هو أن يكون هناك إتقان لا يسمح بأية ثغرة تسيء إلى تكامل الشيء و توازنه. و من الطبيعي



للآيات القرآنية دون التعرض لظواهر المصاديق فهي خاضعة للإحصاءات الدقيقة التي يكتشفها الفهم الواعي السليم. و أما التشابه، فإنه يمثل وجود حالة في اللفظ أو في المعنى توحى بحالتين متماثلتين، بحيث لا يكون هناك خصائص واضحة توضح طبيعة الصورة، مما يثير في الجوانب إمكانية الالتباس و التردد بين الأمرين بالنحو الذي يسمح بالاستغلال لمن يريد ذلك لمرض في قلبه أو هوى في نفسه. وأما التأويل، والذي هو الطريق الأساس في اللغة الرمزية فإنه يعني إرجاع الشيء إلى مصدره و حقيقته، لكن لا على نحو التفسير الباطني الرمزي، بل على نحو التفسير الذي يتناسب فيه اللفظ و المعنى بالمقارنة مع نص آخر واضح الدلالة على المطلوب.

فقال الإمام عليه السلام كتبت تذكر ان قوماً انا اعرفهم... وبلغك انهم يزعمون ان الدين هو معرفة الرجال (أئمة الباطنية) وذكرت أنهم يزعمون ان الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والمشعر الحرام رجال... واخبرك انه من كان يدين بهذه الصفة التي سألتني عنها فهو مشرك... واخبرك أن هذا القول كان من قوم سمعوا ما لم يعقلوه عن أهله (٢١).

تأويلات المتصوفة:

أما النظرية الثانية والتي هي عبارة

(٢١) المصدر بصائر الدرجات - محمد بن حسن الصفار - ص ٥٢٦، مقدمة تفسير البرهان ص ٥٢.

لو طالعنا الروايات الشريفة لعرفنا ان للباطنية مذهباً ضارباً في القدم حتى ان الإمام الصادق كانت له مجموعة من الردود على المستنبطين للمعاني الباطنية

نقض الإمام الصادق آراء الباطنية:

لو طالعنا الروايات الشريفة لعرفنا ان للباطنية مذهباً ضارباً في القدم حتى ان الإمام الصادق كانت له مجموعة من الردود على المستنبطين للمعاني الباطنية



(بل نوياء) والباطنية:

يذهب المستشرق بل نوياء الى ان للباطنيين عمقاً قرآنياً، وهو الباطن أو المعنى الداخلي أو الروحاني الكائن وراء اللفظ، والذي يمكن الاطلاع عليه وإظهاره عن طريق العملية الإستنباطية، والتي تأخذ معاني متعددة، او من أي طريق آخر غير البحث العلمي او الطرق الفنية التي يقوم بها اللغوي، ولا من الطريق القويم الذي رسمه لنا أهل البيت.

لكن عن طريق الإلهام الذي يعطيه الله للإنسان بشكل خاص أو عناية خاصة، العناية التي تنسبها الإرادة الإلهية من خلال العبرة القرآنية أو معرفة خطابه، وكل واحد حسب الفائدة أو العناية التي تتوالى الأوقات العرفانية عليه وتعطي له، ولديه استنباط خاص به وعلى هذا لا توجد آية تلقى في وقتين بمعنيين مختلفين وإنما حسب تنوع الإلهام ويتم الحصول على المعاني المتفاوتة لكل شخص (٢٢).

(٢٢) بل نوياء، تفسير القرآن واللغة العربية،

عن تأويلات المتصوفة والتي اعتبروها من الأساسيات في تبين والتفسير الكثير من آيات القرآن الكريم. إذ وجدت تلك الأمور في تراثهم الكلامي والتفسيري، وهم قد صرفوا النظر عن القواعد والقوانين الدلالية والمعرفية للغة، بحيث قدم هؤلاء الكثير من آرائهم على الكثير من المعاني الواقعية للقرآن الكريم او كانت هي المحور الأساس الذي تدور حوله تلك الآيات المباركة.

فهم وضعوا الجانب الدلالي والظاهري في بوتقة النسيان وبشكل أساسي: يذهبون الى ان اللغة الرمزية والإشارية هي الأسلوب الرئيس في بيان مقصودهم، والذي من خلاله يقوم الصوفية بإخفاء إسرارهم عن غيرهم، لذلك عمموا أسلوبهم هذا على فهم المعاني القرآنية جميعاً، وقالوا ان لغة القرآن هي لغة رمزية وإشارية.

من هنا نجد ان الصوفية سبرت غور الرمزية الإلهية ونجحت في كشف اللثام عن كمالات الحق سبحانه.



التصوف والرمزية في القرآن:

ان مما لاشك فيه، ان اللغة الصوفية هي لغة الرمز، كما ان كل واحد منهم يمثل رمزا في ذاته يمثل سره ونجواه، وقد صنفت في الرمزية الصوفية الكثير من الرؤى والنظريات.

ان رؤية اهل التصوف في القرآن هي أن لأي شخص (مع توفر مجموعة من الشروط عندهم) القابلية في سماع كلام الله تعالى ليس في القرآن فقط، وإنما يكون ذلك وفقاً للتجربة الشخصية أيضاً. لذلك نرى اصحاب النظرية الصوفية يعتمدون على كون القرآن حمالاً ذا وجوه، وله معانٍ توازي تجربة العارف، وهذا المعنى مكشوف للصوفي حسب ما يدعي، كما ان لغة الصوفي ليست لغة ثابتة فيكون لها وجه واحد وإنما هي في تحول دائم وفقاً للأحوال والأوضاع التي يمر بها ذلك الشخص، والذي يعبر عن أنواع التجارب التي يمر بها بشكل دقيق.

وهو ما نراه في النظرية الصوفية من خلال درجهم للمقامات الطولية لكلمات السالك في سلم يتوقف فيه اللاحق على السابق، من قبيل الصحو والمحو، والقبض والإنبساط، والحال والمقام، والقرب والبعد، والغفلة واليقظة، والتخلي والتجلي والتجلي، والحد والصفة والنعمة، وغير ذلك مما ورد في اصطلاحات الصوفية العامة والخاصة في الفكر الصوفي النظري منه والعملية (٢٣).

ويعتبر ابن عربي هو المدافع الأول والأكثر تأثيراً لهذه النظرية، وذلك خلال ما كتبه من مؤلفات كثيرة في مجال التصوف، والذي اتخذ الأنظار التأويلية واللغة الرمزية الركيزة الأساسية التي اعتمدها في بيانه للآيات القرآنية، والذي اعتبر ان تنزيل القرآن الكريم مر بمرحلتين.

الأولى: والتي كان التنزل فيها على

(٢٣) كمال الدين عبد الرزاق القاساني، اصطلاحات الصوفية، ضبط وتعليق موفق فوزي الجبر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، سورية.

نقل كتاب زبان دين، د. ساجدي مؤسسة الإمام الخميني قم.



النبي الأكرم وهي المرحلة الظاهرية او مرحلة الألفاظ والمفردات الظاهرية.

الثانية: وهي مرحلة فهم تلك الألفاظ، وهو التنزل على قلوب بعض المؤمنين من ناحية الحق تعالى، لذلك كان شرح القرآن مثل أصل القرآن، باعتباره تنزل آخر على قلوب أهل العلم من الطرق الموصلة عن الله تعالى يقول الإمام علي عليه السلام في هذا المجال (ما هو الا فهم يؤتاه الله من يشاء من عباده في هذا القرآن، ففهم القرآن إعطاء الهي الى العلماء)^(٢٤).

من هنا يمكن لنا ان ندخل السؤال التالي وهو:

اذا كان هذا القول من أمير المؤمنين عليه السلام عبارة عن الباطن القرآني فماذا يقول العلماء والذين يتبعون الظواهر القرآنية في هذا القول؟. واذا كان شرح وتفسير الفاتحة يوقر ٧٠ بغيراً، فما هو المقصود بذلك؟. وهل يمكن تحقق هذا النوع من الفهم الإلهي من غير الطرف الإلهي؟.

(٢٤) محيي الدين بن عربي، الفتوحات المكية ص ٢٨٠.

طبعاً هناك أجوبة متعددة لاجمال لذكرها في هذه المقال.

وانطلاقاً من هذا القول والأقوال المشابهة له، نرى أن أبا يزيد البسطامي يخاطب العلماء الظاهريين بالقول: انتم أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربي، وانتم تقولون حدثني فلان وأين هو؟. قالوا مات عن فلان وأين هو قالوا مات...

فهم يعتبرون ذلك من الفيض الإلهي والمبشرات التي لم يسد بابها، والتي هي من اجزاء النبوة والطريق واضحة والباب مفتوح والعمل مشروع^(٢٥).

ثانياً: تأويل اصحاب المدرسة الوضعية:

تعتبر النظرية الوضعية على خلاف النظرية السابقة، والتي تعتمد على الشهود والفيوضات الباطنية في تفسير القرآن الكريم، بل تعتمد هذه النظرية الوضعية على المصاديق الخارجية والمادية على الأكثر والتي تم إثباتها في المجال

(٢٥) ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ص ٤٢٣.



المستخرجة من مجمل المعاني اللغوية للفظ تأويل نبرز النقاط التالية:

١. يستخدم لفظ (التأويل) في صيغة المصدر (المعنيان الأول والثاني)، وفي صيغة الوصف (المعنى الثالث).

٢. بما ان لفظ التأويل هو مشتق من الفعل (أول) فعليه ان يكون المعنى الأول هو المعنى الأصلي، والمعنيان الثاني والثالث فرعين ناشئين عنه، لأن استخدام (تأويل) في صيغة المصدر مخالف للقاعدة، كما أن المعنى الثاني (تفسير وبيان) لا ينسجم مع جذور لفظ (تأويل).

٣. (التأويل) لا يختص بالكلام، ومنه القرآن الذي هو كلام الله تعالى. وهو يستعمل في المسائل العينية، وعلى هذا يكون معناه اعم واشمل من المعنى المصطلحي للتفسير.

كما يتميز المعنيان الأول والثاني للتأويل كلياً عن معنى التفسير. أما معناه الثاني -وبصرف النظر عن الملاحظة المذكورة في الفقرة السابقة- فهو اخص في المعنى من التفسير، لأنه يتعلق بالمقاصد

التجريبي والمصداق الخارجي.

فالتأويل من (أول) وهو الرجوع او الإرجاع فيما التزمنا الجذر الأصلي، وقد ذكرت معان عدة للتأويل، يمكن تصنيفها ضمن ثلاثة تفيد ثلاثة معان عامة، وهذه المجاميع هي:

أ. رد الشيء الى الغاية المرادة منه، او رد البيان الى غايته المقصودة^(٢٦).
ب. تفسير وبيان الغاية من الشيء أو الكلام^(٢٧).

ج. حقيقة او معنى الشيء أو الكلام^(٢٨).
وعلى ضوء هذه التصنيفات الأربعة

(٢٦) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٨.

(٢٧) الجزائري، نور الدين، فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، دار الكتب العلمية، بيروت ص ٨٨ و ٨٩.

(٢٨) تدخل ضمن هذه المجموعة عاقبة الكلام وما يؤول اليه (ابن فارس، احمد مجمل اللغة) انتهاء الشئ ومصيره وعاقبته وآخره (مقاييس اللغة)، المعنى الباطن للقرآن غير المعنى الظاهر (مجمع البحرين) نقلاً عن بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم محمود رجبى، ترجمة حسين الصافي، مركز الحضارة للتنمية الفكر الإسلامي. بيروت ص ٣٥٨.



المستتر (٢٩).

التجريبية التي استحدثها الإنسان، أو على أساس اعتبارها حالة تمثيلية أو تصويرية في أسلوب الأدب الرمزي، لأنهم لا ينطلقون من موقع الإيمان بالغيب في ما ينزله الله على رسله من الحديث عما لا يملك الناس علمه، لأنهم لا يملكون وسائل الوصول إليه، وذلك من خلال الأفكار السابقة التي يحملونها في تربيتهم الثقافية. الرمزية وعلامات الاختصار فيما مضى الى يومنا هذا والذي اعتبر فيه كأمر طبيعي وكثير الاستعمال، خاصة في عصرنا الحاضر فإنه كثير التداول والاستعمال. ولا يعتمد اصحاب هذه المدرسة في طريقتهم هذه على الإعجاز البلاغي للقرآن، ولا على اللغة ومفرداتها بل كل ما يعتمدونه هي المصاديق العلمية والتجريبية في ذلك، والتي تعتمد على الإشارة إلى شيء ما، او التشبيه بما هو حاصل في عالم الإمكان.

استعمال التأويل في القرآن الكريم:

ورد لفظ (تأويل) سبع عشر مرة في القرآن الكريم، خمس منها في القرآن،

يعتقد السيد حيدر الأملي ان القرآن لما كان صورة إجمال عالمي الآفاق والأنفس وتفصيلها ولما كان ينطوي في ذاته في حسب صورته ومعناه على كل ما اشتمل عليه العالم من مركبات وبسائط، فإن النظر فيه وقراءته ومعرفته وفهمه ومعرفة بواطنه واستنباط مضامينه وما استتر خلف الألفاظ والتراكيب وللغوية من وجوهه، كل ذلك نظر في العالم وإدراك له بتفصيل ما اشتمل عليه صورة ومعنى.

هذه النظرة التأويلية للقرآن ومحاولة إيجاد المصاديق التأويلية في الخارج هو ما جعل السيد احمد خان الهندي أن يكون احد رواد المدرسة الوضعية، والذي أخرجها تحت عنوان (القرآن هو الهدى والفرقان) يقوم اصحاب هذا المنهج بتأويل الظواهر الغيبية على أساس بعض الموازين

(٢٩) بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم محمود رجبى - مركز الخطاره لتنمية الفكر الإسلامي بيروت ٢٠٠٧ - ص ٢٠.



٣. حقيقة ومصير الطعام الذي رآه صاحبنا النبي يوسف عليه السلام وغابت عن ادراك الكثير بمن فيهم من كان معه في السجن ^(٣٣).

٤. العقابة المجهولة لأفعال الإنسان المختارة إذ ليس بمقدور الجميع الإطلاع على مآل هذه الأفعال ووجهها الآخر ^(٣٤).

ووفقاً لما جاء من معاني لمفردة التأويل يمكن لنا ان نلخص آراء المفسرين في هذا المجال الى الحالات الخمس والتي ورد فيها لفظ (تأويل) في القرآن، ضمن معان اربع:

الأول: هو المعنى الحقيقي والمنظور الأصلي لبعض الآيات المتشابهة.

الثاني: ان المراد من التأويل هو المعاني والمعارف الباطنية للآيات الكريمة، بما

(٣٣) الطباطبائي - محمد حسين - الميزان في تفسير القرآن - جامعة المدرسين - قم - ١٤١٧ - ج ١١ - ص ١٢٧، وتفسير روح المعاني للآلوسي - ج ١٢ - ص ٢٤١.

(٣٤) جلال الدين المحلي - جلال الدين السيوطي - تفسير الجلالين - دار ابن كثير - دمشق - ١٤١٩ - ص ١١٥.

والباقى في غير القرآن ^(٣٠). بالنسبة للمعاني الأخرى للفظ (تأويل) (غير معنى القرآن) فهي تنقسم الى اربع معان، وهي:

١. تفسير الأحلام وحقائقها المكونة، وهي غير متاحة للجميع ^(٣١).

٢. الحكم والأفعال التي اكتنتها أفعال الخضر عليه السلام وغابت عن ادراك الكثير بمن فيهم النبي موسى عليه السلام ^(٣٢).

(٣٠) هذه المرات الخمس اثنان منها في سورة آل عمران في القرآن وذلك باجماع المفسرين، وفي المرات الثلاث الأخرى (سورة الإعراف الآية ٥٣، يونس الآية ٣٩، والمراد هو تأويل القرآن حسب أشهر الآراء.

(٣١) بالنسبة للآيات - ٣٦ - ٤٤ - ٤٥ - ١٠٠ - من سورة يوسف، فأن هذا المعنى (تأويل القرآن) قطعي وهو موضع اجماع المفسرين اما ظاهر الآيات ٦ - ٢١ - ١٠١ - من السورة نفسها فيشير الى معنى السابق نفسه وهو تفسير الأحلام في حين ان الآية ٣٧ من السورة يتنازعها احتمالان. احدهما المعنى المطروح آنفاً، تفسير الميزان - للطباطبائي - وتفسير روح المعاني - للآلوسي في تفسير الآية المذكورة.

(٣٢) ورد لفظ تأويل - مرتين في سورة الكهف، الآيتان ٦٨ و ٨٢، والمقصود منه المعنى الذي نحن بصدده.



فيها الآيات المحكمة والمتشابهة.

الثالث: التجسم الخارجي الفيزيقي
لوعيد القرآن الكريم وتحققه حول الآخر
وسائر النبؤات.

الرابع: امثلة ومصاديق لبعض
الآيات الكريمة الغائبة عن عيون العرف
والناس العاديين.

كما نستطيع القول ان علاقة هذه
المعاني فيما بينها، ليست من قبيل
الإشتراك اللفظي بل هو اشتراك في
المعنى اي ان لفظ (تأويل) لم يوضع لكل
معنى من هذه المعاني على نحو التحديد
والتعيين، بل هي مصاديق عامة،
استخدم التأويل في كل منها بتناسب
دلالاتها في تلك الحالة أو المصداق.

ونستطيع الإستدلال على ان المراد
من التأويل على وجه التحديد من خلال
ايجاد اظهر تلك المصاديق واجلاها.

ومن تلك المصاديق الواضحة
للتأويل المصداقي انها هو ما قام به النبي
يوسف عليه السلام في تأويله لرؤيا من كان معه
في السجن قال ﴿يَصْنَعِي السِّجْنَ أَمَّا
أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ

فَيَصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ
الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿﴾ [سورة
يوسف: ٤١].

فما تحقق في الخارج وما هو موجود
فعلا قبل تحقق تلك الرؤيا هو نوع من
انواع التأويلية لما اشارت اليه الآية
المباركة، وهو ما استدل به اصحاب
النظرية الوضعية، كمؤيدات لنظريتهم
هذه، وهو مصداق من مصاديق التأويلية
الوضعية.

نقد النظرية الوضعية:

لقد اعتمد اصحاب المدرسة
الوضعية على القضايا العلمية والخارجية
في تفسيرهم للقرآن الكريم، معتقدين
بوجود مجموعة من الآيات القرآنية
التي ترمز الى هذه الأشياء الخارجية،
والمعتمدة بدورها على العلوم التجريبية
الظاهرية.

من هنا واجهت هذه المدرسة
مجموعة من الانتقادات والتي ساهمت
بدورها في عدم توسعها وقبولها في
المجال التفسيري. ومن هذه الأنتقادات.

الأول: ان العلوم التي يعتمدها



اصحاب هذه المدرسة هي مجموعة القضايا القابلة للثبات عن طريق التجربة والحس، والتي تحصر المعرفة الحقيقية والواقعية للإنسان بالأمور الحسية والتجربة الحسية، وأن التفكير فيما وراء الطبيعة يعتبر لغواً وعديم الفائدة، لذلك حصل لديهم التشكيك في مجموعة العلوم والمعارف الحاصلة من غير المعارف التجريبية^(٣٥).

الثاني: تعتبر العلوم التجريبية والواقعة في عالم الإمكان هي حصيلة العلوم والتجارب البشرية، وهي التي تنقسم الى مجموعة النظريات العلمية غير الثابتة، او القواعد والقوانين العلمية الحاصلة من تكرار تلك النظريات، والتي وصلت الى مرحلة الثبات واليقين العقلي، لكن وبعد ظهور النظريات الجديدة في فلسفة العلم تبين ان العلوم الطبيعية لايمكن ان ترقى الى مستوى القانون الطبيعي الثابت بأي حال من

(٣٥) السيد حيدر الأملي المصدر المحيط الأعظم والبحر الخضم، ج ١ ص ٢٤٠ مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

الأحوال^(٣٦).

وهذا مما يجعل فهم الآيات القرآنية وتفسيرها تابع للنظريات العلمية، وهذا لا يجعله مرجعاً وميزاناً. كما يجعل التفسير القرآني تفسيراً متغيراً لاثبات له، مما يساعد على تعدد المذاهب والآراء تبعاً لتغير النظريات العلمية والواقع الخارجي.

هذا طبعاً مع وجود مجموعة اخرى من مجالات النقد لهذه النظرية مما لايسعنا البحث لذكرها.

الخاتمة:

ذهبت الصوفية والباطنية الى ان الدين حرٌّ من القيود، مع جفاف الظواهر الشرعية، سواء أكانت قرآنية أم روائية.

لذلك فهم وفي سبيل تقوية مايعتمدون من مبانٍ مذهبية او دينية، اعتمدوا بذلك مسألتين اساسيتين هما، باطن القرآن، والثانية هي الأمثال والكنيات الرمزية، والإشارات الموجودة فيه. فقاموا بصياغة وتبين

(٣٦) [سورة البقرة: ٢٥].



مجموعة من المباني العرفانية والذوقية، ومبانيهم المذهبية على انه من التفسير الباطني للقرآن.

من هنا نرى ان الباطنية بجميع مدارسهم العرفانية والصوفية والوضعية، اعتمدت في ذلك تأويل الظواهر الشرعية (القرآنية والروائية) والتي اتخذت أشكالاً متعددة في فهمها لقرآن وتفسيره، لذلك اعتمد اصحاب المدرسة الصوفية على حالة الزهد الا مشروع والتصوف المخالف للقواعد الأساسية للسير والسلوك.

كما اعتمد اصحاب المدرسة الإشارية على المنهج الشهودي والإشراقات الباطنية والحالات الروحية، المتقلبة نتيجة ممارسة مجموعة من الأفعال و الأذكار التي لا ميزان لصدقها ومطابقتها للواقع.

كذلك المدرسة الوضعية، والتي اعتمدت الواقع الخارجي والتتاجات المختبرية في فهمها للآيات القرآنية متغافلة بعد ذلك جميع ما هو خارج هذا الاطار المادي.

وفي الختام: إن ادراك الحقائق عن طريق المكاشفة والشهود، او عن طيق التأويل الرمزي والإشاري، او التأويل طبقاً لما هو موجود في عالم الإمكان لا يمكن ان يكون مصداقاً للتفسير، وان كان مقبولاً، لأن صحة التفسير تعتمد اعتماداً أساسياً على الظاهرة القرآنية والدلالات اللفظية.

مصادر البحث:

١. الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي. ط ٢، مكتبة ذوي القربى، قم ١٤٢٧هـ.

٢. إرشاد القلب السليم الى مزايا القرآن الكريم، محمد أبي السعود تفسیر أبي السعود، إرشاد القلب السليم الى مزايا القرآن الكريم ط ١ دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، دار الهادي، ايران قم ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤. بل نوياء، تفسير القرآن واللغة العربية، نقل كتاب زبان ديند،



- ساجدي مؤسسة الإمام الخميني قم.
٥. تأويل دعائم الإسلام، القاضي محمد بن النعمان، ط١، دار المعارف، القاهرة مصر.
٦. التفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢.
٧. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط٣ دار المعارف، بيروت لبنان ١٤٤٠.
٨. رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٩. شرح فصوص الحكم ابن عربي، داود القيصري، ط١ منشورات نور الهدى، تحقيق دار الاعتصام ١٤١٦هـ ق.
١٠. طرق تأويل القرآن، محمد كاظم شاکر ط٢، منشورات ذوي القربى، ايران، قم تاريخ الطبع ١٩٨٨.
١١. علي اكبر بابائي، (تأويل القرآن) مجلة معرفت، مؤسسة الإمام الخميني للتربية والتعليم، العدد الافتتاحي.
١٢. كمال الدين عبد الرزاق القاساني، اصطلاحات الصوفية، ضبط وتعليق موفق فوزي الجبر، ط١ ١٤١٥هـ، سورية.
١٣. لسان العرب، ابن منظور ط٣، مطبعة صادر، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ.
١٤. ديوان الأصفهاني، محمد حسين الأصفهاني، ط١ مطبة انصاريان، ايران قم ١٤٣٢هـ.
١٥. محيي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحيى و ابراهيم مركور، طباعة المكتبة العربية القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٦. مرتضى الأنصاري فرائد الأصول. الأنصاري، الطبعة ٣، انتشارات جامعة المدرسين قم، ١٤٣٨.
١٧. مصباح اليزدي، آموزش فلسفة ط١ بتلخيص مؤسسة الإمام الخميني. ١٤٢٦هـ.



مُطَابَقَةُ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ دَانِيَالٍ (عليه السلام)

لِبَشَارَةِ الْقُرْآنِ بِظُهُورِ

الْمُصَلِّحِ الْعَالَمِيِّ

م.م. عامر ناجمي حسين

اعدادية المنعنى للبنين - محافظة واسط

فحوى البحث

يتناول هذا البحث مسألة مطابقة نبوءة النبي دانيال عليه السلام المنهج القرآني في ظهور المصلح العالمي الذي بشرت بظهوره الديانات السماوية كافة. وقد تم من خلال البحث، بعد التعريف بالمعنى العام للفظ (النبوءة)، التعريف بالنبي (دانيال) بما يخدم مقتضيات المنهج العلمي، وسرد الروايات الخاصة بالنبوءة، كما وردت في الكتاب المقدس والكتابات الاسلامية المعنية به، والتثبت من صحة وقوع الأحداث التي وردت في نبوءته عليه السلام بالرجوع الى المصادر التاريخية.

وقد جاء البحث في كتلة واحدة ابتعد الباحث فيه عن وضع العناوين الجانبية تفادياً لتقطيع أوصال الأفكار، وتجنباً لإثقال متن البحث (كما يرى السيد الباحث).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هاجم اورشليم واتخاذها هو واقران له مستشارين للملك (وَكَانَ يَنْتَهُمُ مِنْ بَنِي يَهُوذَا: دَانِيَالُ وَحَنَنْيَا وَمِيشَائِيلُ وَعَزْرِيَا. فَجَعَلَ لَهُمْ رَئِيسُ الْخِصْيَانِ أَسْمَاءً، فَسَمَّى دَانِيَالًا «بَلَطَشَاصَّرَ»، وَحَنَنْيَا «شَدْرَخَ»، وَمِيشَائِيلَ «مِيشَخَ»، وَعَزْرِيَا عَبْدَنُغُو^(٤))، وقد اصبح النبي دانيال مستشاراً وقريباً من القصر الملكي بالإضافة إلى عهد الملك نبوخذنصر الثاني في عهد بيلشاصر الذي قام مقام الملك البابلي نبونائيد (٥٥٦ - ٥٣٩ ق.م) ووزيراً اول في عهد الملك الفارسي دارا الاول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م)^(٥)، وهناك من يضيف عهد الملك الفارسي كورش الثاني (٥٥٨ - ٥٣٠ ق.م) أيضاً وأن عمره حين أسره كان ستة عشر سنة وان وفاته كانت بعمر تسعين سنة^(٦)، ويرد ذكر النبي دانيال (عليه السلام) في القرآن الكريم وان لم

يعني اسم النبي دانيال (الله يدين) أو (الله يقضي لي)^(١) ولم يتسن لنا معرفة تفاصيل كثيرة عن نشأة دانيال إلا انه ورد عن الإمام علي (عليه السلام) قوله إن دانيال (عليه السلام) كان يتيماً لا ام له ولا أب، وإن امرأة من بني إسرائيل عجوزاً كبيرة ضمته فربته^(٢) وللنبي دانيال (عليه السلام) سفر في التوراة التي تعد احد أهم مصدرين للديانة اليهودية (الثاني يُعرف بالتلمود) ويعرف بالعهد القديم او العتيق لتمييزه عن الجديد (الانجيل) وفيه يقع سفر دانيال (عليه السلام)^(٣) وفيه يأتي ذكر قصة اسره من قبل الملك البابلي نبوخذنصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) الذي

(١) هنريتا ميرز، مقدمات الكتاب المقدس لجميع الأعمار، تر: دار إيجلز جروب، مطبوعات دار إيجلز جروب، (القاهرة/ دت)، ص ١٦٣.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، ط ٣، (بيروت / ١٩٨٣)، ص ٣١٠.

(٣) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ ٢، دار الاعتدال، (دمشق/ دت)، ص ١٤٨ - ١٥٠.

(٤) سفر دانيال ١: ٦ - ٧.

(٥) محمد علي البار، الله والانبياء في التوراة والعهد القديم، دار القلم، (دمشق/ ١٩٩٠)، ص ٥٢٩ - ٥٣٠.

(٦) ميرز، مقدمات الكتاب المقدس لجميع الأعمار، ص ١٦٤.



يصرح باسمه الشريف فجاء تفسير الآيات القرآنية المباركة: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَاتِبَ وَلِنُعَلِّنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولُنَّهُمَا بِعَتَابِنَا عَلَيْكُمْ عَبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّؤُا مَا عُلُوًّا تَبِيرًا ﴿ [سورة الأسراء: ٤ - ٧] إنها

لذكر واقعة غضب الله على اليهود على فعلتهم بقتلهم النبي يحيى عليه السلام بتسليط أحد الملوك عليهم هو على الأكثر ملك بابل نبوخذنصر فكان من بين من احضرهم في السبي البابلي إلى بابل النبي دانيال عليه السلام (٧)، من جانبها تؤكد المصادر التاريخية التي استندت الى التوراة مصدرًا لها قصة هذا النبي إذ تؤكد وقوع اليهود بيد البابليين سببًا ثلاث مرات (٧) المجلسي، بحار الأنوار، ص ٧٣٧.

وقد سبقتها سبي اليهود على يد الملك الآشوري شليمنصر الخامس (٧٢٦-٧٢٢ ق. م) بنقله عشرة قبائل عرفت بقبائل اسرائيل العشرة المفقودة (٨) والتي تم نقلها إلى مقاطعة كوزانو (كوزان) ومنطقة اخرى شمال غرب بحيرة اورميا وقد ادعى سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق. م) الذي خلف شليمنصر بانه من قام بفتح السامرة ويبدو انه كان القائد الذي ادار العملية نيابة عنه قبل توليه شؤون الملك (٩) والمرات الثلاث التي سبي فيها اليهود على يد البابليين كانت جميعها في عهد الملك البابلي نبوخذنصر الثاني الأولى عام (٥٩٧ ق. م) والثانية عام (٥٨٦ ق. م) (١٠)، والسبي البابلي الثالث لليهود حصل بحسب التوراة سفر ارميا في عام (٥٨٢ ق. م) (١١)، وكان الملك (٨) تعرف القبائل اليهودية في التوراة بتسمية الأسباط. إن ج. هويت، الأنبياء والملوك، تر: اسحق فرج الله (د. م. ت)، ص ٢٤٦.

(٩) هاري ساكز، عظمة بابل، تر: عامر سليمان، دار الكتب، (الموصل / ١٩٧٩)، ص ١٤٣.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

(١١) حياة ابراهيم محمد، نبوخذنصر الثاني،



تم من خلال النبي دانيال اكثر من باقي الأنبياء الواردة اسماؤهم في التوراة العهد القديم الكشف عن أمور مستقبلية قبل حصولها^(١٤)، وهذا ما شجعنا على البحث في نبوءته المعنية بظهور المصلح العالمي دون غيرها من نبوءات الأنبياء ﷺ اجمعين لأنه عني بالنبوءات المستقبلية اكثر من غيره.

تشير نبوءة النبي دانيال ﷺ في التوراة الى قدوم شخص هو القائم سيظهر في نهاية الازمنة^(١٥)، وللتحقق من ذلك علينا اولاً بيان قصة الحلم الذي شاهده الملك نبوخذنصر في منامه والذي تم تفسيره من قبل النبي دانيال ﷺ والقصة بمجملها قد اختصت بها التوراة وان جميع ما تم نقله من قصص يستند إليها، وملخص ما جاء بشأنها انه بعد ان صار امر النبي دانيال إلى السبي ووقوعه واقرانه في

(١٤) ميرز، مقدمات الكتاب المقدس لجميع الأعمار، ص ١٦٣.

(١٥) ايزابيل بنيامين ماما آشوري، نبوءة دانيال في سفره حول (القائم). www.info.kitabat

البابلي نبوخذنصر الثاني في سبيه الأول لأورشليم (٥٩٧ ق.م) قد دعا إلى جلب اشخاص حسني المنظر إلى قصره ليكونوا له مستشارين وربما الأرجح مترجمين فجلب له رئيس الحرس اربعة من ابناء يهوذا وهم كل من النبي دانيال ﷺ وقد دعي بـ(بلطاشر) وحيننا (شدرخ) وميشائيل (عبد نغو)^(١٢)، اي ان اسر النبي دانيال ﷺ من قبل نبوخذنصر كان قبيل توليه الملك بعد وفاة ابيه نبوبلاصر (٦٢٦ - ٦٠٥ ق.م)^(١٣) ويبدو انهم لم يرجعوا بعد انتهاء السبي الأول لأنه ابقى على الوجهاء منهم فكان من بينهم النبي دانيال ﷺ واتباعه.

دار الحرية للطباعة، (بغداد/ ١٩٨٣)، ص ٨٢.

(١٢) رافد كاظم الصالحي، حقيقة الوقائع التاريخية بين عرض التوراة ومعالجة النصوص العراقية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القادسية/ ١٩٩٩)، ص ١١٩.

(١٣) جورج كيو، شهادة الاجيال لصدق نبوءات النبي دانيال، مطبعة الشرق الاوسط، (بيروت/ ١٩٥٤)، ص ٨.



خدمة الملك البابلي نبوخذنصر الثاني حلم الأخير حلمًا لم يتذكر ما جاء فيه عند إفاقة من النوم فدعا السحرة والعرافين إلى معرفة ما قد جاء في حلمه وتفسيره وبالتأكيد لم يتسن لهم معرفة ما قد جاء فيه لذا امر الملك بقتلهم جميعاً عاداً إياهم خونة وكان النبي دانيال عليه السلام واقرانه ممن سيقع فيهم الحكم أيضاً وهنا دعا النبي دانيال عليه السلام المدعو أريوخ المسؤول عن تنفيذ حكم الملك ان يدخله عليه لتعريفه بما حلم وتفسيره وقد ذكر له نص الحلم (١٦) وعن هذا ذكرت التوراة: «أَنْتِ أَيْيَا الْمَلِكِ كُنْتِ تَنْظُرِي وَإِذَا يَتِمُّنَّال عَظِيمِ. هَذَا التَّمْثَالُ الْعَظِيمُ الْبَهِيُّ جِدًّا وَقَفَّ قُبَالَتِكَ، وَمَنْظَرُهُ هَائِلٌ. رَأْسُ هَذَا التَّمْثَالِ مِنْ ذَهَبٍ جَيِّدٍ. صَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ. بَطْنُهُ وَفَخْذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ. سَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ. قَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَرْفٍ. كُنْتِ تَنْظُرِي إِلَى أَنْ قُطِعَ حَجْرٌ بَعِيْرَ يَدَيْنِ، فَضْرَبَ التَّمْثَالُ عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ

(١٦) هوايت، الأنبياء والملوك، ص ٤٠٣-٤٠٦.

وَخَرْفٍ فَسَحَقْتَهُمَا. فَانْسَحَقَ حِينِيذِ الْحَدِيدِ وَالْخَرْفِ وَالنُّحَاسِ وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَعًا، وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّيْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيْحُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَكَانٌ. أَمَّا الْحَجْرُ الَّذِي ضْرَبَ التَّمْثَالُ فَصَارَ جَبَلًا كَبِيرًا وَمَلَأَ الْأَرْضَ كُلَّهَا. هَذَا هُوَ الْحُلْمُ. فَخَبِرْ بِتَعْيِيرِهِ قَدَامَ الْمَلِكِ. أَنْتِ أَيْيَا الْمَلِكِ مَلِكُ مُلُوكٍ، لِأَنَّ إِلَهَ السَّمَاوَاتِ أَعْطَاكَ مَمْلَكَةً وَاقْتِدَارًا وَسُلْطَانًا وَفَخْرًا. وَحَيْثُمَا يَسْكُنُ بَنُو الْبَشَرِ وَوُحُوشُ الْبَرِّ وَطُيُورُ السَّمَاءِ دَفَعَهَا لِيَدِكَ وَسَلَّطَكَ عَلَيْهَا جَمِيعَهَا. فَأَنْتِ هَذَا الرَّأْسُ مِنْ ذَهَبٍ. وَبَعْدَكَ تَقُومُ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَصْغَرُ مِنْكَ وَمَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نُحَاسٍ فَتَسَلِّطُ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ. وَتَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَالْحَدِيدِ، لِأَنَّ الْحَدِيدَ يَدُقُّ وَيَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَالْحَدِيدِ الَّذِي يُكْسِرُ تَسْحَقُ وَتُكْسِرُ كُلُّ هَوْلَاءِ. وَبِمَا رَأَيْتِ الْقَدَمَيْنِ وَالْأَصَابِعَ بَعْضُهَا مِنْ خَرْفٍ وَالْبَعْضُ مِنْ حَدِيدٍ، فَالْمَمْلَكَةُ تَكُونُ مُنْقَسِمَةً، وَيَكُونُ فِيهَا قُوَّةُ الْحَدِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّكَ رَأَيْتِ الْحَدِيدَ مُحْتَلِطًا بِخَرْفِ الطِّينِ.



الأحداث التاريخية أثبتت ان من ملك بعد نبوخذ نصر الثاني هي مملكته بابل ومادي وفارس واليونان والرومان وان من ملك بعد المملكة الرومانية لم يتمكنوا من توحيدها رغم المحاولات التي بذلت من قبل ملك الدنمارك كريستيان (١٧٤٩ - ١٨٠٨م) والمملكة فكتوريا ملكة انكلترا (١٨١٩ - ١٩٠١م)^(١٩)، وكانت نبوءة النبي دانيال عليه السلام قد جاء فيها ان دولة اقل شأنًا من دولته ستسقط حكمه وتحكم وهي دون مملكته شأنًا وقد جاءت نبواته قبل سقوط بابل بخمس وستين سنة^(٢٠).

وتشير الوقائع التاريخية إلى ان أميل مردوك (٥٦٢ - ٥٦٠ ق. م) الأبن الأكبر للملك نبوخذنصر الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) تولى الحكم من بعد والده ولم يستمر في الحكم سوى مدة قليلة إذ تم عزله بمؤامرة قادها زوج اخته قائد الجيش المدعو نرجال شر أوصر (٥٥٩ -

وَأَصَابِعُ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَرْفٍ، فَبَعْضُ الْمَمْلَكَةِ يَكُونُ قَوِيًّا وَالْبَعْضُ قَصِيمًا. وَبِمَا رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مَخْتَلِطًا بِخَرْفِ الطِّينِ، فَإِنَّهُمْ يَخْتَلِطُونَ بِنَسْلِ النَّاسِ، وَلَكِنْ لَا يَتَلَاصِقُ هَذَا بِذَلِكَ، كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لَا يَخْتَلِطُ بِالْخَرْفِ. وَفِي أَيَّامِ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْفَرِضَ أَبَدًا، وَمَمْلَكُهَا لَا يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هَذِهِ الْمَمْلِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ. لِأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّهُ قَدْ قُطِعَ حَجَرٌ مِنْ جَبَلٍ لَا بِيَدَيْنِ، فَسَحَقَ الْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ وَالْخَرْفَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ. اللَّهُ الْعَظِيمُ قَدْ عَرَفَ الْمَلِكَ مَا سَيَأْتِي بَعْدَ هَذَا. اَلْحُلْمُ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ يَقِينٌ»^(١٧)، وتشير التوراة إلى ان النبي دانيال عليه السلام قد حلم بحلم يشبه فيه التمثال الذي ظهر للملك البابلي نبوخذنصر إلا أنه يزيد عليه بوجود عشرة ملوك يحكمون اجزاء من المملكة الرومية التي تمزقت إلى اشلاء^(١٨)، وان



النبي دانيال، ص ٥٧.

(١٩) المصدر نفسه، ص ١٨ - ١٩.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(١٧) سفر دانيال ٢: ٣١ - ٤٥.

(١٨) جورج كيو، شهادة الاجيال لصدق نبوات

٥٥٦ ق.م) (٢١).

وتولى الحكم من بعده الملك نبونائيد (٥٥٦ - ٥٣٩ ق.م) وان هذا الملك قد اوكل إلى ولده المدعو بلشاصر قيادة الجيش لمقاومة الملك الفارسي كورش الثاني (٢٢)، والأخير كان قد شاهد بحسب التوراة يداً انبأه النبي دانيال بشأنها إنها تعني زوال ملكه (وَهَذِهِ هِيَ الْكِتَابَةُ الَّتِي سَطَّرَتْ: مَنَا مَنَا تَقِيلُ وَفَرَسِينَ) (٢٣) وتعني بالآرامية (أَحْصِيَ أَحْصِيَ وَزِنَ وَفُئِسِمَ) (٢٤) وفسر النبي دانيال عليه السلام عبارة (منا منا تقيل وفرسين) خطت على الحائط من قبل يد لم يُر لها صاحب بينما كان الملك البابلي بيلشاصر يلهو في حفلة مجون كبرى جاء فيه ان (منا) تعني احصى الله ملكوتك وانها (تقيل) قد وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً (٢١) ف.آ. بيلافسكي، اسرار بابل، تر: رؤوف موسى الكاظمي، دار المأمون، (بغداد/ ٢٠٠٨)، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٢٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، (بغداد/ ٢٠٠٩)، ج ١، ص ٦١١.

(٢٣) دانيال ٥: ٢٥.

(٢٤) ف.آ. بيلافسكي، اسرار بابل، ص ٣٢٣.

و(فرس) مفرد فرسين قسمت المملكة واعطيت لمادي وفارس (٢٥) وهناك ملاحظتان بشأن هذه النبوءة المكتملة من حيث المنطلق مع نبوءته في تفسير حلم الملك البابلي نبوخذنصر الثاني التي جاء فيها نبأ سقوط مملكته الاولى ان التوراة تشير إلى بلشاصر إلى انه الملك وهذا على ما يبدو راجع إلى اختفاء الملك نبونائيد وتفضيله البقاء في واحة تيماء وقد حملَ تصرفه ذلك عدة تفسيرات (٢٦) وهذا امر لا يحسب له كثير اهمية لأن بيلشاصر قد مارس شؤون الملك بكل ما تعنيه الكلمة من ممارسات ملكية، اما الملاحظة الثانية فهي بالإشارة إلى ان مملكته ستقسم بين الماديين والفرس وهنا نشير إلى ان الميديين ويعرفون بالماديين ايضاً قبائل فارسية ورد اول ذكر لها في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وقد استوطنوا الجهات الجنوبية الشرقية (٢٥) جورج كيو، شهادة الاجيال لصدق نبوءات النبي دانيال، ص ٤٢.

(٢٦) هاري ساكر، البابليون، تر: سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد المتحدة، (الفتاح/ ٢٠٠٩)، ص ٢٥٤-٢٥٥.



اليونان التي سقطت عام (٣٣٨ ق. م) على يد فيليب المقدوني في المعركة الحاسمة التي عُرفت بمعركة خيرونيا^(٣٠)، اما المملكة الرابعة فكانت الرومانية ومن المعلوم ان هذه المملكة قد انقسمت على قسمين عرفت الغربية من بينهما بالمملكة الرومانية الغربية وكان سقوطها قد تم على يد فلافيوس اودواكر القائد الجرمانى في زمن الإمبراطور الرومانى رومولوس اوغسطس (٤٧٦ م)^(٣١) في حين سقطت الامبراطورية الرومانية البيزنطية في الشرق على ايدي العثمانيين في عام (١٤٥٣م)^(٣٢)، وبذلك يكون تاريخ بيزنطة قد امتد ما بين (٤٧٦ - ١٤٥٣م) اي بعد سقوط الامبراطورية الرومانية

(٣٠) اندرو روبرت برن، تاريخ اليونان، تر: محمد توفيق حسين، مطبعة التعليم العالى، (بغداد/ ١٩٨٩)، ص٤٢٧.

(٣١) رأفت عبد الحميد في كتاب: ج. م. هسي، العالم البيزنطى، تر: رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة/ ١٩٩٣)، ص٣.

(٣٢) ج. م. هسي، العالم البيزنطى، تر: رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة/ ١٩٩٣)، ص١٩٢.

من بحيرة ارومية في اقليم همدان واستوطنت القبائل الفارسية إلى الغرب والجنوب الغربي من البحيرة المذكورة ويبدو ان كليهما اي الفرس والماديين تشيران إلى اسم قومي وإن ما ورد من ذكرهم في الاخبار الآشورية يشير إلى تسميات جغرافية^(٢٧) وان الدولة التي حكمت ايران باسم الميديين قد سقطت في عام (٥٥٠ ق. م) على يد الفرس الاخمينيين^(٢٨) وان استياجز (آخر ملوك الدولة الميديه ملك قبل ٦٠٠ ق.م) آخر ملوك الميديين هو جد الملك كورش الثاني الاخمينى لامه الذي انتزع منه الملك^(٢٩) ومن هذا نرى ان الوصف أو الاخبار كان دقيقاً جداً من ان القوة التي ستسقط هذه المملكة هي حاصل امتزاج قوتين هما الماديين والفرس.

اما المملكة الثانية التي ذكرت نبوءة دانيال وقوع فعل اسقاطها فكانت

(٢٧) طه باقر وآخرون، تاريخ ايران القديم، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد/ ١٩٨٠)، ص٣٧.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٤٨.

(٢٩) المصدر نفسه، ص٤١.



بحوالي ٩٧٧ سنة، ولا نعلم بوجود مانع من عد سقوط الدولة البيزنطية عام ١٤٥٣م هي الدولة الرومانية التي عرفت بالحديدية وليس الدولة الرومانية الغربية وهذا ممكن في ظل معرفتنا بان العرب والمسلمين عموماً قد دعوا هذه المملكة بنسبتها إلى الروم وخير دليل على ذلك رسالة النبي محمد ﷺ إلى هيرقل ناعثاً إياه بعظيم الروم (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم).

* * * *

وللوقوف على المقصود بالدولة الابدية والمصلح العالمي المنشود بحسب نبوءة النبي دانيال عليه السلام لا بد لنا من الرجوع إلى الوراثة قليلاً لمناقشة مدى صدق التوراة التي استندنا إلى روايتها بشأن نبوءة النبي دانيال عليه السلام هذا الكتاب الذي بين ايدي اتباع الديانة اليهودية والمسيحية وبين ايدي الباحثين في الأديان والتحقق عن مدى ما تحقق من نبوءة النبي عليه السلام موضوع بحثنا، وأول ما يتبادر إلى أفئدتنا قوله تعالى

جَلَّ مِنْ قَائِلٍ بِتَحْرِيفِ التَّوْرَةِ: ﴿مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ٤٦]،

والتحريف لا ينفي خلو بعض مواضع هذا الكتاب من التزييف وبالتالي سلامة هذه المواضع وامكانية اثبات صحتها على انها تنزيل من الله شاءت قدرته على حفظها كحفظ سلامة توحيد عبادة الله جلَّ وعلا، أما الأمر الثاني فهو في التحقق من انطباق نبوءة النبي دانيال عليه السلام وتحقق الموارد التي جاءت بها من سقوط الممالك والامبراطوريات البابلية والفارسية واليونانية والرومانية وهذا ممكن في ظل التوصل إلى معرفة زمان كتابة التوراة الذي اختلف فيه اشد الاختلاف بين المؤرخين ولتطلبات منهجية البحث نذكر مجمل ما جاء فيها من روايات بحسب قدم التاريخ الذي اوردته عن تاريخ تدوين التوراة، هناك



(٥٨٦ ق.م) (٣٤)، وهذا يعني ان جميع النبوءات التي جاء بها النبي دانيال عليه السلام قد تم الإفصاح عنها قبل وقوعها باستثناء حادثة سقوط بابل واحتلالها من قبل الفرس، والآراء بشأن تاريخ تدوين سفر دانيال عليه السلام تشير إلى انه قد تم بعد انتهاء السبي البابلي وكان قد كتب ما بين سنوات (٥٣٩ - ٤٨٠ ق.م) (٣٥) وان أسفار عزرا ونحميا ودانيال واستير قد دونت خلال الحكم الفارسي للعراق وبلاد الشام (٣٦) وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه في الفقرة اعلاه، وهناك من يرى ان سفر دانيال عليه السلام كُتِبَ في سنة (١٩٨ ق.م) (٣٧)، ويظن النقاد المعاصرون على ان سفر

اجماع على ان التوراة العهد القديم دونت من قبل عدة اشخاص وبدأ تدوينها كتابةً في عام (٧٣٤ ق.م) وان عزرة المعروف بالكاتب قد دون الوثيقة الاخيرة للتوراة المعروفة بالكهنوتية في عام (٤٤٤ ق.م) (٣٣)، وبحسب تاريخ التدوين هذا للتوراة يكون كل ما قد جاء في نبوءة النبي دانيال عليه السلام قد سبق تاريخ حصولها في ظل معرفتنا ان سقوط المملكة البابلية الحديثة قد حصل في عام (٥٣٩ ق.م) وحتى في حالة القول تنزلاً ان التوراة قد تم الانتهاء من تدوينها في عام (٤٤٤ ق.م) تكون كل ما جاء في نبوءته من بعد سقوط بابل قد تحقق، اما التاريخ الثاني لتدوينها بحسب المؤرخين فهو القول بأن عودة العبرانيين من سبيهم في بابل إلى فلسطين تم وبمعيثهم كتاب التوراة الذي خطه لهم عزرا والذي عملوا على تحريفه بعد شعورهم بإدبار الدنيا عنهم بعد حصول السبي سنة

(٣٤) ابو الحسن اسحق الصوري، التوراة السامرية، دار الانصار، (القاهرة/ ١٩٧٨)، ص ٥-٦.

(٣٥) موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، تر: حسن خالد، المكتب الاسلامي، ط ٣، (بيروت/ ١٩٩٠)، ص ٢٩-٣٠.

(٣٦) رافد كاظم الصالحي، حقيقة الوقائع التاريخية، ص ١٥٨.

(٣٧) حبيب سعيد، أديان العالم، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، (القاهرة/ د ت)، ص ١٩٢.

(٣٣) سامي سعيد الأحمد، نقد العهد القديم، مجلة سومر، مج ٣٦، (بغداد/ ١٩٨٠)، ص ٢١٧-٢١٨.



دانيال يرتقي في معظمه إلى سنة (١٦٧ أو ١٦٦ ق. م) دون انكار ان بعض اجزائه تعود إلى تاريخ اسبق^(٣٨) وفي هذه الحالة تكون تواريخ الاحداث العالمية الشهيرة سقوط بابل واثينا وروما خارج قد دوت في سفر النبي دانيال عليه السلام بعد حصولها الفعلي ولا يتبقى اجمالاً من بين الحوادث التي دوت بعد آخر عملية تدوين للتوراة سوى ظهور المسيح عليه السلام سنة (١ ميلادي) وبعث الرسول الأكرم محمد ﷺ سنة (٦١٠م) وسقوط الامبراطورية الرومانية البيزنطية سنة (١٤٥٣م) وهي حوادث تكفي من حيث اهميتها لإثبات صدق النبوة ومصداقية صدورهما عن النبي دانيال عليه السلام وهذا ما يقودنا إلى إثبات شخص المصلح العالمي الذي تنبأ به.

اليهود كانوا ايام السبي البابلي وما زالوا يأملون بظهور المسيح المخلص وعُرفَ عندهم بلفظة مَسِيَّا وفي العبرانية (مسيح) التي تعني الرجل المسوح

(٣٨) دوبونت سومر، الأراميون، مجلة سومر، مجلد ١٩، (بغداد/ ١٩٦٣)، ص ١٤٣.

بالزيت ولأن الملوك والكهنة اخذوا يتمسحون بالزيت لذا اصبح لقباً تشريفياً يدل على الإنسان الذي رُفِعَ شأنه وان فكرة انتظارهم لهذا المسيح اصبحت محط تفسيرين الاول هو بظهور شخص المسيح الذي ينوب عن الله في تحقيق النظام العالمي والفكرة التي حملها التفسير الثاني هو في تدخل الله سبحانه وتعالى في احقاق الحق من خلال انزال البركة وتوفير الحرية السياسية لليهود وغيرهم وكان تأثير اليهود كبيراً في اوروبا المسيحية التي تدين بفكرة ظهور المسيح المخلص عنهم^(٣٩)، ونلاحظ ان الأنجيل ككتاب جاءت تسميته متضمنة البشارة بقدم المخلص إذ ان الترجمة الحرفية للإنجيل وهي لفظة يونانية تعني البشارة فيما كانت بشارة المسيحيين هي في ان (يسوع المسيح، ابن الله، المخلص)^(٤٠)، وهذا الكتاب كان

(٣٩) هوستن سميث، أديان العالم، تر: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، ط ٣، (حلب/ ٢٠٠٧)، ص ٣٧٠-٣٧٢.

(٤٠) هوستن سميث، أديان العالم، ص ٤١٣-٤١٥.



المفهومين المخلص بشخص المسيح عليه السلام أو كتطبيقات اصلاحية تسفر عن رقي كبير في مستوى الإنسانية بتدخل إلهي لم تتحقق وان المدة التي عاشها المسيح عليه السلام لم تكن سوى استمرار في انتهاك حرمة الدم والحرية على كل الأصعدة فهل يكون النبي دانيال قد بشر بهذا؟. هذا ما ينافي المنطق والحكمة وابتداءً مخالفته لنص نبوءته، وثمة نص في التوراة يصور عصر قدوم المصلح على ان له شخصين يتبعانه أو يساندانه وان تصوير النص لمشهد اللقاء بالرجل الأول ومحادثته للرجل الذي على النهر تقربنا كثيراً من تطلعات طائفة كبيرة من المسلمين ممن هم على مذهب الشيعة الامامية بأن قدوم المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) تكون وبصحبه النبيان عيسى ابن مريم وخضر الياس: «وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِنَبِيِّ سَعْيِكَ، وَيَكُونُ زَمَانٌ ضَيْقٌ لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي

زاخراً بالأقوال المبشرة بقدومه ومن بين ما جاء فيه: (وأيضاً يقول إشعياء: سيكون أصل يسي والقائم ليسود على الأمم، عليه سيكون رجاء الأمم) (٤١)، وجاء أيضاً: (فهذه هي كلمات داود الأخيرة: وحي داود بن يسي، ووحى الرجل القائم في العلا، مسيح إله يعقوب، ومرنم إسرائيل الحلو) (٤٢)، وجاء أيضاً: (وَعَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَذَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ) (٤٣)، وأيضاً: (وقالا: أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟. إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء) (٤٤)، ويفسر المسيح على ان يسي هو اشبه بالأصل الذي يتفرع منه نسل جديد والمسيح هو من هذا الأصل وستؤمن به الأمم لهذا السبب (٤٥)، ونجد ان كلا

- (٤١) رسالة بولس الرسول الى رومية: ١٥ / ١٢ .
 (٤٢) صموئيل الثاني: ٢٣ / ١ .
 (٤٣) متي ٢٨ / ٢٠ .
 (٤٤) اعمال الرسل ١ : ١١ .
 (٤٥) القس انطونيوس فكر، شرح الكتاب



ذَلِكَ الْوَقْتِ يُنَجِّي شَعْبَكَ، كُلُّ مَنْ يُوجَدُ
مَكْتُوبًا فِي السَّفَرِ. وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ
فِي تُرَابِ الْأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هُوَ لَاءِ إِلَى
الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَهُوَ لَاءِ إِلَى الْعَارِ لِلْأَزْدِرَاءِ
الْأَبَدِيِّ. وَالْفَاهِمُونَ يَصِيْتُونَ كَضِيَاءِ
الْجَلْدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ
كَالْكُوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ. « أَمَّا أَنْتَ
يَا دَانِيَالُ فَأَخْفِ الْكَلَامَ وَاخْتِمِ السَّفَرَ
إِلَى وَقْتِ النِّهَائَةِ. كَثِيرُونَ يَتَصَفَّحُونَهُ
وَالْمُعْرِفَةُ تَزْدَادُ». فَظَنَرْتُ أَنَا دَانِيَالُ وَإِذَا
بِائْتِنِينَ آخَرِينَ قَدْ وَقَفَا وَاحِدٌ مِنْ هُنَا عَلَى
شَاطِئِ النَّهْرِ، وَآخَرٌ مِنْ هُنَاكَ عَلَى شَاطِئِ
النَّهْرِ. وَقَالَ لِلرَّجُلِ اللَّائِسِ الْكُتَّانِ الَّذِي
مِنْ فَوْقِ مِيَاهِ النَّهْرِ: «إِلَى مَتَى انْتِهَاءُ
الْعَجَائِبِ؟». فَسَمِعْتُ الرَّجُلَ اللَّائِسَ
الْكُتَّانِ الَّذِي مِنْ فَوْقِ مِيَاهِ النَّهْرِ، إِذْ رَفَعَ
يُمْنَاهُ وَيُسْرَاهُ نَحْوَ السَّمَاوَاتِ وَحَلَفَ
بِالْحَيِّ إِلَى الْأَبَدِ: «إِنَّهُ إِلَى زَمَانٍ وَزَمَانَيْنِ
وَنِصْفِ. فَإِذَا تَمَّ تَفْرِيقُ أَيْدِي الشَّعْبِ
الْمُقَدَّسِ تَبِّمُ كُلِّ هَذِهِ». وَأَنَا سَمِعْتُ وَمَا
فَهَمْتُ. فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدِي، مَا هِيَ آخِرُ
هَذِهِ؟». فَقَالَ: «أَذْهَبُ يَا دَانِيَالُ لِأَنَّ
الْكَلِمَاتِ مُحْفِيَّةً وَمُخْتَمَةٌ إِلَى وَقْتِ النِّهَائَةِ.

كَثِيرُونَ يَتَطَهَّرُونَ وَيَبِيضُونَ وَيَمَحِّصُونَ،
أَمَّا الْأَشْرَارُ فَيَفْعَلُونَ شَرًّا. وَلَا يَفْهَمُ
أَحَدُ الْأَشْرَارِ، لَكِنَّ الْفَاهِمُونَ يَفْهَمُونَ.
وَمِنْ وَقْتِ إِزَالَةِ الْمُحْرِقَةِ الدَّائِمَةِ وَإِقَامَةِ
رِجْسِ الْمُخْرَبِ أَلْفٌ وَمِثَّتَانِ وَتَسْعُونَ
يَوْمًا. طُوبَى لِمَنْ يَنْتَظِرُ وَيَبْلُغُ إِلَى الْأَلْفِ
وَالثَّلَاثِ مِئَةٍ وَالْخُمْسَةِ وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا.
أَمَّا أَنْتَ فَأَذْهَبْ إِلَى النِّهَائَةِ فَتَسْتَرِيحَ،
وَتَقُومَ لِقُرْعَتِكَ فِي نِهَائَةِ الْإَيَّامِ» (٤٦).

وعلى أية حال فإن ايمان اليهود
والمسيح بقدم المنقذ والمخلص
وتشخيصها له بأنه المسيح ابن مريم عليها السلام
أمر لا تنطبق عليه رؤيا النبي دانيال عليه السلام
بقوله ان دولته هي الابدية بدليل ان
نبوءته اشارت إلى المملكة الرابعة التي
فسرت على انها الدولة او الامبراطورية
الرومانية التي حملت اسم المسيح عليه السلام
اسماً لها لبيان قدسيته وهو براء منها
وليشير إلى ان في زمن الملوك المختلفين
رغم اصلهم الواحد تظهر الدولة
الابدية وهو ما لم يتحقق بعد إذا ما أردنا
عد دولة الرسول الأعظم محمد عليه السلام



تسحق وتبقى هي اي الديانة الجديدة وهذا بالقياس على ظهور الدولة الاسلامية في اثناء وجود الامبراطورية البيزنطية التي نشأت على خلفية سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية التي شهدت الخلاف الاول بين ملوك الامبراطورية الغربية ومن سقطت على يدهم هذه الامبراطورية وعلى الرغم من تفتت الامبراطورية البيزنطية وتناثرها إلى ممالك متفاوتة في القوة لم يتحقق إذ ان هذه الممالك ما زالت باقية ولم تسحق: (وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هَذِهِ الْمُلُوكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ) (٤٩)، اي تثبت كدولة وهذا لم يتحقق، وبذلك يتضح جلياً ان الدولة التي اسسها الرسول محمد ﷺ في المدينة المنورة عام ١ هجرية والمساوي لعام ٦٢٢ ميلادية ليست هي المعنية بالأبديّة وبحساب سنوات الدولة البيزنطية نجد ان هذه الامبراطورية قد امتد زمن وجودها إلى ما بعد ظهور الاسلام حوالي ٨٣١ سنة بعدها بطرح سنة سقوطها عام ١٤٥٣ ميلادية من

(٤٩) دانيال ٢: ٤٤.

هي الدولة الأبدية لسببين اثنين اولهما ان النبي دانيال عليه السلام في نبوءته قد اشار إلى مصطلح دولة ولم يقل ديانة كما فعل النبي عيسى عليه السلام إذ قال لمن بشره بأن مجلس الشيوخ الروماني المقدس اصدر امراً ملكياً يمنع فيه القول في المسيح انه الله أو ابن الله كما جاء عنه في انجيل برنابا (٤٧): (فقال حينئذ يسوع: «إن كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيّ وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم وان ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحاً») (٤٨)، وثانيهما انه اشار (النبي دانيال) إلى ان كل الممالك

(٤٧) عُرفَ بهذا الاسم نسبة إلى اسم برنابا وهو احد انصار المسيح عليه السلام والذين تطلق المسيحية عليهم تسمية الرسل. ينظر: محمد رشيد رضا، في انجيل برنابا، تر: خليل سعادة، مطبعة المنار، (القاهرة/ ١٩٠٨)، ص ق.

(٤٨) انجيل برنابا، تر: خليل سعادة، مطبعة المنار، (القاهرة/ ١٩٠٨)، ص ١٤٨-

. ١٤٩



(١١١١م - ١٤٣٨هـ)

الصدر السابع والعشرون - حريف



٣٤٢

سنة تأسيس دولة الرسول الاكرم ﷺ سنة ٦٢٢ ميلادية في حين ان النبوءة التي وردت عن النبي دانيال تشير إلى ظهور الدولة الابدية بعد سقوط الامبراطورية الرومانية وليس اثناء وجودها لأنه اشار إلى ظهور الدولة الابدية اثناء وجود الممالك التي تظهر بعد سقوط هذه الامبراطورية.

من جانبها شهدت المرحلة المدنية التي اعقبت المرحلة المكية في الدعوة إلى الإسلام التي قادها الرسول محمد ﷺ استقراراً ورياسة ظاهرة للمسلمين وكانت الآيات القرآنية التشريعية تضع الحل لأية مشكلة تواجه المجتمع المؤمن بالدين الجديد^(٥٠)، على ان الدولة الاسلامية في عهد الرسول النبي الاكرم

محمد ﷺ وصحبه المنتجبين قد عدت من قبل بعض المذاهب الاسلامية على أنها هي الدولة التي بشر بأبديتها النبي دانيال عليه السلام^(٥١)، وجوابنا على ذلك يتضح

(٥٠) أ. س. بوكيت وأمير يكن، مقارنة الأديان، تر: رنا سامي الخش، دار الرضوان، (حلب/ دت)، ص ١٧٣.

(٥١) ينظر حول منطلق بعض المذاهب

عند بيان حالة الخلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول محمد ﷺ حول ما تم رسمه من قبل الرسول ﷺ بتوجيه رباني.

ان تبليغات الأنبياء وعلى وجه الخصوص خاتم الأنبياء ﷺ كانت هي من أوجدت الفكرة المهدوية في الذهن البشري^(٥٢) وان الفكرة المهدوية بالنسبة للتخطيط البشري العام بكل اقسامه فكرة رئيسية بوصفها فكرة القيادة العامة للدولة العالمية التي تأخذ زمام المبادرة لإنجاز الهدف البشري الأعلى في حيز التطبيق وهو المجتمع المعصوم^(٥٣)، ان وجود الاطروحة العادلة الكاملة المبلغة إلى البشر من قبل الله تعالى لتكون هي القانون السائد في

الاسلامية م ن ان دولة الرسول الاكرم محمد ﷺ هي الابدية المؤلفات، ناصيف التاج، الجامع للأصول في أحاديث الرسول؛ ابن كثير، النهاية؛ ابن قيم الجوزية، مختصر سنن أبي داود؛ تفسير البخاري.

(٥٢) محمد محمد صادق الصدر، موسوعة الإمام المهدي عليه السلام تاريخ ما بعد الظهور، المجلد الثالث، بني الزهراء، (قم/ دت)، ص ٦٣٥.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٥٢١.



لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
الَّذِي آرَضُوا لَهُمْ وَيَسْبِغَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ
أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ
كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

[سورة النور: ٥٥]. وقوله - تعالى - في
الاية ١٠٥ من سورة الانبياء ﴿ وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ .

ان النبي دانيال عليه السلام قد تنبأ بمشيئة
الله سبحانه وتعالى واخبر بها الامم
لايقاظها عن سباتها وإقامة الحجة
عليها ثم اننا لا نكون مبالغين او مجانبين
للسواب في طرح ذلك وهذا القرآن
الكريم تشير إحدى آياته المباركات
إلى أن الله علم بني آدم الاسماء كلها ثم
عرضها على الملائكة فلم يقدروا على
معرفتها فهل كانت تلك الاسماء هي
اسماء الجبال والانهار والنبات وهو مما لم
يقدر الملائكة على معرفته ام ان قدرة الله
سبحانه ومشيئته ارادت ان تقام دولة
العدل الإلهي بوجودهم وهم الائمة
المعصومين عليه السلام: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ

المجتمع قد خطط له الله سبحانه وتعالى
لإيجاده وتربية البشرية عليه ضمن خط
الأنبياء الطويل وهو ما تحقق على يد
خاتم الأنبياء محمد ﷺ وان الأطروحة
العادلة هي الاسلام وان الإمام المهدي
عجل الله فرجه الشريف ادخره الله
سبحانه وتعالى لليوم الموعود قائداً
امثل للبشرية^(٥٤)، وهذا مما لم يغيب
عن نبوءة النبي دانيال عليه السلام في قوله انه
الدين الابدي في حين تسحق وتغنى كل
الممالك ولم يقل الأديان في الحالة الثانية
اي قارن ما بين دين هو الاسلام كما
نرى وبين ممالك في اشارة واضحة إلى
ان غلبة الدين الاسلامي لا تعني محق
الأديان الاخرى بقدر ما هو اعادتها إلى
حقيقتها التي عملت الأيادي الشريرة
على تحريفها وبالتالي فإن كل الأديان
المنزلة من الله سبحانه وتعالى سوف
تنصهر في بوتقة الاسلام العظيم وقد
صرح القرآن الكريم بحقيقة هذه
النبوءة جهاراً في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَّ
اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ



كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ

أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

[سورة البقرة: ٣١] لإرادة هو يعلمها لا اراد لإرادته.

وما تقدم يتضح لنا ان نبوءة النبي دانيال عليه السلام كانت تبشر بظهور المصلح العالمي وان هذا المصلح في ضوء المناقشات التي تمت على النصوص الواردة عن التوراة والانجيل ومن ثم عرضها على القرآن الكريم لقول الفصل فيها تشير إلى ان ما تنبأ به هذا النبي يقصد به الإمام المهدي المنتظر عليه السلام وان التحجج بان المقصود به الرسول الاعظم محمد ﷺ عند طائفة من المسلمين او المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام عند المسيحيين لا يمت إلى الواقع بصلة نتيجة مخالفة ذلك لنهج القرآن الكريم الذي كما مر بنا قد بشرت آياته الصالحين من البشر بالعدل الإلهي والعيش الرغيد على الارض قبل الاخرة.

مصادر ومراجع البحث

• الأحمد، سامي سعيد، نقد العهد القديم، مجلة سومر، مج ٣٦،

(بغداد/ ١٩٨٠).

• آشوري، ايزابيل بنيامين ماما، نبوءة دانيال في سفره حول (القائم).

www.kitabat.info

• البار، محمد علي، الله والانبياء في التوراة والعهد القديم، دار القلم، (دمشق/ ١٩٩٠).

• باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، (بغداد/ ٢٠٠٩)، ج ١.

• باقر، طه، وآخرون، تاريخ ايران القديم، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد/ ١٩٨٠).

• برن، اندرو روبرت، تاريخ اليونان، تر: محمد توفيق حسين، مطبعة التعليم العالي، (بغداد/ ١٩٨٩).

• بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، تر: حسن خالد، المكتب الاسلامي، ط ٣، (بيروت/ ١٩٩٠).

• بوكيت، أ. س، وأمير يكن، مقارنة الأديان، تر: رنا سامي الخش، دار الرضوان، (حلب/ دت).



- بيلافسكي، ف. آ، اسرار بابل،
- الصدر، محمد محمد صادق،
- تر: رؤوف موسى الكاظمي، دار
- الموسوعة الإمام المهدي (عليه السلام) تاريخ
- المأمون، (بغداد/ ٢٠٠٨).
- ما بعد الظهور، المجلد الثالث، بني
- الجوهرري، صالح، ضياء الصالحين
- الزهراء، (قم/ دت).
- في الأدعية والزيارات، طليعة النور،
- الصوري، ابو الحسن اسحق، التوراة
- (قم المقدسة/ ٢٠٠٥م).
- ساكر، هاري، عظمة بابل، تر: عامر
- السامرية، دار الانصار، (القاهرة/
- (١٩٧٨).
- سليمان، دار الكتب، (الموصل/
- الصالحى، رافد كاظم، حقيقة الوقائع
- (١٩٧٩).
- التأريخية بين عرض التوراة ومعالجة
- البابليون، تر: سعيد الغانمي، دار
- النصوص العراقية القديمة، رسالة
- (الكتاب الجديد المتحدة، (الفتاح/
- ماجستير غير منشورة، (جامعة
- (٢٠٠٩).
- القادسية/ ١٩٩٩).
- سعيد، حبيب، أديان العالم، دار
- عبد الحميد، رأفت، في كتاب:
- التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية،
- ج. م. هسي، العالم البيزنطي، تر:
- (القاهرة/ دت).
- رأفت عبد الحميد، عين للدراسات
- سميث، هوستن، أديان العالم، تر:
- والبحوث الإنسانية والاجتماعية،
- سعد رستم، دار الجسور الثقافية،
- (القاهرة/ ١٩٩٣).
- ط٣، (حلب/ ٢٠٠٧).
- عبدة، محمد، شرح نهج البلاغة، دار
- سوسة، أحمد، العرب واليهود في
- لقاء، (قم المقدسة/ ٢٠٠٤م)، ج ١.
- التاريخ ط٢، دار الاعتدال، (دمشق/
- فكر، القس انطونيوس، شرح الكتاب
- (دمشق/ دت).
- المقدس «العهد الجديد».
- سومر، دويونت، الأراميون، مجلة
- سومر، مجلد ١٩، (بغداد/ ١٩٦٣).
- كيو، جورج، شهادة الاجيال لصدق

<http://st-takla.org>



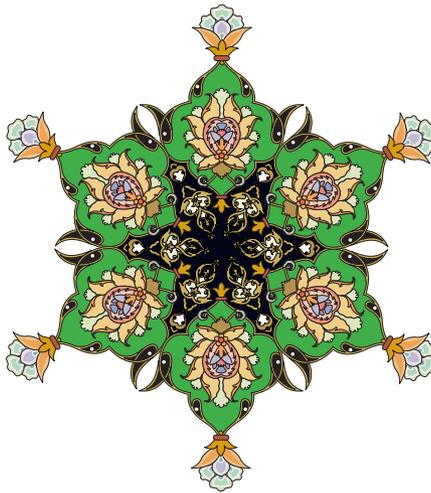
(١٤٣٨هـ - ١٤١١م)

الصدر السابع والعشرون - حريف



٣٤٦

- نبوات النبي دانيال، مطبعة الشرق الاوسط، (بيروت/ ١٩٥٤).
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، ط ٣، (بيروت/ ١٩٨٣).
- محمد، حياة ابراهيم، نبوخذنصر الثاني، دار الحرية للطباعة، (بغداد/ ١٩٨٣).
- ميرز، هنريتا، مقدمات الكتاب المقدس لجميع الأعمار، تر: دار إيجلز جروب، مطبوعات دار إيجلز جروب، (القاهرة/ دت).
- هسي، ج. م، العالم البيزنطي، تر: رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة/ ١٩٩٣).
- هوايت، إلن ج، الأنبياء والملوك، تر: اسحق فرج الله (د. م. ت).





النقد القرآني لإلغاء الآخر دينياً

- عرض وتحليل -

نور مهدي كاظم الساعدي

كلية الشريعة الطوسي الجامعة - النجف الأشرف

فحوى البحث

مسألة اعتراف الاسلام بالمخالفين له دينياً، باتت مسألة مسلماً بها من خلال ما ورد في القرآن الكريم من آيات لا تلغي فكر الآخر بل تحاوره حواراً سلمياً هادفاً الى أن تقنعه، اذا تخلى الآخر عن عصبيته وعناده. وقد عرضت السيدة الباحثة لنقد القرآن الكريم، وبشكل مباشر وغير مباشر، لمن يصرّ على صواب انتمائه الديني من غير حجة أو برهان دامغ واستنتجت: أن النص القرآني يؤسس لمنهجية وسطية في قبول الآخر من خلال قبول الفكر الصحيح عنده، ونقد ما هو مخالف للثوابت العقلية والدينية.

المقدمة:

إقصاء الآخر الذي نختلف معه كبدل عن الاعتراف به والحوار معه ينبىء عن نقص في البناء المعرفي والقيمي لدى من يقوم بعملية الاقصاء، وهذا ما شخصه القرآن الكريم لدى طائفة من اليهود والنصارى، والآيات صريحة في نقدها لأهل الكتاب لما يارسوه من إلغاء بعضهم بعضاً، سواء على نحو العقيدة والعمل في الدنيا، او على نحو الجزاء في الآخرة والقرب من الله سبحانه.

ولبيان المراد من «النقد القرآني لإلغاء الآخر الديني» لابد من وقفة مع مصطلح «النقد» في اللغة، وهو (أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِتْرَازِ شَيْءٍ وَبُرُوزِهِ... وَمِنْ الْبَابِ: نَقَدُ الدَّرْهَمَ، وَذَلِكَ أَنْ يُكْشَفَ عَنْ حَالِهِ فِي جَوْدَتِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ)^(١)، ومعنى نقدتهم، أي: عبتهم واغبتهم^(٢)، مما يعني ان مفهوم النقد من خلال الاستعمال اللغوي يراد به

الكشف عن موضع العيب وتشخيصه من خلال إظهاره للعيان.

لفظ النقد لم يرد في القرآن الكريم ولكن ذكر بعض معناه وهو التمييز وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٩]، وقوله: ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [سورة الانفال: ٣٧]، ومعناه الفصل^(٣) والفصل لا يكون الا بعد النظر والكشف، لما فيه من إبانة لأحد الشئيين من الآخر^(٤).

ومما تقدم يمكن بيان المراد بـ«النقد القرآني لإلغاء الآخر دينياً» هو التشخيص القرآني للعيب الحاصل في فكر اتباع دين ما إزاء الآخر المخالف لهم.

أما الاسئلة التي سيحاول الباحث

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥ / ٤٦٧.

(٢) تهذيب اللغة، ابو منصور الازهري (ت ٣٧٠هـ): ٩ / ٥١.

(٣) ظ/ المفردات في غريب القرآن، الراغب

الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ): ٧٨٣.

(٤) نفسه: ٦٣٨.



ان يجيب عنها في المطالب الآتية: كيف نقد القرآن الكريم منهج الالغاء والاقصاء لدى اهل الكتاب؟. وهل القرآن الكريم مارس عملية إلغاء الآخر الديني من خلال نفيه للتعدي الديني؟.

المطلب الاول:

النقد القرآني لحصرية صحة الاعتقاد
لما للقرآن الكريم من قيمة على الاديان السماوية السابقة له، يلحظ القارئ لآياته الكريمة انه يصحح الاعتقادات المنحرفة لدى كل من اليهود والنصارى -الذين عبر عنهم القرآن الكريم بـ «اهل الكتاب» وهي المرحلة الاولى في اثبات هويتهم الدينية وعدم إلغاء انتمائهم للاديان السماوية -لاسيما فيما يخص انهم على حق وغيرهم على باطل، وهذا مايرفضه القرآن الكريم رفضا تاما لأنه اختزال للهداية في جماعة معينة من دون الاخرى، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

اولا: مفهوم المنهج العقدي الحصري:
الحصري لفظ منسوب الى الحصر

ويراد به في اللغة (الْجُمُعُ وَالْحَبْسُ وَالْمَنْعُ)^(٥)، الا ان الحبس والمنع هما الاقرب لمقصد الباحث، اضافة الى ان الحصر يأتي بمعنى التضييق^(٦)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْضُرُوهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٥] اي ضيقوا عليهم.

ويقال: (انحصر الشيء في كذا: تحدد ضمن حدود معينة، اقتصر عليها.. وحق حصري اي محصور بواحد أو مجموعة واحدة لا غير)^(٧).

هذا على النحو اللغوي؛ اما على نحو الاصطلاح الكلامي ف «الانحصارية في الدين» تعني: (ان هناك ديناً واحداً على حق، والاديان الاخرى على باطل)^(٨).

وينسب التفكير الانحصاري عموما الى الافراد والجماعات التي تتمسك بدين او عقيدة خاصة، معتقدين ان

(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢ / ٧٢.

(٦) تاج العروس، الزبيدي: ١١ / ٢٤.

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عبد الحميد: ١ / ٥٠٦ - ٥٠٧.

(٨) التعددية الدينية، صادق لاريجاني: (بحث) منشور في مجلة المنهاج العدد: ٢١ سنة ٢٠٠١ م.



عقيدته وتسقيطها، والنص القرآني يعطي نموذجاً واضحاً عن ضيق هذه الرؤية التي كانت لدى جماعة من اليهود والنصارى لقوله تعالى:

• ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١١٣]،

فمعنى "ليست على شيء" أي أنها ليست (على شيء) يصح ويعتدّ به وهذه مبالغة عظيمة، لأنّ المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء، فإذا نفى إطلاق اسم الشيء عليه، فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده.. أي أقل من لا شيء^(١٠).

وبذلك فإن كل من اليهود والنصارى جعل الحق معه ونفاه عن الآخر، مع أن كل من الفريقين يتلو الكتاب.

طريق السعادة والفلاح الوحيد إنما يكمن في دينهم، ولذلك فمن الطبيعي أن يتصف تعاملهم مع الأديان الأخرى بالسلبية ماداموا يرون الحقيقة في دينهم هم وحدهم، وأن من أراد الوصول إليها عليه أن يدخل في دينهم حصراً^(٩).

وعليه فإن معنى المنهج العقدي الحصري يراد منه تلك الطريقة في الاعتقاد القائمة على أساس حصر الهداية والايان في جماعة أو دين معين، وتضييق دائرة الحق حتى لا تستوعب إلا تلك الجماعة، وامتناع غيرهم من أن يكون لهم نصيب من الحق بحسب رؤية ذلك المنهج.

هذه الكيفية في التفكير والاعتقاد نقدها القرآن الكريم في أكثر من نص وبيّن أسبابها.

ثانياً: النص القرآني الناقد الحصرية الهداية:

إلغاء الآخر دينياً يبدأ من نفي صحة



(٩) ظ/ نظرة تحليلية في التعددية الدينية، محمد رضا الحجازي: (بحث) منشور في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد: ٤.

(١٠) الكشاف، جار الله الزمخشري (ت

١٧٨ / ١: ٥٣٨هـ).

وهنا يأتي النقد القرآني لحالهم هذه بقوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ وهي (جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ جِيءَ بِهَا لِمَزِيدِ التَّعَجُّبِ مِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ، وَكُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، وَكُلُّ كِتَابٍ يَتْلُوهُ مُسْتَمِلٌ عَلَى الْحَقِّ لَوْ اتَّبَعَهُ أَهْلُهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ، وَلَا يَخْلُو أَهْلُ كِتَابٍ حَقٌّ مِنْ أَنْ يَتَّبِعُوا بَعْضَ مَا فِي كِتَابِهِمْ أَوْ جَلَّ مَا فِيهِ فَلَا يُصَدِّقُ قَوْلَ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ بِأَتَمِّهِمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ) (١١).

نعم هم ليسوا على شيء ليس من جهة كونهم يهود او نصارى، بل من جهة عدم اقامتهم لكتبهم السماوية التي أمرهم الله سبحانه باتباعها لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة المائدة: ٦٨].

فالالغاء منهج مرفوض لاسيما إن صدر ممن لديهم علم ودراية، إذ ان تلاوتهم للتوراة الانجيل كقبيلة بأن تمنعهم من حصر الحق فيهم وإلغاؤه

(١١) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١ / ٦٧٦

عن الاخر المخالف لهم، ولكن يبدو انها تلاوة لاحرف من دون اقامة للمعنى؛ لأنهم (لم يخلصوا عن الجهل والعدا ولم يتنبهوا على التوحيد المزيج لمطلق الخلاف) (١٢).

ولا يخفى ان الآية الكريمة (تقرر أن المصدر الأساس للتعصب هو الجهل والبعد عن العلم، لأن الجاهل مطوق بمحيطة المحدود، لا يقبل غيره) (١٣)، وإذا كان هذا سلوك من يعلم فلا غرابة ان صدر نفس السلوك ممن لا يعلم.

• ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة البقرة: ١٣٥]، اي انهم حصروا اصابة طريق الحق إما باليهودية او النصرانية (١٤)، ف (كل فرقة تزعم

(١٢) الفواتح الالهية والمفاتح الغيبية، نعمة الله النخجواني: ١ / ٤٨.

(١٣) تفسير الامثل، مكارم الشيرازي: ١ / ٣٤٢.

(١٤) ظ / جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: ٣ / ١٠١.



من حقائق التوحيد. ويجاوب الباحث فيما يأتي الوقوف عند نسبة الحق في الاديان السابقة للاسلام، هل هي متكافئة من جهة الحقانية ام متفاوتة؟.

ابتداء لابد من التفريق بين الاديان السماوية كما انزلت، وبين الاديان السماوية المحرّفة، فالحقانية في أصل الاديان السماوية لاشك فيها ولانقاش؛ لأنها من مصدر واحد وكتبها بعضها يصدق بعضها، ولذلك فهي حق كلها لأنها منه سبحانه.

أما الاديان السماوية - لاسيا اليهودية والنصرانية - بعد التحريف والتغيير الذي طرأ عليها، فهل تتصف بالحقانية او لا؟. يمكن بيان ذلك في النقاط الآتية:

١. ان كلاً من التوراة والانجيل والتي تعرف اليوم بالعهد القديم والجديد حتى وان تعرضت للتحريف إلا انها لا تخلو من بقايا الوحي، إذ ان تحريفها لا ينفى سماويتها، وما يؤيد ذلك تضمن كتب العهدين القديم والجديد ما يوافق القرآن الكريم،

إيها أحقّ بدين الله من غيرها^(١٥). ولو كان الاسلام يعتمد منهجية الالغاء واحادية العقل المغلق لجاء رد القرآن الكريم بقوله «كونوا مسلمين تهتدوا»، ولكن جاء الرد القرآني بقوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ناقدا لتلك المنهجية ومعرضاً بضيق الاق في التفكير، ووسع دائرة الهداية التي تشمل كل من ينتمي الى ملة التوحيد وهي ملة ابراهيم والتي ادعى اليهود والنصارى انتماؤهم لها^(١٦)، وهذا ماغفل عنه اليهود والنصارى ونبه عليه القرآن الكريم.

هذه الايات وغيرها تنقد مذهب اليهود والنصارى في حصرهم الهداية والحق في دينهم وابعادها عن اهل دين آخر.

ثالثاً: حقانية الاديان السماوية:

يقصد «بحقانية الاديان السماوية» نسبتها الى الله سبحانه واتصالها به، وما فيها (١٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ابو اسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧هـ): ١ / ٢٨٢. (١٦) ظ/ تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ١ / ١٩٢.



وموافقتها اياه دليل حقانيتها ولو جزئيا، ولذلك فإن القرآن الكريم (يصدق التوراة والإنجيل الموجودين في الجملة لا بالجملة لمكان الآيات الناطقة بالتحريف والسقط فيها)^(١٧).

فضلا عن ان احتجاج الرسول الاعظم ﷺ وأئمة اهل البيت عليه السلام على اهل الكتاب بنصوص من التوراة والانجيل، ليشبثوا لهم صدق ماجاءت به تلك الكتب بما يخص نبوة الرسول الاعظم ﷺ، دال على ان ما فيها ليس كله محرفا بل فيها من بقايا الوحي مايكفي للاحتجاج به عليهم، وهذه بقايا الوحي في تلك الاديان هي التي تتصف بالحقانية وليس المحرف منها.

٢. ان الدعوة القرآنية لأهل الكتاب الى الاجتماع على كلمة سواء في قوله

تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

(١٧) الميزان، الطباطبائي: ٨ / ٣.

[سورة آل عمران: ٦٤]، تشير الى الجزء المشترك من الحق بين الاديان السماوية، وهو الرجوع الى كلمة التوحيد التي هي محل التقاء بين دين اهل الكتاب ودين الاسلام، وبناء على ذلك فهي تتصف بالحقانية بقدر ما فيها من ايمان بأصول التوحيد الذي هو غاية كل الاديان.

اذن من خلال ماتقدم يمكن القول: ان ما عند اليهود والنصارى من دين وان كان فيه تحريف، الا انه يتضمن جزءاً من الحق الذي لم يطله التحريف او التغيير او التبديل؛ ولذلك فإن اتباع الاديان السماوية على حق يتناسب مع احقية اديانهم)^(١٨)، وهذه صورة من صور عظمة القرآن الكريم في استيعاب دين الاخر الذي يلتقي معه في التوحيد، فالآيات الكريمة التي تنقد الغاء الاخر من خلال نفي صحة اعتقاده وعدم اهتدائه الى الحق، تعطي في الوقت

(١٨) مبادئ حقوق الانسان في الاسلام والمذاهب الاخرى، علي مير الموسوي وصادق حقيقت: ٢٢٥.



نفسه كيفية التعامل مع الآخر بعيداً عن العصبية الدينية والتشدد العقدي.

رابعاً: اشكالية لبس الحق بالباطل في دين واحد:

لعل قائلاً يقول: ان كلاً من اليهودية والنصرانية فيها من الاباطيل والخرافات الكثير، ولذلك فهي اديان باطلة وان تضمنت نسبة من الحق؛ لأن النتيجة تتبع ادنى المقدمات، ومادامت تلك الاديان (مشملة على خطأ في جزء منها كبير او صغير فهذا يعني ان المجموع سيكون باطلاً حتماً؛ لأن المجموع متقوم بانضمام كافة الاجزاء الى بعضها البعض)^(١٩).

ويمكن الاجابة بأن هذا الاشكال صحيح لو كان الباطل من اصل الدين، بمعنى ان الدين عبارة عن خليط من الحق والباطل اصلاً وابتداءً كما هو حاصل في الاديان الوضعية مثلاً.

وهذا لا ينطبق على كل من الديانتين اليهودية والمسيحية؛ لأن الحق فيهما اصيل والباطل عليهما دخيل بفعل التحريف

(١٩) التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي، حيدر حب الله: ١٦٤.

والتطبيق الخاطيء لتعاليم الدين، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿يَتَّاهِلُ الْكَلْبِ لِمَ تَلْسُونِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران:

٧١]، فالتدخل البشري هو الذي أضاع (هذا النقاء للحق الى حد لم يبق منه إلا القليل على ابعد تقدير لكنه كاف لتحقيق الهداية)^(٢٠) بالحد الأدنى منها.

ولذلك ليس من الانصاف نفي اصل حقانية الدين بناء على الفهم المنحرف والاعتقادات والممارسات الخاطئة لدى اتباع ذلك الدين؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٢].

وهنا يأتي دور القرآن الكريم من خلال هيئته على كتب تلك الاديان ان يصحح ويشخص مواطن التبديل والتغيير فيها وما اصابها من تحريف، ويصدق الحق الذي فيها ويشهد عليه ويفصله، فإذا توضح دور الاسلام ازاء الاديان السماوية الاخرى، يتضح معنى

(٢٠) التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي، حيدر حب الله: ١٦٤.



عدم تكافؤ الأديان من جهة الحقانية لوجود دين سالم من التحريف على مستوى النص وهو دين الإسلام قبال أديان فيها نسبة من الحق لتعرضها إلى التحريف على مستوى النص والتطبيق.

فضلا عن أن هذا الأشكال لو عرض على الديانة اليهودية والمسيحية، فسيعرض على الإسلام أيضا؛ لأن (التحريف وإن لم يطل النص القرآني، إلا أنه طال دلالاته دون متنه)^(٢١)، وتم توظيفه على نحو لا يتوافق مع ثوابته، فنتج عن ذلك تطبيق خاطئ وفكر منحرف، وهذا ما أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام في حديثه عن أمة الإسلام بقوله: (وكان من نبذهم الكتاب إن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده، فهم يروونه ولا يراعونه)^(٢٢)، فجعلوا ولاية الحق مردودة وولاية الباطل مقبولة، فهم يروونه بضبط حروفه ومبانيه، ولا يراعونه بحفظ حدوده ومعانيه)^(٢٣).

ولذلك كم من الاعتقادات والممارسات المنحرفة تنسب إلى الإسلام - كالقتل والتخريب والإقصاء - وهي لا تمت للإسلام بصلة، وما لحركات المتطرفة التي شوهدت صورة الإسلام وأظهرته بمظهر الدين المعادي للإنسانية عنا ببعيدة، فلا بد من التفريق بين أصل الدين وبين ما يحمله على الدين.

المطلب الثاني:

النقد القرآني لحصرية النجاة الأخرى:
لم يتوقف اتباع المنهج الحصري في الاعتقاد من اليهود والنصارى بحسب النص القرآني بأن يحصر الهداية في دينهم، بل حتى النجاة في الآخرة جعلوها من نصيبهم فقط، ونقد القرآن الكريم هذه الرؤية الضيقة في عدة آيات، وبيّن معايير النجاة في الآخرة ومن له حق الخلاص من العقاب ونيل الثواب، وهذا ما سيتم بحثه فيما يأتي:

أولا: حصرية دخول الجنة:

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ آمَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ

(٢١) التحريف في الإسلام، موسى الفقيه: ١٩.

(٢٢) الكافي، الكليني: ٨ / ٥٣.

(٢٣) شرح أصول الكافي، المازندراني: ١١ /



والعبودية)^(٢٦)، ما يعني ان مرضاة الله سبحانه ونيل ثوابه ليست حكراً على طائفة او اتباع دين معين، فالرحمة الإلهية ليست في إختيارهم حتى يهبوا ما يشاؤون منها وفق متبنياتهم ويمنعوها عن الآخرين^(٢٧)، بل هي من نصيب كل من يوحد الله سبحانه، فالنص القرآني هنا يؤسس لمعيار دخول الجنة ويثبت مبدأ النجاة.

ويعرض القرآن الكريم صورة اكثر تماديا من قبل اتباع المنهج الحصري في الدين، ففي حال عدم دخولهم الجنة بما اقترفوه من السيئات، فهم سيدخلون النار اياما معدودة لقوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَنْتَامَا مَعْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٨٠]،

وقولهم هذا ناشئ عن اعتقاد قطعي لدلالة "لن" على تأكيد نفي العذاب

(٢٦) الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ١ / ١٤٨.

(٢٧) ظ/ الامثل، مكارم الشيرازي: ١ / ٣٣٩؛ ١٨ / ٩٥.

﴿ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ١١١]، ادعاء واضح بأن الجنة لن يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا، بحسب ادعاء كل من اليهود والنصارى ان دينهم هو الحق وبالتالي لن ينجو في الاخرة إلا من كان يهوديا او نصرانيا.

نقد القرآن الكريم هذه الدعوى وعبر عنها بالأماي لكونها تفتقد البرهان للاستدلال به لإثبات صحة ما يدعون^(٢٤)، بمعنى لا دليل على هكذا ادعاء، بل (لِشِدَّةِ تَمَكِّيهِمْ لِذَلِكَ قَدَّرُوهُ حَقًّا فِي نَفْسِهِ)^(٢٥)؛ ولذلك جاء الرد القرآني مبينا ضيق منهجهم من جهة وسعة رحمة الله سبحانه من جهة أخرى بقوله تعالى:

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١١٢]، وفي الآية (بيان أن السعادة لا تدور مدار الاسم ولا كرامة لأحد على الله إلا بحقيقة الإيذان

(٢٤) ظ/ التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١ / ٤٠٩.

(٢٥) مفاتيح الغيب، الرازي: ٤ / ٥.



عنهم بحسب ادعائهم^(٢٨)، ولا سبيل لذلك الاعتقاد؛ لقوله تعالى: ﴿أَتَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، إذ جاء الاستفهام هنا للانكار و(التوبيخ والاعلام لهم ولغيرهم أن الامر بخلاف ما قالوه)^(٢٩)، ولذلك رد القرآن الكريم ادعائهم بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨١ - ٨٢]، فالخلود في النار او الجنة ليس بأمانهم بل بما يقتضيه عملهم كما سيتضح.

ثانيا: حصرية خالصية الآخرة:

ادعاء خالصية الآخرة لفئة معينة من دون غيرها نوع اخر من انواع حصرية النجاة في الآخرة والتي نقد القرآن الكريم من يدعيها في قوله تعالى:

(٢٨) ظ/ التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١ / ٥٧٩.

(٢٩) التبيان، الطوسي: ١ / ٣٢٤.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩٤]، ويمكن الوقوف عند دلالة "خالصة من دون الناس" لبيان كيف ان الآية ناظرة لموقفهم في حصر الحق والنجاة فيهم من جهتين:

الاولى: من جهة معنى "خالصة" اي خاصة بمن ادعوا ان لن يدخل الجنة غيرهم^(٣٠)، وليس لأحد سواهم فيها حق^(٣١).

الثانية: من جهة معنى «من دون الناس» إذ من استعمالات «دون» هو (الاختصاص وقطع الشركة)^(٣٢)، وفي الآية نكتة لطيفة لا بد من الاشارة اليها وهي قوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾،

والناس لفظ عام يشمل الجميع سواء كانوا موحدين ام لا، فالآية في الوقت الذي تبين كيف ان اليهود ادعوا

(٣٠) ظ/ التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١ / ٣٥٧.

(٣١) ظ/ مجمع البيان، الطبرسي: ١ / ١٢٩.

(٣٢) معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن،

حسن عز الدين الجمل: ٢ / ١٢٦.



الكريمة المتقدمة يرفض بشكل تام مسألة التعصب الديني والعنصري ويكسر احتكار فئة معينة للسعادة، ويضع ضمناً معيار الفوز متمثلاً^(٣٤) في

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰرِئِينَ وَالصَّٰبِغِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦٢]، فالآية الكريمة اشارت لـ (كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِالْأَدْيَانِ فِي حَالِ التَّكْلِيفِ وَفِي حَالِ الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ)^(٣٥)، إذ بينت ان معيار النجاة في الاخرة قائم على ثلاثة اركان هي:

١. الايمان بالله سبحانه وعدم الشرك به.
٢. الايمان باليوم الآخر.
٣. العمل الصالح.

وهذه الثلاثية في مقام بيان ان (الأسماء والتسمي بها مثل المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين لا يوجب

اختصاصهم بالنجاة في الآخرة، تبين من جهة أخرى ان النجاة قد تشمل جميع الناس وفق معايير معينة سيتم الوقوف عندها لاحقاً.

وبذلك يتضح ان القرآن الكريم مستمر في نقده لمنهجية حصر النجاة في الآخرة بفئة معينة من دون غيرهم وأن نجاتهم وسعادتهم فيها غير مشوبة بهلاك وشقاء وذلك لزعمهم بطلان كل دين إلا دينهم^(٣٣)، فقد رد على ادعاء اتباع هذا المنهج بقوله تعالى:

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ لأن أولياء الله يتمنون الموت ولا يرهبون، فمن أيقن أنه من أهل الجنة اشتقاق إليها، وأحب الالتحاق بها، ولأنهم بخلاف ما يدعون فلن يتمنوا الموت ابداً. ومن ينهج هكذا نهج هو في الواقع يحرم نفسه من السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة؛ لما لذلك المنهج من تبعات سيقف عندها البحث لاحقاً.

ثالثاً: معيار النجاة في الآخرة:

القرآن الكريم من خلال الآيات

(٣٣) ظ/ الميزان، الطباطبائي: ١/ ٢٢٧.

(٣٤) ظ/ الامثل، مكارم الشيرازي: ١/ ٣٣٩.

(٣٥) مفاتيح الغيب، الرازي: ٣/ ٥٣٧.



عند الله تعالى أجرا ولا أمنا من العذاب كقولهم: «لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى»، وإنما ملاك الامر وسبب الكرامة والسعادة حقيقة الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح...

فلا اسم من هذه الأسماء ينفع لتسميه شيئا، ولا وصف من أوصاف الكمال يبقى لصاحبه وينجيه إلا مع لزوم العبودية^(٣٦)، ففي الآية تأكيد على ان (الإيمان الظاهري لاقيمة له في الميزان الإلهي، سواء في ذلك المسلمون واليهود والنصارى وأتباع الأديان الأخرى... وإن الأجر عند الله يقوم على أساس الإيمان الحقيقي بالله واليوم الآخر إضافة إلى العمل الصالح وهذا الأساس هو الباعث الوحيد للسعادة الحقيقية والابتعاد عن كل خوف وحزن)^(٣٧).

وما يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ. عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة البقرة: ١١٢]؛ فالآية في مقام إثبات لما نفوه اتباع المنهج الحصري من دخول غيرهم الجنة، (فَمَنْ أَخْلَصَ نَفْسَهُ لِلَّهِ لَا يَشْرِكُ بِهِ غَيْرُهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ فِي عَمَلِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ الَّذِي يَسْتَوْجِبُهُ)^(٣٨).

من هنا يمكن القول ان السعادة تنقسم على قسمين: عامة وخاصة، إذ (أنَّ الْمُخْتَصَّصَ مِنَ السَّعَادَةِ بِالْمُنْتَحَلِ بَدِينِ الْحَقِّ إِنَّمَا هُوَ كَمَا لَهَا، وَأَمَّا مُطْلَقُ السَّعَادَةِ فغَيْرُ مُخْتَصَّصٍ بِالْمُنْتَحَلِ بَدِينِ الْحَقِّ، بَلْ رَبِّمَا وَجَدَ فِي غَيْرِ الْمُنْتَحَلِ أَيْضًا إِذَا وَجَدَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِنْقِيَادِ، أَوْ فَقَدَ شَيْءً مِنَ الْعِنَادِ بِحَسَبِ الْمَرْتَبَةِ)^(٣٩).

وقفه تحليلية:

اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰئِرِينَ وَالصَّٰبِغِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦٢] في سورة

(٣٨) الكشاف، الزمخشري: ١ / ١٧٨.

(٣٩) الانسان والعقيدة، محمد حسين

الطباطبائي: ٢٣٥.

(٣٦) الميزان، الطباطبائي: ١ / ١٩٣.

(٣٧) الامثل، مكارم الشيرازي: ١ / ٢٥٠.



منهم: حبيب النجار، وقيس بن ساعدة، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وورقة بن نوفل، والبراء السندي، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ويحيى الراهب، ووفد النجاشي، آمنوا بالنبى ﷺ قبل مبعثه، فمنهم من أدركه وتابعه، ومنهم من لم يدركه (٤١).

ونقل الشيخ الطوسي في تبيانه قول السدي: انها نزلت في سلمان الفارسي واصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على ايديهم قبل مبعث رسول الله ﷺ وكانوا قد أخبروه بأنه سيبعث، وانهم يؤمنون به إن أدركوه (٤٢).

وسبب النزول يوضح ان الآية تحكي حال المؤمنين من اليهود والنصارى والصابئين قبل بعثة الرسول ﷺ، ولكن السؤال: هل الآية الكريمة مختصة بالمؤمنين الذين ماتوا قبل مجيئ الرسول الخاتم، او انها تنطبق حتى على المؤمنين من اليهود والنصارى

البقرة، والذي تكرر في سورة المائدة ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقُونَ وَالنَّصَرَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة المائدة: ٦٩]، وكل من الآيتين تشير الى ان معيار النجاة في الاخرة هو الايمان بالله سبحانه وباليوم الآخر والعمل الصالح.

ولاختلاف المفسرين اثر في الاخذ بمضامين الاية، من هنا كان لابد من تحليل الاية من جهة سبب النزول، وجهتها الدلالية، واءاء المفسرين فيها، وكما يأتي:

• سبب نزول الآية:

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ سَلْمَانُ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَهْلِ دِينٍ كُنْتُ مَعَهُمْ، فَذَكَرَ مِنْ صَلَاتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ، فَنَزَلَتْ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَرَىٰ وَالصَّٰبِغِينَ مَن ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٤٠).

وقيل انها نزلت في (طلاب الدين،

(٤١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ابو اسحق الثعلبي (٤٢٧هـ): ١ / ٢٠٩.

(٤٢) التبيان، الطوسي: ١ / ٢٨١.

(٤٠) تفسير القرآن العظيم، ابن ابي حاتم (ت

٣٢٢هـ): ١ / ١٢٦.



والصابئة بعد بعثة الرسول ﷺ. هذا ما لا يوضحه سبب النزول، فلا بد من عرض اراء المفسرين في تفسيرهم للآية الكريمة.

• اراء المفسرين:

ذكر المفسرون عدة اراء في بيان المراد من قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يمكن اجمالها في ثلاثة مذاهب هي:

١. يقصد بهم كل من كان مؤمنا من اليهود والنصارى والصابئة قبل بعثة الرسول ﷺ ومات وهو مؤمنا وهذا ما يشير له سبب نزول الآية الكريمة^(٤٣).

٢. يقصد بهم كل من آمن من اليهود والنصارى والصابئة بالرسول محمد ﷺ فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك، فله ثواب عمله وأجره عند ربه^(٤٤)، فهذه الفرق الاربعة -المسلمون واليهود

(٤٣) ظ/ تنوير المقباس، ابن عباس (ت٦٨هـ): ١٠.

(٤٤) جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري: ١٤٨-١٤٩ / ٢.

والنصارى والصابئة - (إِذَا آمَنُوا بِاللَّهِ فَلَهُمُ الثَّوَابُ فِي الْآخِرَةِ لِيَعْرِفَ أَنَّ جَمِيعَ أَرْبَابِ الصَّلَالِ إِذَا رَجَعُوا عَنْ صَلَاتِهِمْ وَآمَنُوا بِالَّذِينَ الْحَقُّ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقْبَلُ إِيمَانَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ وَلَا يُرِيدُهُمْ عَنْ حَضْرَتِهِ الْبَتَّةَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْإِيمَانُ بِمَا أَوْجَبَهُ، أَعْنِي الْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ وَدَخَلَ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ جَمِيعَ أَحْكَامِ الْآخِرَةِ)^(٤٥).

٣. يقصد بهم عموم المؤمنين من اليهود والنصارى والصابئة اضافة الى مؤمني المسلمين لعموم لفظ الآية وعدم وجود ما يدل على تخصيصها، وهذا ما ذهب له الشيخ الطوسي بقوله: (ان الذين آمنوا من هذه الامة، ومن آمن من اليهود، والنصارى، والصابئين بالله واليوم الآخر، فلهم اجرهم عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لان هذا اشبه بعموم اللفظ والتخصيص ليس

(٤٥) مفاتيح الغيب، الرازي: ٣ / ٥٣٧.



عباس، وقد رده الشيخ الطوسي بقوله: (وهذا بعيد، لان النسخ لا يجوز أن يدخل في الخبر الذي يتضمن الوعيد، وانما يجوز دخوله فيما طريقه الاحكام الشرعية التي يجوز تغييرها) (٤٨).

والذهاب الى احتمال نسخ الآية دال على عموم معناها وعدم اختصاصه بزمن معين.

وإذا كانت الآية حاكية عن اليهود والنصارى والصابئة الذين عاصروا الرسول وآمنوا به، فما وجه تسميتهم باليهود والنصارى والصابئة؟. لأنهم إذا آمنوا بالرسول ﷺ أصبحوا مسلمين وليسوا يهودا ولا نصارى ولا صابئة، وإذا صاروا مسلمين مؤمنين فما وجه تفريقهم عن «الذين آمنوا» الواردة في صدر الآية؟.

وإذا قيل: ان تسميتهم باليهود والنصارى والصابئين بعد ايمانهم بالرسول محمد ﷺ هو من باب تسمية الشيء بما كان عليه، اذن لم يعد هناك فرق بينهم وبين «الذين آمنوا» في صدر

(٤٨) التبيان، الطوسي: ١ / ٢٨١.

عليه دليل) (٤٦)، وعلل ذلك صاحب لطائف الاشارات بقوله: (اختلاف الطريق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول.. فتباين الشرع واختلاف وقوع الاسم غير قاذح في استحقاق الرضوان، لذلك قال: «إن الذين آمنوا والذين هادوا» ثم قال: «من آمن» منهم أي إذا اتفقوا في المعارف فالكل لهم حسن المآب، وجزيل الثواب، والمؤمن من كان في أمان الحق سبحانه، ومن كان في أمانه - سبحانه وتعالى - فبالحرى ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٤٧).

مناقشة وتعقيب:

إذا كانت الآية حاكية عن مؤمني الامم الماضية بناء على الرأي الاول، فما وجه القول بان الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ عِزَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥]، وهو قول ابن

(٤٦) التبيان، الطوسي: ١ / ٢٨٢.

(٤٧) لطائف الاشارات، عبد الكريم القشيري

(ت ٤٦٥هـ): ١ / ٩٦.



الاية وهذا خلاف ظاهر الآية، بل اغلب المفسرين ذهبوا الى وجود فرق بين الايمان المذكور في صدر الآية والآخر الذي في ذيلها.

فالآية الكريمة كأنها تقول: ان الذين امنو وهم مسلمون لهم اجرهم عند ربهم لأن الايمان في الاسلام هو اقرار بالجنان وعمل بالاركان فيكون العمل الصالح داخل فيه ضمنا وما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ

الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [سورة الحجرات: ١٤]، وكذلك الذين هادوا والنصارى والصابئة من امن بالله وعمل صالحا لهم اجرهم.

وإذا تبين معنى "الذين امنوا" في صدر الاية فلا معنى لما يذهب له بعض المفسرين من ان المراد بهم "المنافقين" (٤٩)، لأن المنافق يظهر الايمان ويبطن الكفر وعندها لا يصح اطلاق اسم المؤمن عليه، ثم ان القرآن الكريم سمى المنافقين في

(٤٩) ظ / الجامع لاحكام القرآن، شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ): ١ / ٤٣٢.

موارد عدة في آياته، فما الداعي لعدم تسميتهم هنا ان كان يقصدهم؟.

من هنا يتضح ان التفسير الثالث هو الاكثر ملائمة لظاهر الآية، وما يؤيده هو مناسبة الآية الكريمة لما قبلها من الآيات فبعد (ان ذكر تعالى بعض احوال اليهود وتعداد النعم عليهم وكفرهم وعنادهم عن الحق، شرع في بيان احوال المؤمنين من اليهود والنصارى والصابئين الذين عملوا الصالحات وما وعدهم بجزيل الأجر) (٥٠).

ولكن هذا لا يعني ان كل مؤمني اليهود والنصارى والصابئة والاسلام لهم الجزاء نفسه والمثوبة نفسها، نعم هم متساوون من جهة المثوبة ولكنهم متفاوتون من جهة درجاتها؛ لأن

الايمان درجات والجزاء ايضا درجات لقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَإِلَيْهِمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴾ [سورة

الاحقاف: ١٩]، من هنا يتبين سبب تقديم "الذين آمنوا" على من امن من

(٥٠) مواهب الرحمن، عبد الاعلى السبزواري:

٣١٧ / ١



في دينهم من جهة أخرى؛ ولذلك جاء النقد القرآني موضحاً ان نجاته اتباع الاديان متوقفة على اعمالهم، فالسعادة الاخرى لاتنال بالتمني ولا بالتفاخر

لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ١٢٣-١٢٤]، اي ليس الثواب (يستحق بالأماني إنما يستحق بالإيمان والعمل الصالح)^(٥١).

ومن المناسب ذكر سبب نزول الآية ليتبين كيف ان الاسلام لا يغبن حق احد ولا يسمح ببخس حقوق الاخرين حتى وان كانوا من دين آخر، إذ ذكر الفخر الرازي انه (تفاخر المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبينا وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نبينا خاتم النبيين، وكتابنا ناسخ الكتب، فأنزله) (٥١) مفاتيح الغيب، الرازي: ١١ / ٢٢٥.

اليهود والنصارى والصابئة لأنهم ارفع درجة، لإتباعهم افضل الرسل من جهة وخلو دينهم من التحريف من جهة اخرى.

رابعا: حقانية الدين والنجاة في الآخرة: تقدم الحديث عن حقانية الاديان السماوية وملاك السعادة في الدنيا والآخره؛ ولكن السؤال هنا هل حقانية الدين تعني نجاته من انتسب لذلك الدين؟.

النص القرآني يبيّن ان حقانية الدين شيء والنجاة في الآخرة شيء آخر، فالمسلم وان كان يدين بدين الاسلام إلا ان مجرد انتسابه للاسلام لا يمنع عنه العذاب في الآخرة ان اساء في الدنيا؛ لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[سورة البقرة: ٨١]، وهذا وارد في القرآن الكريم على ادعاء اليهود بأن الآخرة خالصة لهم، لكونهم ابناء الله واحبائه من جهة ولأن الهداية منحصرة



الله تعالى هذه الآية^(٥٢). وبما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب يتبين ان مجرد الانتساب الى الدين الحق او الايمان به لا يكفي للنجاة من دون العمل، وكل مَنْ عَمِلَ صالحاً من ذكر او انثى وهو موحد لله سبحانه يستحق ثوابه في الآخرة.

ثم لا بد من التفريق بين صحة الاعمال وبين قبولها الموجب للثواب او ردها الموجب للعقاب، إذ لا ملازمة بين الصحة والقبول^(٥٣)، فربما يحكم بصحة العمل وإجزائه، ولكن مع ذلك لا يكون مقبولاً عند الله سبحانه^(٥٤)،

(٥٢) ظ/ المصدر نفسه.

(٥٣) لفظة مقبول يستفاد بها في عرف الشرع أمران أحدهما: الإجزاء، كقولنا: لا تقبل صلاة بغير طهارة، والأمر الآخر: الثواب عليها، كقولنا إن الصلاة المقصود بها الرياء غير مقبولة بمعنى سقوط الثواب وإن لم يجب إعادتها. (الانتصار، الشريف المرتضى: ١٠٠).

(٥٤) ظ/ الحدائق الناضرة، المحقق البحراني (١١٨٦هـ): ١٤ / ١٢٢؛ مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى، محمد تقي آملی: ٣ / ٤٥٥؛ الجنة والنار بين ميزان العقل وميزان المذاهب الاسلامية، حسين احمد الخشن، موقعه الالكتروني الرسمي:

فمسألة الصحة هي مسألة فقهية لارتباطها بفعل المكلف ليس هنا محل بحثها، وأمّا مسألة القبول فهي مسألة عقدية، لارتباطها بفعل الله سبحانه وكيفية تعامله مع عباده، وهذا محور البحث إذ لا بد من الوقوف عند كيفية معاملة الله سبحانه لعباده؛ لأن اتباع المنهج الحصري والاختزالي او الاقصائي لا يتوقف حصرهم عند ما يعتقدون هم بل يتجاوز الى حصر رحمة الله فيهم وهذا امر فيه جرأة على الله سبحانه، فبدل ان يكون امرهم بيده سبحانه اصبح امره بيدهم وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فهل يغلق الله سبحانه وتعالى باب رحمته بوجه عباده؟ وهل النجاة للمسلمين فقط من دون غيرهم من اباغ الاديان الاخرى او حتى من لادين لهم؟.

المطلب الثالث:

اسباب وآثار المنهج العقدي الحصري:

بعد بيان مفهوم المنهج الحصري في الاعتقاد وصوره في حصر الهداية



يمثل الحقيقة المطلقة والسقف الاعلى للمعرفة^(٥٥).

٢. غلبة الـ «انا» لدرجة تصل حد الاستعلاء على الآخر، والسبب في ذلك اعتقاد الافضلية لدرجة ادعاء القرب منه سبحانه وتعالى، وهذا ما شخصه القرآن الكريم لدى اليهود والنصارى عندما حكى عنهم الاية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّنَاهُ ﴾ [سورة المائدة: ١٨]، فاليهود والنصارى (ادَّعَوْا أَنْ عِنَايَةَ اللَّهِ بِهِمْ أَشَدُّ وَأَكْمَلُ مِنْ عِنَايَتِهِ بِكُلِّ مَا سِوَاهُمْ.. إِذْ كَانُوا يَرَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ فَضْلًا عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ.. حَتَّى اتَّهَمُوا فِي تَعْظِيمِ أَنْفُسِهِمْ إِلَى أَنْ قَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)^(٥٦).

ونقد القرآن الكريم هذا الادعاء

بقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَعْرِفُ لِمَنْ يَشَاءُ

(٥٥) ظ/ الحوار والانفتاح على الآخر، حسن موسى الصفار: ٣٠.

(٥٦) مفاتيح الغيب، الرازي: ١١ / ٣٢٨-٣٢٩.

والنجاة، لابد من الوقوف عند الاسباب الداعية لسلوك ذلك المنهج، وماهي التبعات او النتائج المترتبة على انتهاجه وكما يأتي:

اولا: الاسباب الداعية لانتهاج المنهج الحصري في الاعتقاد:

يعرض القرآن الكريم جملة من الاسباب المؤدية الى سلوك منهج اختزال الهداية والحق وبالتالي الفوز في الآخرة في اهل ملة معينة وابعادها عن الملل الاخرى الموحدة له سبحانه، والتي يمكن تقسيمها على قسمين وهي: الاسباب الداخلية او مايعبر عنها بالذاتية ويقصد بها اسباب ترجع لبنية اتباع الدين المعرفية والتي تقوم على اساس:

١. الجهل وسذاجة الفكر وهذا ما بينته الايات الكريمة المتقدم ذكرها بأنهم يتلون الكتاب ومع ذلك يقصون الاخر المخالف لهم، وقال الذين لا يعلمون مثل قولهم، فالجهل والسذاجة تؤدي الى الشعور بالاكْتفاء وان ما لديهم من رأي



وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾
[سورة المائدة: ١٨]، فالرد القرآني كبح
جماح الـ"انا" التي كانت طاغية لدى
اليهود والنصارى حتى وصلوا لمرحلة
لا يرون الحق والافضلية الا في انفسهم،
إذ بين لهم انهم بشر ممن خلق الله سبحانه
وهو يغفر ويعذب من يشاء.

٣. تزكية النفس وهي من تبعات غلبة
الـ"انا" ويقصد بها مدح الانسان
لنفسه، وهي من المظاهر التي نقدها
القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرِيكِي
مَنْ يَشَاءُ ۗ وَلَا يَظُنُّونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظُرْ
كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۗ وَكَفَىٰ بِهِ إِتْمَانًا
مُؤْمِنًا ﴿٥٠﴾ [سورة النساء: ٤٩ - ٥٠]؛
لأنها (تكشف عن إعتقاد الإنسان
بكماله فهي مدعاة إلى تحلّفه، لأنّ رمز
التكامل الإعراف بالتقصير وقبول
وجود النواقص والضعف) (٥٧)،
ولذلك نهى الله سبحانه عنها في

(٥٧) تفسير الامثل، مكارم الشيرازي: ١٧/

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتَقَىٰ ﴾ [سورة النجم: ٣٢]،
فهي من بواعث (الغرور والغفلة
والإستعلاء والأفكار الجاهلية) (٥٨)،
والقرآن الكريم جاء ليهدب الامة
من هكذا سلوكيات مقبته تودي
بأصحابها الى التهلكة وتشوه معالم
الدين.

أما الاسباب الخارجية التي تكون
داعية لممارسة المنهج الحصري في
الاعتقاد فيمكن اجمالها فيما يأتي:

١. التحريف للنصوص الدينية سواء
على مستوى اللفظ او المعنى بما
يؤدي الى الفهم الخاطيء لها، مما ينتج
عنه التعصب الديني والتشدد، والى
هذه الظاهرة أشار النص القرآني

بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا
يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٧٨]،



اطلاع على الفكر المخالف لها وان كان على حق وهم على ضلال^(٦٠)، مما يضطرهم الى الغاء الاخر ورؤية الحق في انفسهم ونفيه عن المخالف لهم.

ثانيا: آثار المنهج الحصري في الاعتقاد:

العمل على حصر كل كمال متوقع وجعل كل مقامات السمو في دين معين، لدرجة اعتقاد اتباع ذلك الدين ان لاوجه للرحمة الالهية او المحبة والخلاص الالهي خارج خصوصية دينهم والتزامهم^(٦١)، يؤدي الى مجموعة من النتائج التي تؤثر سلبا على الدين والمخالف من جهة أخرى والتي يمكن اجمالها فيما يأتي:

أ. من جهة الدين:

المنهج الحصري في الاعتقاد ينعكس

(٦٠) ظ/ الحوار والانفتاح على الاخر، حسن الصفار: ٣٢.

(٦١) ظ/ الهيات المعرفة القيم التبادلية في معارف الاسلام والمسيحية، شفيق جرادي: ٦٦.

وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ

الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا

وَعَصَيْنَا﴾ [سورة النساء: ٤٦]،

والمراد "من الذين هادوا" اشارة الى

ان من قام بعملية التغيير والتأويل

الخاطئ والتحريف هم علماءهم

والغاية من ذلك التلبس على

اتباعهم^(٥٩).

٢. السلطة الدينية التي تمارس دور

الوصاية على اتباعها وتضفي على

نفسها هالة القداسة، حتى يصل

الامر باتباعهم الى ان يتخذوهم

أربابا من دون الله، وهذا ما عابه

القرآن الكريم على اليهود

والنصاري لأنهم ﴿اتَّخَذُوا

أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا

مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة:

٣١]، إذ تعمل هذه السلطة على

منع اتباعها الذين يقلدوهم تقليدا

اعمى بفعل التقديس من الانفتاح

على الاخر، وتقمع كل محاولة

(٥٩) ظ/ التبيان، الطوسي: ١/ ١٩٠؛ ٣/



على الدين مما يؤدي الى جملة من الآثار منها:

١. تعطيل احكام الدين وذلك

لعملهم ببعض الكتاب وتناسيهم وجحودهم لبعضه الآخر، وهذا ما

استنكره القرآن الكريم عليهم بقوله

تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ

وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [سورة البقرة:

٨٥]، فلا يوجد دين يدعو للتوحيد

ويتعامل مع الآخر باستعلاء وفوقية،

لأن الفطرة التي جبلت على توحيد

الله سبحانه لا تنسجم مع الاستعلاء

والتكبر.

٢. تشويه معالم الدين وتدرجياً ستندثر

ولا يبقى منها الا رسمها، وهذا

ما وقع فيه النصارى واليهود من

خلال العرض القرآني لمعتقداتهم كما

تقدم.

ب. من جهة اتباع المنهج الحضري:

للمنهج الحضري في الاعتقاد اثار

وتبعات على اتباعه منها:

١. التطرف الديني: وهو كل ما يناقض

الاعتدال زيادة او نقصان، اذ يعد

صورة من صور الغلو في الدين

الذي نهى عنه القرآن الكريم في

قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا

عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [سورة النساء:

١٧١].

ويرتبط التطرف بمجموعة من

المفاهيم منها:

• التعصب الذي يعرفه حديث الامام

زين العابدين بقوله: (ان يرى الرجل

شرار قومه خيراً من خيار قوم

آخرين)^(٦٢)، فهم يعتقدون انهم حتى

وان كانوا على ضلال فهم افضل من

غيرهم، وهو نوع من الحمية التي

يعبر عنها القرآن الكريم بـ «حمية

الجاهلية» في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ

الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ

الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [سورة الفتح: ٢٦]، وهي

تطلق على كل استكبار لا موجب

له^(٦٣).

(٦٢) الكافي، الكليني: ٢ / ٣٠٨.

(٦٣) ظ/ التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٦ /



فِينَا ضَعِيفًا ﴿ [سورة هود: ٩١]؛
 (لأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم
 رغبة عنه وكراهية له.. أو كانوا
 يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه) (٦٥)،
 فحين يفقد اتباع الدين القدرة على
 تقبل معتقدات الاخر التي تختلف
 عن معتقداتهم، فإن هذا يعد مؤشراً
 على انغلاقهم، ويتجلى شكل هذا
 الإنغلاق بأن كل مايعتقدوه هو
 صحيح تماماً وأن موضوع صحته
 غير قابل للنقاش (٦٦).

وهذا الحال قد يؤدي الى التضليل
 الديني والتحريض على الفتنة لتحقيق
 غايات محددة تحت غطاء الدين، كما هو
 منهج الحركات الدينية المتطرفة سواء
 كانت من الاصولية اليهودية او المسيحية
 او الاسلامية.

٢. التكفير: ويراد به اخراج الآخر

(٦٥) الكشاف، جار الله الزمخشري: ٢ / ٤٢٣.
 (٦٦) ظ/ مفهوم التطرف، الموقع الالكتروني
 للمرصد العربي للتطرف والارهاب،

http:// arabobservatory.
 com/?page_id=2918

وقد يكون التعصب والتشدد في
 تبني رأي او فكر معين بسبب العزة
 بالإثم لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ
 اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ
 وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴾ [سورة البقرة:
 ٢٠٦]، فعندما تأخذهم المنعة وشدة
 النفس، تتحى بهم الى مايعتقدونه
 هم فتوقعهم تلك العزة في الإثم (٦٤)،
 الذي يجعلهم لايسمعون سوى
 صوتهم ولايرون الحق الا في انفسهم؛
 لأن الانصات الى الاخر -مهما كانت
 اغراضه -يشخص مواطن القوة في
 المعتقد فيتمسك به، ومواطن الضعف
 فيه فتصحح، وفي حال التعصب لن
 يكون ذلك فيقعون في الاثم.

• الإنغلاق الفكري الناتج عن عدم
 الاطلاع على ما لدى الاخر او محاولة
 تفهم ما لديه، وهذا مابيّنه القرآن
 الكريم في حال الاقوام الذين كذبوا
 رسلهم كما في قوله تعالى: ﴿ يَشْعَبِبُ

مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَبُكَ

(٦٤) ظ/ الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين
 القرطبي: ٣ / ١٩.



الديني مجموعة من الاسس والقواعد تتطلب بحث مستقل ليس هنا محل بحثه.

الخاتمة:

من خلال ماتقدم يمكن وضع مجموعة من النتائج التي توصلت لها الباحثة منها:

1. الاعتقاد بالدين الحق لا يضمن حصول الثواب والنجاة من العقاب في الآخرة، فلا بد ان يصحب الاعتقاد عمل صالح يوصل المؤمن الى النجاة في الدنيا والآخرة.
2. النص القرآني يرفض منهجية الالغاء والاقصاء لاسيما فيما يخص الهداية والنجاة لاتباع الاديان السماوية، ونقد كل من اليهود والنصارى لذهابهم هذا المذهب، فهل يعقل ان يأتي القرآن الكريم بما رفضه ونقده عند الآخر؟. بمعنى هل جاء القرآن الكريم ليبين ويدعو لنفس المنهج الحصري في الاعتقاد الذي كان عليه كل من اليهود والنصارى؟. هذا مما لا يمكن القول به؛ لأن النص

أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ
الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾

[سورة آل عمران: ١١٠]، ومنهم الكافر لقوله تعالى: ﴿لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [سورة البينة: ١].

وبناء على ذلك فالقرآن الكريم يوضح منهجية التعامل مع الآخر حتى على مستوى تسميته.
ج. من جهة الآخر الديني:

لاتتوقف تبعات الطريقة الحصرية في الاعتقاد على الدين واتباعه، بل تتجاوزه الى علاقة الآخر الديني بهم وكيفية التعامل فيما بينهم ويمكن عرض تلك النتائج بما يأتي:

1. نفور الآخر الديني من اتباع المنهج الحصري مما يسهم في عدم امكانية فتح طريق للتواصل معه.
2. إلغاء الآخر الديني من خلال اتباع المنهج الحصري في الاعتقاد يؤدي الى اشاعة روح الكراهية والعدوان في المجتمع، وهذا ما يرفضه القرآن الكريم إذ يضع للتعامل مع الآخر



- القرآني يؤسس لمنهجية وسطية في قبول الآخر من خلال قبول الفكر الصحيح عنده، ونقد ماهو مخالف للثوابت العقلية والدينية، لا قبوله بشكل مطلق بحجة قبول الرأي الآخر والتعددية، وإذا لم يكن فيه شيء من الصحة لا يقبل منه شيء، وإذا كان يتضمن نسبة ضئيلة من الصحة تقبل تلك النسبة الضئيلة، ويرفض الفكر الخاطيء منها^(٧٢).

أهم مصادر البحث

- اشرف ما يبدئ به القرآن الكريم.
١. ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤هـ، المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي.
 ٢. ابو اسحاق الثعلبي (٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: (٧٢) ظ / بحوث معاصرة في الساحة الدولية، محمد السند: ٤٦.
 ٣. ابو القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف، دار دجلة - الاردن، الطبعة الاولى ٢٠٠٧م.
 ٤. حسن الصفار: الحوار والانفتاح على الآخر، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي - بيروت.
 ٥. حسن عز الدين الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨م.
 ٦. حسين احمد الخشن، العقل الاسلامي بين سياط التكفير وسبات التفكير، المركز الاسلامي الثقافي - بيروت ١٤٣٤هـ.
 ٧. حيدر حب الله، التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي، الغدير - بيروت، الطبعة الاولى ٢٠٠١م.
 ٨. شفيق جرادي، الهيات المعرفة القيم التبادلية في معارف الاسلام والمسيحية، معهد المعارف الحكمية - بيروت، الطبعة الاولى ٢٠٠٦م.



٩. عبد الرحمن بن محمد ابن ابي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
١٠. عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥هـ)، لطائف الاشارات، تحقيق إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة الثالثة.
١١. عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ)، تنوير المقباس، جمعه مجد الدين الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان.
١٢. علي مير الموسوي وصادق حقيقت، مبادئ حقوق الانسان في الاسلام والمذاهب الاخرى، تعريب خليل زامل العصامي، المجمع العلمي العالي للثقافة والفكر، مركز الغدير، بيروت، الطبعة الاولى ٢٠١١.
١٣. فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.
١٤. كريم السراجي، الاسس الدينية للاتجاهات السلفية، الطبعة الاولى، دار السلام.
١٥. المحقق البحراني (ت ١١٨٦هـ)، الحدائق الناضرة، تحقيق محمد تقي الايرواني، مؤسسة النشر الاسلامي - قم.
١٦. محمد السند، بحوث معاصرة، مركز الابحاث العقائدية - قم المقدسة، الطبعة الاولى ١٤٢٨هـ.
١٧. محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤.
١٨. محمد بن احمد شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لاحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
١٩. متقد السقار: التكفير وضوابطه، رابطة العالم الاسلامي.



جَوَابَاتُ ثَلَاثِ مَسَائِلِ تَفْسِيرِيَّةٍ لِلشَّيْخِ بَهَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْعَامِلِيِّ المعروف بالشيخ البهائي (ت ١٠٣١هـ)

تقديم وتحقيق

م.م.م. مقدم محمد جاسم البياتي

المديرة العامة لتربية محافظّة ميسان

فحوى البحث

هذا نصّ للشيخ بهاء الدين العاملي المعروف بالشيخ البهائي (ت ١٠٣١هـ)، محفوظ في مكتبة جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية، والنص يتضمن ثلاثة أجوبة عن ثلاثة أسئلة في التفسير، وردت إلى الشيخ البهائي فأجاب عنها مفصلاً.

وقد قام الباحث بتحقيق النصّ بإعادة كتابته مضبوطاً بالشكل، وعلى طريقة الإملاء الحديث، مع تخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وتوثيق الأقوال، والترجمة للأعلام، وغير ذلك من قواعد تحقيق المخطوطات.

كما قدم للنص المحقق بمقدمة ذكر فيها أهمية التحقيق، والدافع الذي حدا به لنشر هذا النص، وبعد المقدمة ذكرت في التمهيد نبذة عن حياة البهائي مع وصف للمخطوط، وعمله في التحقيق، وختُمتُ بجملته توصيات مع ذكر المصادر المعتمدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد وآله الطيبين الطاهرين.
أمّا بعدُ:

فإنّ علم التحقيق علم شريف له أصوله وقواعده، ومدارسه وأعلامه، وهو ذو فائدة كبيرة؛ إذ يعود على المحقّق بالأجر والثواب، وزيادة المعلومات التي يكتسبها من المطالعة والبحث في أثناء عمله، ويعود على القراء والمتابعين للتراث بالفائدة أيضاً، إذ يُخرج لهم نصّاً تراثياً خالياً من العيوب والأخطاء، قريباً للحالة التي بها ترك المؤلف كتابه، وفي التحقيق إحياء لذكر مؤلّف أو مؤلّف، قد أهمل تعاقب الجديدين ذكرهما، وغطّى غبار الزمن عليهما.

وكنّت منذ سنوات محبّاً للتراث، متشوقاً للمشاركة في إحيائه، وكنّت أبحث بين الفينة والأخرى في الفهارس والكشافات عن نصٍّ لما يحقّق بعدُ، إلى أن عثرتُ على رسالة للشيخ الأجل بهاء الدين العاملي (ت ١٠٣١هـ)، ضمن مجموع تحتجته مكتبة جامعة برنستون، وقد نَشَرَ موقع المكتبة مصوِّرة عنه.

وهذه الرسالة تتضمن ثلاثة أسئلة في التفسير مع أجوبتها، وكنّت أظنُّ أنّها محقّقة، فأخذتُ بالبحث في كتب الفهارس والكشافات، والسؤال عند أهل الخبرة والاختصاص، حتى وصلتُ إلى نتيجة مفادها أنّ الرسالة لم تحقّق، فاستقرّ الرأي، بعد مشاورة بعض الأفاضل، على تحقيقها وتقديمها بالشكل الذي يتناسب مع أهمية النصّ ومؤلّفه.

وكان السبب والدافع إلى تحقيق هذا الأثر هو القيمة التي يتصف بها، إذ النصّ يُنسب للبهائي بلا خلاف، وقد كُتِبَ في عصر المؤلف، وبخط أحد تلامذة المؤلف المجازين منه، في البلد الذي قضى المؤلف فيه أواخر حياته.



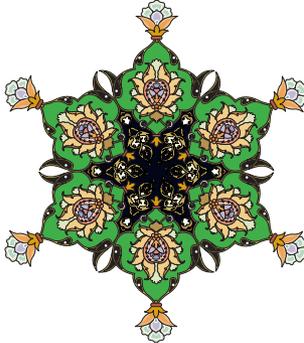
وقد انحصر عملي في قسمين: الأول: التقديم للنصّ، وقد بينت فيه نبذة عن حياة البهائي، بذكر نسبه وشيوخه وتلاميذه وبعض كتبه، ووصفاً للمجموع الذي يتضمن هذه الرسالة، ثمّ وصفاً للرسالة نفسها، وعملي في التحقيق، والآخر: تحقيق النص: وقد قمتُ فيه بإعادة كتابة النصّ مشكولاً معرباً، مقسماً على جمل وفقرات، مع وضع علامات التنقيط حسب قواعد الخطّ الحديثة.

وختمت عملي بجملة من التوصيات، تتلوها جريدة المصادر.

وكانت المصادر التي اعتمدتها متنوعة بين قديم وحديث، منها التفاسير، وكتب التراجم، وغيرها.

أرجو من الله جلّ وعلا أن يتقبل منّا هذا القليل بجميل قبوله، وأن يوفقنا مع سائر المؤمنين للعلم والعمل الصالحين، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث



تمهيد: المؤلف والمؤلف:

أولاً: نبذة مختصرة عن الشيخ البهائي:

الشيخ البهائي أكبر من أن تحيط به ترجمة، أو يستوعب نتاجه عمل، فقد ملأ دنيا العلم وشغل الناس بفكره، ولكن صيته لا يمنعنا من أن نذكر نبذة من حياته الشريفة، فنقول:

هو العالم البارع الفقيه الأصولي المفسر المحدث الرياضي الفلكي المهندس بهاء الدين محمد بن عز الدين حسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمد بن علي بن حسن بن محمد بن صالح^(١) الحارثي الهمداني الجبعي العاملي المعروف بالشيخ البهائي، والذي ينتهي نسبه إلى الحارث الهمداني صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد الشيخ البهائي ببعلبك في لبنان سنة ٩٥٣هـ، وانتقل مع أبيه إلى إيران، وقد اتجه البهائي منذ صغره إلى تحصيل العلوم و المعارف، إذ درس علم التفسير و الحديث و الفقه و آداب اللغة العربية على والده، و درس علم الكلام

(١) ينظر: خاتمة مستدرک الوسائل: ٢ / ٢١٨.

و قسماً من العلوم العقلية على يد عبد الله المدرس اليزدي، والعلوم الرياضية على الملا علي المذهب و المولى أفضل قانلي المدرس، و قرأ علم الطب و قانون ابن سينا على الحكيم عماد الدين محمود. حتى صار علماً من أعلام الفقه والكلام والهندسة والأدب، يشار اليه بالبنان.

وتلمذ على يديه جملة من العلماء منهم: الشيخ جواد الكاظمي المعروف بالفاضل الجواد، وملا محسن الفيض الكاشاني، والسيد رفيع الدين النائيني، و صدر المتألهين الشيرازي، والشيخ ماجد البحراني، والمجلسي الأول، وغيرهم الكثير^(٢).

ولما بلغ أشده، رحل رحلة واسعة، ونزل بأصفهان فولاه سلطانها شاه عباس الصفوي مشيخة الإسلام (رياسة العلماء)، فأقام مدة ثم رغب في السياحة والتجوال، فحج بيت الله الحرام، و زار قبر النبي صلى الله عليه وآله، ثم استمر في السياحة

(٢) ذكر العلامة الأميني تلامذة الشيخ البهائي في موسوعته (الغدیر): ١١ / ٣٣١-٣٤٣، وينظر: الشيخ بهاء الدين العاملي (مجموعة رسائل وبحوث في سيرة الشيخ البهائي): ١٨٨-١٩٩.



فساح ثلاثين سنة، زار خلالها مصر والقدس ودمشق وحلب والعراق، واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أهل الفضل، ثم عاد و قطن إيران، فألف و صنّف، و قصدته علماء الأمصار، و اتّفقت على فضله الأسماع والأبصار، و كانت له دار يؤمّها كلّ محتاج من الأرامل والأيتام و يفدّ عليها الآمل و الراجي، و هو يقوم بنفقتهم، ناهيك عن طلبة العلم ممن يزدحم لديه من أجل الإفادة، أو الإجازة، أو السماع والاستنساخ والمقابلة، أو الاستفتاء والمباحثة، و لم يزل هذا ديدنه حتّى وافاه الأجل المحتوم في أصفهان سنة ١٠٣١هـ، ودفن في المشهد الرضوي المقدّس حسب وصيته.

ترجم له الكثير من العلماء، ممن عاصره أو جاء بعده، وأطروه بكل عبارات التبجيل والتكريم، ويمكن مراجعة كتب الأخبار والتراجم للوقوف على تفاصيل سيرة هذا الشيخ العظيم، ومدى مبلغه من العلم، ومصنفاته الكثيرة المتنوعة، وإنجازاته التي بقيت معظمها ماثلة إلى العيان لحد الآن، منها عمارة مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب السلام، وما قام به من تصاميم هندسية في مدينة أصفهان. وقد خلف الشيخ البهائي جملة من المصنفات، بين كبير وصغير، منها: الاثنا عشرية في الفقه، وبحر الحساب، وزبدة الأصول، وتهذيب البيان، والفوائد الصمدية، ومشرق الشمسين وإكسير السعادتين، والحبل المتين، والوجيزة، و حدائق الصالحين في شرح صحيفة سيد الساجدين، وتشريح الأفلاك، والحاشية على تفسير البيضاوي، وحاشية على الكشاف، وغيرها من الكتب والرسائل، وقد تكفلت كتب التراجم والمعاجم بذكرها^(٣).

(٣) تنظر ترجمته في: نقد الرجال: ٤ / ١٨٦ - ١٨٧، وأمل الآمل: ١ / ١٥٥ - ١٦٠، وسلافة العصر: ٢٨٩ - ٣٠٢، ورياض العلماء: ٥ / ٨٨ - ٩٧، ولؤلؤة البحرين: ١٦ - ٣٢، وروضات الجنات: ٧ / ٥٦ - ٨٣، وخاتمة مستدرك الوسائل: ٢ / ٢١٨ - ٢٣، والكنى والألقاب: ٢ / ١٠٠ - ١٠٢، وأعيان الشيعة: ١٣ / ٤٩٦ - ٥٢٠، وطبقات أعلام الشيعة: ٥ / ٨٥ - ٨٧، والأعلام: ٦ / ١٠٢، ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٥١ - ٢٥٢، وغيرها الكثير من المصادر. وقد صنّف المؤرخ والأديب الفارسي سعيد خان النفيسي (ت ١٩٦٦م)



١٩٤٢م، ووهبها لجامعة برنستون، بمجموع مخطوطٍ يتضمّن رسائل للشيخ البهائي، ورسالة واحدة لوالده، والمجموع تحت رقم الحفظ (٥٣٨).

يتألف هذا المجموع من (٧٣) ورقة، كُتِبَ بالمدادين: الأسود وكتب به المتن، والأحمر كُتِبَتْ به العناونات ورؤوس المطالب، وعُلِّمَتْ رؤوس المسائل بالمداد الأحمر من فوق، ورُقِّمَتْ صفحاته بالقلم الرصاص، وبأرقام أجنبية، والظاهر أنّ هذا الترتيم متأخر بكثير عن زمن كتابة هذا المخطوط.

وعلى بطن غلاف المجموع صورة فيها عبارة (العلم ينبوع الحياة والكتاب حياة الآداب) وتحتته اسم (شالوم) بالانجليزية، وتحت الصورة كتابة بالانجليزية ترجمتها: مكتبة جامعة برنستون قسم روبرت غاريت ٩٧.

في الورقة الأولى من هذا المجموع بيتا شعرٍ (لبعضهم)^(٤):

(٤) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى التغلبي المعروف بابن الخياط الدمشقي المتوفى بها سنة ٥١٧هـ، ذكر أخباره وقصائده العماد الأصفهاني في خريدة القصر وجريدة العصر (شعراء

ثانياً: جوابات الشيخ البهائي التفسيرية:

تحتفظ مكتبة جامعة برنستون، بولاية نيوجرسي في الولايات المتحدة الأمريكية، قسم الكتب النادرة والمجموعات الخاصة، المخطوطات الإسلامية، قسم أبراهام شالوم يهودا، والتي اشتراها منه روبرت غاريت عام

كتاباً في ترجمة الشيخ البهائي، إلا أنّ كتابه كان موضع نقد، فقد نقد بعض أفكاره الشيخ الأميني في الغدير: ١١ / ٣٧٢-٣٧٦، عندما ترجم للشيخ البهائي. ومن كتب كتاباً مستقلاً عن الشيخ البهائي الدكتور دلال عباس، وكتابتها بعنوان (بهاء الدين العاملي أديباً وفقهياً وعالمياً)، صدر عن دار المؤرخ العربي عام ٢٠١٠، يلقي هذا الكتاب الضوء على عصر الشيخ البهائي، وسيرته، وإنجازاته في العلوم كافة، ورحلاته ومناظراته مع العلماء، وأشعاره بالعربية والفارسية، وغير ذلك، وصدر عن مركز العلوم والثقافة الإسلامية في قم المقدّسة كتاب آخر بعنوان (بهاء الدين العاملي ٩٥٣ - ١٠٣٠هـ) يتضمن مجموعة رسائل وبحوث في سيرة الشيخ البهائي، كما قام الأستاذ حسن عبد الكريم حجازي بجمع أشعار البهائي تحت عنوان (بهاء الدين العاملي شاعراً ٩٥٣ - ١٠٣٠هـ جمع وتحقيق ودراسة) صدر عام ١٩٩٩.



وَبِالْجُرْعِ حَيِّ كَلَّمَا عَنِّ ذِكْرَهُمْ
أَمَاتَ الْهُوَى مِنِّي فُوَادًا وَأَحْيَاهُ
تَمَّتِيهِمْ بِالرَّقَمَتَيْنِ وَدَارَهُمْ

بُوَادِي الْغَضَا يَا بُعْدَ مَا أَمَّتَاهُ
وفي الزاوية اليسرى من الورقة كتابة
مطموسة، وتحت البيتين كُتِبَ بالقلم
الرصاص: (رقم ٥٩ من كتب البغدادي)
ولا أدري من البغدادي هذا.
وفي الصفحة ٤١ وجه كُتِبَ البيتان
الآتيان^(٥):

دمشق: ١٤٢ - ٢٢٦، وذكره الزركلي
في الأعلام: ١ / ٢١٤. وهذان البيتان
من قصيدة طويلة له في مدح فخر الملك
أبي علي عمار بن محمد بن عمار، ومطلعها:
هُبُوا طَيْفَكُمْ أَعْدَى عَلَى النَّأْيِ مَسْرَاهُ
فَمَنْ لِمُسْوِقٍ أَنْ يَهْوَمَ جَفْنَاهُ
ينظر: ديوانه: ٧٣.

(٥) البيتان لمحمد بن أحمد بن عبد الله المعروف
بدمامية) الرومي نزيل دمشق والمتوفى بها
سنة ٩٨٧هـ، أشتهر بموشحات وأزجال
كان إليه المنتهى فيها، من تصانيفه (تخميس
البردة) مخطوط في مكتبة جامعة الملك
سعود في الرياض تحت الرقم (٦٠)، ترجم
له الغزي في الكواكب السائرة: ٣ / ٤٥،
وابن العماد الحنبلي في: شذرات الذهب:
١٠ / ٦٠٦ - ٦٠٧، وذكر أنه أصبح
ينكجراً أي في الانكشارية، والزركلي في
الأعلام: ٦ / ٧. وأمّا هذان البيتان فهما من

سَأَلْتَهَا عَن فُوَادِي أَيْنَ مَسْكَنُهُ
فَإِنَّهُ ضَاعَ مِنِّي عِنْدَ مَسْرَاهَا
قَالَتْ لَدَيَّ قُلُوبٌ جَمَّةٌ جُمِعَتْ
فَأَيُّهَا أَنْتَ تَعْنِي؟ قُلْتُ أَشْقَاهَا

أما الأوراق: (٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٩ /
وجه، ٤٠، ٤١ / ظهر)، من هذا المجموع
ففارغة، وعلى الورقة (٣٣ / وجه) كتابة
باللغة الفارسية، وفي الورقة (٦٥ / وجه)
وفيات لبعض العلماء من المتقدمين
والمتأخرين، ويبدو أن الناسخ كان يروم
كتابة بعض الرسائل المختصرة، أو بعض
الفوائد في هذه الصفحات الفارغة.

وناسخ المخطوط هو بهاء الدين
علي الحسيني النفرشي النجفي مولداً
ومسكناً (كان حياً سنة ١٠٢٨هـ)،
وهو من تلامذة الشيخ البهائي، وله
منه إجازة مؤرخة في ٧ رمضان سنة
١٠١٣هـ^(٦)، وكتب له بعض كتبه منها:
الاثنا عشرية الصلواتية، وعليها بخط
المؤلف إجازة لتلميذه المولى بديع الزمان

عيون الشعر في الغزل ينظر: سلك الدرر
في أعيان القرن الثاني عشر: ١ / ١٩٦،
وفيه: (ضل عني) بدل (ضاع مني).
(٦) توجد صورة فوتوغرافية لهذه الإجازة في:
ريحانة الأدب: ٢ / ٣٨٣.



القهبائي، وكتاب مشرق الشمسين وإكسير السعادتين، أو (مجمع النورين و مطلع النيرين) سنة ١٠١٧هـ، وقد كتب الشيخ البهائي هذه النسخة ووقفية للمشهد الرضوي^(٧).

والتفرشي ثم النجفي، من تلاميذ المولى المقدّس أحمد الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ) المبرّزين، كان مولده في تفرش وتحصيله في مشهد الرضا^(٨) ووفاته في النجف الأشرف، ذكره الميرزا حسين النوري في مشايخ السيد شرف الدين علي الشولستاني^(٩)، وله مؤلفات منها: الحاشية على المختلف، وشرح الاثني عشرية في الصلاة لصاحب المعالم^(١٠).

والسيد بهاء الدين الحسيني من عائلة علمية، فعّمه الأمير فيض الله الحسيني التفرشي (ت ١٠٢٥هـ)، وهو من أساتذة السيد علي الحسيني، وله منه إجازة، وقد أرّخ السيد علي الحسيني وفاة عمّه، قال في الصفحة التي أرّخ فيها لوفيات بعض العلماء: ((وفات [كذا] سيدنا ومولانا وأستاذنا^(٨) وعمّنا خاتمة المجتهدين أمير فيض الله الحسيني سحر ليلة الجمعة الخامس والعشرون من شهر رمضان سنة خمس وعشرون بعد الألف اللهم ارحمه واحشره مع من يتولاه^(٩)... وكان قدس الله روحه في عشر الثمانين)).

والأمير فيض الله الحسيني هو فيض الله بن الأمير عبد القاهر الحسيني

(١٠) ينظر: خاتمة مستدرک الوسائل: ٢ / ١٨٠.
 (١١) تنظر ترجمته في: نقد الرجال: ٤ / ٣٣، وذكر التفرشي في الهامش أنّه دفن في المشهد المقدّس الغروي، وأمل الآمل: ٢ / ٢١٨، ورياض العلماء: ٤ / ٣٨٧ - ٣٩٠، وروضات الجنات: ٥ / ٣٦٨ - ٣٦٩، وأعيان الشيعة: ١٣ / ١١٢ - ١١٣، وطبقات أعلام الشيعة: ٤ / ٤٤٣ - ٤٤٤.

والسيد بهاء الدين الحسيني من عائلة علمية، فعّمه الأمير فيض الله الحسيني التفرشي (ت ١٠٢٥هـ)، وهو من أساتذة السيد علي الحسيني، وله منه إجازة، وقد أرّخ السيد علي الحسيني وفاة عمّه، قال في الصفحة التي أرّخ فيها لوفيات بعض العلماء: ((وفات [كذا] سيدنا ومولانا وأستاذنا^(٨) وعمّنا خاتمة المجتهدين أمير فيض الله الحسيني سحر ليلة الجمعة الخامس والعشرون من شهر رمضان سنة خمس وعشرون بعد الألف اللهم ارحمه واحشره مع من يتولاه^(٩)... وكان قدس الله روحه في عشر الثمانين)).

والأمير فيض الله الحسيني هو فيض الله بن الأمير عبد القاهر الحسيني

(٧) ينظر: طبقات اعلام الشيعة: ٤ / ٣٨٢، والذريعة: ٢١ / ٥٠.
 (٨) تكررت هذه الكلمة في الأصل ورأينا حذفها.
 (٩) هذه النقاط منا دلالة على اختصار الكلام.



لنفسه في داره في النجف الأشرف، وكانت فترة تدوين هذا الكشكول هي: ١٠٢٣-١٠٢٨هـ، ولكنّه، والكلام للطهراني، ممزق مأكول من الأرضة قد تلف كثير من هوامشه، ثم ذكر الشيخ الطهراني أنّ السيد علي الحسيني قد ذكر في آخر كتاب (الكشكول) تمام نسبه عن مشجّرة عليها خطوط جماعة من النسابة وشهاداتهم بصحتها هكذا: بهاء الدين علي بن يونس بن بهاء الدين بن عبد المجيد بن^(١٢)... بن عبد الله بن حسين بن الحسن الأفتس بن علي الأصغر بن الإمام السجاد^(عليه السلام) الأفتسي التفرشي الغروي مولداً ومسكناً في داره في النجف ١٠٢٦هـ^(١٣).

أمّا تاريخ النسخ فهو شهر رجب من سنة ١٠٢٢هـ.

ويتألف المجموع من الرسائل الآتية:
١. الاثنا عشرية الصومية، من الورقة (١ / ظهر) إلى الورقة (٢٩ / وجه)، في كل صفحة ثمانية أسطر،

وفي بعض صفحاتها حواشٍ من المؤلف أشار إليها الناسخ بقوله: ((منه سلّمه الله))، وهذه الحواشي هي عينها الحواشي الموجودة على النسختين المخطوطتين في المكتبة الرضوية المقدّسة^(١٤)، وفي نهاية الرسالة كتب السيد الحسيني: (وكتب الفقير إلى عفو ربّه الغني بهاء الدين علي الحسيني لنفسه في بلدة أصفهان يوم الجمعة عشر أوسط شهر رجب المرجب سنة اثنين وعشرين بعد الألف راجياً منه تعالى العود إلى وطنه المألوف سلام الله على مشرفها)، وجاء في الهامش أيضاً: تمت مقابلة مصححة بنسخ مقروءة على المصنّف.

نُشرت هذه الرسالة بتحقيق الشيخ علي المراريد في مجلة تراثنا العدد ١١، ولم يعتمد المحقق هذه النسخة أو يُشر إليها.

٢. حلّ لطيف لعبارة معضلة في قواعد

(١٢) هذه النقاط من المصدر.

(١٣) ينظر: طبقات اعلام الشيعة: ١٤ / ٣٨١-

٣٨٢، الذريعة: ١٨ / ٧٦.

(١٤) ينظر: الاثنا عشرية الصومية للشيخ البهائي، تحقيق علي المراريد، مجلة تراثنا ع ١١ ص ١٩٤.



٤. الوجيزة في علم الدراية، من الورقة (٦٦ / ظهر) إلى الورقة (٦٩ / وجه)، في كل صفحة ١٥ سطراً، وجاء في آخرها بقلم الناسخ: (... الفقير إلى عفوربه الغني علي المشتري بهاء الدين الحسيني النجفي التفرشي مسكناً ومنشأً ومولداً).

نُشرت هذه الرسالة بتحقيق الشيخ ماجد الغرابوي في مجلة تراثنا العدد ٣٢ - ٣٣ ص ٣٨٧ - ٤٣٩، ولم يعتمد المحقق على هذه النسخة ولم يُشير إليها. ٥. جوابات ثلاث مسائل تفسيرية، وهي الرسالة التي نريد تحقيقها، وسيأتي الحديث عنها مفصلاً.

جوابات ثلاث مسائل تفسيرية:

لم يذكر م فهرس مخطوطات جامعة برنستون هذه الرسالة، وعدّها مع ما قبلها، أي كتاب (الوجيزة)، كتاباً واحداً^(١٥)، ويبدو أنّ تماثل عدد الأسطر بين الرسالتين أوقع الم فهرس في هذا الاشتباه، ولعلّ هذا الاشتباه حرم عشاق التراث العربي الإسلامي

(١٥) ينظر: فهرس المخطوطات العربية في جامعة برنستون: ٣ / ٣٦٣.

الأحكام، وكتاب (قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام) لجمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ)، يبدأ من الورقة (٣٣ / ظهر) إلى الورقة (٣٩ / ظهر)، وفي كل صفحة ١٢ سطراً، وفي بعض صفحاتها حواشٍ توضيحية لبعض الفقرات، ويبدو أنّها ليست للمؤلف، كُتبت هذه الرسالة بالمداد الأسود فقط، وكتب الناسخ في آخرها: (تمت من خطّه وقد نهاه وأنا العبد المذنب... علي الحسيني التفرشي... الغروي سلام الله على من حلّ فيها في بلدة أصفهان... عشرة شهر رجب المرجب سنة اثنين وعشرين بعد الألف).

٣. تحقيق تسع مسائل فقهية، لحسين بن عبد الصمد العاملي (ت ٩٨٤هـ)، والد الشيخ البهائي، يبدأ من الورقة (٤٢ / ظهر) إلى الورقة (٦٤ / وجه)، في كل صفحة ١٠ أسطر، جاء في آخرها: (كتب الفقير علي الحسيني في بلدة أصفهان... سنة ١٠٢٢).



من الاطلاع على هذه الرسالة الشريفة. تتألف هذه الرسالة من ثماني صفحات، تبدأ من الورقة (٦٩/ ظهر) إلى الورقة (٧٣/ وجه)، وفي كل صفحة (١٥/ سطرًا)، بخط نستعليق، وبعض الكلمات تخلو من التنقيط، وتتداخل في ما بينها، وبعضها كُتِبَ بطريقة الإملاء القديمة، إذ كُتِبَت الهمزة اليائية (ئ) ياءً، وترك الهمزة المتطرفة، مما سبب عناءً في القراءة، وقد وُضِعَت في الصفحة الأخيرة ورقة كُتِبَ عليها عنوان المجموع، ورقم الحفظ في المكتبة، وتحتها ورقة بيضاء لا أدري لِمَ وُضِعَت، وقد تسببت في ضياع الكلمات الأخيرة من الأسطر، ما سبب صعوبة في قراءة النص.

سَمِيَ العلامة الشيخ أغا بزرك الطهراني هذه الرسالة في كتابة القيم (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، بـ(جوابات ثلاث مسائل تفسيرية)، وقال: ((للشيخ البهائي محمد بن عز الدين حسين المتوفى (١٠٣١هـ) أطرى في أوله السائل... رأيته ضمن مجموعة من رسائل الشيخ البهائي المكتوبة في عصره،

وعليها تملك لسنة ١٠٤٨ في خزانة كتب شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي)) (١٦). وقد رأينا أن نثبت العنوان الذي اختاره الطهراني لهذه الرسالة.

وهذه الرسالة، أو الجوابات، عبارة عن ثلاث مسائل في التفسير وُجِّهَت إلى الشيخ البهائي، ليجيب عنها، والأسئلة تدور عن كلام للبيضاوي على قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ

بِبَابِلَ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢]، وكلام للطبرسي على قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٧]، وعن معنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُرْءُونَ وَمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٦]، ونرى

البهائي في هذه الجوابات ينقل أقوالاً لبعض العلماء في التفسير، وهو في نقله أمينٌ، إذ لم أجد له أي تحريف لأقوال العلماء التي نقلها، بل ألفيته منبهاً على أخطاء النساخ التي يقعون بها أثناء النسخ، كما ردّ أقوالاً وآراء لبعض العلماء بأسلوب موضوعي وعلمي.

(١٦) الذريعة: ٥/ ٢٠٢-٢٠٣.



- فقرات.
٢. خرّجَت الآيات القرآنية في المتن بعد ذكر الآية أو جزئها، وحصرت التخرّيج بين معقوفين []، وخرّجت الأحاديث الواردة في النص من كتب الحديث وأثبتها في الهامش.
٣. وثقت الآراء التي ذكرها المؤلف من مصادرها التي نقل عنها.
٤. ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في النص ترجمة موجزة، وذكرت بعض المصادر التي ترجمت له، عرفت كذلك بالمواضع التي وردت في النص.
٥. لما كان الشيخ المجلسي قد ذكر بعض الجواب عن السؤال الأوّل في كتابه (بحار الأنوار) (١٧)، قابلت ما ذكره مع المخطوط، والنسخة التي بحوزة الشيخ المجلسي تختلف عن هذه النسخة، لذلك أثبت الاختلاف بين النسختين في الهامش، فإن كان الاختلاف في كلمة واحدة تركتها بلا حصر، وإن كان الاختلاف في أكثر من كلمة حصرته بين هلالين (١٧).

(١٧) ينظر: بحار الأنوار: ٥٦ / ٤٥٧ - ٤٥٨.

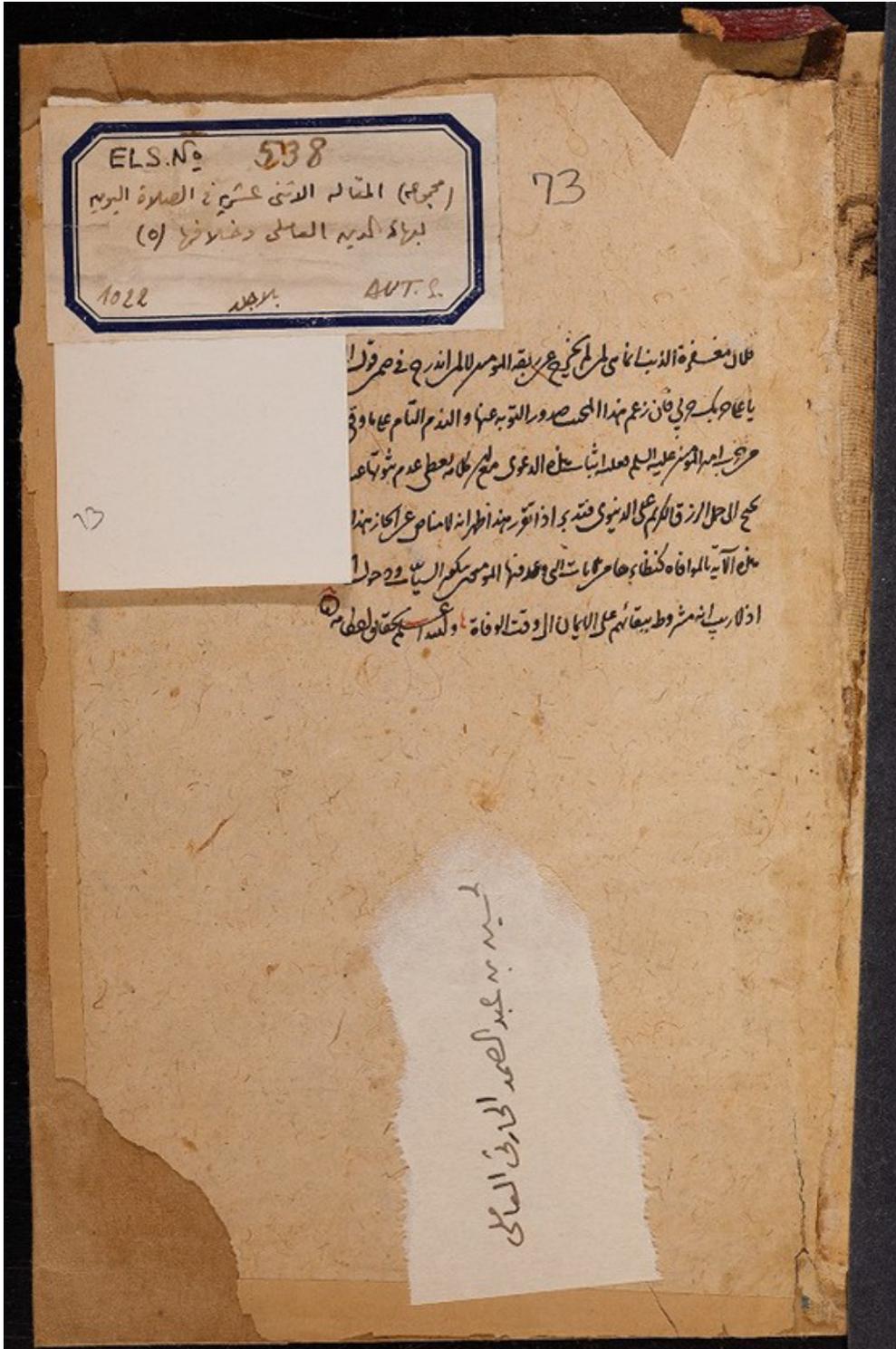
ولم يصرح الشيخ البهائي باسم السائل في جواباته، واكتفى بإطرائه، ويستظهر الشيخ الطهراني من الإطراء الذي قدّم به البهائي جواباته أنّ صاحب هذه الأسئلة هو أخوه الأصغر عبد الصمد المتوفى سنة ١٠٢٠هـ، والذي كتب له البهائي رسالته النحوية المسماة (الفوائد الصمدية)، ولكنه لم يأت بدليل أو شاهد يؤيد دعواه، وإذا صحّ قول الطهراني يكون تاريخ كتابة هذه الجوابات من لدن المؤلف قبل سنة ١٠٢٠هـ، أي تاريخ وفاة الشيخ عبد الصمد.

وعلى الرغم من بحثي في كتب الفهارس عن نسخة أخرى لهذه الجوابات رأيت أن أقوم بتحقيقها اعتماداً على نسخة برنستون فقط؛ لنفاستها، ووثاقتها، إذ كُتبت في زمن المؤلف وفي البلد الذي عاش فيه المؤلف أواخر حياته، والناسخ من تلامذة المؤلف المجازين منه، الناسخين له بعض كتبه.

عملي في النص:

١. أعدت كتابة النصّ حسب قواعد الإملاء الحديث وعلامات الترقيم، مضبوطاً بالشكل، ومقسماً على





[جوابات ثلاث مسائل تفسيرية]

[للشيخ بهاء الدين محمد العمالي]

[المعروف بالشيخ البهائي (ت ١٠٣١هـ)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدَ الْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ، وَإِبْلَاغِ
السَّلَامِ لِلأَخِ الأَعَزِّ الفَاضِلِ الكَامِلِ الفَقِيهِ
النَّبِيِّ الجَلِيلِ النَّبِيلِ الزَّكِيِّ الذَّكِيِّ الأَلْعِيِّ،
أَدَامَ اللهُ فَضْلَهُ، وَأَجَزَلَ نَيْلَهُ، فَالْمَنْهِي
لَدَيْكُمْ، أَفَاصَ اللهُ نِعْمَهُ عَلَيْكُمْ، أَنَّهُ قَدْ
وَصَلَ إِلَى المَحَبِّ الحَقِيقِيِّ مَا أَدْرَجْتُمُوهُ
مِنْ مُكَاتَبَتِكُمْ الشَّرِيفَةِ، مِنَ المَسَائِلِ التي
الْتَمَسْتُمْ كَشْفَ نِقَابِهَا، وَرَفَعَ حِجَابِهَا،
فَقَابَلْتُ التِّيَّاسِكُمْ بِالقُبُولِ وَالاِمْتِثَالِ،
وَأَنَا أوردُ كَلَامَكُمْ، سَلَمْتُكُمْ اللهُ، بِلَفْظِهِ
ثُمَّ أُرَدُّهُ بِالجَوَابِ، رَاجِيًا سُلُوكَ جَادَّةِ
الصَّوَابِ.

السُّؤَالُ الأوَّلُ:

قَوْلُ البَيْضَاوِيِّ^(١٨) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ

(١٨) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي الشافعي المعروف بالبيضاوي نسبة إلى مدينة البيضاء في إيران قرب شيراز، ولي قضاء شيراز مدة، ورحل إلى تبريز وتوفي فيها سنة ٦٨٥هـ، من أشهر تصانيفه تفسيره المسمى بـ(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وطوال الأنوار

تَعَالَى: ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

هَرُوتَ وَمَرْوَتَ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢]

الآية: ((وَمَا رُويَ مِنْ أُمَّهَاتِهَا مَثَلًا بِشَرِّينِ وَرُكِّبَ فِيهِمَا الشَّهْوَةُ فَتَعَرَّضَا لِامْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: زُهْرَةٌ^(١٩)، فَحَمَلَتْهُمَا عَلَى المَعاصِي وَالشُّرُكِ ثُمَّ صَعَدَتِ السَّمَاءَ بِمَا عَلِمَتْ^(٢٠) مِنْهُمَا فَمَحَكِيَّ عَنِ اليَهُودِ، وَلَعَلَّهُ مِنْ رُمُوزِ الأوَائِلِ وَحَلَّهُ لَا يُخْفَى عَلَى ذَوِي البَصَائِرِ))^(٢١)، بَيْنَا حَقِيقَتَهُ^(٢٢) حَتَّى نَصِيرَ مِنْ ذَوِي البَصَائِرِ.

الجواب: لَا بَأْسَ بِإِيرَادِ هَذِهِ القَضِيَّةِ

في التوحيد، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، ولَبَّ الباب إلى علم الإعراب، ونظام التواريخ، وغيرها، ويعدّ تفسيره، الذي يسمّى أيضاً بـ(تفسير البيضاوي) اختصاراً، من التفاسير المشهورة والمعول عليه في التدريس فترة من الزمن، ومن أجل ذلك وُضِعَتْ له الكثير من الحواشي والشروح، ينظر في ترجمة البيضاوي: الأعلام: ٤/ ١١٠، ومعجم المؤلفين: ٢/ ٢٦٦- ٢٦٧، وتفسير البيضاوي: ١/ ٩- ٢٠ (مقدمة المحقق).

(١٩) كذا في الأصل وتفسير البيضاوي، وفي بحار الأنوار: الزهرة.

(٢٠) في البحار: تعلمت.

(٢١) ينظر: تفسير البيضاوي: ١/ ٩٧- ٩٨.

(٢٢) لم ترد في البحار.



وَالْغَضَبِيَّةَ، لِحَفْظِنَا أَنْفُسَنَا مِنْ مَعَاصِي
اللهِ سُبْحَانَهُ، وَلَمْ نَتَّبِعْ حُطُوظَ أَنْفُسِنَا كَمَا
اتَّبَعَهَا بَنُو آدَمَ.

فَأَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ تَعْرِيفَهُمْ بِأَتَمِّمْ لَوْ
كَانَ لَهُمْ تَانِكِ التَّوَاتَانِ لَفَعَلُوا مَا فَعَلُوا،
فَقَالَ لَهُمْ: اخْتَارُوا مِنْ بَيْنِكُمْ مَلَكَيْنِ مِنْ
أَعْظَمِ الْمَلَائِكَةِ لِأَجْعَلَ فِيهَا قُوَّتِي الشَّهْوَةِ
وَالْغَضَبِ كَمَا فِي أَوْلَادِ آدَمَ، وَأَرْسَلَهُمَا إِلَى
الأَرْضِ، فَاخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ،
فَمَثَلَهُمَا اللهُ بِصُورَةِ الْبَشَرِ، وَاهْبَطَهُمَا إِلَى
الأَرْضِ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَحْكُمَا بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ، وَمَهَاهُمَا عَنِ الشُّرِكِ وَقَتْلِ النَّفْسِ
وَالزَّوْنِ وَشُرْبِ الخَمْرِ، فَعَشَقَا امْرَأَةً جَمِيلَةً
تُسَمَّى (بِيدَخْت) فَرَاوَدَاهَا عَنِ نَفْسِهَا،
وَرَزَيْنَا بِهَا، وَشَرَبَا الخَمْرَ، وَقَتَلَا نَفْسًا بغيرِ
حَقٍّ، وَسَجَدَا لِلصَّنَمِ.

ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الْمُرَأَةَ تَعَلَّمَتْ مِنْهُمَا
الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ، وَتَابَتْ، وَعَرَجَتْ
بِبِرْكَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَجَعَلَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ
كَوْكَبًا وَهِيَ الزُّهْرَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَيْرَ
الْمَلَكَيْنِ بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ
الْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا، فَهَمَا
مُعَلَّقَانِ بِبَابِلَ يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السَّحْرَ.

عَلَى وَفْقِ مَا رَوَاهُ عُلَمَاءُ الْعَامَّةِ، وَذَكَرَ مَا
لَنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا مِنَ الْكَلَامِ، ثُمَّ الْأَشْتِغَالُ
بِذِكْرِ الرَّمْزِ الْمَذْكُورِ فَتَقُولُ: قَدْ وَرَدَ أَنَّ
اللهَ تَعَالَى لَمَّا قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ

فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿ [سورة البقرة: ٣٠]
وَكَانُوا قَدْ اسْتَفَادُوا مِنَ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ
أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْعَلُ فِي ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ وَفِي
ذُرِّيَّتِهِ الْقُوَّةَ الشَّهْوَانِيَّةَ وَالْغَضَبَ وَقَالُوا
عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ وَالاسْتِكْشَافِ عَنْ
سِرِّ ذَلِكَ: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا
**وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
وُقَدِّسُ لَكَ** ﴿ [سورة البقرة: ٣٠]
أَيُّ: نَحْنُ أَوْلَى بِخِلَافَةِ الْأَرْضِ، إِنَّا
مَعْصُومُونَ عَنِ الْمَعَاصِي فَلَا يَقَعُ مِنَّا
فَسَادٌ.

فَأَجَابَهُمْ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا:
﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة
البقرة: ٣٠] ثُمَّ بَعْدَ حِجْيِ آدَمَ عَلَى نَبِينَا
وَالصَّلَاةِ إِلَى الْأَرْضِ، وَانْتِشَارِ ذُرِّيَّتِهِ فِي
أَكْنَافِهَا، كَانَ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ يَصْعَدُونَ
بِصَحَائِفِ أَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ، فَتَطَّلِعُ عَلَيْهَا
الْمَلَائِكَةُ وَيَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي مَكَانِهِمْ،
وَكَانَ فِينَا مَا فِيهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ



فَهَذِهِ الْقِصَّةُ هِيَ مَا رَوَاهُ قَدَمَاءُ
الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْعَامَّةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
وَلَمْ يَرْتَضِ هَذِهِ الرُّوَايَةَ مُتَأَخِّرُوهُمْ ، وَأَطْنَبَ
الْفَخْرُ الرَّازِيُّ ^(٢٣) وَغَيْرُهُ فِي تَرْجُمَتِهَا ، وَقَالَ:
إِنَّهَا فَاسِدَةٌ مَرْدُودَةٌ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ لِوُجُوهٍ
ثَلَاثَةٍ:

الأول: مَا ثَبَتَ مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ
مَعْصُومُونَ عَنْ كُلِّ الْمَعَاصِي فَكَيْفَ تَصُدُّرُ
عَنْهُمْ هَذِهِ الْكِبَائِرُ؟

الثاني: إِنَّ الْقَوْلَ بِتَخْيِيرِ الْمَلَائِكَةِ بَيْنَ
عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ فَاسِدٌ،
بَلْ كَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يُخَيَّرَا بَيْنَ التَّوْبَةِ
وَالْعَذَابِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَيْرٌ بَيْنَهُمَا مَنْ

(٢٣) هو فخر الدين محمد بن ضياء الدين
عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي
البكري الرازي، الفقيه الشافعي، ولد
سنة ٥٤٤هـ في مدينة الري، وتوفي سنة
٦٠٦هـ، من تصانيفه: تفسيره الكبير
المسمى بـ(مفاتيح الغيب)، تفسير سورة
الفاحة. ولعله الموجود في أول تفسيره
السابق، كتاب المحصول في علم الأصول،
كتاب الملخص في الحكمة، وكتاب
الشجرة المباركة في أنساب الطالبية،
ينظر في ترجمته: الكنى والألقاب: ٣/
١٣-١٦، والأعلام: ٦/ ٣١٣، ومعجم
المؤلفين: ٣/ ٥٨٨-٥٦٠.

أَشْرَكَ طَوْلَ عُمُرِهِ فَكَيْفَ بَخَلَ عَلَيْهِمَا
بِذَلِكَ؟

الثالث: إِنَّ مَنْ أَعْجَبَ الْأُمُورِ قَوْلَهُمْ:
إِنَّهُمَا يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السَّحْرَ حَالَ كَوْنِهِمَا
مُعَذِّبَيْنِ وَيَدْعَوَانِ إِلَيْهِ وَهُمَا يُعَاقَبَانِ.
انتهى كلامه ^(٢٤).

وفي كُلِّ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ نَظْرٌ؛ أَمَّا
الأوَّلُ فَلِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ بَقَاؤُهُمَا عَلَى الْعِصْمَةِ
بَعْدَ أَنْ مَثَّلَهُمَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِصُورَةِ الْبَشَرِ،
وَرَكَّبَ فِيهِمَا قُوَّتِي الشَّهْوَةِ وَالغَضَبِ،
وَجَعَلَهُمَا كَسَائِرِ بَنِي آدَمَ كَمَا يَظْهَرُ مِنْ
الْقِصَّةِ. وَأَمَّا الثَّانِي فَلِأَنَّ التَّخْيِيرَ بَيْنَ
التَّوْبَةِ وَالْعَذَابِ وَإِنْ كَانَ هُوَ الْأَصْلَحُ
بِحَالِهِمَا لَكِنَّ فِعْلَ الْأَصْلَحِ مُطْلَقًا غَيْرُ
وَاجِبٍ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَذْهَبِ هَذَا
الْمُفَسِّرِ، بَلْ فِعْلُ الْأَصْلَحِ الَّذِي مِنْ
هَذَا الْقَبِيلِ غَيْرُ وَاجِبٍ عِنْدَنَا أَيْضًا،
فَإِنَّا لَا نُوجِبُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ كُلَّ مَا هُوَ
أَصْلَحُ لِحَالِ ^(٢٥) الْعَبْدِ كَمَا لَوْ ^(٢٦) ظَنَّنَهُ
مُحَالِفُونَا، فَسَنَعُوا ^(٢٧) عَلَيْنَا بِمَا سَنَعُوا،

(٢٤) ينظر: تفسير الرازي: ٣/ ٢٣٧-٢٣٨.
(٢٥) في البحار: بحال.
(٢٦) لم ترد في البحار.
(٢٧) في البحار: وسنَّعُوا.



فِي حَلِّهِ أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ (الشَّخْصَ الْعَالِمَ) (٣٢) الْكَامِلَ الْمُقَرَّبَ مِنْ حَظَائِرِ الْقُدْسِ، قَدْ يُوكَلُ إِلَى نَفْسِهِ الْغَرَارَةَ (وَلَا تَلَحُّقَهُ الْعِنَايَةُ وَالتَّوْفِيقُ) (٣٣)، فَيَنْبُدُ عِلْمَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَيُقْبَلُ عَلَى (مُسْتَهْيَاتِهِ الْحِسِّيَّةِ الْحَسِّيَّةِ) (٣٤)، وَيَطْوِي كَشْحَهُ عَنِ اللَّذَاتِ الْحَفِيَّةِ (٣٥)، وَالْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ، فَيَنْحَطُّ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، وَالشَّخْصِ

في الأخلاق، رسالة في وجوب صلاة الجمعة، تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم وخراسان، الرسالة التساعية أو المسائل الصلواتية ولعلها الرسالة التي ذكرناها في التمهيد عند وصف المجموع، مناظراته مع بعض علماء العامة، مات في البحرين سنة ٩٨٤هـ، وقبره بها مشهور يُزار، ينظر في ترجمته: نفحة الريحانة: ٢ / ٢٨١ - ٢٩٠، ورياض العلماء: ٢ / ١٠٨ - ١٢١، ولؤلؤة البحرين: ٢٣ - ٢٨، وروضات الجنات: ٢ / ٣٣٨ - ٣٤٦، وخاتمة مستدرك الوسائل: ٢ / ٢٣٢ - ٢٣٤، والأعلام: ٢ / ٢٤٠ - ٢٤١، ومعجم المؤلفين: ١ / ٦١٥ - ٦١٦.

(٣٢) في البحار: شخص العالم العامل.

(٣٣) في البحار: ولا يلحقه التوفيق والعناية.

(٣٤) في البحار: مستهيات نفسه الخبيثة الحسيسة.

(٣٥) في البحار: الحقيقية.

بَلْ إِنَّمَا نُوجِبُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ كُلَّ أَصْلَحٍ لَوْ لَمْ يَفْعَلْهُ لَكَانَ (٢٨) مُنَاقِضًا لِغَرَضِهِ، كَمَا ذَكَرْتُهُ فِي الْحَوَاشِي الَّتِي عَلَّقْتُهَا عَلَى الْبِيضَاوِيِّ (٢٩)، وَعَلَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُلْهِمَهَا التَّوْبَةَ، وَأَغْفَلَهَا عَنْهُ (٣٠) لِصَلَحَةِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، فَلَا بُخْلَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ. وَأَمَّا الثَّالِثُ فَلِأَنَّ التَّعْلِيمَ حَالَ التَّعْذِيبِ غَيْرِ مُتَمَتِّعٍ، وَظَنِّي أَنَّ تَزْيِيفَ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ هَذِهِ الرُّوَايَةُ هُوَ الْبَاعِثُ عَلَى عُدُولِ الْبِيضَاوِيِّ عَنْ حَمْلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَتَنْزِيلِهَا عَلَى مَحْضِ الرَّمَزِ.

وَالَّذِي سَمِعْتُهُ مِنْ وَالِدِي تُنَبِّئُ (٣١)

(٢٨) في البحار: كان.

(٢٩) ينظر: حاشية البهائي على تفسير البيضاوي (مخطوط) ورقة ٣١ / وجه (تفسير سورة الفاتحة).

(٣٠) كذا وردت في الأصل، وفي البحار: عنها.

(٣١) في البحار: والوالد الشيخ البهائي هو الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني، المولود سنة ٩١٨هـ في جبل عامل، من مؤلفاته: العقد الطهاسي الذي ألفه للشاه طهاسب بعد أن ابتلي بالوسواس في الطهارة، وصول الأخبار إلى أصول الأخبار، حاشية على خلاصة الأقوال للعلامة الحلي، الأربعون حديثاً



الْبَاقِي، فَاسْتَحَقَّ أَلِيْمَ النَّكَالِ، وَفَطِيعَ الْعِقَابِ (٤٢).

هَذَا، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ كَمَا رَوَاهَا عُلَمَاءُ الْعَامَّةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَدَرَوَاهَا عُلَمَاءُ وَاوْنَا (قَدَّسَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ) (٤٣) عَنِ الْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدٍ (٤٤) الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَذَكَرَهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبْرَسِيُّ (٤٥) فِي

(٤٢) فِي الْبَحَارِ: قَطِيعَ الْعَذَابِ.

(٤٣) فِي الْبَحَارِ: رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ.

(٤٤) لَمْ تَرُدَّ فِي الْبَحَارِ.

(٤٥) هُوَ الشَّيْخُ أَمِينُ الْإِسْلَامِ أَبُو عَلِيٍّ الْفَضْلُ بْنُ الْحَسَنِ الطَّبْرَسِيِّ، وَلَدَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ، لَهُ جَمَلَةٌ مِنَ التَّصْنِيفَاتِ مِنْهَا (مَجْمَعُ الْبَيَانِ إِلَى عُلُومِ الْقُرْآنِ) فِي عَشْرَةِ مَجْلَدَاتٍ، وَمِنْ مَوْلاَفَاتِهِ الْأُخْرَى تَفْسِيرُهُ الثَّانِي (جَوَامِعُ الْجَامِعِ)، وَجَوَاهِرُ النُّحُو، وَنُثْرُ اللَّالِئِ، وَإِعْلَامُ الْوَرَى بِأَعْلَامِ الْهُدَى، وَغَيْرِهَا مِنْ الْمَوْلاَفَاتِ، تَوَفَى رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِ سَنَةَ ٥٤٨ هـ، تَنْظُرُ تَرْجَمَتَهُ فِي: إِنْبَاءِ الرِّوَاةِ عَلَى أَنْبَاءِ النُّحَاةِ: ٣/ ٦- ٧، وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ الْمَوْلاَفُ بَعْضَ الْأَشْعَارِ، وَنَقَدَ الرِّجَالَ: ٤/ ١٩، وَأَمَّلَ الْأَمْلَ: ٢/ ٢١٦- ٢١٧، وَرِيَاضُ الْعُلَمَاءِ: ٤/ ٣٤٠- ٣٥٩، وَلَوْلاؤَةُ الْبَحْرِيْنَ: ٣٤٦- ٣٦٨، وَرَوْضَاتُ الْجَنَاتِ: ٥/ ٣٥٧- ٣٦٥، وَالْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ٢/ ٤٤٤- ٤٤٦، وَأَعْيَانُ الشَّيْخَةِ: ١٣/ ٦٤- ٦٨، وَالْأَعْلَامُ: ٥/ ١٤٨، وَمَعْجَمُ الْمَوْلاَفِيْنَ: ٢/ ٦٢٢.

النَّاقِصُ الْجَاهِلُ الْمُنْغِيسُ فِي الْأَوْزَارِ، قَدْ يَحْتَلِطُ بِذَلِكَ الشَّخْصِ الْعَالِمُ قَاصِدًا بِذَلِكَ الْفَسَادَ وَالْفَحْشَاءَ، فَيُدْرِكُهُ تَوْفِيقٌ (٣٦) إلهِيٌّ، فَيَسْتَفِيدُ مِنْ ذَلِكَ (٣٧) مَا يَضْرِبُ بِسَبَبِهِ صَفْحًا عَنِ أَدْنَسِ دَارِ الْغُرُورِ، وَأَرْجَاسِ عَالَمِ الرُّورِ، وَيَرْتَفِعُ بِبَرَكَتِهِ مَا يَعْلَمُهُ عَنِ حَضِيضِ الْجَهْلِ وَالْخُسْرَانِ، إِلَى أَوْجِ الْعِزَّةِ وَالْعِرْفَانِ، فَيَصِيرُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ فِي أَرْفَعِ دَرَجِ الْعِلْمِ، وَالْمُعَلِّمُ فِي أَسْفَلِ دَرَكِ الشَّقَاءِ.

هَذَا (٣٨)، وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيْرِ (٣٩)

أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَلِكِيْنَ الْمَذْكُورِيْنَ: الرُّوْحَ وَالْقَلْبَ، فَإِنَّهُمَا مِنَ الْعَالَمِ الرُّوْحَانِيِّ أَهْبَطًا إِلَى الْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ، فَافْتَتَنَّا بِزَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَوَقَعَا فِي شَبَكَةِ الشَّهْوَةِ، فَشَرَبَا حَمْرَ الْغَفْلَةِ، وَزَنَبَا بَيْغِي الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ (٤٠)، وَعَبَدَا صَنَمَ الْهُوَى، وَقَتَلَا نَفْسَيْهِمَا (٤١) بِحِرْمَانِيهَا مِنَ النَّعِيمِ

(٣٦) فِي الْبَحَارِ: بِذَلِكَ التَّوْفِيقِ.

(٣٧) فِي الْبَحَارِ: الْعِلْمُ، بَعْدَ كَلِمَةِ: ذَلِكَ.

(٣٨) غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْبَحَارِ.

(٣٩) وَهُوَ تَفْسِيرُ النِّيْسَابُورِيِّ: ١/ ٣٥٢.

(٤٠) لَمْ تَرُدَّ فِي الْبَحَارِ.

(٤١) فِي الْبَحَارِ: نَفْسُهَا.



مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(٤٦)، لَكِنْ بَيْنَ مَا رَوَاهُ الْعَامَّةُ وَمَا رَوَاهُ أَصْحَابُنَا اخْتِلَالَ^(٤٧) يَسِيرٌ، فَإِنَّ الرُّوَايَةَ الَّتِي رَوَاهَا أَصْحَابُنَا لَيْسَ فِيهَا أَتَمُّهَا يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السُّحْرَ فِي وَقْتِ تَعْذِيبِهَا، بَلْ هِيَ صَرِيحَةٌ فِي أَنْ التَّعْلِيمَ كَانَ قَبْلَ التَّعْذِيبِ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ فِيهَا أَنَّ تِلْكَ الْمَرْأَةَ تَعَلَّمَتْ مِنْهَا الْاسْمَ الْأَعْظَمَ وَصَعَدَتْ بِرَبِّكَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَرْوِيَةٌ مِنْ طُرُقِنَا وَمِنْ طُرُقِ الْعَامَّةِ مَعًا، وَلَيْسَ مِنْ جُمْلَةِ الْحِكَايَاتِ الْغَيْرِ الْمُسْتَنَدَةِ كَمَا يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ الْفَاضِلِ الدَّوَانِيِّ^(٤٨) فِي شَرْحِ

الْعَقَائِدِ الْعَضْدِيَّةِ حَيْثُ قَالَ: ((إِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ مَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِهَا))^(٤٩). ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَدَلَّ عَلَى أَتَمِّهَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَكَاذِيبِ بِأَنَّ تَمَكُّنَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ مِنَ الصُّعُودِ إِلَى السَّمَاءِ بِمَا تَعَلَّمَتْهُ مِنَ الْمَلَائِكِينَ، أَعْنِي الْاسْمَ الْأَعْظَمَ وَعَدَمَ تَمَكُّنِهَا مِنْ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهَا بِهِ غَيْرُ مَعْقُولٍ^(٥٠).

وَلَا يَخْفَى أَنَّ دَلِيلَهُ هَذَا إِنَّمَا يَتِمُّ لَوْ ثَبَتَ أَنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ لَمْ يُنْسَهِيَ الْاسْمَ الْأَعْظَمَ بَعْدَ اقْتِرَافِهَا تِلْكَ الْكِبَائِرَ الْعَظِيمَةَ وَاسْتِحْقَاقِهَا الطَّرْدَ وَالْحُذْلَانَ، وَدُونَ ثُبُوتِهِ خَرَطُ الْقِتَادِ^(٥١).

السُّؤَالُ الثَّانِي:

عَنْ قَوْلِ صَاحِبِ مَجْمَعِ الْبَيَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي

(٤٦) ينظر: مجمع البيان: ١/ ٢٤٠-٢٤٢. وقد نقله الطبرسي عن العياشي، ينظر تفسير العياشي: ١/ ٧١-٧٣.

(٤٧) في البحار: اختلاف.

(٤٨) هو جلال الدين محمد بن أسعد بن محمد بن عبد الرحيم بن علي الصديقي الدواني نسبة إلى دوان التي ولد فيها سنة ٨٣٠هـ، والمتوفى سنة ٩٠٧ أو ٩١٨هـ، له الكثير من التصانيف منها: شرح العقائد العضدية، رسالة في إثبات الواجب، الحاشية القديمة والجديدة على شرح التجريد، حاشية تهذيب المنطق، أنموذج العلوم، حاشية على شرح الجعيني، حاشية على شرح الشمسية، تفسير بعض السور والآيات منها تفسير سورة الإخلاص. ينظر: الكنى

والألقاب: ٢/ ٢٣٠-٢٣١، وأعيان الشيعة: ، والأعلام: ٦/ ٣٢-٣٣، ومعجم المؤلفين: ٣/ ١٢٦-١٢٧.

(٤٩) ينظر شرح العقائد العضدية: ١١١-١١٢.

(٥٠) ينظر: نفسه: ١١١.

(٥١) القِتَادُ نوع من الأشجار له شوك كالإبر، والخرطُ: أن تزيل هذه الأشواك بكفيك، وهذا مثل يُضْرَبُ للأمر دونه مانع، ينظر: مجمع الأمثال: ١/ ٢٦٥.



أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ
بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴿ [سورة إبراهيم: ٣٧]:

((يُسْأَلُ فَيَقَالُ: كَيْفَ سَمَّاهُ بَيْتاً وَلَمْ يَبْنِهِ
إِبْرَاهِيمُ ﷺ بَعْدُ؟. وَالْجَوَابُ: إِنَّ الْبَيْتَ
كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا خَرَّبَهُ طَسْمٌ وَحَم
وَيْس)) (٥٢)، مَا الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟.

إِنَّ طَسْمَ بَفَتْحِ الطَّاءِ وَإِسْكَانِ السِّينِ
طَائِفَةٌ مِنْ طَوَائِفِ قَوْمِ عَادٍ، وَجَدِيسَ
بِالْجِيمِ الْمُفْتُوحَةِ وَالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ الْمَكْسُورَةِ
وَالْبَاءِ الْمُثَنَّةِ التَّحْتَانِيَّةِ السَّاكِنَةِ طَائِفَةٌ

أُخْرَى، وَهَاتَانِ الطَّائِفَتَانِ يُقَالُ: إِهْمَمَّا
كَانَ قَدْ خَرَّبَا الْكَعْبَةَ الْمُقَدَّسَةَ قَبْلَ زَمَانِ
إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَمَا فِي نُسْخَتِكُمْ (أَدَامَ
اللَّهُ أَيَامَكُمْ) مِنْ لَفْظَةِ (حَمَ وَيَسَ) مِنْ

تَصْرُفِ النَّسَاحِ وَكَأْتَهُمْ لَمَّا رَأَوْا (طَسْمَ)
فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ وَ(يَسَ) فِي آخِرِهِ ظَنُّوا أَنَّ
الْمُتَوَسِّطَ مِنْ ذَيْنِكَ اللَّفْظَيْنِ أَعْنِي (جَدَ)
بِمَعْنَى أَنْ يَكُونَ (حَمَ)، فَكَتَبُوهَا عَلَى

وَفَوْقَ ظَنُّهُمْ الْفَاسِدِ، وَكَمْ لِلنُّسَاحِ مِنْ

(٥٢) مجمع البيان: ٦ / ٦٤، وقد ذكر الطبرسي
جوابين لحل هذا السؤال، الأول: أنه لما كان
معلوماً أنه يبنيه سماه بيتاً، والمراد: عند بيتك
الذي مضى في سابق علمك كونه، أما الآخر
فهو ما ذكره السائل للبهائي.

هَذَا الْقَبِيلِ مِنْ تَصْرُفَاتٍ مُفْسِدَةٍ تُوجِبُ
الإشْكَالَ عَلَى النَّاطِرِينَ.

هَذَا، وَأَيْضاً إِنَّ هَذَا الْجَوَابَ الَّذِي
ذَكَرَهُ شَيْخُنَا الطَّبْرَسِيُّ قُدَّسَ سِرُّهُ مَبْنِيٌّ
عَلَى أَنَّ أَسْمًا مِنْ أَسَاسِ الْبَيْتِ وَقَوَاعِدِهِ
كَانَ بَاقِيًا كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ
(٥٣)، لَا أَنَّهُ كَانَ قَدْ عُدِمَتْ آثَارُهُ بِالْكَلْبِيَّةِ،
لِيُحْتَاجَ إِلَى التَّكْلِيفِ التَّامِ فِي إِطْلَاقِ الْبَيْتِ
عَلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: ذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ (٥٤)
إِنَّ صُدُورَ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَنِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ
لَعَلَّهُ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ بِنَائِهِ الْبَيْتِ فَلِمَ لَمْ يَذْكَرِ
الطَّبْرَسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الْجَوَابَ الْحَقْلِيَّ عَنِ
التَّكْلِيفِ؟.

قُلْتُ: سَبَبُ إِهْمَالِهِ ذَلِكَ وَحُكْمُهُ
بِأَنَّ ذَلِكَ الْكَلَامَ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْهُ ﷺ قَبْلَ
بِنَائِهِ الْبَيْتِ مَا تَضَمَّنَتْهُ رِوَايَةُ هُشَامَ عَنِ

(٥٣) ينظر: الكافي: ٤ / ٢٠٥ باب (حج) إبراهيم وإسماعيل وبنائهما البيت ومن ولي البيت بعدهما ﷺ، وفيه: ((أذن الله لإبراهيم ﷺ في الحج وبناء الكعبة، وكانت العرب تحج إليه، وإنما كان ردماً، إلا أن قواعده معروفة)).

(٥٤) لم أهد لصاحب هذا القول.



بِجَوَابِ آخَرَ فَلَعَلَّهُ أَخْفَ مَوْنَةً وَتَقَرِيرُهُ:
إِنَّهُ رَوَى ثِقَّةَ الْإِسْلَامِ (٥٨) طَابَ ثَرَاهُ
فِي الْكَافِي عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ فِي السَّمَاءِ
السَّادِسَةَ بَيْتًا يُسَمَّى الضَّرَاحَ (٥٩) وَهُوَ
الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَطُوفُ بِهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ
أَلْفَ مَلَكٍ، وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ
يَبْنِيَ الْكَعْبَةَ بِحِذَائِهِ (٦٠)، فَيَمْكِنُ أَنْ

(٥٨) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب
بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ)
صاحب كتاب الكافي وهو أشهر
تصانيفه، ينظر في ترجمته: نقد الرجال:
٤ || ٣٥٢، ورياض العلماء: ٥ / ١٩٩ -
٢٠٠، ولؤلؤة البحرين: ٣٨٦ - ٣٩٤،
وروضات الجنات: ٦ / ١٠١ - ١١٢،
والكنى والألقاب: ٣ / ١٢٠ - ١٢٢،
ودفاع عن الكافي: ١ / ٣٥ - ٤٢.

(٥٩) قال ياقوت الحموي: ((والضَّرَاحُ:
بيت في السماء حيال الكعبة وهو البيت
المعمور))، ينظر: معجم البلدان: ٣ /
٤٥٤.

(٦٠) ينظر: الكافي: ٤ / ١٩١ - ١٩١ باب بدء
البيت والطواف، ووسائل الشيعة: ١٣ /
٢٩٤ حديث رقم (١٧٧٧٩)، ٢٩٥
حديث رقم (١٧٧٨٢)، ٢٩٧ حديث
رقم (١٧٧٨٨) وفيه أنَّ الضراح في السماء
الرابعة ثم وُضِعَ البيت المعمور بحذاء
الضراح ثم وُضِعَ البيت بحذاء البيت
المعمور.

الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَتَى
بِهَاجَرَ وَإِسْمَاعِيلَ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ إِلَى
أَرْضِ مَكَّةَ أَنْزَلَهَا فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ وَلَمْ
يَتَوَقَّفْ عِنْدَهُمَا؛ لِأَنَّهُ قَدْ عَاهَدَ سَارَةَ أَنْ
يَرْجِعَ مِنْ فُورِهِ، فَرَجَعَ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ
فَلَمَّا بَلَغَ جَبَلَ كُدَى (٥٥) قَالَ ذَلِكَ الْكَلَامَ،
وَلَمْ يَبْنِ الْكَعْبَةَ إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مَبْلَغِ الرَّجَالِ (٥٦)، وَهَذِهِ الرُّوَايَةُ حَسَنَةٌ
الطَّرِيقِ (٥٧).

وَبَعْدَ رُودِ مِثْلِ هَذَا الْخَبَرِ الْمُعْتَبَرِ
عَنْ أَيْمَةِ الْهُدَى (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)،
كَيْفَ يُلْتَفَتُ إِلَى مَا أوردَهُ ذَلِكَ الْمُفَسِّرُ؟
فَلَا مَنْدُوحَةٌ عَنْ ارْتِكَابِ ذَلِكَ التَّكْلِيفِ،
وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُجَابَ عَنْ ذَلِكَ الْإِشْكَالِ

(٥٥) جبل كُدَى: وهو موضع بمكة، ينظر:
معجم البلدان مادة (كدى): ٤ / ٤٤١،
وينظر كذلك مادة (كداء) التي قبلها.

(٥٦) تنظر الرواية كاملة في: تفسير القمي: ١ /
٦٠ وما بعدها، وفيه (جبل كداء) بدل
(كدى).

(٥٧) الحديث الحسن هو ما اتصل سنده إلى
المعصوم بإمامي ممدوح من غير نص على
عدالته، مع تحقق ذلك في جميع مراتبه أو في
بعضها مع كون الباقي من رجال الصحيح،
ينظر: أصول الحديث: ١٠٧.



السؤال الثالث:

قوله تَعَالَى فِي آيَةِ الْإِفْكِ: ﴿أَوْلَيْكَ
مَبْرُوتٌ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٦] مَا
الْمُرَادُ مِنَ الْمَغْفِرَةِ؟ هُوَ (..) (٦٢) بِالْمُؤَاظَةِ
أَمْ مُطْلَقٌ؟ وَكَيْفَ يَصِحُّ الْإِطْلَاقُ مَعَ
دُخُولِ عَائِشَةَ فِي ضَمَنِ الْجَمِيعِ تَغْلِيْبًا
وَالْمَغْفِرَةَ لَا تَتَعَلَّقُ بِهَا؟.

الجواب: قَدْ حَمَلَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا
الآيَةَ الْكَرِيمَةَ عَلَى إِطْلَاقِهَا، وَقَالَ فِي
الْجَوَابِ عَنِ هَذَا الْإِشْكَالِ: إِنَّهُ قَدْ وَرَدَتْ
عَنْ أَيْمَتِنَا سَلَامٌ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي سَبَبِ
نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَعْنِي قَوْلَهُ

تَعَالَى: ﴿الْحَيْثِثُ لِلْحَيْثِيْنَ وَالْحَيْثِثُونَ
لِلْحَيْثِثِ وَالطَّيِّبَتُ لِلطَّيِّبِيْنَ وَالطَّيِّبُونَ
لِلطَّيِّبَتِ أَوْلَيْكَ مَبْرُوتٌ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة النور
٢٦:] [أَنْ أَنَا سَأَ هُمُوا لِيَتَزَوَّجُوا بِالزَّانِيَاتِ
فَنَهَاهُمْ اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾
[سورة النور: ٣] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْمُرَادَ مِنَ الْحَيْثِثَاتِ الزَّانِيَاتِ، وَمَنْ
(٦٢) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَلِمَةً لَمْ أَهْتَدِ لِعَرَفَتِهَا.

يَكُونُ مُرَادُهُ ﷺ: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمَحْرَمِ﴾
[سورة إبراهيم: ٣٧] أَي بِحِذَائِهِ وَعَلَى
مُؤَاظَاتِهِ، وَمَا يَتَرَاءَى مِنْ زَوَالِ الْمُحَادَاةِ
فِي الْأَعْلَبِ بِحَرَكَةِ الْفَلَكَ غَيْرُ قَادِحٍ؛ إِذْ
يَكْفِي مُحَادَاةُ فِي كُلِّ دَوْرَةٍ مَرَّةً، عَلَى أَنَّ
سُكُونَ الْفَلَكَ السَّادِسِ وَحَرَكَةِ الْمُشْتَرِي
فِيهِ عَلَى سَبِيلِ السَّبَاحَةِ كَالسَّمَكِ فِي الْمَاءِ
مِمَّا لَمْ يَقُمْ إِلَى الْآنَ دَلِيلٌ عَلَى امْتِنَاعِهِ،
وَأَدِلَّةٌ عَدَمِ قَبُولِ الْأَفْلَاقِ الْحَرَقِ كُلِّهَا
مَدْخُولَةً، وَلِذَلِكَ جَوَّزَ قَدَمَاءُ الْحُكَمَاءِ،
كَمَا يُحَكِّي عَنِ أَفْلَاطُونٍ وَغَيْرِهِ، أَنْ يَكُونَ
سَيْرُ جَمِيعِ الْكَوَاكِبِ عَلَى سَبِيلِ الْحَرَقِ،
وَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
انْتَرَتْ﴾ [سورة الانفطار: ١ - ٢] وَقَوْلِهِ
سُبْحَانَهُ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة
الأنبياء: ٣٣] شَاهِدٌ بِجَوَازِ الْحَرَقِ (٦١)،
﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة
الأعراف: ١٨٥].

(٦١) القول بأن الأفلاك العلوية لا يتيهأ لها
الخرق والالتام من متبنيات علم الفلك
القديم وقد ردّ البهائيُّ تَبَيُّنًا هذا القول
هنا وفي كتابه الحديقة الهلالية: ٨٤، وينظر
هامش رقم (٤) من الصفحة عينها.



الجنة)) (٦٣).

وَأَمَّا ثَانِيًا فَلِأَنَّ مَغْفَرَةَ الذَّنْبِ إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ لَمْ يَخْرُجْ عَن رِبْقَةِ الْمُؤْمِنِينَ، لَا لِمَنْ أَنْدَرَجَ فِي ضَمْنِ قَوْلِ الرَّسُولِ: ((يَا عَلِيُّ حَرْبُكَ حَرْبِي)) (٦٤) فَإِنَّ زَعَمَ هَذَا الْمُجِيبُ صُدُورَ تَوْبَةٍ عَنْهَا وَالنَّدَمَ التَّامَ عَلَى مَا وَقَعَ [منها] مِنْ حَرْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَلَيْهِ إِثْبَاتُ هَذِهِ الدَّعْوَى، مَعَ أَنَّ كَلَامَهُ يُعْطَى عَدَمَ ثُبُوتِهَا عِنْدَهُ وَإِلَّا لَمْ يَجْتَنِجْ إِلَى حَمْلِ الرَّزْقِ الْكَرِيمِ عَلَى الدُّنْيَوِيِّ فَتَدَبَّرَ. إِذَا تَقَرَّرَ هَذَا ظَهَرَ أَنَّهُ لَا مَنَاصَ عَن إِنْجَازِ هَذَا الْوَعْدِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْمُؤَافَاةِ، كَنَظَائِرِهَا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي وُعدَ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ وَدُخُولَ الْجَنَّاتِ، إِذْ لَا رَيْبَ أَنَّهُ مَشْرُوطٌ بِبِقَائِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ إِلَى وَقْتِ الْوَفَاةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ أَحْكَامِهِ.

الخاتمة:

بعد أن وفقنا الله سبحانه وتعالى إلى إتمام تحقيق هذا الأثر المهم، نرى توجيه

(٦٣) مجمع البيان: ٧ / ١٧٣.

(٦٤) جزء من حديث نبوي شريف، ينظر:

البحار الأنوار: ج ٣٨: ح ٥٨ ص ١١٧.

الطَّيِّبَاتِ الْعَفَائِفُ، فَيَدْخُلُ فِي الطَّيِّبَاتِ جَمِيعُ النِّسَاءِ الْعَفِيفَاتِ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ بِهَذَا الْمَعْنَى، لِكِنَّةِ سُبْحَانِهِ إِنَّمَا وَعَدَ الطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ بِمَغْفِرَةِ مَا، وَلَمْ يَعِدْهُمْ بِغُفْرَانِ جَمِيعِ ذُنُوبِهِمْ، وَالْإِلْزَامُ يَحْكُمُ بِعَدَمِ دُخُولِ أَحَدٍ مِنَ الْعَفِيفِينَ وَالْعَفِيفَاتِ النَّارَ، فَالْوَعْدُ إِنَّمَا هُوَ بِغُفْرَانِ شَيْءٍ مِنْ ذُنُوبِ الْفَرِيقَيْنِ؛ بِسَبَبِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِفَّةِ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُغْفَرَ لِعَائِشَةَ شَيْءٌ مِنْ ذُنُوبِهَا؛ بِسَبَبِ عِفَّتِهَا وَعَوْضَ مَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الْأَلَمِ وَالْحُزْنِ مِنْ خَطِيئَةِ الْإِفْكِ.

وَأَمَّا الْوَعْدُ بِالرَّزْقِ الْكَرِيمِ فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي الْآخِرَةِ فَلَعَلَّهُ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ مَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ الزَّيْنَةَ يُورَثُ الْفَقْرَ أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَفِي هَذَا الْجَوَابِ نَظَرٌ أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ الْمُفْسِّرِينَ مِنْ أَصْحَابِنَا فَسَّرُوا الرَّزْقَ الْكَرِيمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ: ((**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ** أَي: هُوَ لِأَنَّ الطَّيِّبِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ لِذُنُوبِهِمْ **وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** أَي: عَطِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ كَرِيمَةٌ فِي



(١١١٣م - ١٤٣٨هـ)

الصدر السامع والشعور - خريف

• عناية الباحثين والمهتمين بالتراث إلى ما يأتي:

١. بذل المزيد من الجهد في تحقيق المخطوطات القديمة، وإخراجها من ظلمات الرفوف إلى نور النشر والطباعة.
٢. ان يُعنى الباحثون بكل ما يتصل بالقرآن الكريم، فُتَحَقَّقَ المخطوطات المتعلقة بتفسيره وغريبه وقراءاته وما إلى ذلك.
٣. العناية بآثار علمائنا المتقدمين، والمتأخرين، ومنهم الشيخ البهائي عليه السلام. وفي الختام أرجو أن يقع هذا العمل موقع القبول والرضا عند الله سبحانه، وعند المهتمين بتراثنا الخالد.

مصادر البحث

- القرآن الكريم.
- الاثنا عشرية الصومية، بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي المعروف بالشيخ البهائي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق علي المراريد، مجلة تراثنا، قم المقدسة - إيران، ع ١١ س ٢، ١٤٠٨هـ.
 - أصول الحديث، عبد الهادي الفضلي، ط ٣، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر بيروت لبنان، ١٣٢١هـ.
 - الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ١٥، دار العلم للملايين بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م.
 - أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق حسن الأمين، ط ٥، دار التعارف للمطبوعات بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
 - أمل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس شارع المتنبى بغداد - العراق، د. ط. د. ت.
 - إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، وهي طبعة مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥م.
 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر



• **الجوابات ثلاث مسائل تفسيرية للشيخ بهاء الدين العاملي** **الكتاب**

- الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٩١هـ)، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق وتعليق علي النمازي الشاهرودي، ط ١، منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- تفسير العيَّاشي، أبو نصر محمد بن مسعود بن عيَّاش المعروف بالعيَّاشي، تصحيح وتعليق هاشم الرسولي المحلّاتي، ط ١، مؤسّسة الأعلمي بيروت - لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرنين ٣ - ٤ الهجريين)، تصحيح وتعليق طيب الحسيني الجزائري، ط ٣، دار الكتاب للطباعة والنشر قم - إيران، ١٤٠٤هـ.
- حاشية الشيخ البهائي على تفسير البيضاوي، بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي، مخطوط محفوظ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في لإيران تحت الرقم (٣٥٧٠).
- الحديقة الهلالية شرح دعاء الهلال من الصحيفة، بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي، تحقيق علي الموسوي الخراساني، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قم - إيران، ١٤١٠هـ.
- خاتمة مستدرک الوسائل، حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط ١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- خريدة القصر وجريدة العصر بداية قسم شعراء الشام (شعراء دمشق)، للعماد الأصفهاني الكاتب، تحقيق شكري فيصل، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ديوان ابن الخياط، تحقيق خليل مردم بيك، المجمع العلمي العربي، دمشق - سوريا، ١٩٥٨م.



- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، أغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، ط ٣، دار الأضواء بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الخونساري (ت ١٣١٣هـ)، تحقيق أسد الله اسماعيليان، مكتبة اسماعيليان طهران - إيران، ١٣٩٢هـ.
- رياض العلماء وحياض الفضلاء، عبد الله أفندي الأصبهاني من أعلام القرن الثاني عشر، تحقيق أحمد الحسيني باهتمام محمود المرعشي، مطبعة الخيام قم المقدّسة - إيران، ١٤٠١هـ.
- سلافة العصر، علي خان الحسيني المعروف بابن معصوم المدني (١١٢٠هـ)، مطبعة الخانجي - مصر، ١٣٢٤هـ.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل محمد خليل أفندي المرادي، نشر المطبعة الميرية العامرة
- بيولاقي، ١٣٠١هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرنؤوط بإشراف عبد القادر الأرنؤوط، ط ١، دار ابن كثير دمشق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- شرح العقائد العضية، جلال الدين محمد بن أسعد الدواني (ت ٩٠٧هـ أو ٩١٨هـ)، د. ط. د. ت.
- الشيخ بهاء الدين العاملي (مجموعة رسائل وبحوث في سيرة الشيخ البهائي)، مجموعة من المحققين، ط ١، مركز العلوم والثقافة الإسلامية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- طبقات أعلام الشيعة، أغا بزرك الطهراني، تحقيق علي نقوي منزوي، ط ٢، مؤسسة اسماعيليان قم المقدّسة - إيران، د. ت.
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأمين النجفي (ت ١٣٩٢هـ)، تحقيق مركز الغدير للدراسات الإسلامية إيران - قم المقدّسة، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.



- غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري)، نظام الدين الحسن بن محمد بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق زكريا عميرات، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٦ هـ.
- فهرس المخطوطات العربية في جامعة برنستون، ترجمة وتحقيق محمد عايش، ط ١، سقيفة الصفا العلمية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- الكنى والألقاب، عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ)، منشورات مكتبة الصدر، طهران - إيران، د. ط، د. ت.
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١ هـ)، تحقيق خليل المنصور، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- لؤلؤة البحرين، يوسف بن أحمد البحراني (ت ١١٨٦ هـ)، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، ط ٢، دار الأضواء بيروت - لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت ٥١٨ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية القاهرة - مصر، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، ط ١، دار العلوم بيروت - لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط ١، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- نقد الرجال، مصطفى بن الحسين الحسيني التفريشي من أعلام القرن السادس الهجري، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ١، ١٤١٨ هـ.



نافذة

المصباح

العرض والنقد والتعريف

أ.ر. محمد كريم ابراهيم الشمري

تعقيب وتعليق

صنعة
حيدر كاظم الجبوري

الدراسات القرآنية في الجلات النجفية

(دراسة بليوغرافية)

(١٣٥٦هـ - ١٤٢٦هـ = ١٩٣٨م - ٢٠١٥م)

(القسم الثاني)

تعقيب وتعليق

كانت (المصباح) قد نشرت في عددها الحادي والعشرين (ربيع ٢٠١٥) بحثاً كتبه السيد سعد شريف طاهر معتمد الترجمة الانجليزية في المجلة، تحت عنوان (القرية في القرآن الكريم) لم يخضع حينها لتقويم الخبراء كونه بحثاً تقريرياً بقلم كاتب غير متخصص بالدراسات الأكاديمية.

وقد عقب عليه الاستاذ الدكتور محمد كريم ابراهيم الشمري من الهيئة الاستشارية للمجلة تعقيماً أكاديمياً ومنهجياً نثبُتُ نصه كما ورد، ونُبقِي للباحث السيد سعد شريف حق دراسة هذه الألاحظات وبيان رأيه فيها.

رئيس التحرير

بسم تعالى

السيد رئيس تحرير مجلة المصباح الغراء المحترم
الاستاذ الفاضل محمد علي هدو
تحية طيبة...

م/ تعقيب وتعليق

اطلعت على البحث المعنون: ((القرية في القرآن الكريم)) المنشور في العدد (٢١) من مجلة المصباح الغراء لسنة ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، وعنت لي العديد من الملاحظات المنهجية والعلمية، آملاً من السيد الباحث المحترم الافادة منها في بحوثه القادمة تاركاً لاسرة تحرير المجلة التصرف بهذه الملاحظات والاخذ بما يخدم سيرة المجلة الرائدة.

أولاً: الملاحظات المنهجية:

١. جاء عنوان الباحث عاماً غير محدد هدف او دراسة او مقصد علمي واضح،

فهل هي دراسة دلالية؟. فنية؟. موضوعية، استقرائية؟...

٢. لم يتبع الباحث طريقة منهجية صحيحة لاقتباس المعلومات الخاصة لتفسير الآيات القرآنية من كتب التفسير وفق تسلسل مؤلفيها، حسب العصور التي عاشوا فيها او حسب تسلسل تاريخ وفياتهم، بل كان يقدم المتأخر على المتقدم زمنياً، وهذا خلل منهجي وعلمي في الدراسات العلمية الرصينة، والامثلة على ذلك كثيرة جداً، شملت معظم فقرات البحث، ففي العنوان القرية في المعاجم ص ٢٣٣، اعتمد على مؤلفات متأخرة جداً او اهمل المعاجم اللغوية المتقدمة زمنياً، فقد كان جل اعتماده على مختار الصحاح (دون ذكر اسم مؤلفه وتاريخ وفاته)، ونقل عن: معجم نور الدين الوسيط!. وذكره مختصراً.

٣. في العنوان: القرية في التفاسير ص ٢٣٤، اعتمد على تفاسير متأخرة بدءاً من تفسير الالوسي، المتوفى سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٠٣م، وهو تفسير: روح المعاني. ثم تفسير الكشاف للزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م، وبعد ذلك نقل عن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م في تفسيره: مجمع البيان، ثم توقف عند تفسير الجلالين، وهما: جلال الدين محمد بن احمد المحلي، المتوفى سنة ٨٦٤هـ / ١٤٦٠م، وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م، ثم انتقل الى كتاب: الروض المعطار في خبر الاقطار، لمؤلفه: محمد بن عبد المنعم الحميري، المتوفى سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م، وهكذا لم يتبع الباحث منهجية علمية صحيحة في نقل اراء المفسرين وفق تسلسل وفياتهم، او اعتماداً على عصر كل مفسر منهم وسنة وفاته، وهو المنهج العلمي السليم والصحيح، بل قدم وأخر بطريقة عشوائية غير منهجية اطلاقاً.

٤. واصل الباحث اتباع هذا المنهج العشوائي في تفسير الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ ((القرية))، في معظم فقرات بحثه، كما هو الحال في الفقرة (٢) ص ٢٣٥، معتمداً على تفسير الجلالين أولاً ثم تفسير الكشاف للزمخشري وبعده تفسير



الطبرسي او احياناً يعتمد تفسير الجلالين ثم تفسير الالوسي (روح المعاني) ثم يعتمد بعدهما تفسير الزمخشري والطبرسي واستمراراً حتى نهاية الفقرة رقم (٣٣) ص ٢٥٤-٢٥٤.

٥. بخصوص مشتقات (القرية) الاخرى، كان البحث فيها مختصراً جداً، كما في لفظ (قرينك) على ص ٢٥٤، اذ اعتمد الباحث على تفسير: مجمع البيان للطبرسي، ثم الكشف للزمخشري وبعده تفسير روح المعاني للالوسي (باختصار شديد)، وهذا هو التسلسل المنطقي الصحيح منهجياً.

٦. في تفسيره لفظة (قريتكم) ص ٢٥٤، عاد الباحث الى الاعتماد على تفسير الجلالين أولاً، ثم روح المعاني للالوسي، مع اشارة الى الكشف للزمخشري، ويفترض ان يكون التسلسل الصحيح، الاعتماد على الكشف للزمخشري أولاً ثم تفسير الجلالين، ثم روح المعاني للالوسي. اما تفسير اللفظة الثانية (قريتكم) في سورة النمل، الاية: ٥٦، فقد جاء مختصراً جداً دون تحديد كتاب للتفسير، قال الباحث -بعد ذكره ان المراد بالقرية (سدوم) مدينة لوط: ((كما جاء ذكرها في جميع التفاسير))، وهذا كلام مطلق غير محدد، وغير مدعوم بذكر اهم كتب التفسير!

٧. بخصوص تفسير لفظة (قريتنا) الواردة في سورة الاعراف، آية: ٨٨، فقد اتبع الباحث طريقة عشوائية غير متسلسلة في اعتماد على كتب التفسير، موضحاً ان التفاسير لم تشر الى اسم القرية، مثل: تفسير الجلالين، مجمع البيان للطبرسي وروح المعاني للالوسي والكشاف للزمخشري (تقديم وتأخير عشوائي!). ثم اعتمد: اطلس القرآن (المرجح انه من تأليف د. شوقي ابو خليل)، دون تسمية مؤلفه.

٨. وبخصوص لفظة (القريتين)، ذكر الباحث انها وردت مرة واحدة فقط في القرآن الكريم، في سورة الزخرف، آية: ٣١، وهنا استخدم الباحث عبارة عمومية فيها مبالغة كبيرة، قائلاً: ((تتفق التفاسير على ان القريتين هما مكة والطائف))، في حين



انه اقتصر لدعم رأيه هذا على تفسير الجلالين، ثم ذكر باختصار شديد ان القريتين هما مكة والطائف اعتماداً على تفسير مجمع البيان والكشاف، وهذا لا يعين صحة ادعائه، لان كل التفاسير التي ذكرها هي ثلاثة فقط!. ويفترض ان يقدم تفسير مجمع البيان للطبرسي أولاً ثم يتلوه الكشاف للزمخشري وأخيراً يذكر ما ورد في تفسير الجلالين.

ثانياً: الدقة العلمية: يلاحظ ان هنالك عدم دقة علمية وردت في البحث، يمكن ادراجها في الاتي:

١. ورد على ص ٢٣٣، هامش (١) ان لفظة (قريتمكم) وردت مرة واحدة في سورة الاعراف، آية: ٨٨، ومرة واحدة في سورة النحل، (دون ذكر رقم الآية).
والصحيح ان لفظة (قريتمكم) وردت في سورة النمل، آية: ٥٦، وليس في سورة النحل، وقد ذكرها الباحث صحيحة على ص ٢٥٤.

٢. ورد على ص ٢٣٤ وهامش (٦) ان لفظة (ام القرى) وردت مرة واحدة في القرآن الكريم، في سورة الانعام، آية: ٩٢.
والصحيح انها وردت مرتين، الثانية في سورة الشورى، آية: ٧.

٣. ورد على ص ٢٣٦ نص العبارة: ((ويتطابق مع رأي الطوسي في مجمع البيان...))
والصحيح: ان مجمع البيان من تأليف الطبرسي.

٤. ورد على ص ٢٣٧، العمود (٢)، السطر (٣): الزمخشري في كشافه، والصواب: كشافه، بالهاء المكسورة وليس بالتاء المربوطة.

٥. لم يذكر الباحث الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ (القرى)، وهو جمع: قرية، كجزء من بحثه ولو بالاشارة اليها فقط دون شرح او تفسير، اذ ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم: (١٨) مرة.

٦. لم يدرس الباحث ولم يفسر لنا لفظة (ام القرى) الوارد ذكرها مرتين في القرآن الكريم، ضمن منهج بحثه في تفسير لفظة (القرية) وبقية مشتقاتها الواردة في بحثه



- ص ٢٣٣ - ٢٣٤، وذلك في نهاية بحثه ص ٢٥٥، استكمالاً لذكر هذه اللفظة.
٧. أهمل الباحث اعداد قائمة تفصيلية بالمصادر والمراجع التي اعتمدها في انجاز بحثه، بل اكتفى بذكرها مختصرة جداً في متن بحثه، وهذا خلل منهجي وعلمي، اذ يمكن للقارئ الرجوع الى مصادر ومراجع الباحث لمتابعة تفسير الفاظ القرآن الكريم بخصوص القرية ومشتقاتها الواردة في الايات القرآنية الكريمة، والاطلاع على وجهات نظر المفسرين والمؤلفين من خلال قائمة المصادر والمراجع.
٨. بخصوص الخرائط التي سقطت سهواً من البحث، والواردة في العدد: (٢٤) من مجلة المصباح، فهي ليست ذات فائدة علمية للبحث، لان عناوينها غير صحيحة وعمومية، فالخارطة الاولى على ص ٤٤٤، جاء عنوانها: اصحاب السبت، لم نجد فيها تحديداً وذكراً لمدينة آيلة، وهي ايلات اليوم، فهل ايلة هي: مدين او مقنا؟. وقيل: طبرية، وهي بحيرة لم نجدها في الخارطة، ويفترض بالباحث ان يدقق في كل تسمية بالرجوع الى المعاجم والمؤلفات الجغرافية لتحديدتها على الخارطة، فضلاً عن عدم وجود مصدر او مرجع لهذه الخرائط جميعها!.
- والخارطة الثانية ص ٤٤٥، يفترض ان يكون عنوانها: مسير او خط مسير او رحلة النبي يوسف عليه السلام، وليس عنوانها: يوسف عليه السلام!! تعزيراً لما ورد في البحث عن رحلته ص ٢٣٤ - ٢٣٥.
- وبخصوص الخارطة الثالثة ص ٤٤٦، المعنونة: يوسف عليه السلام، يفترض ان يكون عنوانها: خارطة توضح سير (رحلة) النبي يونس عليه السلام من يافا في فلسطين الى نينوى في الموصل، مع عدم ذكر مرجع هذه الخريطة، والمرجع انها من كتاب: اطلس القرآن لمؤلفه: د. شوقي ابو خليل، ولعلها من عمل الباحث الذي يفترض ان يشير الى ذلك، وعدم تركها دون مصدر او مرجع!
- ثالثاً: اللغة وتركيب العبارات:

١. هنالك عبارات لغوية ورد ذكرها في البحث غير مناسبة وغير دقيقة، منها



ص ٢٣٤ عمود (٢) الفقرة (٢) السطر ١٠ - ١١ ما نصه: ((وقد روي ان موسى عليه السلام سار...))، والصواب: ان النبي موسى..، وعلى ص ٢٣٥، عمود (٢)، الفقرة الاخيرة، قال الباحث: ((ويطابق الزمخشري الرأي...))، فهل الزمخشري يتطابق رأيه مع الجلالين ام العكس هو الصحيح تماماً؟!.

اي ان الجلالين يتطابقان في رأيهما مع الزمخشري، وعلى ص ٢٣٦، عمود (١) فقرة (٢): ((ويماثل الطبرسي الرأي...))، والطبرسي اقدم من الجلالين.

٢. استخدم الباحث لغة غريبة، اذ جعل الكتاب وليس الكاتب (المؤلف) هو الذي يتحدث او يفسر!، مثال ذلك قوله ص ٢٣٨، عمود (٢): ((يحدد تفسير الجلالين ص ١٧١))، و: ((يتحدث تفسير الجلالين))!. وفي الفقرة الاخيرة، قال: ((وهذا مايعززه روح المعاني))!، وعلى ص ٢٣٩ عمود (١): ويؤكد الكشاف، وليس الزمخشري هو الذي يؤكد، وفي الفقرة الاخيرة، قال: ((لم يشر تفسير الجلالين))!. وعلى ص ٢٤٠، عمود (١)، السطرين ٣ - ٤ قبل الاخير: ((ويذكر روح المعاني))!. وعلى ص ٢٤٢ عمود (١) الفقرة الاخيرة، قال: ((في حين لم يشر الكشاف))!؟، وعمود (٢): ((اشار تفسير الجلالين))!.

٣. ص ٢٤٤، عمود (٢)، السطر ١١ - ١٢، جاء فيها ما نصه: ((وخراب افريقيا من قبل الاندلس))!، والصواب: ((وخراب افريقية [وهي تونس] من قبل ولاة/ حكام الاندلس...))، في حين ان (افريقيا) هي قارة كبيرة جداً!.

٤. هنالك عبارات صحيحة ربطت المؤلف بمؤلفه، كما ص ٢٤٦ عمود (١) ويؤكد الالوسي في روح المعاني، وفي الفقرة الاخيرة (٣): يقول الزمخشري في الكشاف، وعمود (٢) الفقرة الاخيرة: ((لم تحدد القرية في تفسير الجلالين))، ولكن الباحث عاد مرة اخرى الى عدم الدقة في عباراته، مثل قوله ص ٢٤٧ عمود (٢): ((لم يحدد تفسير الجلالين))!، والصحيح لم يحدد الجلالان في تفسيرهما، وعلى ص ٢٤٨، عمود (١) فقرة اخيرة: ((ولم يحدد مجمع البيان))!. وفي عمود (٢): ((لم يذكر



تفسير الجلالين)) وتكررت هذه العبارة ص ٢٤٩ عمود (١) فقرة اخيرة: ((لم يذكر تفسير الجلالين))، وفي عمود (٢) ص ٢٤٩: ((وحتى مجمع البيان في مجلد ٧ ص ١١٠ لم يذكر اسم القرية))!، و ((لم يذكر تفسير الجلالين)).

٥. على ص ٢٥٢، عمود (١) السطرين الاخيرين: ((الا ان روح المعاني يذكر..!!)).

وعلى ص ٢٥٣ عمود (١): ((يحدد تفسير الجلالين القرية)) وعلى عمود (٢) في بدايته: ((ويؤكد لها روح المعاني))، ((لم يذكر تفسير الجلالين ص ٥٠٨ اسم القرية))، ((لم يأت تفسير الجلالين ص ٥٥٩))، وعلى ص ٢٥٤، عمود (٢): ((وايضاً يشير الكشاف))!، وعلى ص ٢٥٥، عمود (١)، ورد ذكر: اطلس القرآن، دون تسمية مؤلفه، وفي نهاية الفقرة وبداية الفقرة عمود (٢): ((وفي الكشاف المجلد ٢ ص ١٢٤ لم يذكر اسم القرية))، والصحيح: ((وفي الكشاف المجلد ٢ ص ١٢٤ لم يذكر الزمخشري اسم القرية)).

هذه ملاحظات متنوعة سجلناها على البحث المعنون: ((القرية في القرآن الكريم))، نرجو ان ينشر منها ما يحقق الفائدة العلمية المرجاة، خدمة للمصلحة العامة ولسمعة ومكانة مجلة المصباح الغراء ومكانتها السامية، كونها مجلة علمية محكمة صادرة عن العتبة الحسينية المقدسة.. آمليين لها دوام الاستمرار والتواصل في الاصدار، لخدمة التراث العربي الاسلامي الخالد، تراث القرآن الكريم، ومن الله العون والسداد، انه نعم المولى ونعم النصير...

والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الدراسات القرآنية في المجالات النحوية

(دراسة بليوغرافية)

(١٣٥٦هـ - ١٤٣٦هـ = ١٩٣٨م - ٢٠١٥م)

(القسم الثاني)

صنعة

مير كاظم الجبوري

١. أوهام حول إعجاز القرآن. السيد أبو القاسم الخوئي. مجلة (النشاط الثقافي)، ١٤، ١، ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م، ص ٤ - ٦ / ٢٤، ١، ص ٦٨ - ٧١.
٢. الإيحاء الصوتي في النص القرآني. أ. د. زهير غازي زاهد. مجلة (ينابيع)، ١٣٤، ١٣٢٧هـ = ٢٠٠٦م، ص ١٠ - ١٧.
٣. إيحائية عناصر الحوار (في القصة القرآنية). أ. د. محمد حسين علي الصغير، جنان تكليف علي النصراوي، مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ٢٢٤ / ١٣ - ٣٤.
٤. إيمان صاحب القرية بين الواقع القرآني والإيحاءات الخارجية (قراءة في ضوء السياق القرآني). د. عباس عبد الحسين غياض. مجلة (ينابيع)، ٢٣٤، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٠ - ١٤.

حرف الباء

٥. البحث اللغوي في كتاب تفسير البيان للسيد الخوئي. د. فاضل كامل الموسوي، د. فضيلة عبوسي محسن العامري. مجلة (كلية الفقه)، ٢٠٤، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٢٨٥ - ٣١٧.
٦. بحث في إعجاز القرآن الكريم. الشيخ ميثم العقيلي. مجلة (المنهج)، ٦٤،

- ١١٨- ٩٩ = ٢٠٠٩م، ١١٨- ٩٩ .
٧. البحر في القرآن الكريم مع دراسة تراثية. أ. د. محمد كريم ابراهيم الشمري. مجلة (مآب)، ع١٢، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٢١- ٤٠.
٨. البدايات الأولى لتفسير القرآن الكريم التفسير في عصر الرسول ﷺ. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي. مجلة (ينابيع)، ع٥٩، ١٤٣٥هـ، ص ١٠- ١٤.
٩. بديع الترتيب في القرآن الكريم دراسة دلالية جمالية. خالد كاظم حميدي. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع١٨، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٣م، ص ٣٢٣- ٣٥٤.
١٠. البصر في القرآن الكريم (لغة ودلالة). د. نضال حسن سلمان الأسدي. مجلة (المبين)، ع١، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ٥٩- ٧٨.
١١. البعد البياني في اللفظ القرآني. أ. د. محمد حسين علي الصغير، فاطمة عبد الأمير السلامي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٢٣، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م، ص ١١- ٤٤.
١٢. البُعد التداولي والحجاجي في الآيات الدالة على الغرور في القرآن الكريم. د. باسم خيري خضير. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣١/ ج٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٢٦٥- ٣٠٧.
١٣. البعد الفلسفي في القرآن الكريم. حسين جودي الجبوري. مجلة (مآب)، ع٧، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٩٧- ١١١.
١٤. بعض الأخطاء اللغوية بين الاستعمال المعاصر والقرآن الكريم. فاطمة عبد الحسين صيهود. مجلة (آداب الكوفة)، ع٢٣، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٢٣٧- ٢٥٨.
١٥. بعض المفردات اللغوية في سورة الممتحنة. د. صباح خيري الحسيني [العرداوي]. مجلة (ينابيع)، ع٦٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٥- ١٩.
١٦. بلاغة الاسلوب التفسيري عند السيد السبزواري. أ. د. مشكور كاظم العواد. مجلة (ينابيع)، ع٦٢، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ١٠- ١٩.
١٧. بلاغة الحذف التقابلي بالاحتباك في التعبير القرآني ودوره في تحقيق التماسك النصّي. د. عدنان عبد السلام الأسعد. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣١/



ج ٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٥٥ - ٩٥.

١٨. بناء المجتمع الصالح بين النص القرآني والنصوص القانونية الوضعية. غسان

خضير محمد. مجلة (مآب)، ع ١٢، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٦٩ - ٨٢.

١٩. البنى الأسلوبية الجزئية والتركيبية في سورة الناس مقارنة سيميائية تداولية. د. تومان

غازي حسين. مجلة (كلية الفقه)، ع ١٥، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ١٩٣ - ٢٢١.

٢٠. البنى الأسلوبية الصوتية في سورة الناس مقارنة سيميائية تداولية. د. خالد

حميدي، د. تومان غازي حسين. مجلة (آداب الكوفة)، ع ١٠، ١٤٣٣هـ = ٢٠١١م،

ص ٢٩٣ - ٣٥٢.

٢١. بنية الخطابة الفنية في إثباتات سورة المائدة. د. ابتسام السيد عبد الكريم المدني. مجلة

(مركز دراسات الكوفة)، ع ١٢، ٢٠٠٩م، ص ١ - ٣٢.

٢٢. البنية السردية في سورة مريم. د. عبد الهادي أحمد الفرطوسي. مجلة (ينابيع)، ع ٢،

محرم - صفر، ١٤٢٥هـ، ص ٦ - ٢٠.

٢٣. البيان في تفسير القرآن أو مدخل التفسير لآية الله الخوئي. الشيخ محمد جواد مغنية.

مجلة (الإيمان)، ٢م / ٥٤ - ٦ / ص ١٤ - ١٦.

حرف التاء

٢٤. تأثير آثام الإنسان في حدوث الكوارث. سعد حاتم مرزة. مجلة (مآب)، ع ١،

٢٠٠٧م، ص ٧٩ - ١٠١.

٢٥. تاريخ الآيات والسور القرآنية في دراسات المستشرقين. د. محمد جواد اسكندرلو.

مجلة (دراسات استشرافية)، ع ٣، ١٤٣٦ = ٢٠١٥م، ص ٩ - ٣٢.

٢٦. التأريخ في خدمة التفسير القرآني في متشابه القرآن لأبن شهر آشوب. د. ختام راهي

مزهر [الحسناوي]. مجلة (السدير)، ع ٤، ٢٠٠٤م، ص ٧٢ - ٨٠.

٢٧. تاريخية النص القرآني في خطاب نصر حامد أبو زيد التنظيري (المفهوم والمرجع).

أسماء حديد. مجلة (الكوفة)، ع ١، ٣، شتاء ٢٠١٤م، ص ١٦٣ - ١٨٢.

٢٨. التأسيس الفلسفي لفهم النص القرآني عند صدر الدين الشيرازي. د. احمد حسن

الشاوي. مجلة (مآب)، ع ١٢، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٤١ - ٥٢.



٢٩. تأسيس ائمة اهل البيت (عليهم السلام) لأصول منهج فهم النص القرآني. د. ستار جبر الاعرجي. مجلة (ينابيع)، ع٧، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ١٦ - ٢١.
٣٠. تأصيل دراسات إعجاز القرآن الكريم بين الصرفة والنظم. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (مآب)، ع٤، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ١٣٣ - ١٤٨.
٣١. تأصيل فكرة إعجاز القرآن. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (ينابيع)، ع١٧، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ٨ - ١١.
٣٢. تأويل تعليق شبه الجملة في تفسير الكشاف - سورة البقرة أنموذجاً - . د. كريم همزة حميدي جاسم. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٥ / ج٢، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ١٢١ - ١٤٢.
٣٣. تأويل الصفات الخبرية عند الشريف الرضي دراسة في مجازاته القرآنية والنبوية. د. ستار جبر الاعرجي. مجلة (آداب الكوفة)، ع٢١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٣٩ - ١٨٤.
٣٤. التأويل التعسفي لآية السيف. حسن عبيد عيسى. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٥ / ج٢، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٥٧٥ - ٥٩٧.
٣٥. التأويل العرفاني عند السيد السبزواري رحمته الله. د. علي كاظم جواد سميسم. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع١٣، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ١٥٩ - ٢٠٦.
٣٦. التأويل القرآني لشعر الكميت (دراسة في ضوء نظرية التلقي). رائدة مهدي جابر. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٥ / ج١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٥٩٥ - ٦١٦.
٣٧. تأويل المفردة القرآنية في كتاب الكافي للشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ). حسين عبيد شراد الشمري. مجلة (كلية الفقه)، ع١٥، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ٧٩ - ١٠٣.
٣٨. التأويل النحوي عند الشريف المرتضى في كتابه أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد). أحمد ذهيب حسين. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٥ / ج٢، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٥٤٥ - ٥٧٣.



٣٩. التأويل النحوي في كتاب النكت في القرآن الكريم للمجاشعي (ت ٤٧٩هـ).
مرتضى سعد جاسم. مجلة (حولية المنتدى)، ع ٢١، ص ١٧٣-١٩٦.
٤٠. التأويل النحوي في كتاب شرح أبيات سيويه لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)
دراسة تطبيقية. د. فضيلة عبوسي محسن العامري. مجلة (الكلية الإسلامية
الجامعة)، ع ٣٥ / ج ٢، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ١٤٣-١٦٣.
٤١. التأويل النحوي للقراءات القرآنية عند أبي البركات الأنباري. د. عباس حميد
سلطان، د. محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)،
ع ٣٥ / ج ١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٦١٦-٦٤٨.
٤٢. التأويل بين ثنوية النص القرآني الكريم وطبقات التلقي. د. مهدي حارث
الغانمي، مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٥ / ج ١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص
٣٤٥-٣٦٠.
٤٣. التأويل بين نحو اللهجات ونحو العربية الفصحى في القرآن الكريم. أ. د. علي
ناصر غالب، حسين علي الموسوي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٥ / ج ١،
١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ١٣١-١٤٧.
٤٤. التأويل وتحولات الخطاب. أ. د. محمد رضا مبارك. مجلة (الكلية الإسلامية
الجامعة)، ع ٣٥ / ج ١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ١٦٧-١٩٣.
٤٥. التأويل وتفسير النص مقارنة في الاشكالية. أ. د. عبد الأمير كاظم زاهد. مجلة
(السدير)، ع ٤٤، ٢٠٠٤م، ص ١-١٧.
٤٦. تبادل حروف العطف في الآيات المتشابهات. أ. د. عائد كريم علوان الحريزي،
إيمان مسلم. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع ١٨، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٣م، ص ٢٩-
٤٦.
٤٧. التبرج في الجامعات أحكامه - أسبابه - علاجه في ضوء القرآن الكريم والفقهِ
الإسلامي. محمد علي هاشم الاسدي، مجلة (كلية الدراسات الإسلامية)، ع ٢،
١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م، ص ١٨١-٢٠٢.
٤٨. التبصير بأية التطهير. المحامي توفيق الفكيكي. مجلة (دراسات إسلامية)، ع ٣،



- ١٣٨٥هـ، ص ٧-٢٣.
٤٩. التجسيم في التعبير القرآني. د. عقيل عبد الزهرة مبدر. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع ٨، ٢٠٠٩م، ص ٢٧٣-٣٢٣.
٥٠. تجليات الحاكمية والعدل الإلهي في قصة العبد الصالح (بحث قرآني في سورة الكهف). سعد عطية حسوني. مجلة (الإصلاح الحسيني)، ع ٣، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م، ص ٢٩٣-٣١٢.
٥١. التحدي والمعاجزة بالحروف المقطعة (ومضات تقريبية للمعادلة الاعجازية للقرآن). أ. د. مشكور كاظم العوادى، مجلة (كلية الفقه)، ع ٥، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ١٨١-٢٠٢.
٥٢. التحليل الجغرافي لكهف الفتية في منطقة الرقيم على ضوء المنظور القرآني. د. ضرغام خالد عبد الوهاب أبو كلل. مجلة (مآب)، ع ٩، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ١١٣-١٤٤.
٥٣. التحليل الدلالي للقراءات التفسيرية في المحتسب لابن جني ت ٣٩٢ هـ -دراسة في الترادف المظنون. د. محمد جعفر محسن العارضي. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع ٢٠، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٢٦٧-٢٩٤.
٥٤. تحليل نص الآية الثالثة من سورة المائدة. صباح خيرى العرداوي. مجلة (المنهج)، ع ٢٥، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٥٧-٨٧.
٥٥. تحليل ودراسة بعض آراء نولدكه حول جمع القرآن الكريم. محمد حسين محمدي. مجلة (دراسات استشرافية)، ع ١، ١٤٣٥ = ٢٠١٤م، ص ٢٤٧-٢٦٦.
٥٦. تحول البنية الاستفهامية إلى الدلالة الخبرية في التعبير القرآني. د. مديحة خضير السلامي. مجلة (مآب)، ع ٧، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٣١-٥٠.
٥٧. التداخل الدلالي في سورة الجن. مسلم هوني حسين. مجلة (مآب)، ع ١١، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٣٩-٤٥.
٥٨. التَّدْبُرُ وتجلياته في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي ت ٧٩٤هـ. د. خالد حوير الشمس. مجلة (المنهج)، ع ٢٥، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ١٣-٣٦.



٥٩. التذكير والتأنيث في الصفات الجارية مجرى الفعل في القرآن الكريم. د. هادي عبد علي هويدي. مجلة (ينابيع)، ع١٢، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م، ص ٤٨-٥٢.
٦٠. الترابط الموضوعي في القرآن الكريم. د. بشير اللامي. مجلة (الأصالة النجفية)، ع٤٠، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٢٧-٣٢.
٦١. التربية البيئية في القرآن الكريم. د. محمد جواد شيع، ود. ضرغام خالد ابو كلل. مجلة (مآب)، ع٦، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ١٣٥-١٤٥.
٦٢. ترتيل القرآن «قراءة تأويلية». أ. د. حاكم حبيب الكريطي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣١/ ج١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٥٣-١٧١.
٦٣. ترجمات القرآن إلى لغات البلقان «دراسة تاريخية». أ. د. حامد ناصر الظالمي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣١/ ج١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٠١-١١٠.
٦٤. الترجمة الأولى للقرآن الكريم. عباس محمد العبدلي. مجلة (الأصالة النجفية)، ع١٤، ص ٤٥-٤٦.
٦٥. ترجمة القرآن الكريم أبعادها الفنية ومشكلاتها البلاغية. أ. د. محمد حسين علي الصغير. مجلة (كلية الفقه)، ع٢، ١٤٠٣-١٤٠٤هـ = ١٩٨٣-١٩٨٤م، ص ١٥٩-٢٠٨.
٦٦. ترجمة القرآن الكريم بين التأييد والمعارضة. د. عبدعلي حسن الجاسمي. مجلة (ينابيع)، ع٣٧، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ٢٠-٢٤.
٦٧. الترخص في القرينة الإعرابية دراسة في استعمال القرآن الكريم. د. شكيب غازي بصري الحلفي. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع٢١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٣٨١-٤١٤.
٦٨. الترخص في لغة القرآن الكريم - دراسة في المفهوم. د. شكيب غازي بصري. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع٣٦، ٢٠١٥م، ص ٩٣-١١٦.
٦٩. التركيبة الرياضياتية في القرآن الكريم. د. عادل محمد حسن رزاق. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٣، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٧٥-٩١.
٧٠. تشابه المفاهيم النحوية وأثره في تعدد إعراب المفردة القرآنية. د. علي جاسب



- الخزاعي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٥ / ج ٢، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٢١٩-٢٤١.
٧١. التشخيص في التعبير القرآني. عقيل عبد الزهرة مبدر. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع ١٦٤، ٢٠١٠م، ص ١-١٦.
٧٢. التصوير الصوتي في سورة الزلزلة. هادي سعدون هنون. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع ١٨٤، ٢٠١٠م، ص ١-٢٥.
٧٣. التصوير القرآني للعقبات النفسية (عقد المنافقين انموذجاً). أ. د. مشكور العوادى. مجلة (ينابيع)، ع ١٥٤، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ١٢-١٧.
٧٤. التضمنين وأثره النحوي في الوجيز في تفسير القرآن العزيز لعلي بن الحسين العاملي (ت ١١٣٥هـ). أ. د. محمد حسين علي الصّغير، د. سليم عبد الزهرة محسن الجصاني. مجلة (كلية الفقه)، ع ١٣، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، ص ٥-٢٥.
٧٥. تطبيق منهج علم اللغة النصي في دراسة القرآن الكريم (سورة البقرة أنموذجاً). أ. د. محمد كاظم البكاء، مجلة (كلية الفقه)، ع ٧، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ٢٩-٥١.
٧٦. تطور الحركة التفسيرية بين الاتجاهين الموضوعي والموضوعي. الشيخ محمد فاكّر الميدي. مجلة (مآب)، ع ٢، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ١٣-٢٧.
٧٧. التعجب وصوره في القرآن الكريم. أ. د. زهير غازي زاهد. مجلة (ينابيع)، ع ٣٥-٣٦، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ٨-١٠.
٧٨. تعدد الدلالة في القراءة القرآنية. د. عادل عباس النصاروي. مجلة (ينابيع)، ع ٢٥، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ١٠-١٥.
٧٩. تعدد دلالة الأداة في تفسير التبيان للشيخ الطوسي. د. حيدر جبار عيدان، محمد هادي محمد البعّاج. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع ٣٤، ٢٠١٤م، ص ٥٤-٨٥.
٨٠. تعدد المدلول في السياق القرآني. د. خليل خلف بشير. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٥ / ج ١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٤٥٥-٤٦٧.
٨١. تعليقات على الفهم الهرمينوطيقي للنص القرآني. هادي رزاق الخزرجي. مجلة



- (كلية الفقه)، ع ١٠، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ٣٢١ - ٣٣٧.
٨٢. تعميم القرآن الكريم للغة العربية لغير الناطقين به. أ. د. عبد الأمير كاظم زاهد. مجلة (السدير)، ع ١، س ١، ٢٠٠٣م، ص ١ - ٢٤.
٨٣. التغليب ومواضعه في النصّ القرآني. د. نجم عبد مسلم الفحام. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٥، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ٩٨ - ١٢٨.
٨٤. التغيير الاجتماعي في القرآن الكريم. أ. د. عبد علي سلمان المالكي. مجلة (مآب)، ع ٣، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ١٦٥ - ١٧٥.
٨٥. التفاعل النصّي مع القرآن الكريم في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام. د. محمد قاسم لعبي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٢٠ / ج ١، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م، ص ٥٣ - ٧٦.
٨٦. تفسير الإمام علي عليه السلام المغيّب للقرآن الكريم. د. خليل خلف بشير. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٢ / ج ٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٣٤١ - ٣٧٧.
٨٧. تفسير البيان ونوادير آثار الكوفيين فيه. أ. د. كاصد الزيدي. مجلة (حولية الكوفة)، ع ٢، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ١٩٣ - ٢٠١.
٨٨. التفسير الترابطي قراءة عصرية للقرآن الكريم. الشيخ عبد الهادي الطهمازي. مجلة (مآب)، ع ١، ٢٠٠٧م، ص ١٩ - ٢٤.
٨٩. تفسير الرسول صلى الله عليه وآله للنص القرآني بين مقتضى الوجوب وضرورة الواقع. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي. مجلة (ينابيع)، ع ٢٩ - ٣٠، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٢٠ - ٢٥.
٩٠. التفسير الروائي بين التفريط والافراط (بحث في الاراء حول تفسير القرآن الكريم باستخدام الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام). محمد حسن محسن السراج. مجلة (المين)، ع ١٧، ٢٠١٠م، ص ١٥٥ - ١٦٦.
٩١. التفسير الصوتي للوقف عند المبرد (ت ٢٨٥هـ) في كتابه المقتضب. د. منذر إبراهيم حسين [الحلي]. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٢٧، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٢٠٥ - ٢٣٦.



٩٢. التفسير العلمي للقرآن الكريم - تأشير أم توسيع لدائرة الاعجاز. د. صالح كاظم الجبوري. مجلة (مآب)، ع٩، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٥٩ - ٧٢.
٩٣. التفسير العلمي للقرآن بين الرفض والقبول. د. محمد عبد الحسن الغراوي. مجلة (كلية الفقه)، ع١، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ٢٨٧ - ٣٠٨.
٩٤. التفسير الفقهي عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام آيات الحدود أنموذجاً. أ. د. صاحب محمد حسين نصّار، د. جاسم محمد علي الغراي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٢ / ج٣، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٨٥ - ١٠٩.
٩٥. تفسير القرآن الكريم للإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام. شاعر الغرباوي. مجلة (النجف)، ع١٠، ١٢ ذي القعدة، ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م، ص ٨ - ١٣.
٩٦. تفسير القرآن الكريم معناه ودلالته. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (ينابيع)، ع١١، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م، ص ١٩ - ٢١.
٩٧. تفسير القرآن الكريم. الشيخ محمد هادي معرفة. مجلة (دراسات إسلامية)، ع٢، ١٣٨٤هـ، ص ٤٤ - ٥٨، ٣ / ٧٢.
٩٨. تفسير القرآن بالقرآن وأثره في المنهج الموضوعي عند المتقدمين والمتأخرين. د. خولة مهدي شاكر. مجلة (كلية الفقه)، ع١٨، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٢٤٦ - ٢٦٨.
٩٩. تفسير القرآن بالقرآن والحديث. محمد الصادقي الطهراني. مجلة (الأضواء)، ع١٠، ص ٥، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م، ص ٣٨٧ - ٣٩٤.
١٠٠. التفسير المعجمي للمفردة القرآنية عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) دراسة موازنة. ظاهر محسن جاسم، د. رحيم خريبط عطية الساعدي. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع١٩، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ١١٧ - ١٥٠.
١٠١. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام بين الرفض والقبول. سليمة فاضل حبيب الكلاي. مجلة (المنهج)، ع٢٥، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٣٧ - ٥٥.
١٠٢. التفسير الموضوعي عند المحدثين - أمين الخولي إنموذجاً. أ. د. صباح عباس عنوز، سحر جاسم الطريحي، مجلة (كلية الفقه)، ع٨، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٩ - ١٨.



١٠٣. تفسير جامع البيان من أقدم مصادر النحو الكوفي. أ. د. أحمد خطاب العمر. مجلة (حولية الكوفة)، ع٢، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ٢٠٢ - ٢١١.
١٠٤. تفسير سورة التوحيد بحث في التوحيد الأحدي. الشيخ عبد الرزاق النداوي. مجلة (المنهج)، ع٤، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ٨٣ - ١٠٠.
١٠٥. تفسير سورة الضحى. الشيخ مهدي السماوي. مجلة (النشاط الثقافي)، ع٢، س٢، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م، ص ٧١ - ٧٨.
١٠٦. تفسير مقتنيات الدرر وملقطات الثمر (للسيد علي الحائري) المعروف بالمفسر. فائز محسن الفتلاوي. مجلة (مآب)، ع٦، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٧١ - ٨١.
١٠٧. التفسير والتأويل في (مواهب الرحمن). د. حسين علي حسين المهدي. مجلة (ينابيع)، ع٦٤، شهر رمضان - شوال، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٠ - ١٤.
١٠٨. التفسير وأهمية المعنى الإجمالي للسورة. د. صباح خير الحسيني [العرداوي]. مجلة (ينابيع)، ع٥٩، ١٤٣٥هـ، ص ١٨ - ٢٢.
١٠٩. تفصيل مجمل النص القرآني بالسنة النبوية. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي. مجلة (مآب)، ع٣، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م، ص ٨٩ - ٩٦.
١١٠. التفكير الإسلامي ومنطق القرآن. جواد ناجي ناصر القرغولي. مجلة (المبين)، ع١٤، ٢٠٠٨م.
١١١. التقابل الدلالي بين أهل الجنة وأهل النار في سورة المطففين. د. صباح عطوي عبود. مجلة (مآب)، ع١٣، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ٣٥ - ٤٨.
١١٢. التقدير النحوي للشاهد القرآني في شرح ابن عقيل - دراسة دلالية. د. قاسم كتاب عطا الله. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع٢٥، ٢٠١٢م، ص ٩٣ - ١١٥.
١١٣. تقنيات الزمن في قصص سورة الشعراء. د. تومان غازي حسين. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع٢٣، ٢٠١١م، ص ٤٨ - ٧٥.
١١٤. تكامل الحياة في نظر القرآن. ج. ك. شيرواني؛ ترجمة: الشيخ محمد الخليلي. مجلة (الأضواء)، ع٦، س٣، ١٣٨٢هـ، ص ٢٦٩ - ٢٧٢.
١١٥. التمكّن الدلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم. شكيب غازي



- بصري الحلفي، د. محمد عبد الزهرة غافل. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع ١٥، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ١٩٥ - ٢٤٤.
١١٦. التمكن الدلالي للفرائد القرآنية. د. شكيب غازي بصري الحلفي. مجلة (كلية الفقه)، ع ١٤، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، ص ٢٩٨ - ٣٣٤.
١١٧. التناسب الإحصائي والبياني في التعبير القرآني. د. عقيل عبد الزهرة مبدّر. مجلة (آداب الكوفة)، ع ١٤، ٢٠٠٨م، ص ١٥٧ - ١٨٥.
١١٨. التناسب الإيقاعي الدلالي في سورة العلق. جلييلة صالح العلق. مجلة (كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية)، ع ١٠، ٢٠١٢م، ص ١٢٥ - ١٣٦.
١١٩. التناسب الصوتي والمعنى في رعاية الفاصلة القرآنية بالتقديم والتأخير. د. عقيل عبد الزهرة مبدّر الخاقاني، أحمد كاظم جواد. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع ١٨، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٣م، ص ٢٠٣ - ٢٣٨.
١٢٠. التناص القرآني في شعر أحمد شوقي. آمنة الموسوي شجري، د. محمد حسن معصومي، مجلة (كلية الفقه)، ع ٢٠، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٥٣ - ١٧٩.
١٢١. التناص القرآني في قصيدة (بلاد ما بين النهرين) للشاعر أحمد مطر. د. علي عبدالرحمن فتاح. مجلة (آداب الكوفة)، ع ٢١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٣٧٩ - ٤٠٤.
١٢٢. التناص القرآني. السيد تقي الحسني. مجلة (البرهان)، ع ١٢ - ١٣، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٢٠٩ - ٢٥٣.
١٢٣. تناص القصة القرآنية في الشعر الفلسطيني المعاصر. د. عاطي عبيات، د. علي مطوري. مجلة (آداب الكوفة)، ع ١٩، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٣م، ص ١٥٩ - ١٩٠.
١٢٤. التناص مع القرآن الكريم في نماذج من الشعر العراقي الحديث. عبد الكريم راضي جعفر. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣١ / ج ١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٣٣ - ٥٢.
١٢٥. التناوب بين حروف المعاني في النص القرآني (الدلالات والمعنى). د. صادق فوزي العبادي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣٠، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٤م،



ص ٦٤٥-٦٦٧.

١٢٦. تنقيح القرآن لعبة التأويل والنص القرآني! د. محمد احمد الحضراوي. مجلة (المنهج)، ع٢٠، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ١٣٤.

١٢٧. التنمية المستدامة وإبداع تخطيط المعمار في القرآن. عبد الكريم محمد باقر الشجاع. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع٣١، ٢٠١٣م، ص ١١٦-١٢٤.

١٢٨. التنمية في القرآن الكريم. د. محمد جواد شبع. مجلة (كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية)، ع٦-٧، ٢٠١٠م، ص ٢٦٣-٢٧٣.

١٢٩. التوثيق القرآني لمواقف الصالحين من الأمم السالفة في مواجهة التحديات من وحي الشعور بالمسؤولية. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع١٣، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ١٢٥-١٦٠.

١٣٠. توجيهات المفسرين لدلالة الأمر في القرآن الكريم. أ. د. مجيد طارش الربيعي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٥ / ج١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٢٣٥-٢٦٥.

١٣١. التوجيه الدلالي في آية التطهير. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (ينابيع)، ع٢٠، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ٣٢-٣٩.

١٣٢. التوجيه الدلالي في آية القربى. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (ينابيع)، ع٢٤، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م، ص ٣٦-٤٣.

١٣٣. التوجيه الدلالي في آية الولاية. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (ينابيع)، ع١٩، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ٣٩-٤٧.

١٣٤. التوجيه الدلالي لآية الرهن. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (ينابيع)، ع٥٦، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ١٠-١٣.

١٣٥. التوجيه الدلالي لآية وجوب الحج. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (ينابيع)، ع٥٣، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م، ص ١٠-١٤.

١٣٦. التوجيه الدلالي للقراءات القرآنية التي اتفق رسمها في المصحف العثماني (ظاهرة حذف الالف انموذجاً). د. حكيم سلمان السلطاني. مجلة (ينابيع)،



- ع ٦٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١٠ - ١٤.
١٣٧. التوجيه النحوي للشاهد القرآني في كتاب (اللامات) للزجاجي (ت ٣٣٧هـ).
- أنفال رشاد علي. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع ٣٢، ٢٠١٤م، ص ٦٥ - ٩٨.
١٣٨. التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في كتاب درة الغواص للحريري (٤١٦ - ٥١٦هـ). فضيلة عبوسي محسن العامري. مجلة (كلية الفقه)، ع ١١، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ١٨٧ - ٢١١.
١٣٩. التوحيد في القرآن. الشيخ محمد أمين زين الدين. مجلة (الأضواء)، ع ٥، س ٣، ص ٢١١ - ٢١٩ / ٦، ٤٥٣ - ٤٥٧.
١٤٠. التوحيد في القرآن. الشيخ محمد عبد الحسن الغراوي. مجلة (الأصالة النجفية)، ع ٢، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ١٣ - ١٦.
١٤١. توصيف السماوات والأرض في سورة النور «دراسة في الإعجاز العلمي واللغوي». د. مرتضى عبد النبي علي الشاوي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣١ / ج ٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٩٧ - ١٣٤.
١٤٢. التوظيف القرآني في الخطبة الفدكية. نور الساعدي. مجلة (العقيدة)، ع ٤، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٢٩٧ - ٣١٤.
١٤٣. التوظيف القرآني في شعر احمد مطر. د. حافظ كوزي عبد العال المنصوري. مجلة (آداب الكوفة)، ع ١٣، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ٦٩ - ١٠٨.
١٤٤. توظيف المفردة القرآنية في القرآن الكريم لفظة (الحياة) أنموذجا. حوراء غازي عناد. مجلة (كلية الفقه)، ع ١٧، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م، ص ٣٥٧ - ٣٨٢.
١٤٥. التوكل في القرآن الكريم. حسين جودي الجبوري. مجلة (مآب)، ع ٦، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م، ص ٨٣ - ٩٧.
١٤٦. التيارات المتطرفة في القرآن الكريم والسنة المطهرة. صادق فيحان عزوز الغانمي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ١٦، ص ٦٠١ - ٦٢٣.

حرف الثاء

١٤٧. ثراء الدلالة في المفردة القرآنية. د. عادل عباس النصراوي. مجلة (ينابيع)،



- ع ٣٥-٣٦، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، ص ١٢-١٦.
١٤٨. الثراء اللغوي والأسلوبي في القرآن الكريم «سورة النمل أنموذجاً». حيدر عبد الحسين مير زوين، مصعب مكي عبد. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣١/ ج ٢، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ٥٣٧-٥٥٦.
١٤٩. ثقافة القراءة وقراءة الثقافة - نظرة في أدوات الفهم القرآني. د. علي مجيد البديري. مجلة (مآب)، ع ١١، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م، ص ١١٩-١٣٦.
١٥٠. الثقافة المنهجية قرآنيًا. د. ناهضة ستار عبيد. مجلة (كلية الفقه)، ع ٥، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ٧٥-٩٣.

حرف الجيم

١٥١. جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية النص القرآني أنموذجاً. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، حيدر جبار عيدان. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع ٩، ٢٠٠٨م، ص ٣١-٥٤.
١٥٢. جمال الجرس القرآني. د. تحسين فاضل عباس. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع ١٧، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٣م، ص ٤١٩-٤٤٦.
١٥٣. جماليات التكوين الزخرفية للمصاحف المخطوطة في القرن الثالث عشر. سامرة فاضل الكتبي. مجلة (الوثائق والمخطوطات الإسلامية)، ع ١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ١٠٩-١٥٨.
١٥٤. جمالية الذوات المحببة للمُفسِّطين والمُطهِّرين والمتطهِّرين في النص القرآني. أ. د. هناء جواد عبد السادة، حاكم فضيل عطوي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٣١/ ج ١، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، ص ١١١-١٢٩.
١٥٥. جمع القرآن الكريم من قبل النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام من وجهة نظر المستشرقين وأهل السنة. د. عيسى متقي زاده/ باب الله محمدي نبي كندي، تعريب حسن علي مطر. مجلة (دراسات استشراقية)، ع ٢، ١٤٣٦ = ٢٠١٤م، ص ٧-٢٢.
١٥٦. الجملة التفسيرية بين الاتجاه الشكلي والوظيفي في النص القرآني، رجاء محسن حمد. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع ٢١، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م،



ص ٥٥٣ - ٥٤٧.

١٥٧. الجملة الطويلة في القرآن الكريم. أ. د. علي ناصر غالب. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع٢، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م، ص ٢٣ - ٣٥.

١٥٨. الجملة القرآنية (دراسة تحليلية في البنية والمصطلح). جلييلة صالح العلق. مجلة (مركز دراسات الكوفة)، ع٣، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م، ص ٤٠٥ - ٤١٨.

١٥٩. الجهود اللغوية لابن نايقا البغدادي في تأويل النص القرآني (كتاب الجمان في تشبيهات القرآن اختياراً). د. مرتضى عبد النبي علي الشاوي. مجلة (الكلية الإسلامية الجامعة)، ع٣٥ / ج١، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م، ص ٤٠٣ -

١٦٠. جهود الائمة عليهم السلام في خدمة القرآن والعقيدة. د. ستار الاعرجي. مجلة (ينابيع)، ع٤، محرم - صفر، ١٤٢٦هـ، ص ٨٢ - ٨٩.

١٦١. جهود التبريزي في القراءات القرآنية. كاظم عودة خشان البديري، د. محمد عبد الزهرة غافل. مجلة (آداب الكوفة)، ع١٢، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ٩٩ - ١٣٦.

١٦٢. جهود الدكتور زهير غازي زاهد في دراسة الصوت القرآني. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، رباب موسى نعمة. مجلة (اللغة العربية وآدابها)، ع١٩، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م، ص ٢٨٣ - ٣١٢.

١٦٣. جوانب تركيبية في تفسير مجمع البيان للطبرسي (٥٥٤٨). د. خليل خلف بشير العامري. مجلة (مآب)، ع٥، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، ص ٤٩ - ٦٧.

١٦٤. جولة في دائرة معارف ليدن القرآنية. د. محمد علي رضائي. مجلة (دراسات إستشراقية)، ع١، ١٤٣٥ = ٢٠١٤م، ص ١٩٧ - ٢٣٠.

١٦٥. حرف الحاء

١٦٦. الحال في التعبير القرآني بين النحو والدلالة. د. سيروان عبد الزهرة الجنابي. مجلة (ينابيع)، ع٨، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، ص ٤٤ - ٤٩.

١٦٧. حالات النفس مع الله تعالى في نظر القرآن الكريم. أحمد أمين. مجلة (الأضواء)، ع٧ - ٨، ١٣٨٢هـ، ص ٢٨٤ - ٢٩٤.

